التنظير في الترجمة

لجنة اللسانيات والمعاجم:

بسّام بركة (منسّقاً)
حسن حمزة
سعد مصلوح
الطيّب البكّوش
علي أزرياح
سامي عطرجي

المنظمة العربية للترجمة

جان رينيه لادميرال

التنظير في الترجمة

ترجمة

محمد جدير

مراجعة

نادر سراج

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
جان رينيه لادميرال
التنظير في الترجمة/ ؛ ترجمة محمد جدير؛ مراجعة نادر سراج
ص. - (لسانيات ومعاجم)
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0- -
1. . 2. أ. العنوان. ب. ، (مترجم). ج. السلسلة.

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة»

,

© .
© **جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصراً لـ:**

المنظمة العربية للترجمة
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 - 113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: **مركز دراسات الوحدة العربية**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، () 2011

المحتويات

مقدمة المترجم

نظمت جمعية الدراسات للتطبيقات والنظريات في الترجمة (S.E.P.T.E.T.)، التابعة لجامعة ستراسبورغ، بالشراكة مع مركز البحث في الأدب المقارن (C.R.L.C.) بجامعة السوربون، ندوة دولية يومي الثالث والرابع من حزيران/ يونيو سنة 2010 حول المفكر جان رينيه لادميرال: عطاءٌ متجدّد («Jean-René Ladmiral: Une œuvre en mouvement»). شارك فيها عدد كبير من الباحثين المتخصصين في نظرية الترجمة وفلاسفة ومترجمون من كل أرجاء المعمورة. وقد عكس تنوعُ محاور الندوة ومشارب المشاركين تنوعَ المجالات المعرفيةِ محطِ اهتمام المحتفى به، والتي جاءت كالآتي[1]:

أ ـ ترجمة الفلسفة وفلسفة الترجمة

[تجدر الملاحظة إلى أن جميع الهوامش المتسلسلة هي من أصل الكتاب (ما عدا مقدمة المترجم)، أما الهوامش المصحوبة بإشارة (*) فهي من وضع المترجم].

(1) ستظهر أعمال هذه الندوة على صفحات هذه المجلة: Revue *Septet* (*Société d'études des pratiques et théories en traduction*), Des mots aux actes, no. 3, «Jean-René Ladmiral: Une œuvre en mouvement,» actes du colloque international des 3 et 4 juin 2010, université de Paris-Sorbonne (Perros-Guirec: éditions Anagrammes, 2011).

ب ـ علم النفس الخاص بالترجمة

ج ـ تواصل الثقافات وتعليم الترجمة/ اللغات

د ـ الوضع النظري لخطاب الترجمة

واختتمت الندوة بمائدة مستديرة حول ثنائية ج. ر. لادميرال المعروفة والتي ميّز فيها «المصدريين» (sourciers) الذين يركّزون على دال اللغة من «الهدفيين» (ciblistes) الذين يولون الأولوية لمعنى الكلام[2] (parole). وقد دعيت للمشاركة في هذه الندوة للحديث عن تجربتي في ترجمة لادميرال إلى اللغة العربية وما اعترضني من مشاكل وصعوبات (لسانية بالأساس)[3] إلى جانب غيري من مترجميه إلى لغات أخرى كالروسية والإيطالية وغيرهما. ومن ثم سأعرض في هذا التقديم الموجز لأقسام ثلاثة: **أولها** التعريف بالمؤلِّف وتقديمه لأول مرة إلى القارئ العربي من خلال التذكير ولو في عجالة ببعض المحطات التي تخص سيرته وبعض إصداراته، و**ثانيهما** التعريف بالمؤلَّف (*Traduire: Théorèmes pour la traduction*) الذي كان لنا شرف نقله إلى لغة الضاد تحت عنوان «**التنظير في الترجمة**» وبمحاوره الأساسية. وسأفرد القسم **الثالث** للكشف عن بعض الصعوبات التي تطرحها ترجمة هذا النص الذي يُعدّ أهم نصوص لادميرال وأكثرها شيوعاً.

---

(2) هذه الثنائية التي اقترحها ج. ر. لادميرال سنة 1986 لأول مرة تمت إعادة تناولها وتمّ إغناؤها في مقال جديد صدر سنة 2007: «Sourciers et ciblistes revisités,» dans: N. D'Amélio, éd. *Au-delà de la lettre et de l'esprit*: *Pour une redéfinition des concepts de source et de cible*, actes du colloque traduction-traductologie (HMU-ULB, 27 et 28 octobre 2006) (Mons: Editions du CIPA, 2007), pp. 7-25.

(3) كان عنوان تدخلي الذي يندرج ضمن المحور الثاني «علم النفس الخاص بالترجمة» هو: «Traduire *Traduire*...: Une expérience traductive».

1. المؤلِّف: جان رينيه لادميرال فيلسوف ولساني وعالم تربية ومتخصص في اللغة والحضارة الجرمانية («متجرمن»)، مما يؤهله ليرأس مشروعه المؤسس على تواصل الثقافات. فـ بول ريكور الذي كان عميداً لجامعة باريس ـ X ـ نانتير هو الذي عيّنه أستاذاً في هذه المؤسسة العريقة سنة 1968. ومنذ ذلك الحين وهو يدرّس الألمانية والفلسفة واللسانيات ونظرية الترجمة أو ما اصطلح عليه بـ «الترجمية» (*traductologie*) ويعمل على تسيير مركز الدراسات والأبحاث في الترجمة (C.E.R.T.).

وبموازاة ذلك، يدرّس الترجمية والترجمة بالمعهد العالي للترجمة الفورية والترجمة (l'I.S.I.T.) في باريس حيث يدير «مركز الأبحاث التطبيقية في الترجمة والترجمة الفورية واللغة» (C.R.A.T.I.L.). وهو يعمل أيضاً أستاذاً بجامعة جنيف بمدرسة الترجمة والترجمة الفورية (l'E.T.I.).

لقد خبر لادميرال الترجمة قبل أن يتولى التنظير لها. فقد ترجم لعدد كبير من الفلاسفة الألمان من قبيل يورغن هابرماس وغيره من أقطاب مدرسة فرانكفورت كأدورنو وبنيامين، كما ترجم كَنْت ونيتشه وغيرهما. وكانت أول ترجمة له عن الإنجليزية لكتاب إريك فروم المعنون بـ (*Crisis of Psychoanalysis*).

وبالإضافة إلى هذه الأعمال التي تخص ميدان الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وتعليم اللغات والدراسات الجرمانية، انصبت أبحاثه بالأساس على الترجمة. فقد كان البحث الذي أنجزه للحصول على درجة الأهلية للإشراف على الأطروحات الجامعية يتناول موضوعاً «الترجمية» وانتقالها من حقل اللسانيات إلى حقل الفلسفة (*La traductologie: De la linguistique à la philosophie*)، وهو بحث

يضم أربعة مجلدات. كما أنه نشر عن الترجمة العديد من المقالات[4] وأشرف على عدد من المجلات التي خصصت أعدادها للترجمة:

(*Langages*, nos. 28 et 116, *Langue française*, no. 51, *Revue d'ésthétique,* no. 12, *Le Coq-Héron*, no. 105).

ويبقى أهم ما أنجز في هذا الباب كتابه **التنظير في الترجمة** الذي صدرت **أول طبعة** له سنة 1979 عن دار بايو، تلتها، سنة 1994 عن دار غاليمار، **طبعة ثانية** مزيدة بتصدير جديد («تصدير الطبعة الثانية») عملنا على ترجمته أيضاً، ثم توالت الطبعات وكان آخرها سنة (2010).

---

(4) بما أن قائمة المراجع التي يتضمنها كتاب لادميرال بالإضافة إلى ما ذيّل به تصديره للطبعة الثانية من حواش يتوقف عند حدود سنة 1994 فإن ما سنشير إليه من منشورات سيكون حديثاً ومكملاً للسالف الذكر (للمزيد من التفاصيل حول إصدارات ج. ر. لادميرال، انظر: *Jean-René Ladmiral, le dernier des archéotraductosaures, interviewé par l'ETIB*, collection «Sourciers-Ciblistes», dirigée par H. Awaiss et J. Hardane (Beyrouth: Université Saint-Joseph, 2010)).

وانظر أيضاً أعمال الندوة الدولية *Expériences de traducteurs* («في ممارسة الترجمة») التي نظمها «مختبر النظريات الوظيفية واللغات» (T/L) الذي يرأسه هو نفسه، يومي 15 و16 نيسان/ أبريل 2010، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية (المغرب) والتي ستظهر قريباً: Jean-René Ladmiral, «La traduction du concept aporétique?,» dans: F. Israël, dir., *Identité, altérité, équivalence? la traduction comme relation,* actes du colloque international, ESIT, 23-26 mai 2000, hommage à M. Lederer, collection cahiers Champollion (Paris-Caen: Minard-Lettres modernes, 2002); Jean-René Ladmiral, «La traduction entre en philosophie,» dans: A. Lavieri, dir., *La Traduzione fra filosofia e letteratura = La traduction entre philosophie et littérature* (Turin: L'Harmattan Italia, 2004), pp. 24-65; «Formation des traducteurs et traduction philosophique,» dans: *Meta*, Journal des traducteurs (Montréal), no. 1 (2005), pp. 96-106; «L'empire des sens,» dans: M. Lederer, dir., Le sens en traduction, collection cahiers Champollion (Paris-Caen: Minard-Lettres modernes, 2006); «La traduction: De la linguistique à la philosophie,» dans: T. Milliaressi, éd., *La traduction: Philosophie, linguistique et didactique* (Paris: Editions du conseil scientifique de l'université Charles-de-Gaulle-Lille 3, 2009), pp. 29-32.

وقد أدى اشتغال لادميرال الطويل بالترجمة إلى الاهتمام بـ «تواصل الثقافات» باعتبار الترجمة ـ إلى جانب الأدب المقارن ـ تمثل ضرباً من «المثاقفة» (interculturalité)، فممارستها تستوجب إتقان اللغات والانفتاح على الثقافات العالمية. وهو ما أجمله هـ. ميشونيك (1973) في مصطلحه «اللغة ـ الثقافة» (langue-culture). وكما هو الشأن بالنسبة إلى الترجمة فقد كتب لادميرال مجموعة من المقالات والدراسات[5] عن **تواصل الثقافات** (*La communication interculturelle*) يظل أهمها المؤلَّف الذي يحمل العنوان نفسه والذي أنجزه بالاشتراك مع ليبيانسكي، وقد صدر عن دار أرمان كولان سنة 1989.

وفي ما يخص الأعمال المتعلقة بتعليم اللغات، يمكن أن نذكّر ببعض إسهاماته في هذا المجال ومنها مقاله عن «اللسانيات وبيداغوجيا اللغات» الصادر بمجلة (*Langages*) عدد 39 من سنة 1975 ودراستاه اللتان انصبتا على «بيداغوجيا الفرق» و«اللسانيات

(5) «Les sept aspects de la communication interculturelle,» dans: *Education, cultures et valeurs*, actes du colloque organisé par le collège international Cénevol, Le Chambon-sur-Lignon, 30 avril-1er mai 1994 (Le Chambon-sur-Lignon: Ville du Chambon-sur-Lignon, 1995), pp. 56-68; «Le prisme interculturel de la traduction,» dans: *Palimpsestes*, no. 11 (1997), *Traduire la culture*, pp. 13-28; «La communication interculturelle, une affaire franco-allemande?,» dans: P. Dibie et Ch. Wulf (sous la dir. de), *Ethnosociologie des éhanges interculturels*, coll. exploration interculturelle et science sociale (Paris: Anthropos, 1998), pp. 45-64; «Cousinages intellectuels,» dans: *La théorie interprétative de la traduction*, éd. F. Israël et M. Lederer (Paris-Caen: Minard, 2005), tome 1, pp. 141-162, et «Traduction et communication interculturelle ou la traduction comme contre-feu à l'incendie linguistique de la «globalisation»,» dans: *Aspects sociologiques et anthropologiques de la traduction*, sous la dir. de Z. Mitosek et A. Cesielska-Ribard (Paris: Varsovie, 2008), *Les nouveaux cahiers franco-polonais*, no. 7, pp. 47-60.

التطبيقية» والمنشورتان على التوالي، في مجلتي (*Revue d'éthnopsychologie*) العدد الأوّل من سنة 1978 و(*Revue d'Allemagne*) العددان 3 و4 من سنة 1975[6].

ويتمحور جانب من المحاضرات التي يلقيها لادميرال على طلبته، في إطار الفلسفة الألمانية، حول هابرماس وهايدغر ونيتشه وكَنْت وغيرهم. وقد ألف في هذا الموضوع بمشاركة د. شاتو كتاباً عن **النقد والنظرية** (*Critique et théorie*)، صدر بباريس عن دار لارماتان سنة 1996. وقد شكلت نصوص معظم هؤلاء الفلاسفة الألمان مادة ترجمته إلى الفرنسية وعلى رأسهم و. بنيامين والذي، بوصفه «مصدرياً» ورائداً للاتجاه الحَرفاني (littéralisme)، جعل لادميرال ينتقل من ترجمة الفلسفة إلى الانكباب على «فلسفة الترجمة» عبر مَوضَعَة ما أسماه «الرهانات الميتافيزيقية للترجمة».

وإذا كان المصدريون يعتقدون أن كل ترجمة ينبغي أن تظل وفيّةً للأصل مماثلةً له، فإن لادميرال يرى في هذا الموقف عودة للمكبوت الديني ومؤشراً على اللامفكّر فيه اللاهوتي للمعاصرة. فالمصدريون، بهذا المعنى، ينزعون عن غير وعي منهم إلى اعتبار كل «نص أصل» نصاً مقدساً. فيسعون إلى أن يجعلوا من كل ترجمة تكراراً للمصدر وهو ما يعتبره المؤلف «يوتوبيا مصدرية الترجمة».

(6) هذا بالإضافة إلى مقالاته الحديثة التي أفردها لمشكل تعليم اللغات: «La formation en langues étrangères,» dans: *Forma 10* (Revue de l'institut d'éducation permanente de l'université de Paris X, Nanterre), nos. 4-5 (1976), pp. 3-18; «Les problèmes des langues dans les rencontres internationales,» dans: J. Demorgan et E. M. Lipiansky (sous la dir. de), *Guide de l'interculturel en formation* (Paris: Retz, 1999), pp. 129-138; «Métaphraséologiques,» dans: *The Contribution of Language Teaching and Learning to the Promotion of a Peace Culture*, actes du colloque A. I. L. A. de Salonique 9-12 décembre 1999 (Salonique, 2001), pp. 97-117.

وإجمالاً يُشبِّه لادميرال مسيرة اشتغاله بالترجمة ممارساً ومنظّراً ومتأملاً، بصرح يتكوّن من طوابق ثلاثة. يوافق الطابق **الأول** المرحلة التي قصد فيها الميدان كما يقصده الإثنوغرافي باعتباره مترجماً نقل إلى الفرنسية مجموعة من الكتب الفلسفية عن الألمانية والإنجليزية، مما أهله للانتقال إلى المرحلة **الثانية**. الطابق **الثاني** لصرح لادميرال المعرفي يطابق ظهور مفهوم الترجمية «الخاص به» والذي يشكل مادة كتابه هذا (**التنظير في الترجمة**): أي استنباطه لخطابه النظري من ممارسته الترجمة. إن الانتقال من ترجمة الفلسفة إلى الاشتغال على فلسفة الترجمة يمثل انتقالاً إلى الطابق **الثالث** الذي ينعته المؤلف بـ «حب الترجمة» الخاص به.

إن ما يسميه لادميرال بـ «الترجمية المنتجة» يكمن دورها في علاج المترجم مما قد تسببه له الترجمة من «حصرات نفسية» وذلك بمفهمة الإشكال والتعبير عنه بالكلام. وهو ما يفصّل فيه المؤلف القول في تصديره للطبعة الفرنسية، وهو التصدير الذي تتضمنه هذه الترجمة العربية. ويؤسَّس الخطاب الترجمي الذي يتبناه لادميرال على ثالوث يتكامل معرفياً وتقوم عناصره على تراتبية تعطي الأولوية للفلسفة وتزكي تبعية اللسانيات وعلم النفس لها.

2. المؤلَّف: قد لا نغالي إذا أقررنا بأن كتاب لادميرال **التنظير في الترجمة** الذي يتميز بتداخل التخصصات والحقول المعرفية التي ينهل منها والتي تتكامل في ما بينها[7]، كتابٌ ذو قيمة علمية كبرى. وهو كتاب صعب المنال بالنسبة إلى قارئه (الذي لم يُهيَّأ معرفياً

(7) إذا تبنيّنا التصنيف الذي وضعه د. موسكوفيتز (1972) بين الترجمة الأدبية والترجمة التقنية التي يمارسها من ينعتهم بـ «المرتزقة»، أمكننا إدراج كتاب ج. ر. لادميرال في زمرة الترجمة الأدبية. وقد طالب لادميرال (1981) بإفراد صنف خاص بالترجمة الفلسفية.

لخوض غماره) وبالنسبة إلى مترجمه أيضاً. ويعدّ هذا الكتاب ـ خصوصاً عند ظهور نسخته الأولى سنة 1979 ـ أحد المؤلفات النادرة المنجزة بالفرنسية عن إشكال التنظير في ميدان الترجمة إلى جانب أعمال ج. مونان (1955 و1963. . . إلخ) وغيره. للإشارة، فالتجارب التي تشكّل قوام التنظير في هذا المجال اضطلع بها باحثون أنجلوساكسونيون من قبيل أ. نيدا وش. تابر وكاتفورد. . .

ويضم الكتاب فصولاً أربعة تباينت أحجامها ومراميها. تنطلق من تعريف الترجمة (ما هي الترجمة؟ **فصل 1**)، إلى علاقة البيداغوجيا بالترجمة (الترجمة في المؤسسة البيداغوجية، **فصل 2**)، إلى الخوض في مسألة تهم ممارسي الترجمة ومنظّريها، أي إمكان الترجمة أو استحالتها، إنها مسألة «الاعتراض الاستباقي» (**فصل 3**): هل يمكن ترجمة الأدب؟ هل يمكن ترجمة الشعر أو إنه جنس تتعذر ترجمتهُ؟ . . . وقد أُفرد **الفصل الرابع** والأخير الذي يمتد على صفحات عديدة لإشكال ترجمة ظاهرة التضمين (connotation) والسعي إلى مَفهَمَتها. وقد عرض لادميرال لمجموع المنظّرين الذين عالجوا الظاهرة (مونان، وبلومفيلد، ومارتينيه، وليونز. . .) لكي يخلص إلى استنتاج مؤداه أن فشلهم في إيجاد حل كافٍ للمشكل يكمن في الطابع «النظريّاني» (théoriciste) الذي يميز أبحاثهم. وبعبارة أخرى، فإن الباحثين الذين خاضوا مغامرة التنظير لم يكونوا من زمرة الممارسين للترجمة في مجملهم بخلاف لادميرال الذي استنبط تنظيره من عشرات الكتب الفلسفية التي ترجمها عن الألمانية (هابرماس وأدورنو وفروم. . . وباقي رواد مدرسة فرانكفورت عموماً) كما أسلفنا.

اقترح المؤلف جملة من «النظريات من أجل الترجمة»، أي مفاهيم ـ مفاتيح، أو عناصر نظرية «مُتشظية/ فُتاتية» أو «ترد تفاريق» كما يقول العرب (en miettes)، هي في طور التشكل وترمي إلى رفع

التحدي المتجدّد للمشاكل المادية المتعددة التي لا تفتأ تطرحها ممارسة الترجمة. ويسفر مسعى لادميرال عن اقتراح وحدات نظرية «سيميوطيقية[8] دلالية» وظفها لمفهمة تصور التضمين للدفاع عن خصوصيته اللسانية وعن إمكان ترجمته (بخلاف ما ذهب إليه غيره من كونه مفهوماً «نفسياً» (مونان) أو قيمة إضافية «فردية» «أسلوبية» (بلومفيلد)... ومن ثم تتعذر ترجمته). وقد صاغ المؤلف جهازاً مفهومياً ترجمياً تتعدد الروافد التي يقترض منها ويمكن إجمالها بالأساس في حقول معرفية ثلاثة: الفلسفة بمعناها الواسع (الذي يشمل العلوم الاجتماعية...) واللسانيات وعلم النفس. ومن المفاهيم (أي الوحدات النظرية) التي يستند إليها مفاهيمُ من قبيل: تأويل أدنى (interprétation minimale)، ولغة ـ ثقافة (langue-culture)، ومنامطة (transcodage).

3. قضايا لسانية

1.3. البنية التركيبية للعنوان ـ المصدر

ليست ترجمة عنوان كتاب لادميرال (*Traduire: Théorèmes pour la traduction*)، بالنظر إلى بنيته التركيبية المعقدة وغناه الدلالي والتداولي، بالعملية الهينة أو السهلة المنال. وهي بذلك تطرح للمترجم مشاكل «لغوية» تباينت مظاهرها وتنوعت. فالعنوان متعدد المعاني (polysémique) والأصوات (polyphonique) مما يدخله في زمرة العَصِيّ على الترجمة. وسنقوم في ما يلي بتقطيع للوحدات المكوّنة له حتى نقف على ما يثيره من صعوبات.

(8) لعله من الأورد ترجمة المفردة «سيميوطيقية» بـ «سيميائيّة» إلا أن رغبتنا في الحفاظ على «اللعب» الذي يقيمه المؤلف بين «الألفاظ» *sémiotique* و*sémantique* و*sémiologie* جعلنا نفضل ذلك المقابل على غيره.

فـ (traduire) يمكن أن يؤوّل على أنه فعل غير متصرف أمري من دون فاعل. إنه إذاً أمر (ordre) مبهم لا شخصي يوافق متصرفاً هذا المعنى: «(ترجمـ(وا) هذا النص!)» (traduisez ce texte!). ويمكن لـ (traduire) أن يعني فعل الترجمة ذاتها. ولعل اللجوء إلى فعل غير متصرف يهدف، تركيبياً، إلى تجنب تكرار كلمة (traduction) (ترجمة) التي وردت في آخر بنية العنوان. إضافةً إلى أن (traduire) تحيل على المجلة التي تصدرها الجمعية الفرنسية للمترجمين (S.F.T.) والتي لم يفت المؤلف أن يقدم لها الشكر (هامش 3، ص 10). وإجمالاً تطرح ترجمة العناوين، كما جاء في معرض حديث لادميرال عن ترجمة عنوان كتاب ليونز (1968) (*Introduction to Theoretical Linguistics*)، إشكالاً خاصاً تتداخل فيه جملة من الاعتبارات والشروط (منها الأيديولوجية والاقتصادية والتلفظية)، إليها يعود أمر تحديد عنوان المؤلَّف وصياغته.

وإذا كانت ترجمة هذا المصطلح إلى اللغة العربية تقتضي وجوباً الإحاطة بمجموع هذه المعاني الظاهرة الفُرادية (idiosyncratique)، فإني أفضل تبني «الاعتراض الاستباقي» (l'objection préjudicielle) (انظر مونان 1963 ولادميرال 1979/ 2002: الفصل الثالث) مبدأً واعتبار اللفظ (traduire) لفظاً تتعذر ترجمته.

إن معظم القواميس الثنائية اللغة (فرنسية ـ إنجليزية) أو ثلاثيتها (إنجليزية ـ فرنسية ـ عربية) التي تمت الاستعانة بها تجعل من مصطلح (théorème) مقابلاً للفظ (hypothèse) (فرضية) و/ أو مرادفاً لكلمة نظرية[9] (théorie). غير أن لفظ (théorème) الذي يتكون من كلمة (théorie) ومن اللاحقة (ème-) التي تعني «وحدة» أي -théor)

(9) في ما يخص معناه الفيزيائي الرياضي «مبرهنة» («مبرهنة» بطاغور على سبيل المثال) فمن البدهي أنه لا يمثل المعنى المروم التعبير عنه هنا.

(ème، يمكن أن يرد مقابلاً له اللفظُ المركب «وحدة نظرية». ولعل هذا الاقتراح يطابق تماماً التحديد الذي وضعه لادميرال لمفهوم (théorème) باعتباره مصطلحاً مفتاحاً لنظرية في طور التشكل à) l'œuvre) وينسجم انسجاماً كاملاً معه.

بالإضافة إلى ذلك، فإن لادميرال، الذي اعترض على الثنائية «السخيفة» القائمة بين النظرية والتطبيق، وانتصر إلى حد إقصائها بالمراهنة على أن يكون منظّراً وممارساً في الآن ذاته، يعطي التطبيقَ الأولويّةَ على التنظير لكونه دأب على تعريف الترجمية على أنها «براكسيولوجيا» أو علم للممارسة، من أجل الممارسة، «ومن ثم عنواني (*Traduire: Théorèmes pour la traduction*) (ص XVIII). بعبارة أخرى، يوضح لادميرال، «يكمن هدفنا الوحيد في تقديم جملة من التصورات أو «الوحدات النظرية **من أجل الترجمة**» ـ **من أجل الترجمة**، أي إنّ الترجمة تجد كمالها بدءاً في نفسها» (ص 222).

صحيح أنه بالنسبة إلى لادميرال، ينبغي الامتناع عن كل ضرب من ضروب «الإرهاب النظرياني» (terrorisme théoriciste)، إلا أن «الوحدات النظرية **من أجل الترجمة**» التي يقترحها انطلاقاً من ممارسته في الترجمة، أي عناصر «النظرية» السيميوطيقية الدلالية، تسخر بغرض مفهمة تصور الترجمة.

لا تتوافر لدى لادميرال نظرية متكاملة محددة المعالم، بل لديه ما يمكن نعته بـ «اللاتمام النظري»[10] inachèvement théorique أي

---

(10) «ولا يتعلق الأمر بالنسبة إلينا باقتراح نظريةٍ، نظريتنا، ولا باقتراح النظرية، الحقيقية و«العلمية»، بل باقتراح «وجهة» في النظرية (de la théorie) من أجل الترجمة: وحدات نظرية متعددة، ومتجاورة، ومعزولة وثغرية، ينقصها تناغم الخطاب الجامع المصورِن (formalisé)» (ص 303 من هذا الكتاب).

نظرية «مُتشظية/ فُتاتية» (en miettes) كانت آنذاك في طور البناء، بمعنى أن الأمر يتعلق بسيرورة لبناء نظرية كافية، بل بعملية تنظير. ومن ثم ارتأينا أن نعيد صياغة العنوان ليستجيب إلى مطلبين اثنين: **أولهما** ضرورة مقبوليته العليا لغوياً، و**ثانيهما** أن يكون له «أثرٌ موازٍ» للعنوان ـ الأصل على المتلقي ـ الهدف في اللغة العربية. وعلى هذا الأساس، سيتم تعويض مفهوم «الوحدة النظرية» (théorème) بمفهوم **التنظير** للدلالة على فكرة السيرورة والتسلسل، أي على المظهر التدرجي غير التام لفعل «التنظير» **من أجل الترجمة.** ويعمل حضور المفردة «ترجمة»، آخراً وليس أخيراً، في العنوان المقترح على إبعاد الاسم أو الفعل غير المتصرف (traduire) والذي يبدو أن اللغة العربية لا تحوي مقابلاً له يتضمن مجموع الدلالات والإيحاءات والتضمينات التي ينطوي عليها.

ومن ثم جاء اقتراحنا لعنوانين اثنين: «**التنظير من أجل الترجمة**» و«**التنظير في الترجمة**»، بدا **أولهما** أكثر حَرفانية مما حدا بنا إلى أن نؤثر **الثاني**، وهو اختيار حظيَ بموافقة المؤلف.

2.3. قضايا صرفية

لا يخفى على المهتمين بحقل الترجمية أن لادميرال ينـزع كثيراً إلى استحداث المفردات (néologismes) وهو ما يعتبره «إبداعاً» (ص 225). وهذه المفردات المُولّدة لا مقابل لها في اللغة العربية غالباً، وتدخل في قائمة المفردات العَصِيّة على الترجمة. وهذا ما يفسر اضطرار كل مترجم لعمل يعود لـ لادميرال إلى «تفجيرِ» اللغةِ المترجَم إليها (اللغة العربية في حالنا)، وهو تفجير مارسه المؤلف بدوره حينما تعرضت اللغة الفرنسية «لعنف» اللغة الألمانية باعتبارها لغة أولى (substrat).

وتوحي المعطيات بإمكان تصنيف المفردات المولّدة الواردة في كتاب لادميرال إلى أنواع ثلاثة:

أولها المصطلحات التي تجد مصدرها التأثيلي في الإغريقية باعتبار المؤلف فيلسوفاً (مفردات من قبيل (quodité) التي تعد أهم الوحدات النظرية المقترحة). والحق أن ترجمة هذا المفهوم الإغريقي الأصل جعلتنا أمام ثغرة معجمية في اللغة ـ المصدر، أي أمام كلمة تتعذر ترجمتها. ومن ثم لجوؤنا إلى ما أسماه فيناي وداربلنيه (1968) «الاقتراض» (emprunt)، أي اقتراض اللفظ ـ المصدر الأجنبي كما هو (دالاً ومدلولاً). وبعبارة أخرى، لم نفلح في استحداث مقابل عربي للمفردة («quodité») فعملنا على تعريبها، أي نقلها إلى هذه اللغة ـ الهدف حرفيّاً («كوديتيه») مقتفين في صنيعنا هذا أثر لادميرال الذي «اقترض» بدوره كلمة (quoditas) عن الفلسفة القروسطية الإغريقية.

وثانيها مصطلحات يهدف من خلالها إلى شحن المفردات المتوافرة في اللغة بمعانٍ إضافية، وهي مفردات من قبيل المفردة (intraduction) التي تعني (introduction) (مقدمة أو مدخل إلى ترجمة) و(intraduisible) (استحالة ترجمة أو لا ترجمة كما تدل على ذلك السابقة النافية (in)) في الوقت ذاته و(co-notation) التي تحيل، إذا وردت مجتمعة لا متقطعة، على (la connotation) (التضمين)، وإذا استعملت منفصلة (la con-notation) دلت على التفسيرات والتوضيحات الإضافية التي يجدر بالمترجم أن يغني بها اللغة ـ الهدف.

وثالثها مصطلحات مستحدثة من قبيل (périlangue و-péri linguisticien و dia-culturel و dialinguistique و paraphrase وlinguiciste. . .) يكون الباعث وراء وضعها مسميات أو وقائع

جديدة اقتضت أسماء أو مفاهيم جديدة، أو اصطلاحات بدت مبتذلة وتطلّب الأمر تعويضها بأخرى أكثر تعبيرية. وسنعرض هنا في عجالة لمثالين اثنين منها تاركين للقارئ فرصة الاطلاع عليها في ثنايا الكتاب الذي بين يديه مرفقة بما أغنيناها به من «هوامش» لا نرى فيها «خزي المترجم» كما ذهبت إلى ذلك دومينيك أوري في تقديمها لكتاب مونان (1963) (انظر أيضاً دراستنا المشار إليها في الهامش رقم (**3**)).

فمصطلح (périlangue) على سبيل المثال يحيل على المكوّن الحضاري أو القدرة اللغوية الموسعة التي تمد المترجم، بالإضافة إلى قدرته اللغوية الصرف، بمعارف تخص الحضارة ـ المصدر. وتتحدث بعض المدارس اللسانية (نظرية التمثيل الخطابي (TRD) ونظرية النحو الوظيفي (TFG) مثلاً)، في هذا الباب، عن «المعارف الموسوعية» أو «المعارف العامة». يساعد هذا الضرب من المعارف على ترجمة المفردة (Civil War) في سياق أميركي بالمقابل الفرنسي (guerre de sécession) بدلاً من (guerre civile) (فيناي 1968) أو ترجمة (siècle des lumières) بالمقابل العربي «عصر الأنوار» بدلاً من «قرن الأنوار».

ويعني هذا المصطلح المولّد (périlangue) تمطيطاً للمصطلح السوسيري «لغة» حتى يغطي كل مقتضيات المجالين الاجتماعي والثقافي اللذين يحيل عليهما هذا اللفظ. فالمؤلف يفضل مُستحدَثَهُ على مقترح ميشونيك (1973 : 308) مبرّراً صنيعه هذا بكون : «اللغة «الممطّطة» أو الممدّدة بهذا الشكل لا تتضمن سياق الحضارة الذي تتعالق معه فقط، بل ينبغي أيضاً إفراد حيّز لبعض السمات السلوكية التي ترافق ملفوظات المتكلمين ـ المصدر وللأساس المرجعي (substrat référentiel)» (ص 178). ومن ثم جاء اقتراحنا للصفة «موسع» ترجمةً للسابقة (-péri) التي تفيد «التمطيط» و«التمديد»،

وللمفردة «اللغة الموسعة» مقابلاً للمصطلح (périlangue) وللمفردة «التفسير الموسع» مقابلاً للمصطلح (péri-paraphrase).

ويرتبط الاقتراح الاصطلاحي **الثاني** (dialinguistique)، سلالياً، بمفاهيم من قبيل «لهجة اجتماعية» (dialecte social) (أ. مارتينيه، 1969، ص 158) أو «نسق مزدوج» (diasystème) (ي. فاينريتش، 1954، ص 307 وما يليها). ويوضح المؤلف أن غرضه من وضعه هو توفير مُزاوج أدق أو أكثر «تقنية» للاستعمال الذي يكون أحياناً فضفاضاً للفظ «سوسيولغوي» في مواقف متعددة وليس غرضه «تعويضه نسقياً».

وتتباين القواميس الثنائية اللغة أو ثلاثيتها في ما يخص الترجمة التي تقترحها للفظ (diasystème/ dia-system) تبعاً لما إذا كانت السابقة -dia تعني الرقم «اثنين» (انظر رولي وآخرون (1985) عن مدرسة جنيف اللسانية) كما ورد في **معجم المصطلحات اللسانية** للفاسي الفهري (دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009) الذي يقترح المقابل «نسق ثنائي»، أو تعني «لهجة»، وإن سقط مقطع منها على سبيل الجزم (apocope)، كما ورد في **المعجم الموحد**، الصادر عن مكتب تنسيق التعريب سنة 2002، والذي يقترح المقابل «أنظومة لـهْجية».

إلا أن السابقة (-dia) في (dialinguistique) لا تـمُت، تبعاً للمؤلف، إلى التأويلين السالفين بصلة. فهي في هذا السياق، كما أكد لنا في حوار شخصي، تعني «قرابة لغوية» وهو يقابل بينها وبين «البيْلغوية» (dialinguistique). يتم الضرب **الأول** بين «بدائل» لغة معينة، أي بين لغات تصل بينها قربى لغوية كتلك التي يمكن أن تحصل بين الفصيح والدارج من اللغة العربية في حين يصل الضرب **الثاني** من العلاقة بين لغات تختلف في ما بينها نمطياً كالعلاقة بين

اللغة الفرنسية واللغة الألمانية مثلاً. ويظل اقتراح (**معجم علم اللغة النظري** (1991)) الذي أورد هذا المفهوم (dialinguistics = علم اللغة التفاعلي) غامضاً ويستدعي المزيد من التوضيح.

للإشارة فإن صعوبة اشتقاق مقابل صفي في اللغة ـ الهدف (بالرغم من أن اللغات لا تربط بين مكوّناتها علاقة «منامطة» (transcodage)) للمترجم يطرح مشاكل تركيبية كثيرة بالنظر إلى التواتر الكبير للمفردة في نص لادميرال. ويشهد على ذلك المثال (1) الذي تمت ترجمة الصفة (dialinguistique) فيه بشبه جملة كاملة (للإشارة صفحات المقاطع الممثل بها هنا تحيل على النص الفرنسي):

1) ... L'individuation des connotations est en l'occurrence collective, « sociolinguistique » ou *dialinguistique* (p. 147).

إن غياب مكافئ في اللغة العربية للصفة (dialinguistique) جعلنا نعوضها بمتوالية أو «بتفسير موسع» نقرنه بالأصل الفرنسي بين قوسين رفعاً لكل لبس: («فتفرّد التضمينات هو في هذه الحالة جماعي، «سوسيولغوي» أو له علاقة بلغتين تربط بينهما قرابة (dialinguistique)»)، وهو تفسير من شأنه أن يؤثر في البنية الإيقاعية ـ التركيبية للجملة لأننا سنكون خرقنا مبدأً كونياً يحكم اللغات هو «مبدأ التناظر» (انظر المتوكل 1998 و2009)[11]. هذا المبدأ الذي يقضي بأن «يُعطف بين المتناظرات» يقيّد ظاهرة «العطف» ويقتضي أن تكون العناصر المتعاطفة متناظرة تركيبياً ودلالياً وتداولياً.

---

(11) A. Moutaoukil, *Essais en grammaire fonctionnelle* (Rabat: SMER, 1989),

أحمد المتوكل، **مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي** (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009).

3.3. قضايا تداولية

على الرغم من الهوامش التوضيحية (ملاحظة المترجم) التي أغنى بها لادميرال نصه، ثمة «ألفاظ» لم يشملها الشرح أو التعليق واستعملت أحياناً استعمالاً استعارياً بدا أن فهمها يستدعي تزويد مخزون المتلقي ـ الهدف بمعارف موسوعية أو بـ «لغة ـ ثقافة» بتعبير ميشونيك (1973). وقد اقتضى أحياناً «توسيع اللغة» نقاشاً مع صاحب النص. ومن هذه الألفاظ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (vicaire) (rase-mots), (Arlésiennes), (de la traduction), . . .[12].

وقد ارتأينا إدراج هذا الضرب من المفردات في «القضايا التداولية» لكون تأويلها يتطلب ما يسميه سيمون ديك (1997: 10) «المعارف المتبادلة» للمتخاطبين، أي «نظرية الآخر» أو، بتعبير لادميرال، «الألفة» التي يتعين على كل مترجم بناؤها مع المؤلف ـ المصدر.

فنجاح كل تفاعل حواري أو فعل تواصلي (بما فيه الترجمة باعتبارها ضرباً من الـ (ميتا) تواصل أو التواصل الواصف) يقتضي أن يؤسس هذا الفعل تداولياً بامتلاك المتكلم/ المترجم «معلومة تداولية»[13]، أي معارف على المدى البعيد (معارف لغوية: معجمية، نحوية، تداولية. . . ومعارف غير لغوية: مرجعية، عامة. . .) ومعارف على المدى القريب (معارف مقامية: وسائط «المركز الإشاري»

---

(12) بالإضافة إلى هذه المفردات التي سنعالجها هنا، ثمة مفردات أخرى (من قبيل les jacobins, hypostase, point aveugle, ostracisme, buttes-témoins....) تم اقتراضها من حقول معرفية مختلفة اقتضت زيادات وتوضيحات أفردنا لها هوامش من شأنها إسعاف القارئ باستيعاب فحواها.

(13) يعرف ديك (1997: 8) «المعلومة التداولية» بكونها مفهوماً يدل على مجموع المعارف والمعتقدات والافتراضات والأحاسيس التي يستحضرها الفرد لحظة التلفظ والتواصل.

(deictic center) ومعارف نصية) (انظر أيضاً جدير 2005 و2009 و2010)[14].

لنمثل لهذا الصنف من القضايا بتناول المفردة القس (vicaire) داخل سياق ورودها في النص ـ الأصل لنتبين طبيعة العلاقة التي تربط «هذا القس» بالمترجم. لنلاحظ:

2) Cette rencontre de mots [*vanitas vanitatum, omnia vanitas !*] dicte à ce *vicaire* que doit rester le traducteur le principe cardinal et incommode de sa morale de travail: *être et savoir disparaître* (p. 247).

إن هذا المقتطف الذي ورد في خاتمة[15] الفصل **الرابع** والأخير

---

(14) S. Dik, *The Theory of Functional Grammar, Part 1. The Structure of the Clause*. Second Revised Edition, Edited by K. Hengeveld (Berlin: Mouton de Gruyter, 1997); M. Jadir, *La cohérence du discours en grammaire fonctionnelle*, préface de M. A. Bolkestein (Rabat: Ed. Bouregreg, 2005); M. Jadir: «Grammaire fonctionnelle (de Discours): Evaluation et perspectives,» *Hermes Journal of Language and Communication Studies*, vol. 43 (2009), pp. 163-201, et «Typologie textuelle et connecteurs, 2ème congrès mondial de linguistique française (CMLF2010),» organisé par l'institut de linguistique française (CNRS, FR 2393) du 12 au 15 juillet 2010, à la nouvelle Orléans (Etats Unis), dans: F. Neveu, V. Muni Toke, J. Durand, T. Klingler, L. Mondana, S. Prévost, *Linguistique du texte et de l'écrit, stylistique*, pp. 1159-1179.

(15) لعل قراءة متأنية لنهاية هذه الخاتمة (ولمجموع كتاب **التنظير في الترجمة**) توضح أن ج. ر. لادميرال يرصع نصه بعناصر مستقاة من معارفه الموسوعية. ففي هذه الفقرة الختامية (...des trouvailles ponctuelles qu'il engrange après que son labour les eut exprimées d'un *fonds* rebelle, au rythme des *travaux* et des jours...) نعثر على مكونات عنوان كتاب هيزيود (القرن العاشر قبل الميلاد) *Travaux et fonds* متناثرة وينبغي إعادة ترتيبها. بالإضافة إلى ذلك، حين يتحدث الكاتب عن théorie *en miettes* فهذا اللفظ يذكر بمؤلَّف الفيلسوف كيبركيغارد *Miettes philosophiques*. ومن شأن هذه المعلومات التداولية عموماً أن تسهل «مهمة المترجم» عند مرحلة «القراءة ـ التأويل» التي تسبق مرحلة «إعادة الكتابة».

من الكتاب والذي يتخذ صبغة دينية يطرح مشكل تأويل وترجمة اللفظ (vicaire): ماذا يجمع بين «المترجم» و«هذا القس» الذي ينبغي أن يظل مساوياً له؟ لقد مدّنا المؤلف في حديث شخصي معه بالجواب، أي بـ «المعلومة التداولية» اللازمة التي ترتبط بـ «كلام» المؤلف والتي يجدر بالمترجم اعتبارها، في اختياراته، إضافة جديرة بالترجمة: «إن ما يجمع بينهما هو تماثل أدوارهما. فالقس هو الذي يعوّض «الكاهن» (le curé) مثلما يعوّض المترجمُ المؤلفَ ـ الأصل». هذه المعلومة تستمد أهميتها من كونها تُيسّر فهم ورود لفظ (vicaire) في هذا المقام من جهة (انظر المقتطف أعلاه)، وهي توضّح أيضاً الدور الثانوي الذي حُكم على المترجم بـالاضطلاع به للأبد (كما يشهد على ذلك فعل الوجوب (doit) والمبدأ الأساس الذي يقتضي الظهور والاختفاء) من جهة أخرى.

ومن ثم اقترحنا، في الهامش، بمقتضى «الوحدة النظرية» التي يحث عليها المؤلف (أي «الترجمة بالزيادة» (incrémentialisation)) أن نترجم النص بإغنائه بما يسعف بـفهمه كما يلي: «ويملي لقاء الكلمات على هذا القس الذي ينبغي أن يظلّ المترجم مساوياً له (باعتباره يقلّ درجةً عن الكاهن (le curé) كما يقلّ المترجمُ عن صاحب النص درجةً) المبدأَ الأساسَ المزعج لِنهجه في العمل: كن واعرف كيف تختفي».

وفي ما يخص المفردة الثانية «rase-mots» فهي تدخل في إطار «اللعب بالألفاظ». لنقرأ:

3) Il lui arrive d'envier les libertés du commentateur auquel il est loisible de prendre de la hauteur pour embrasser l'ensemble, quitte à ne pas y regarder de trop près dans les détails; mais lui, en tant que traducteur, il doit *faire du «rase-mots»*, si l'on peut dire. (p. 231)

يجري المسلسل الاشتقاقي بالطريقة التالية: لقد تم استيحاء التعبير («faire du rase-mottes») من التعبير (faire du «rase-mots»). نقول مثلاً (vol en rase-mottes) للتعبير عن طيران على سطح الأرض («un vol au ras du sol»). وتمكن هذه المعلومة العامة من فهم هذا اللعب بالألفاظ. فالمؤلّف يبغي من خلاله توضيح اختلافِ دور المترجم عن الدور الذي يفترض أن يضطلع به المعلّق: فإذا كان يحق للمعلّق أن يضع بينه وبين الأحداث مسافة تخوّل له إحاطةً شاملة بالأمور فإن المترجم مطالب بأن يظل لصيقاً في عمله بالنص ـ الأصل عبر ترجمة الكلمات والجمل... إلخ.

المفردة الأخيرة («Arlésiennes» de la traduction) «آرليات» الترجمة وردت في السياق التالي:

4) Au reste, la lenteur n'exclut pas toujours de telles surprises... Quant à ce problème, l'auteur de ces lignes n'échappe pas à la règle et - pour ne pas parler des autres... ni de ces *«Arlésiennes» de la traduction dont on ne manque pas de s'irriter dans les milieux de l'édition* - les *Minima Moralia* d'Adorno... auraient bien mérités d'être traduits plus vite (pp. 240-241).

يحيل اللفظ *Arlésienne* (أو («Arlésiennes») الذي استعمله لادميرال في صيغة الجمع) على حسناء آرل التي تتحدث عنها الأوبرا والتي ننتظرها دون أن تعود، وهي أشبه في ذلك ما تكون بـ «**غودو**» بيكيت. ويمكن إجمال علاقة الآرليات بالترجمة في التأخير وعدم احترام المواعيد. وينبغي نقل هذه الإضافات أو هذا «التأويل الأدنى»، بتعبير لادميرال، إلى المتلقي لملء ثغرات مخزونه المعلوماتي والحضاري. ومن ثم يسهم هذا التأويل الذاتي في إغناء النص ـ الأصل.

4.3. قضايا دلالية

للتمثيل على المشاكل التي تطرحها ترجمة الصعوبات الدلالية، سنقتصر على فحص قضية واحدة من ظاهرة «العلاقات الدلالية» ويتعلق الأمر بقضية «تعدد المعاني» (أو ما يسمّيه العرب الاشتراك) (polysémie). لنلاحظ النص التالي:

5) Les traductions continuent ou achèvent les textes-source, dont elles sont pour ainsi dire l'*exécution* - certaines en mauvaise part, il est vrai comme s'il s'agissait de «l'exécution» d'un texte «condamné», mais aussi combien d'autres au sens éminent où un grand interprète «exécute» un morceau de musique! (p. 232).

يسند إلى المحمول الفعلي (exécuter) في كل مقام ورد فيه تأويلٌ دلالي خاص في هذا النص، ومن ثم، يُترجم ترجمة مختلفة. فالاستعمالات الثلاثة للفظ توافق ثلاثة مداخل معجمية متباينة يمكن تأويلها بالتوالي كما يلي: **أ)** «نفذ»، «أنجز» كأن نقول مثلاً: أنجز ترجمة (exécuter une traduction)، **ب)** «صفى»، «قتل»، «أعدم» كأن نقول مثلاً: أعدم محكوماً عليه (exécuter un condamné) وهو ما يوافق فحوى المحمول المدرج سلفاً في النص (achever) والذي ينطوي بدوره على تعدد في المعنى كما يشهد على ذلك استعماله في ترجمة عنوان رواية هوراس ماكّوي الشهيرة (*On achève bien les chevaux* (Horace McCoy))، ونفسه **ج)** «أدى»، «عزف» كما في قولنا: أدى مقطوعة موسيقية (exécuter un morceau de musique). وقد دأبنا، بغرض ترجمة هذا الغنى اللغوي وهذا اللعب بالألفاظ في اللغة ـ الهدف، على وضع المفردة الأصل بين قوسين (exécution) أمام مقابلاتها في اللغة العربية. ولعل من شأن هذا الورود النسقي للأصل أن يحدث التأثير الإنجازيّ (effets perlocutoires) المتوخى في المتلقي ـ الهدف وأن يخلق لديه «لذة نص» تعادل اللذة التي وفّرها المؤلف لجمهوره.

5.3. قضايا تركيبية

تتميز البنيات التركيبية لنصوص لادميرال في عمومها بالتعقيد والتركيب، عن قصد وعمد أحياناً. فالجمل في الغالب طويلة جزلة مكثفة كما يتبين من المثال **(6)**، ذلك ما يلزم عنه لبس إحاليّ (انظر **7)** يتطلب عملاً كاملاً للكشف عن محيلات أو مراجع ضمائر العود بهدف رفع ما يمكن أن يعتور النص ـ الأصل من لبس (دلالي، تركيبي. . .):

6) Plus généralement, il s'agit dans la présente étude de confronter à l'effort de conceptualisation rigoureuse que représente la théorie linguistique la dichotomie traditionnelle opposant le sens et le style, qui s'est élaboré au contact de la pratique, et tout particulièrement de la pratique traduisante, avec tous les problèmes délicats que pose la traduction littéraire (p. 119).

7) Il y a là une illustration proprement «traductionnelle», et non plus seulement pédagogique, du concept de *quasi-perfection* que nous avons proposé pour thématiser non seulement le type d'objectifs qu'il convient de fixer à la traduction, dans l'ordre qui est le sien, mais aussi la dynamique asymptotique de la démarche qui *y* conduit le traducteur. (p. 227)

إن المسافة التي تفصل الضمير (y) في **(7)** عن سابقه أي عن المحال عليه (concept de quasi-perfection) هي التي تثوي خلف الإشكالات التأويلية التي يمكن أن يتعرض لها المترجم أثناء ممارسته لعمله. هو الذي أنيطت به مهمة القيام بـ «الوساطة البيْلغوية» بأقصى ما يمكن من «أمانة» عند نقله المضمون ـ المصدر إلى اللغة ـ الهدف.

وينسحب الأمر نفسه على المثال **(8)**. ففيه يمكن أن ينجم عن المسافة التي تفصل بين الضمير (eux) ومحيله (poètes) لبسٌ مرجعي قد لا يفيد في رفعه سوى قواعد استنباطية مصوغة على منوال قواعد

ج. سوريل:

8) Ainsi, en littérature, G. Mounin reconnaît-il aux *poètes* la vocation stylistique «d'agrandir le langage», avant que l'explosion de leur déviance créatrice ne donne lieu à des retombées récupérées sous la forme de clichés et de recettes d'une rhétorique qui «recopie» ces écarts et finit par les intégrer à la norme, renouvelée par *eux* (cf. G. Mounin, 1971, p. 184); ce qui peut aller jusqu'à l'«académisme»... (p. 202).

القضية التركيبية **الثالثة** والأخيرة التي سنعرض لها هنا تهم الـجُمل التي يختمها المؤلف بلغة غير اللغة الفرنسية (اللاتينية في الغالب الأعم)، وهو ما يعوق نشاط المترجم الذي ليس له إلمام بهذه اللغة. لنلاحظ:

9) Une telle solution, si bien balancée, est certes séduisante pour l'esprit, et elle peut même sembler partiellement éclairante, il nous faut néanmoins lui opposer notre *non possumus* (p. 180).

لعل أهم الحلول التي يمكن أن يلجأ إليها المترجم لترجمة هذه العبارة اللاتينية نقاش مع المؤلف، هذا المؤلف الذي، في حالنا، زودنا بالمعلومة الواردة (pertinente) اللازمة: «هذا الحل، الذي تمت تسويته جيداً، هو بالفعل حل ساحر للعقل، وقد يبدو جزئياً منيراً، ورغم ذلك علينا أن لا نقبل به لأنه يناقض مقتضيات العقل والتجربة (non possumus)».

وأمام هذه الصعوبات وغيرها والتي ترتبط بإشكالية «وحدات الترجمة»، التي تناولها «دون جدوى» عدد من الباحثين وعلى رأسهم مالبلان (1966) وفيناي وداربلنيه (1968) في دراستهما حول الأسلوبية المقارِنة في الفرنسية والإنجليزية، يُطرح المشكل الخاصّ بـمعرفة الحجم الذي ترد عليه هذه الوحدات. والسؤال الرئيس هو: ما هي حدود وحدات الترجمة؟ أنترجم وحدات دلالية أم وحدات معجمية أم وحدات فكرية؟ بعبارة أخرى، أنترجم مفردات أم جملاً أم فقرات

أم نصوصاً (أي «رسائل» بتعبير جاكوبسون (1963))؟ ويعتقد المؤلف أن الحل ينبغي البحث عنه بمساءلة ممارسة المترجم الذي يُقَطِّع السلسلة الكلامية/ الكتابية أثناء اشتغاله البِيْلغوي تبعاً للمواقف، وهو ما يصطلح عليه لادميرال بـ «الاختيار الترجمي» الذي يتحقق بفضل وحدات نظرية من قبيل «التعويض» و«المغايرة» (dissimilation) و«المضمِّن» (connotateur) الذي يقترحه هيلمسليف (1968).

ولا يفوتني في نهاية هذا التقديم أن أتوجه إلى جنود الخفاء الذين لولا عونهم المتواصل وسندهم المعنوي والفكري ما كان لهذا العمل أن يرى النور في هذه الحلة التي بذلنا قصارانا على امتداد ثلاث سنوات ونيف من الكد لنجعلها «وفيةً» للأصل وتستجيب لتطلعات القارئ العربي. أود أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى المفكر اللساني المغربي الأستاذ الدكتور أحمد المتوكل الذي سخَّر خبرته الطويلة في الاشتغال على قضايا اللغة العربية صرفاً ودلالةً وتركيباً وتداولاً لمساعدتنا على استحداث مصطلحات تكون مقابلات لما يزخر به مؤلَّف ج. ر. لادميرال من مفردات مولّدة لا تتوافر معادلات بعضها في قواميس ومعاجم المصطلحات. كما أحيي تحية خاصة الناقد والباحث التونسي الأستاذ الدكتور أحمد السماوي الذي راجع النص العربيّ ونقح ما استحق منه التنقيح والتقويم وأكّد في تواضع أنه استفاد من المراجعة أكثر مما أفاد. وأودّ أيضاً أن أرد التحية التي جاءت في تصدير المؤلف ج. ر. لادميرال بأحسن منها لأؤكّد أن ترجمة كتابه إلى اللغة العربية شرف وتشريف لي. وأنتهز الفرصة لأشكره على المكانة الاعتبارية التي يوليها لحصص عملنا في بيته في باريس والتي كان يطبعها التفكيه ومُلَح الكلام وعلى الثقة التي كان يضعها في عملي. وأشكر الدكتور عبد العزيز جدير على ما زوّدني به من مراجع قيّمة متخصصة، والمراجع القيّمة، كما يقول د.

موسكوفيتز، تغني المسلّح بها عن العودة إلى القواميس والمعاجم اللغوية. لقد جمعتنا ترجمة مجموعة من الإبداعات العالمية (بول بولز، جين بولز، هوبكنز، محمد لمرابط...) وكان يرغب في مشاركتي خوض غمار هذه التجربة إلا أن رغبته في إتمام الجزء الثاني لروايته «غرب المتوسط» جعله يتخلى عن المشروع.

د. محمد جدير

المحمدية، الجمعة 10 تشرين الأول/ أكتوبر 2010

تصدير الطبعة الثانية

تشكل كل طبعة **ثانية** فرصة، بل واجباً بشكل ما، لتقويم الوضع. وتعود الطبعة **الأولى** لهذا الكتاب إلى ما يناهز الخمس عشرة سنة خلت تقريباً[1]. فبعد أعمال الفقيد جورج مونان (Georges Mounin)، بل وأيضاً أعمال ألفريد مالبلان (Alfred Malblanc) وجان بول فيناي (Jean-Paul Vinay) وجان داربلنيه (Jean Darbelnet) وهنري ميشونيك (Henri Meschonnic) وبخاصة أعمال التجريبيين من أمثال فاليري لاربو[2] (Valery Larbaud)، يظل هذا الكتاب، على كل حال، أحد الكتب النادرة حول قضية الترجمة، وذلك إذا ما اقتصرنا الحديث على الأعمال المنجزة باللغة الفرنسية[3]. ومنذ ذلك الحين، شكّل هذا

(1) كان ذلك في سنة 1979، ضمن سلسلة La Petite Bibliothèque Payot، عدد 366.

(2) نجد المراجع الدقيقة، لمعظم الكتب المذكورة، في البيبليوغرافيا التي توجد في نهاية الكتاب. لم أتمكن من إتمام هذه البيبليوغرافيا إلا جزئياً، في هوامش هذا التصدير، بالإحالة على بعض الدراسات المنشورة منذ سنة 1979. لم يبدُ لي عديم الجدوى أن أذكّر، بالأساس، من بين هذه الدراسات، بالعديد من أعمالي الخاصة، الصادرة منذ الطبعة **الأولى** لهذا الكتاب، طالما أن هذه الأعمال تدخل في إطار رؤيةٍ شاملة (كما هو الشأن بالنسبة إلى هذه الطبعة الجديدة).

(3) انظر: Jean-René Ladmiral, «30 ans de traductologie de langue française : - Eléments de bibliographie,» *TransLittérature*, no. 3 (juin 1992), pp. 13-22. =

الكتاب أحد الأعمال عن الترجمة التي تسعى إلى تغيير الآفاق قليلاً وتقتضي دون شك بعض التقويمات الجديدة. ومن ثم، طُرح سؤال ما إذا كان هذا الكتاب حافظ على حداثته أم أنه بالأحرى «تُجُوِّز». على أي حال، يُستحسن أن نحدّد التوجه الذي يمكن أن يأخذه هذا الكتاب ضمن السياق الحالي. إن الرغبة في تدقيق مجموع هذه الأمور قد يُبرِّر وجود هذا التصدير، الذي أسمح لنفسي مع ذلك بكتابته مستعملاً صيغة المتكلم، متخلياً عن الـ «نحن» التي تفيد التواضع في البلاغة الأكاديمية التقليدية، وسيلاحَظ أنني لم أتنازل عن هذه الـ «نحن» في ثنايا الكتاب الذي أجدني في ورطة من أمري لأُصدِّره هنا.

يندرج كتاب من هذا القبيل ضمن حقل العلوم الإنسانية في مكان مُخَصّص له يُستحسن بمعنى من المعاني تحديدُه، وهو كتاب يعمل على الاضطلاع بالبعد التأملي لنظرية الترجمة في علاقة مباشرة مع الخبرة المراسية التي اكتسبها صاحبه. في هذا الإطار، أود في البدء إبداء ملاحظة عامة ذات طابع إبستيمولوجي. فبمقتضى أيديولوجية ـ تأتينا من وراء المحيطات كما هو الشأن بالنسبة إلى كثير من الأشياء الجيدة والأشياء غير المهمة وكما هو الحال هنا ـ قد يبدو أنه بمرور بضع سنوات على صدور كتابٍ، يكون هذا الكتاب قد «تُجوِّز» وعليه أن يختفي من مراجع العلوم الإنسانية ومن ثمّ من المكتبات. فتبعاً لبعضهم، تشيخ الكتب في العلوم الإنسانية بالسرعة التي تشيخ بها في العلوم الدقيقة! وهو، طبعاً، أمر مغلوط ويصدر عن تلك الأيديولوجيا التي نسميها بكل بساطة منذ ما يزيد عن القرن

= يتعلق الأمر أساساً ببيبليوغرافيا مسبوقة بـ «مدخل» حيث عملت على اقتراح مسح سريع ومقتضب لأبحاثي منذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب. في ما يخص المجلة نفسها، فهي لسان حال جمعية المترجمين الأدبيين في فرنسا (Association des traducteurs (A.T. L.) F.littéraires de France)، و(Assises de la Traduction Littéraire en «ATLAS» Arles).

بالوضعية (le positivisme). وتقوم على فكرة أن المعرفة لا يمكن أن تكون إلا علمية، وأن العلوم الإنسانية لايمكن أن تكون ذات مصداقية إلا بمقدار مطابقتها للعلوم الدقيقة، أي بمقدار تقليدها لها!

قد يطول الحديث عن هذه الأيديولوجيا التي هي فلسفياً تبسيطية وخاطئة، وليس مؤكداً أنها لا تشمل هنا المصالحَ الحِرفانية الموغلة في الغموض لـ «نقابة» حديثي العهد في الإنتاج الفكري، في سياق تنافس جامعي (النشر أو الموت) (Publish or Perish!) وتضخّم في الإصدارات يظهر، مع ذلك، أن الكثيرين متذمرين منه... سألح على التذكير بأن العلوم الإنسانية تشكل ثقافة خاصة للعصرنة ـ «ثقافة **ثالثة**» تقريباً. إلى جانب الـ «ثقافة» التقليدية وإلى جانب ما يتعيّن تسميته بالثقافة العلمية[4] ـ وبأن الأعمال التي تصدر عنها لا تخضع (لحسن الحظ!) لإيقاع «الاهمال» نفسه (obsolescence) الذي تخضع له المنشورات المنبثقة من البحث العلمي (بالمعنى الحصري). هل ينبغي العدول عن قراءة فرويد وبياجيه، وماركس وماكس فيبر، وسوسور وجاكوبسون... إلخ. وذلك بحجة أنهم قد يكونون «مُتجاوَزين»؟ وبكل تواضع (ولكن بالنظر إلى المبررات ذاتها في ما يتعلق بالمعنى)، لم يظهر لي أن عملية إعادة طبع هذا الكتاب تخلو من كل جدوى... ويؤمل ألاّ تقرأ على أنها مجرد مرافعة (pro domo) مُتنكّرة في لبوس التوضيح الإبستيمولوجي الذي قمت به (والذي ترغب هذه الطبعة **الثانية** في السماح لنفسها بالاستناد إليه).

---

(4) انظر: Jean-René Ladmiral, «Pour une philosophie de la traduction,» *Revue de métaphysique et de morale*, no. 1 (1989), p. 14 et passim.

ويتضمن هذا العدد ملفاً كاملاً عن (La traduction philosophique). ومع ذلك، قد يلاحظ أنني قد بذلت قصارى جهدي لأشير، في طي هوامش هذا التصدير، إلى عدد لا يستهان به من تلك الأعداد الخاصة من المجلات المخصصة موضوعاتها للترجمة.

بعد هذا، يبقى من المؤكد أن البحث والتأمل في العلوم الإنسانية «يتقدمان» أو «يتطوران»، أيضاً بطريقتهما الخاصة. وبشكل أدق، حينما يتعلق الأمر بالترجمة، ستكون هناك ملاحظة **ثانية** ذات طابع إبستيمولوجي ينبغي إدراجها، وتمسّ حقل الدراسات ذاته. لم يعد ثمّة ريب في أننا حالياً نهتم بالترجمة، وبطرائق متعددة، وفي أنها أضحت موضوع بحث وتأمل مستقلّين. إلا أنه، في سنة 1979، عند ظهور الطبعة **الأولى** من هذا الكتاب، كان الأمر مختلفاً: كان الاهتمام لا يزال متوقفاً على بناء هذا التخصص الذي سيتناول على وجه الخصوص ظواهر الترجمة موضوعاً له، وبمعية آخرين، عملت على إعطاء حق المواطنية لكلمة ترجمة ولكن أيضاً وبخاصة لمصطلح «الترجمية»[5] (traductologie). وبخصوص هذه النقطة الأخيرة المتصلة بالمصطلح، فالأمور في حكم المكتسب، ومع ذلك يظل من الأنسب أن تُقدم بعض التوضيحات حول وضع التخصص المذكور.

وبالنظر إلى مبررات ترتبط بتاريخ العلوم الإنسانية، فقد انصبّ الاهتمام على الترجمة في إطار اللسانيات عندما كان الاهتمام بها ضعيفاً جداً. وكان الأمر يبدو منطقياً إلى حد ما طالما أن اللسانيات توفّر منهجية ومصطلحات تمكّن من وسم الوقائع اللغوية التي تتصل بها الترجمة وتمكن من مفهمتها. تبقى الإشارة إلى أن اعتقادنا بأن نجعل من الترجمية فصلاً، بل تخصصاً فرعياً من اللسانيات اعتقاد مؤسّس على تقريب مؤقت، وننزع في ما وراء الراين حتى إلى مماثلتها باللسانيات التطبيقية التي تشكّل تخصصاً مستقلاً.

(5) انظر أساساً دراستنا: Jean-René Ladmiral, «Philosophie de la traduction et linguistique d'intervention,» *Lecture*, nos. 4-5 (août 1980), pp. 11-41.

يتعلق الأمر بعدد خاص حول موضوع (*Traduzione tradizione*) من المجلة الإيطالية ثنائية اللغة التي أصدرها جامعيون من باري (Bari) عند ديدالو ليبري (Dedalo Libri).

في الواقع، تقتضي نظرية الترجمة ومعرفة الظواهر ذات الصلة انفتاحاً في إطار «تكامل معرفي» يتعدى مجال اللسانيات وحدها ويشرك «الآداب والعلوم الإنسانية» برمتها تقريباً، مما يؤدي إلى تأسيس ترجمية أو علم ترجمة مستقل موازٍ. ومن الواضح أن ثمّة، على سبيل المثال، مكاناً لعلم نفس المترجم، وبالضبط، للعمليات الذهنية المستخدمة أثناء هذا النقل البيْلغوي (interlinguistique) الذي تنطوي عليه اللغة. وقد أشار مفكرون من قبيل أوجين نيدا (Eugène A. Nida) وشارل تابر (Charles R. Taber) إلى أن ممارسة الترجمة تندرج في سياق مجتمع (أو فترة) وأن ثمة، إجمالاً، بُعداً «إثنياً ـ اجتماعياً» للترجمة يجعل الترجمية بدورها تدخل في إطار توسيع العلوم الاجتماعية. فأن يتوفر تاريخ لأوجه فعل الترجمة، بل جغرافيا أيضاً، فأمر أضحى بدهياً للغاية كما لم تعد ثمة حاجة إلى الإلحاح على التماثل الحاصل بين عمل فقيه اللغة وعمل المترجم. تجدر الإشارة أيضاً إلى العلاقة التي تصل الترجمة بالإثنولوجيا وبطب الأمراض النفسية الإثنية كما سبق وأشار إلى ذلك جورج دوفرو (Georges Devereux) وأثبتته أعمال أنجزت حديثاً... إلخ.

إلا أن الترجمة لا ترتبط بالعلوم الإنسانية بالمعنى الحصري فحسب، بل بالدراسات الأدبية أيضاً: وذلك بالطبع لأن الأدب المقارن يعتمد على الترجمات، ولكن لأن الترجمة هي نمط خاص للكتابة، وليست الترجمة الأدبية فحسب، فكل مترجم هو «كاتب ثانٍ» (réécrivain) أو «مؤلف مشارك» (co-auteur) (انظر ص 22 وفي أماكن متعددة). ويصدق الأمر على علم اللاهوت ومتلازماته من تفسير وهرمنوطيقا قد تفيد منهما الترجمية الشيء الكثير: لنذكر أن التوراة هو النص الأكثر ترجمةً وأننا مدينون للقديس جيروم ولِـ لوثر بتأملات حول الترجمة تظل تأسيسية وهي بالضبط من وحي

لاهوتي[6]. وأخيراً، وعلى وجه الخصوص، مادام الأمر يتعلق بتأمل أكثر مما يتعلق بمعرفة في حد ذاتها، أي بوضع «نظرية» لهذه الممارسة المعروفة إلى حد ما والتي هي الترجمة، فعلى هذا النمط من التفكير ذي الطابع «الفلسفي» تُحيل الاستدلالات والتحليلات التي تشكل جوهر الترجمية.

إن أهمية هذه الآفاق التي تتكامل معرفياً جعلتني منذ خمس عشرة سنة خلت في وضع أتبنى فيه خطاباً عن الترجمة يغلب عليه الطابع اللساني، وذلك للأسباب السالفة الذكر، لكنها دفعتني في الوقت نفسه (وأيضاً بالنظر إلى الأسباب ذاتها) إلى أن أشير إلى استقلال الترجمية وإلى أن أقول إن هذا التخصص، في نهاية المطاف، لا يشكل في حقيقة الأمر فرعاً من اللسانيات. في غضون ذلك، حصلت مجموعة من التغييرات في المجال الفكري، قد تدفعني اليوم إلى تبني قلب مزدوج للمنظور.

في البدء، لم تعد اللسانيات تماماً ما كانت عليه من قبل، أي لسانيات صِرف. ولنتذكر أنه منذ عقدين (أو ثلاثة عقود)، كان جوهر اللسانيات ينزع إلى الاقتصار على الصوتيات والتركيب (syntaxe)، وبتلازم مع ذلك، أُبعِدت الدلالة لأن الإحالة على المعنى يتم اقصاؤها لإنتمائها إلى «ذهنية» غير علمية. هذا المذهب الوضعي الذي تبنّته اللسانيات الأميركية من سلوكية هرمة يوازيه غالباً، وبخاصة في فرنسا، «إرهابٌ نظرياني» (théoriciste) لا يأنف من التوجه أحياناً إلى الصيغة الألتوسّيرية لفلسفة العلوم لـ باشلار من أجل البحث عن استدلالاتِ «قطيعة إبستيمولوجية» مبسّطة، ترفع المصداقية عن كل بحث يسعى إلى الابتعاد عن الأرثوذكسيات

(6) انظر أدناه، حول العلاقة بين الترجمة وعلم اللاهوت.

اللسانية المسيطرة آنئذٍ. ولنقِرّ بأن الأمور تغيرت بالفعل على هذا المستوى. فقد أدمج في اللسانيات الحديثة كل ما كان ينتمي بالأمس إلى «اللسانيات الخارجية» وأصبحت تشمل الدلالة والتداولية، وغيرهما.

إلا أن من الواضح أنه في مجال الترجمة يجب المرور بالمعنى، وهو أمر نسلم بالضرورة أنه سهل المنال، إلا إذا حلمنا بـ «آلة للترجمة» استيهامية أقربَ ما تكون إلى معجزة العنصرة (la Pentecôte) منها إلى الوعود التي يمكن أن تأتي من بحث علمي جارٍ... ومن الواضح أيضاً أنه إذا كان إقصاء الدلالة من حقل اللسانيات بالأمس يثبت أن الترجمية (in statu nascendi) لا يمكن بدورها أن تقوم لها قائمة، فقد تغيرت الأحوال في الوقت الراهن حيث نشهد إعادة توزيع لمجالات البحث. وهكذا، تنزع اللسانيات بدورها إلى الانصهار في مجال أوسع من الأبحاث، أعيدت تسميته بـ «علوم اللغة» حيث تلحق بها مقاربات تكميلية.

أصبح الأمر هنا يتعدى مجرد «فالس من العلامات» التسويقية، وعندها، تجد فيها الترجمية بشكل طبيعي موقعها أو تستعيده في أحسن الأحوال: أليست الترجمة في الواقع، بهذا المعنى، علماً للغة؟ وهذا الأمر صحيح لاسيما أن إعادة التنظيم هذه ما تفتأ تتوسع وأن علوم اللغة المشار إليها تنزع بدورها إلى الانضمام إلى العلوم المعرفية.

تأخذ الإشكالات التي تطرحها «آلة الترجمة» المذكورة، في الوقت نفسه، معنىً متجدداً في إطار هذا التكامل الذي تتداخل فيه علوم اللغة والعلوم المعرفية. وتجدر الإشارة بدايةً إلى أن هذا مجال خاص، وكان دائماً واضحاً جداً أنه لا يرتبط بهذه «النظرة» الاستيهامية و«الساحرة» التي سبق استحضارها. بعبارة أخرى، وفي

الوقت الذي أحدثت فيه جملة من التغييرات في المجال الذي اصطلح على تسميته بـ «الترجمة البشرية»، التي تهمنا هنا، فإن الأبحاث ذات الصلة بـ «الترجمة الآلية» (ت. آ./ .T.A) اتخذت، مظهراً جديداً. فغداة الحرب العالمية الثانية، جرت هذه الأبحاث في جو مفعم بالحماس، بامكانات ضخمة وتحت ستار السر الاستراتيجي والصناعي، حيث إن الرهانات الاقتصادية في هذا المجال كانت مهمة بشكل خاص. فبعد فترة أزمة وإعادة نظر (متعلقة أساساً بالميزانية)، استؤنفت الأبحاث في هذا المجال الخاص جداً والمقفل نسبياً.

وبموازاة ذلك، حدث ما يشبه تفجيراً للموضوع ذاته: حددت الأبحاث موضوعاً لها الترجمة المدعومة بالحاسوب (.T.A.O)، مستبعدةً الترجمة الآلية كلياً (ت. آ./ .T.A) إلى أجل غير مسمى، وبدلاً من السعي إلى أتمتة (automatisation) لعملية الترجمة ذاتها، تم العمل على وضع آلية للمساعدة على الترجمة، تنطلق من التوثيق الآلي والاصطلاحي بوجه خاص إلى استحداث مركز عمل للمترجم المدمَج يضع رهن الإشارة جملة من الوسائل المعلوماتية[7]. إذا بات صحيحاً أن الترجمة الآلية والترجمة المدعومة بالحاسوب تشكلان معاً مجالاً خاصاً جداً ومختلفاً تماماً عن عالم الترجمة البشرية ـ والذي نذكّر، مرةً أخرى، أنه هدفنا الوحيد الذي ينبغي بالضرورة أن ينصبّ على المعنى، في حين أن «آلة الترجمة» لا يمكنها إلا أن تعالج مادياً متوالية من الدوالّ ـ فقد أصبح ممكناً لأجل مسمى، في إطار العلوم

---

(7) واضح أنه قد يكون هنا من المادة ما يشكل بيبليوغرافيا ضخمة، تكاد تمتنع عن التحكّم فيها، ولا أقصد التذكير بها هنا، بل إن الأمر يخرج عن إمكاننا، وسألفت الانتباه فحسب إلى العدد الخاص الذي أفردته للترجمة والحاسوب مجلة *Langages*، العدد 116، كانون الأول/ ديسمبر 1994.

المعرفية التي هي في أوج ازدهارها، مد عدد من الجسور بين هذين النمطين من الترجمة واللذين، في انتظار تحقيق ذلك، يستمران في تطوير منطقيهما الخاصين بشكل موازٍ ومستقل.

فضلاً عن ذلك ـ وقلباً للمنظور مقابلاً ومكمّلاً لما أشرت إليه أعلاه ـ فإن الخطاب الذي تتبناه الترجمية، في الوقت الذي استعادت فيه مكانها في حظيرة لسانياتٍ تغيّر اسمها إلى «علوم اللغة»، ينزع إلى أن يصبح أقل ارتباطاً حصرياً باللسانيات منه بما كان عليه سابقاً. وهو أمر يجد تبريرَه في الأسباب التي سبقت الإشارة إليها. فالترجمية التي انخرطت، منطقياً، في منهج للبحث والتعمق وجَدَت نفسها مجبرةً على الدعوة إلى إسهام العلوم الإنسانية لضبط مجموع المظاهر التي ينطوي عليها موضوع بحثها ولـ «تقوية عضلات» منهجيتها. لذلك اهتديت، في ما يخصني، في غضون السنوات الأخيرة إلى فسح مجال موسع لطرح إشكاليات ذات طبيعة نفسية، سواء في إطار تدريس الترجمية الذي أضطلع به، أو ضمن إصداراتي الجديدة[8].

إلاّ أن هذا التآزر بين الحقول المعرفية لا يوافق منطقاً للتطور الداخلي للترجمية فقط، إنه أيضاً علامة اهتمام متزايد بالترجمة في المجال الفكري. وقد أستدل على ذلك، بالتأمل والسجال اللذين أثارهما حديثاً النشر (الجاري) لإعادة ترجمة أعمال فرويد[9]. لدرجة

(8) انظر بالأساس علم النفس الاجتماعي للترجمة الذي خصصت له الجزء الأول بكامله من الكتاب، والذي نشرته بمشاركة إدمون مارك ليبيانسكي، انظر: Jean-René Ladmiral et Edmond Marc Lipiansky, *La communication interculturelle*, bibliothèque européenne des sciences de l'éducation (Paris: Armand Colin, 1989), pp. 21-76.

(9) من دون الخوض في التفاصيل ـ ومن دون ذكر مجموع الدراسات وأعداد المجلات التي أثارت هذا الجدال - سأقتصر على الإحالة على الكتاب الذي أوضحت فيه المجموعة، =

أننا تمكنّا من التساؤل كما تساءل قبلنا بلباقة فلاديمير غرانوف: «هل سيتم الاستحواذ على التحليل النفسي، في أيامنا، من قبل الترجمة كما استحوذ الفجور على السيد لوترواديك[10]؟».

وبشكل أعمق، حصلت الترجمة حالياً على حق المواطنية في مجال الفلسفة ذاتها. فمن وجهة نظر تقليدية، دَرج الفلاسفة على أن يروا فيها مجرد نشاط مُهمش، ثانوي، «تقني»، إلا أن كُتّاباً من قبيل جاك ديريدا أو ميشال سيرّ لم يتوانوا عن الاهتمام بها[11]، كما أُفرِدت لها ندوات وأعداد من مجلات فلسفية[12]. وتمثل ندوة

= التي تشرف على طبع الترجمة الثانية لـ «OCF. P.» (Oeuvres complètes de Freud, Psychanalyse, aux P.U.F.)، مبادئها في الترجمة، والتي تبقى في نظري قابلة جداً للنقاش: André Bourguignon [et al.], *Traduire Freud* (Paris: Presses universitaires de France, 1989),

أضيف فقط: *Traduction et psychanalyse*, actes du colloque C.L.I.C./ A.D.E.C./ Coq-Héron, éd. Georges Kassaï et Jean-René Ladmiral, publiés par la revue *Le Coq-Héron*, no. 105 (1988),

وكذا الملف: «*Traduire Freud: La langue, le style, la pensée*», éd. Céline Zins, Jean-René Ladmiral et Marc B. de Launay dans le cadre des Actes des *Cinquièmes assises de la traduction littéraire* (Arles 1988) (Arles: Actes Sud, 1989), pp. 67-156.

(10) Wladimir Granoff, «Freud écrivain: Traduire ou standardiser,» *L'écrit du temps*, no. 7 (été 1984), pp. 15-30,

أشير بالمناسبة إلى أن مجموع هذا العدد من المجلة مخصص لموضوع: «La décision de traduire: L'exemple Freud».

(11) Jacques Derrida, «Des tours de Babel,» dans: *Difference in Translation*, Edited with an Introduction by Joseph F. Graham (Ithaca: Cornell University Press, 1985), pp. 209-248; Michel Serres, *Hermès III: La traduction* (Paris: Editions de Minuit, 1974), et Antoine Berman [et al.], *Les tours de Babel: Essais sur la traduction* (Mauvezin: Trans-Europ-Repress, 1985).

(12) انظر، على سبيل المثال، العددين الخاصين بالترجمة واللذين نشرتهما مجلتان فلسفيتان خاصتان: *La Revue d'esthétique*, no. 12 (1986), et *La Revue de métaphysique et de morale*, no.1 (1989).

«ترجمة الفلاسفة»[13] (Traduire les philosophes)، في واقع الأمر، تقليداً طويلاً للمهنة الفلسفية. وقد انبرت النخبة منذ عهد بعيد لرفع هذا التحدي، لكن كان هنا أيضاً ما يشبه الإبهام[*] (point aveugle) أو ما يشبه مكبوت الوعي الفلسفي[14]. من وجهة نظر الترجمية بالمعنى الحصري، لا تمثل الترجمة الفلسفية سوى تخصص، ووجهٍ من وجوه عملية الترجمة يمكن موضعته في إطار نمطية للترجمة[15].

غير أن ثمة شيئاً جديداً يكمن في أنه، منذ بضعة سنين، تم أخذ البعد الفلسفي الصرف للترجمة ذاتها في الاعتبار: وهو ما أسميه دون تردد بـ «المنعطف الفلسفي» للترجمة. وقد تمكنا من إدراك ذلك بفضل النقاشات التي صاحبت ظهور إعادة الترجمة (Sein und Zeit) لهايدغر والتي هي محط اختلاف. وفي ذلك تماثل لافت للأنظار بما

(13) كان ذلك عنوان إحدى أهم الندوات المنعقدة في غضون الآحاد الأربعة 19 و26 كانون الثاني/ يناير و22 و29 آذار/ مارس 1992 في السوربون، وستظهر أعمالها لاحقاً.

(*) أوضحت التجربة في ميدان البيولوجيا وعلم البصريات (l'optique) أنه عند وجود نقطتين وعندما يطلب من الناظر تركيز بصره على إحداهما دون الأخرى فإنه في الأخير سيحتفظ بالنقطة المبأرة ويغفل النقطة «العمياء» (point aveugle)، إنها صورة يعطيها لادميرال ليجسد صنيع الفلاسفة الذين ترجموا الكثير فأهملوا الترجمة التي خرجت عن حيز «ناظرهم» فتحولت إلى «نقطة عمياء». وفي الحقيقة، يؤكد لادميرال، أنهم عدلوا عن الحديث عنها لأنها مصدر إشكالات لا يقوون على الخوض فيها.

(14) انظر دراستي: Ladmiral, «Pour une philosophie de la traduction,» pp. 5 - 9.

(15) أتشبث في هذا المقال بموقعة ترجمة النصوص الفلسفية، على سبيل المثال، بهذا الشكل في إطار نمطية الترجمة التي اقترحها بهذه المناسبة: Jean-René Ladmiral, «Eléments de traduction philosophique,» *Langue française*, no. 51 (septembre 1981), pp. 19-34,

(أشير في هذا السياق إلى أن الأمر يتعلق مرة أخرى بعدد من مجلة مخصص برمته للترجمة).

وقع في التحليل النفسي: فكما أن إعادة الترجمة لأعمال فرويد كشفت عن الرهانات الخاصة بالتحليل النفسي (والرهانات الفلسفية) التي تنطوي عليها، أظهرت إعادة الترجمة للعمل الأساس لهايدغر الرهانات الفلسفية التي شكلت موضوعها، ولا يفاجئنا دون شك أن هذه الجدالات ظهرت بادئ ذي بدء في المجال الفلسفي، ثم في الأوساط المتعلقة بالتحليل النفسي. ومن ثم، يأخذ التصالب (antimétabole) معنىً عميقاً، وليس بلاغياً فحسب بترجمة النصوص الفلسفية، وتكشف ترجمة الفلسفة أن ثمة فلسفة للترجمة تحديداً، وأنه يحق لنا القول عن الترجمة الفلسفية[16]، بمعنى أن ثمة رهاناً فلسفياً لكل ترجمة.

إن الأمر على درجة من الصحة تجعل هذه التأملات لا تهم الأوساط الفلسفية فحسب، أي العالم «المتخصص» للفلاسفة (ex professo)، بل أوساط الترجمة أيضاً. وتظل في هذا الباب أعمال الفقيد أنطوان بيرمان ذات مغزى لسببين، من **جهة** بالنظر إلى أهميتها في مجال الترجمة والاهتمام الذي حظيت به نظرياته، ومن **جهة ثانية** بالنظر إلى البعد الفلسفي الذي تخفيه[17]. كان بيرمان مترجماً وفيلسوفاً، لكنه كان أديباً أيضاً، وتشكل أعماله بالتأكيد الإسهام

(16) إنه معنى الفاصلة (علامة الترقيم) في عنوان دراستي: Jean-René Ladmiral, «La traduction philosophique,» dans: *Sens et être: Mélanges en l'honneur de Jean-Marie Zemb*, textes réunis par Eugène Faucher, Frédéric Hartweg et Jean Janitza (Nancy: Presses universitaires de Nancy, 1989), pp. 129-138.

(17) بالإضافة إلى مقالاته المتعددة (التي نُشر بعضها في إطار أعداد لمجلات وإصدارات مشتركة تمت الإشارة إليها هنا)، ينبغي بدءاً ذكر: Antoine Berman, *L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, les essais; 226 (Paris: Gallimard, 1984),

وكذلك كتابه عن جون دون (John Donne) وعن نقد الترجمة، باريس، غاليمار، 1994.

الأهم في النقاش منذ خمس عشرة سنة، وذلك، حقيقة، في اتجاه معاكس لأعمالي. ودون الدخول في التفاصيل، أقول إنه كان بالأحرى ميّالاً إلى الحرَفانية (littéralisme)، كما هو الشأن بالنسبة إلى هنري ميشونيك (الذي كان جزئياً تلميذاً له) وكذلك بالنسبة إلى فالتر بنيامين نفسه[18].

يأخذ الرواج الذي عرفته منذ بضع سنوات المحاولة التي خصصها بنيامين للترجمة (في إطار عودة شاملة لهذا المؤلِّف) المنحى ذاته الذي أخذته الاعتبارات التي أجدني بصدد تطويرها. ويظل نص هذه المحاولة الخاصة بمهمة المترجم[19] (La Tâche du traducteur)، ذا طبيعة إشكالية على أكثر من وجه. فهو نص نداوم على الإحالة عليه، إلا أنه لا يُقرأ إلا لماماً ولا يُفهم إلا نادراً، لا يفهم إلا نادراً، لأنه نص مفرط في الصعوبة. وتُصنّفه طبيعة كتابته الباطنية واستدلاله المرموز على أنه «بيان» في صالح الحرفانية، من السهل الإحالة عليه، بدل تحليله، باعتباره حجّة «مدهشة»، بل وملغزة. ومع ذلك فقد أسهم بشكل جيد جداً في أن يضع الإشكالية الفلسفية للترجمة موضع اهتمام وعناية، وذلك اعتباراً لما سبقت الإشارة إليه، على مستوى جمهور عريض نسبياً. وفي ما يخصني، أعتقد أنه نص مؤسِّس، فعلاً، وذو قيمة عالية جداً: إنه مرجع لا محيد عنه، إجمالاً، إلا أنه يستحسن

(18) أضف إلى أنه توجد دراسة لأنطوان بيرمان حول فالتر بنيامين، لم تُنشر بعد.

(19) Walter Benjamin, «La tâche du traducteur,» dans: Walter Benjamin, *Oeuvres*, dossiers des lettres nouvelles, trad. Maurice de Gandillac (Paris: Denoël, 1971), tome 1: *Mythe et violence*, pp. 261-225.

(هذا الكتاب للأسف! نفد منذ عدة سنوات، والنصف الذي يهمنا صعب المنال بالفرنسية).

نقده[20]، ما دمنا حينما نفكر في الترجمة نرتقب أن نستمد منه العون.

تبقى الإشارة إلى أنني مدين للمواجهة مع هنري ميشونيك وأنطوان بيرمان ووالتر بنيامين في كوني أضحيت مجبراً على إعادة تناول مسألة الحرفانية في الترجمة على أسس جديدة. وبالنظر إلى الحيز المخصص لهذا التصدير، لا يسعني إلا أن أحيل القارئ على الدراسة التي نشرتها في هذا الموضوع[21] والتي كان قصدي فيها توجيهَ نقد جذري للاتجاه الحـَرفاني. ولهذا الغرض، وباللجوء إلى لفظين مُولدين، وضعت تقابلاً بين من أسميتهم بـ «المصدريين» (sourciers) ومن أسميهم بـ «الهدفيين» (ciblistes). وإجمالاً، أقول إن هناك طريقتين أساسيتين لممارسة الترجمة: من أسميهم بـ «المصدريين» يتشبثون بدال اللغة، ويفضلون اللغة ـ المصدر، في حين أن من أسميهم بـ «الهدفيين» لا يركّزون على الدال ولا على المدلول، بل على المعنى، ليس معنى اللغة، بل معنى الكلام أو

(20) إنه مع ذلك ما سمحت لنفسي بالقيام به في عدة دراسات: «Entre les lignes, entre les langues», dans le cadre du numéro *Walter Benjamin* de la *Revue d'esthétique* (nouvelle série), no. 1 (1981), pp. 67-77, et «Les enjeux métaphysiques de la traduction - A propos d'une critique de Walter Benjamin», dans le cadre d'un dossier sur *La traduction* du *Cahier* du Collège international de philosophie, no. 6 (1988), pp. 39-44, etc. «Entre les lignes, entre les langues», dans le cadre du numéro *Walter Benjamin* de la *Revue d'esthétique* (nouvelle série), no. 1 (1981), pp. 67-77, et «Les enjeux métaphysiques de la traduction - A propos d'une critique de Walter Benjamin», dans le cadre d'un dossier sur *La traduction* du *Cahier* du Collège international de philosophie, no. 6 (1988), pp. 39-44, etc.

(21) Jean-René Ladmiral, «Sourciers et ciblistes,» *Revue d'esthétique*, no. 12 (1986), pp. 33-42.

الخطاب، الذي هو موضوع الترجمة باستخدام وسائل خاصة باللغة ـ الهدف. من بين الـ «مصدريين»، أصنف إذاً فالتر بنيامين أو هنري ميشونيك أو أنطوان بيرمان، ومن بين الـ «هدفيين»، جورج مونان وإفيم إيتكيند[22] وكاتب هذه السطور.

لا تكمن المفارقة الأشدّ هوناً في أن هذين المصطلحين المولدين تمكنا من أن يحظيا برواج لدى الجمهور العريض، بلغ حدود الصحافة والمجلات[23]. ولا يسعني بطبيعة الحال إلا أن أهنئ نفسي على نجاح «التصميم الاصطلاحي» الذي يعود لي! بل إن المدهش جداً هو أن هذا الضرب من الإشكالات، الذي يرتبط بنظرية الترجمة، لا يبقى محصوراً في خطاب المتخصصين: وهو أمر يتميز بكامل جدته. في الواقع، هنا يكمن دون شك إسقاط غير مباشر لكون إشكالات الترجمة لم تعد وقفاً على الترجمية بالمعنى الحصري وحدها، بل يتعلق الأمر، كما أشرت إلى ذلك أعلاه، بمجال للبحث يتخذ من الترجمة موضوعاً له، مستجيباً بذلك لما قد يشكل اهتماماً للمعرفة العلمية بالترجمة (على مستوى ما يمكن أن تعرفه «العلوم الإنسانية» المذكورة).

ظهر، في الواقع، منذ عدة سنوات اهتمام خاص بأمور الترجمة يمكن نعته بـ «الفكري» أو الثقافي، يتجلى في نقاشات كالتي تهم

---

(22) Efim Etkind, *Un art en crise: Essai de poétique de la traduction poétique*, Slavica, trad. Wladimir Troubetzkoy avec la collaboration de l'auteur (Lausanne: L'Âge de l'Homme, 1982).

(23) ألم تذهب مجلة من قبيل *Télérama* إلى حد نشر «ملف» بكامله حول موضوع «Profession traducteur» المنظم حول هذا التقابل بين «Les sourciers et les ciblistes»، انظر: *Télérama*, no. 2306, du 26 mars au 1er avril 1994, pp. 8-21, *speciatim* pp. 8, 14, etc.

إعادة ترجمة أعمال فرويد أو هايدغر، كما أسلفت. ويتجلى أيضاً، وبشكل أعم، في العناية الواسعة حالياً بـ «خبايا» الترجمة الأدبية. ويشهد على ذلك النجاح النسبي لمؤتمر الترجمة الأدبية (Assises de la traduction littéraire) الذي ينظم كل سنة «بآرل» (ATLAS) وكذا إنشاء الكوليج الدولي للمترجمين بآرل أيضاً (بعد كوليج شتريلين Straehlen في جمهورية ألمانيا الاتحادية).

وهذا أمر صحيح بخاصة في فرنسا. إلاّ أنه من دون شك يمكن البدء في الكشف عن أمر مماثل إلى حدّ ما في ألمانيا، على سبيل المثال، فقد ظهر فيها، منذ زمن، العديد من الإصدارات في مجال الترجمية أو «علم الترجمة» (Übersetzungswissenschaft) المنبثق حصرياً من اللسانيات، والذي أبعد عنه، بشكل متناقض، كل انشغالٍ ذي طابع تأملي مرتبط بهذا الاهتمام الفلسفي بالترجمة والذي أشير إلى انبعاثه في فرنسا منذ بضع سنين، إلا أننا نلاحظ أنه بعد فترة كمون، حيث كان عدد الإصدارات يتضاءل، كان يتنامى ما وراء الراين (وبخاصة حول غوتينغن (Göttingen)) اهتمام متزايد بالقضايا المتعلقة بتاريخ الترجمة وبنظرية الترجمة الأدبية والفلسفية. . . إلخ. ويبدو أن الأمر يصدق كذلك، تقريباً، على الإصدارات باللغة الإنجليزية.

بشكل أعمق، ولإعادة تناول إشكالية فلسفية صرف، فإنني أظل على الدوام مديناً لقراءة فالتر بنيامين لاهتدائي ـ هنا مرة أخرى بشكل متناقض ـ إلى موضعة ما أسميته «الرهانات الميتافيزيقية للترجمة». ويمكن إجمال الفكرة في ما يأتي: إذا كانت الحرفانية تمثل تقهقراً على مستوى بيداغوجيا اللغات والترجمة (انظر ص 23 ـ 83)، وتناقضاً على مستوى جمالية الترجمات الأدبية التي يدعي الانتساب إليها خصومي «المصدريّون» فإنها تمثل أيضاً، وبشكل أساسي، عودة

المكبوت الديني وعلامة على اللامفكر فيه اللاهوتي للمعاصرة. إن بضعة قرون (بالكاد) لعلمنةٍ (sécularisation) مازالت غير مكتملة، يقل وزنها عن تقليدٍ يعود إلى ألفي سنة كالمسيحية، المؤسّس لثقافتنا، أو بالأحرى عن اليهودية. ذلك ما تعمل الترجمة على تفجيره باعتباره إجراءً كاشفاً لأعماق «علاقتنا بالمكتوب». تكمن الأطروحة في أن كل نص ـ مصدر (أو نص انطلاق) يميل إلى أن يُستثمر ـ على الأقل، بشكل غير واعٍ، من لدن الـ «مصدريين» ـ بوصفه نصّاً مقدساً. غير أنه إذا تعلق الأمر فعلاً باللاوعي وبالمطلق، عندها يُفهم العنف السجالي و«الانفعالي» لبعض السجالات التي شكلت الترجمة مادتها. خصوصاً أنّه في هذه الحالة يوجد لاهوتان (على الأقل) يتجابهان... لذلك أُجبرت على أن أُجازف بفكرة «لاوعي لاهوتي للترجمة».

تلك كانت فلسفة الترجمة التي تشكّل أحدَ الاتجاهات التي اتخذتها أبحاثي خلال هذه السنوات الأخيرة: سأخصص لها كتابي المقبل بعد أن كنت تناولتها في بضع مقالات[24]. سيكون الـ «طابق **الثالث**» لأبحاثي في الترجمة إذا صح القول، ووفق قياسٍ (لَعِبي) مع ذلك الذي يتوجه في البداية «إلى الميدان» بوصفه إثنوغرافياً قبل أن يتصرف تصرف الإثنولوجي بإنتاج توليفٍ نظري لأبحاثه، أقول إنني كنت بادئ ذي بدء «مترجماً يمارس في الميدان» (traductographe)،

(24) Jean-René Ladmiral: «La traduction: Des textes classiques?» dans: *La Traduzione dei testi classici.* Atti del Convegno di Palermo 6-9 avril 1988, a cura di Salvatore Nicosia, Napoli, M. D'Auria Editore, 1991, pp. 9-29, et «Pour une théologie de la traduction,» dans: *TTR*. Traduction, Terminologie, Rédaction. Etudes sur le texte et ses transformations (Montréal), no. 2 (1990), pp. 121-138,

وانظر أيضاً أعلاه ما يتعلق بوالتر بنيامين... إلخ.

بترجمتي زهاء عشرة كتب من الألمانية (والإنجليزية) وإنني بعد ذلك «استنبطت» منها الخطاب النظري للترجمية أو «لعلم الترجمة» الخاص بي (ma traductologie)، والذي يقدم مادة هذا الكتاب. وقد يكون الوقت الآن قد حان للانتقال إلى مستوى **ثالث**، ذلك الذي يروق لي أن أسميه «حب الترجمة» الخاص بي (ma traductosophie). ولا يشكل الإعلان عن هذا الكتاب المقبل نفياً للراهن، بل امتداداً له.

سيكون امتداداً تفكيرياً وفلسفياً للعمل المعرفي و«العلمي» للأبحاث التي لا أكفُّ مع ذلك عن القيام بها في ميدان الترجمية (وأعني بالعلميّ «العلوم الإنسانية» بالمعنى الواسع). أضف إلى هذا أن البعد الفلسفي لم يكن غائباً عن هذه الأبحاث عندما أبديت استعدادي، على الفور، لدحض «الاعتراض الاستباقي» (l'objection préjudicielle) لاستحالة الترجمة (انظر ص 85 ـ 114). وتظل الترجمية، بالخصوص، وقبل كل شيء، مجالاً تأملياً. وكما هو الحال عموماً، في العلوم الإنسانية، تمتد إبستيمولوجيا هذا الاختصاص العلمي لتشمل خطاب البحث الذي تنزع إلى تبنيه. وهكذا، لا يمكن للترجمية إلا أن تتبنى الخطاب الميتانظري أو النظريّ الواصف لإبستيمولوجيا الترجمة، وهذا ما يجعل من الخطاب عن الترجمة، في الوقت ذاته، «خطاباً عن الخطاب عن» الترجمة، وذلك ما يجعل منه، أيضاً، بشكل مفارق، خطاب «ممارسة» بكيفية مباشرة جداً[25]. ببساطة: عرَّفتُ الترجمية في غالب الأحيان على أنها «براكسيولوجيا» أو علم للممارسة، «من أجل» الممارسة، ومن ثم

(25) ذلك مادأبت على توضيحه في دراستي المعنونة بـ: Jean-René Ladmiral, «Traductologiques,» *Retour à la traduction*, numéro spécial de la revue *Le Français dans le monde,* recherches et applications, éds. Marie-José Capelle, Francis Debyser et Jean-Luc Goester (août-septembre 1987), pp. 18-25.

فإنّ عنواني هو: (Traduire théorèmes pour la traduction). وعندما ألـحُّ الآن على فكرة أنه مجالُ تأملي، فلا يشكل ذلك تناقضاً، بل على العكس من ذلك، تمتلك ممارسة الترجمة سلطاناً فريداً لتضلّلنا عن ذاتها وكذا عن كل ما نعرفه عنها جيداً. ويتوجه جزء مهم وأساسي من الاشتغال ضمن الترجمية إلى «رفع الالتباس» عن المصطلحات. وسأتناول هنا مثالاً واحداً.

يطرح مصطلح «ترجمة» أيضاً إشكالاً! إذا قمنا بتوليفٍ لمعظم التعريفات التي تسعى إلى التقاط ما يشكل طبيعة الترجمة، بلغنا ملفوظاً أساسياً من قبيل: تُنتِجُ الترجمة نصاً ـ هدفاً مكافئاً دلالياً وأسلوبياً وشعرياً وإيقاعياً وثقافياً وتداولياً. . . للنص ـ المصدر. وكان بإمكاني مواصلة توسيع قائمة الظروف التي تعمل هنا على تحديد فكرة التكافؤ وتوجيهها. في الواقع، لا تأتي الوجوه (modalités) الظرفية هنا لتدقيق المصطلح، بل لتحجُب عنه الطابع المأزقي. في الحقيقة، مصطلح «التكافؤ» هو في آخر الأمر هنا مرادف لمصطلح «ترجمة»، وهذا الضرب من التعريف يظل تحصيل حاصل، بمعنى أنه يعلمنا فحسب أن الترجمة (هي) ترجمة!

إذا توجهنا الآن نحو المجادلات التي تخص الترجمة، لاحظنا، أن هؤلاء الذين ينتقدون ترجمةً ما إنما يفعلون ذلك آخذين على المترجم ابتعاده عن النص الأصل: وكأنما الترجمة تُحدَّد عن غير وعي بواسطة «التماثل». إذا كان الأمر ينبغي أن يكون كذلك، وقعنا في ما انتقدته باعتباره «يوتوبيا مصدرية للترجمة»[26]. ويكون منطقُها اللامفكّرُ فيه بكل بساطة هو أن الترجمة ينبغي أن تكون تكراراً للنص الأصل! الترجمة، ذلك النشاط الذائع الانتشار والذي مارسناه كلنا،

(26) Ladmiral, «La traduction: Des textes classiques?,» p. 27.

ولو في الثانوية، والذي لم يكن يمثل بالنسبة إلينا إشكالاً، ها نحن يعسر علينا (in Verlegenheit) تعريفه. ألا يبدو أن الترجمة قد تكون غير قابلة للتعريف، على غرار الألفاظ الأولى التي لا «تُعرّفها» الـ «وظائف الخاصة بالقضية» لمسلَّمةٍ ما؟ ثمة أمر غير منتظر ومطبوع بالمفارقة الكاملة، غير أنه يستحسن تسجيله.

وهكذا لم يبقَ إلا التخلي عن التعريفات التي تهدف إلى التقاط جوهر الترجمة بالمفهوم والتوجه نحو «تعريفات واقعية» تدل على موضوعها الآخذ في التوسع. وذلك ما قام به جدعون توري (Gideon Toury) الذي يحدد الترجمة بوصفها «ظاهرة تجريبية»، أي بحسب ظنه: يُشكِّل ترجمةً كل ما يعطي الانطباع بأنه ترجمة ويقبَلُ كما هو في ثقافةٍ ما وفي فترة معينة[27]. لكن، في آخر الأمر، ألسنا هنا أيضاً أقرب ما نكون من تحصيل حاصل؟ صحيح، قد يكون في الأمر طريقة للاستعداد إلى الاستجابة للضرورة الخِطابية التي يخضع لها جامعيّ كي «يحدد» ألفاظه. لكننا سنحتاج إلى تعريف آخر. وهكذا لم يبقَ لنا إلا الحل (**الرابع**) الأدنى لتعريفٍ من قبيل: إلامَ يهدف ذلك؟ وهو استفهام شبيه بالذي درج الأطفال على استعماله... وذلك ما اعتقدت أنني ملزم بفعله هنا: ما الترجمة؟ إنها تهدف إلى «إعفائنا من قراءة النص الأصل» (انظر ص 15)!

عندما أؤكد أن الترجمية هي مجال تأملي، فإنني، قبل كل شيء، أفكر في تأمل تصوري صرف ولكن أيضاً في ما أسميه تأملاً نفسياً معيّناً يرتبط ارتباط استمرارية مباشرة بالتأمل السابق. سنصادف،

(27) Gideon Toury, «Translated Literature: System, Norm, Performance: Toward a TT-Oriented Approach to Literary Translation,» in: Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation* (Tel-Aviv: The Porter Institute for Poetics and Semiotics, 1980), pp. 35-50.

في الواقع، هنا من جديد التصالب (antimétabole) ذاته تقريباً والذي عرضنا له سابقاً في العلاقة بين الفلسفة والترجمة: لقد كانت ثمة مجادلات متعلقة بإعادة ترجمة فرويد، ترجمة التحليل النفسي، وهكذا أصبح لزاماً علينا أن نأخذ بعين الاعتبار التحليل النفسي للترجمة، وهو ما يعني اشتغالاً نفسياً كاملاً للمترجم على ذاته. قد يتعين البحث، في هذا المنحى، عن جواب للسؤال: إلامَ تهدف الترجمية؟

قد يسهم ذلك في إيجاد حل لمصاعب الترجمة، التي تنتهي، تدريجياً، إلى أن تُسفر عن حصرات نفسية (blocages psychologiques) عند المترجم الذي يكون ملزماً بأن يأخذ في الحسبان الإكراهات المتعددة والمتناقضة. في الغالب، عندما يكون المترجم بصدد إكراه مزدوج بل ومتعدد (double bind)، سيكون في حاجة إلى مَوضَعَة الإشكال الذي يواجهه وإلى مَفهَمَته بل وببساطة إلى تلفيظه أي التعبير عنه بالكلام (verbaliser)، ليأخذ المسافة الضرورية التي ينبغي له، انطلاقاً منها، إيجاد حل للإشكال، أي «الفصل فيه». تلك، على الأقل، الوظيفة التي أُسنِدها إلى ما أسميه بالترجمية «المنتِجَة» أي إلى ترجمية الوقت الراهن[28].

إن الأمر لايتعلق بانتاج معرفة كاملة وتجميعها عن مختلف مظاهر الترجمة بقدر ما يتعلق بوضع خطاب «ثقافة ترجمية»، يكون بفضلها من يترجم أهلاً للقيام بهذا العمل التأملي، ومرة أخرى

(28) وفي ذلك إشكالية كاملة أعمل على تطويرها، بوضعها ضمن تاريخ لعلم الترجمة، في إطار دراستيَّ: Jean-René Ladmiral, «Quelles théories pour la pratique traduisante?,» dans: *La traduction*, actes des rencontres autour de la traduction... (Paris: B.E.L.C., 1986), pp. 145-166, et Ladmiral, «Traductologiques,» pp. 23 sq.

يوازي التأمل التصوري تأملاً نفسياً. لهذا السبب يستمد خطاب الترجمة شيئاً من «خطاب علاجي»: تكمن وظيفته أيضاً في إنشاء ما أسميته ـ بالقياس إلى التحليل النفسي ـ «مجالاً ترجمياً»، فبفضل «عمل» يعتمد الكلام (verbalisation) والمَفهَمَة (conceptualisation) يمكن علاج الحصرات النفسية التي تحدثت عنها ورفعها[29].

ويهدف الكتاب الذي سنقرأه إلى الاستجابة لهذه الجدولة ذات الصلة بالممارسة، لأن المفارقة (التي سبق تسجيلها) تكمن في أن هذا العمل يقوم بناءً على نمط خطاب نظري. في ما يخص هذا الضرب من الخطاب، سنلاحظ أنه يقترض من اللسانيات، أساساً، الأدوات الفكرية التي تمكنه من تحويل أمثلة الترجمة التي يستحضرها إلى إشكالات. لكننا ندرك أن أفق هذا العمل الترجمي ذو طبيعة نفسية، خاصة أننا نقف الآن على أن أساس القضية مجرد تأمل فلسفي. في هذا الثالوث المتكامل معرفياً والذي يحدد جوهر خطاب الترجمة بين اللسانيات وعلم النفس والفلسفة، نعتقد أن الفلسفة هي التي «تتحكم في خيوط اللعبة» من دون شك، وتمثل ما يشبه «القزم الأحدب» الذي يقارن به فالتر بنيامين علم اللاهوت، والذي لم يعد يجرؤ على الظهور لكنه يحدد السياسة في نهاية المطاف. . .

جان رينيه لادميرال

باريس، اثنين العنصرة، 23 أيار/ مايو 1994

(29) انظر مساهمتي في الأيام الأوروبية للترجمة المهنية (اليونسكو، باريس 25-26 مــارس 1987): Journées européennes de la traduction professionnelle (UNESCO, Paris 25-26 mars 1987): «Technique et esthétique de la traduction,» dans: *Encrages* (Hachette/ Université de Paris-VIII: Vincennes à Saint-Denis), no. 17 (printemps 1987), pp. 190-197 et *speciatim* p. 195.

تمهيد

يطرح ربط النظرية بالتطبيق، في ما يتّصل بالترجمة، مشكلاً. فثمّة هوّة بين المنظّرين والممارسين. ويحدث أن يعلّل مفكرون مرموقون هذا التباين، زاعمين بأن من يجب عليهم الاستجابة إلى مقتضيات النظرية لا يمكنهم القيام بالترجمة... وبعيداً عن كل ابتذال للأمور، لنقل إننا لا نرى في الأمر، على أحسن حال، وجهاً من وجوه شيطان الكمالية الذي يعرفه حق المعرفة كل من يخوض غمار الكتابة. وفي أسوأ حال، قد يتعلق الأمر بعجز عن الإنجاز: إنه الامتناع عن حسم أمر الشروع في العمل (saltis mordalis)، وعن النزول من «سماء الأفكار» ووضع الإرشادات الجميلة «قيد التطبيق»، ومن هنا ندرك فقدان الصبر الذي يلهمه، للمترجمين والممارسين «أدبيين كانوا أو تقنيين»، من هم في التنظير أشبه ما يكونون بحمامة كَنْت، أي ينظّرون «في الخواء».

إن المؤلَّف الذي نهمُّ بقراءته يسعى إلى رفع هذا التباين، وإلى تبيان أن حدوس المترجمين ليست بالضرورة بمنأى عن كل تنظير وأن تصوّرات المنظّرين لاتُطرح اضطراراً بمعزل عن كل تطبيق. فانطلاقاً من ممارستي العملية كمترجم، ومن خلال توسيعها والسعي إلى «تجاوزها» (aufheben)، عمدت إلى جمع العناصر لنظرية في

الترجمة. وبوصفي مترجماً ومصدِّراً لهابرماس ـ وبشكل عام، لكل أولئك الذين ارتبط اسمهم بـ «مدرسة فرانكفورت» ـ أتوخى أن أكون أيضاً ممارساً لما أرغب في أن أستقي منه نظرية[1]. إنني من زمرة المصطلح على تسميتهم بـ «المترجمين الأدبيين». فأنا أفرد قسطاً من وقتي للعمل، وأعدّ نفسي مترجماً من صنف خاص لأني أشتغل بالأساس بالمجال الفلسفي.

وتشكّل الفلسفة، بمعناها الواسع الذي يمكن أن يشمل علم النفس والعلوم الاجتماعية...، «ميداننا» (كما يقول الإثنولوجيون واللسانيّون بشكل موسّع حالياً، أيضاً). إنها المنبع الذي يتغذى منه تأملي في الترجمة ذاتها لأنه لا يسع اللسانيات المعاصرة وحدها أن تمكّن من بلورة نظرية أو «علم» ترجمة: إنها تمدّنا بالمنهجية وبوسائل المَفهَمَة، إلا أنه ينبغي أن نتجنب كل إرهاب «نظريّاني» (théoriciste). أضف إلى أنه مهما يكن رأي الوضعيين المنتصرين، فإن «النحو سيدة عجوز واللسانيات ليست وليدة أمس أو أمس الأول» كما يذكّر بذلك عن حق جان ماري زمب (Jean-Marie Zemb, 1978, p. III)، فهي تتجذّر في تقليد يتجاوزها، وما هذا التقليد سوى الفلسفة.

وتقتضي متطلبات التطبيق، التي تهدف إلى ضبط «منتوج» معيّن، توسيعاً متكامل المعرفة يجاوز التخصص النظري الذي يتخذ «اللسان الذي تم رصده من خلال اللغات الطبيعية» موضوعاً له (A. Culioli, 1968, p. 106). فبين اللسانيات والفلسفة، تعتبر الترجمة

---

(1) راجع أ. فروم (Fromm, 1971) ي. هابرماس (1973) وأدورنو (1979)... إلخ. للإشارة سنجد في نهاية هذا الكتاب المراجع البيبليوغرافية الكاملة لمختلف الأعمال المذكورة، والتي سنحيل عليها في الصفحات التالية لنشير إلى أسماء الكتّاب وتواريخ الصدور (وقد تكون مقرونة بحرف).

بدورها فقه لغة (فيلولوجيا)، وتجمل في كونها، تبعاً لـ جان فوركيه (Jean Fourquet)، «حباً للنصوص الجميلة». لم يجانب جورج مونان الصواب حينما بادر إلى البحث عن إجابات «للمسائل النظرية للترجمة» في إطار الإثنوغرافيا وفقه اللغة تحديداً (G. Mounin, 1963, pp. 227 sqq. et 242 sqq.).

ويمكن أن أضيف شيئاً بخصوص التجربة التي أستند إليها: إن لغتي ـ المصدر المفضّلة جداً هي الألمانية مقارنةً بنظيرتها الإنجليزية (ولغتي ـ الهدف هي الفرنسية)، وهو أمر لا يخلو من أهمية. ففي إطار الحوار الفرنسي الألماني، وعلى الرغم من التقارب الحاصل بين اللغتين والثقافتين اللتين تصل بينهما الترجمة، فإن كلاً منهما يحتفظ، بالنسبة إلى الآخر، بقسط من الغرابة كفيل بأن يبطل وهْم الشفافية. هذا في الوقت الذي تجعلنا فيه الهيمنة الأنجلوساكسونية ننسى بسرعة خصوصية تجذّرها، وكأن الأمر يتعلق بمركزيّة عرقيّة (ethnocentrisme) انزاحت عن مركزها أو أصبحت مقلوبة، وتجعلنا أيضاً ننسى المسافات التي يتعيّن اجتيازها كي نلحق بالثقافات التي لم نكن مستعمرين لأهلها ولا كانوا مستعمرين لنا.

هذا هو الميدان الخاص بالمراس الترجمي الذي شكل نقطة انطلاق تشبثت بها لأستخلص ما أسميته **وحدات نظرية من أجل الترجمة** (*Théorèmes pour la traduction*)، وهي وحدات يبدو أنها قابلة للنقل أيضاً إلى ميادين غير تلك التي أخذت منها. إلا أنه ينبغي في ميدان الترجمة ألاّ نخلط النظرية بالتطبيق. ينبغي الفصل بينهما قبل الوصل بينهما. فالتفخيم النظرياني لا يغني عن ممارسة الترجمية على ما قد يعتريها من نواقص. ما جدوى نظرية جميلة دقيقة الاتساق، و«علمية»، ما لم تكن وطيدة الصلة بالواقع الفعلي للمهنة ونابعة منه؟

ومن ثمّ، فإن التنظير الذي أقترحه لا يعدو أن يكون تنظيراً

«عارضاً» أو جانبياً: إنه لا يقدم حاصلَ مدوّنة مذهبية متكاملة، بل يقدم بوصفه نظريةً «متشظيةً/ فُتاتيةً» أو نظريةً في طور التشكل، ترمي إلى رفع التحدي المتجدد للمشاكل المادية المتعددة التي لا تفتأ تطرحها علينا ممارسة الترجمة. فالتنظير إذاً «متعدد» ضرورةً، وهو يتخذ بذلك من عدم تمامه شرطاً. ومن هنا تأتي المقاربات المختلفة التي تشكل مادة هذا الكتاب، حيث لا نبتغي آفاقاً للتقارب غير تجربة مِراسية يبقى لكل شخص أن يفعّلها لحسابه الخاص[2]. ومن هنا أيضاً يأتي تعدّد هذه «الوحدات النظرية» التي لا تقوم وحدتها حقيقةً إلا بفعل الترجمة. . . (traduire)[3].

---

(2) في نهاية هذا المجلد، سنجد مختلف الدراسات التي تم تجميعها هنا (المراجع).

(3) نتقدم بالشكر للجمعية الفرنسية للمترجمين (la société française des traducteurs) التي سمحت لنا بمنح هذا المجلد عنواناً لا يمكن إلا أن يذكّر بعنوان مجلة *Traduire*، لسان حال هذه الجمعية (S. F. T.)، وقد سرّنا هذا التقارب أيما سرور خصوصاً أننا ننتمي أيضاً إلى هذه النقابة.

الفصل الأول
ما الترجمة

تُعد الترجمة حالةً خاصة من التماس والتقارب اللساني، وهي تفيد، بالمعنى الواسع، كل شكل من أشكال «الوساطة البيْلغوية» (médiation interlinguistique)، التي تمكن من نقل المعلومة بين متكلمي لغات مختلفة. وتنقل الترجمة رسالة من لغة انطلاق (ل إ) أو لغة ـ مصدر إلى لغة وصول (ل و) أو لغة ـ هدف.

تعني «الترجمة» في الوقت ذاته ممارسة الترجمة ونشاط المترجم (بالمعنى الدينامي) ونتيجة هذا النشاط، أي النص ـ الهدف ذاته (بالمعنى السكوني). وتأخذ الكلمة أيضاً، في بعض الأحيان، المعنى المجازي الموسَّع إلى حد بعيد لعبارة تمثيل أو تأويل. (مثلاً، لقد كانت «هذه الحالة العصبية ترجمة لضيق معيّن. . .»).

1. مهنة المترجم

أصبحت الترجمة، باعتبارها نشاطاً إنسانياً كونياً، ضرورية لكل الأزمنة وفي كل بقاع العالم بفضل الاتصالات بين التجمعات الناطقة بلغات مختلفة، سواء كانت هذه الاتصالات فردية أو جماعية، طارئة أو مستمرة، وسواء كانت مرتبطة بتبادلات تجارية بمناسبة أسفار أو شكلت موضوع تقنينات مؤسساتية (مواثيق ثنائية اللغة بين الدول،

على سبيل المثال). فليس ثمّة قوم مهما بلغ انزواؤهم وانعزالهم التام بقادرين على الاستغناء عن الترجمة. إن أسطورة برج بابل تقدم أيضاً الدليل على قدمها: فقبل وجود مكاتب الترجمة التابعة لمنظماتنا الدولية، كان يوجد أنواعٌ شتّى من المترجمين المحلفين والمُعتمدين وسكرتاريّون لاتينيون، مترجمون ـ فوريّون بالبلاطات الفرعونية... إلخ. وقد اقتضت هذه الوساطة اللغوية بين تجمعات اللغة على الدوام أن يوجد فيها أفراد ثنائيو اللغة يضطلعون بوظيفة الترجمة والترجمة الفورية.

وبالمعنى الحصري لكلمة ترجمة، درجنا على التمييز بين (interprétariat) التي أعيدت تسميتها حديثاً (interprétation) (انظر ص 42) ـ للدلالة على الترجمة الفورية أو «الترجمة الشفهية» التي يمكن أن تكون تعاقبية أو متزامنة ـ و(traduction) أي الترجمة الحقيقية التي تتناول النصوص المكتوبة. فإن وجد هدف تستند إليه المناهج المتناظرة الثاوية خلف هاتين العمليتين المختلفتين فإن مدارس المترجمين الفوريِّين والمترجمين لا تميز مع ذلك بوضوح تام بين المسلكين.

المترجم (مثل المترجم الفوري أيضاً) ينبغي أن تتوفر له معرفة متينة بلغات اشتغاله، وثقافة عامة واسعة، وفي حال الترجمة «التقنية» يجب أن تتوفر له معرفة بالمجال الذي ينتمي إليه النص المروم ترجمته: ومن ثم يجب عليه التزود بالوثائق باستمرار. وتضطلع بتكوين المترجم، خلال ثلاث سنوات أو أربع، معاهد جامعية مثل «المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين» (E.S.I.T.) بباريس (D. Moskowitz, 1972) ومدرسة المترجمين الفوريين بجنيف... إلخ.: وتوجد أيضاً مؤسسات خاصة. ويبدو أن ثمة إجماعاً قد حصل يقضي بأن اللغة ـ الهدف يجب أن تكون حصراً «اللغة الأم» **(اللغة**

أ)، باعتبار أن المترجم تتوفر لديه كفاءة في الاشتغال على لُغَتَيْ ـ مصدر، (**اللغتين ب وج**): «نترجم إلى لغتنا!» غير أن بعضهم يتذرع بضغط الحاجات وبضرورات تكيُّف «مرن» مع التنوع والتجدد المطرد للطلب، ليطالب الآن مترجمي المستقبل بـ «حركية» يكونون بموجبها قادرين على الترجمة بلا تمييز باتجاه عدة لغات ـ هدف (بما في ذلك الترجمة من لغة أجنبية أو من عدة لغات أجنبية أو «لغات ليست باللغات الأم»)، غير أن هذه الرغبة من لدن المترجم (أو الترجمة) في أن يرفع من المردودية وفي أن «يقوم بكل شيء» يبدو أنها لا تتمتع بقدر من الواقعية ويُستبعد تحققها لغوياً على نطاق واسع.

أما «النقل إلى اللغة الأجنبية» (thème) و«النقل إلى اللغة الأم» (version) المطبّقان في المدرسة، فهما يُخضعان عمليات الترجمة للاستراتيجية العامة لتعليم اللغات، ويتضمنان مجموعة من الإكراهات الخاصة، ويشكلان أيضاً «تمارين بيداغوجية» تمثل حالة محدودة وشاذة نسبياً بالنسبة إلى الترجمة الحقيقية (انظر ص 23 وما يليها). فالترجمة تسعى إلى إنتاج نص موجه إلى الجمهور، وليس إلى مصحّح. والترجمة الحقيقية هي «فعل تواصلي»، محدد اقتصادياً بشروط إنتاج المترجم.

ويظل كبيراً عدد المترجمين الذين لم يترددوا على معاهد التكوين المتخصصة وتكوّنوا «بفضل المراس». وكثر هم أيضاً من تمثل الترجمة بالنسبة إليهم مهنة تمكّن من درّ دخل إضافي، فالمترجمون الذين يكرّسون كل وقتهم للعمل يشتغلون موظفين في مكاتب الترجمة الخاصة أو العامة: أو يمارسون هذه المهنة تحت الطلب أو بوصفها مهنة حرة. يتوفر لَدَى المستفيدين من الترجمة وبخاصة دور النشر («مانحو الكتب»)، عموماً، «مُرَاجِع» يعرضون عليه عمل المترجمين. فقد أدت الأهمية التي يمكن أن تكتسيها

الترجمات (في إطار دعوى قضائية أو بالنسبة إلى المواثيق بين الدول، مثلاً) إلى وجود هيئات مختلفة من المترجمين الخبراء المُعتمدين، الذين توكّل إليهم مهمة التثبّت من صحّة الترجمات وتزكيتها.

من المتفق عليه عامة أن ثمة عدم رضا عما تعرفه فرنسا من تأخر في ميدان الترجمات، مقارنة بإيطاليا مثلاً، ويطول انتظار عدد من المؤلفات الأجنبية الشديدة الأهمّيّة حتى تتم ترجمتها إلى الفرنسية وقد تستثنى من ذلك، ربما، نصوصٌ مصدرها اللغة الإنجليزية. وتأتي الشروط الاقتصادية هنا لتدعم نزعة مركزية ثقافية تقليدية. ويشتكي الناشرون من كون الكتب المترجمة لا تباع بشكل جيد ومن كون المترجمين لا يتميزون بالكفاءة اللازمة. ويعاني المترجمون في الغالب من أوضاع اقتصادية صعبة جداً: فالأجور الزهيدة وضغط جدولة العقود المضبوطة، يدفعهم أحياناً إلى إهمال الجودة من أجل رفع مردوديتهم، أضف إلى ذلك أن الوضع الاعتباري لمهنة المترجم في المجتمع يظل متدنياً جداً. ويبدو أن قانون العرض والطلب، المناسب نظرياً للمترجمين الجيدين نتيجة قلة عددهم، وسوق الترجمة التي تعرف أوجها، لا يكفيان لإعادة الاعتبار للمهنة.

وتعتبر الترجمة «ملكية أدبية» يحميها القانون الفرنسي باعتبارها كذلك (قانون 11 مارس 1957). وللمترجمين نقابة وطنية هي الجمعية الفرنسية للمترجمين (S.F.T.)، التي كانت هي نفسها خلف إنشاء الفيدرالية الدولية للمترجمين (F.I.T.).

ساد التمييز تقليدياً بين ترجمة أدبية وأخرى تقنية. ويوافق هذا الأمر اختلافاً بين أنماط النصوص المزمع ترجمتها وتبايناً ذا طبيعة اقتصادية: يترجم «الأدبيون» كتباً مقابل مكافآت متواضعة تبعاً لنظام حقوق المؤلف (مع حساب جزافي مبدئياً)، ويحصل «التقنيون» على

مقابل جوهري جداً. وقد شكّل إنشاء جمعية المترجمين الأدبيين بفرنسا (A.T.L.F) سنة 1973 المنشقة عن الجمعية الفرنسية للمترجمين صدىً لهذه التباينات. وتطلق تسمية «ترجمة تقنية» على ترجمة النصوص القانونية والعلمية... وكذا النصوص التقنية أيضاً، في حين أن ترجمة كتاب في العلوم الإنسانية تدخل ضمن ما يطلق عليه «ترجمة أدبية».

2. القضايا اللسانية للترجمة

تطرح قضية الترجمة في الغالب في إطار نقاش أكاديمي يستند إلى مفردات متناقضة: فثمّة ترجمة حرفية أو ترجمة أدبية أي ترجمة «حرة». وبعبارة أخرى، ثمّة الأمانة أو الأناقة، والترجمة الحرفية أو ترجمة روح النص أو معناه. إن هذين القطبين المنتميين إلى البديل ذاته، واللذين تتغير تسميتهما بلا نهاية، هما اللذان يقسمان تاريخ الترجمة وفق حركة «رقاص ميزان» يعادل بين «التكافؤ الشكلي» و«التكافؤ الدينامي» (E. A. Nida, 1964, pp. 159 sq.)، أي بين الترجمة الحرفية و«الجميلات الخائنات» (G. Mounin, 1955).

في المصادر التاريخية للترجمة نعثر أولاً على النصوص المقدسة، كالترجمة الإغريقية للعهد القديم (التي يطلق عليها «الترجمة السبعينية»)، والترجمة اللاتينية للكتاب المقدس على يد القديس جيروم (la Vulgate)... إلخ. وتسعى الجمعية الأميركية للكتاب المقدس (l'American Bible Society)، إلى الآن، إلى تطوير نشاط ضخم في الترجمة في جميع الاتجاهات بإيعاز من أوجين نيدا، الذي اشتهر في هذا المجال. وقد أدّت النصوص الأدبية للعصور القديمة، أيضاً، دوراً كبيراً في التقليد الذي هو تقليد الترجمة في الغرب: إن تعدد ترجمات **الإلياذة** و**الأوديسا** مدهش في هذا الصدد بالرغم من أنه لا يقارن مع ما بلغه الكتاب المقدس من

ترجمات. فقد بدأت الآداب الوطنية الأوروبية بترجمات من الإغريقية ومن اللاتينية، كما تشهد على ذلك الحظوة التي يتمتع بها في فرنسا بلوتارك الذي ترجمه أميوت، وتُبيّن أعمال لابليّاد (La Pléiade)، مثلاً، تسلسلاً في الترجمة يمتد من الترجمة القائمة الذات إلى مجرد التكييف الذي يكتفي باستلهام الأعمال الرائعة القديمة (انظر ص 104). كُثر هم الكتّاب أيضاً، من أمثال فاليري لاربو، الذين تركوا لنا، ما عرف بـ «فنون الترجمة» (V. Larbaud, 1957).

من الواضح أن حاجياتنا في الوقت الحاضر في ميدان الترجمة متنوعة للغاية وتبلغ أهمية قصوى لا تفتأ تتزايد. إن مقتضى الاستعجال وكمّ هذه الحاجيات في ما يتعلق بالترجمات العلمية هو ما يثوي خلف الأعمال الخاصة بالترجمة الآلية أو «آلة الترجمة» والتي بوشرت إبان الحرب العالمية الثانية.

تسعى كل ترجمة في أن «تعفينا من قراءة النص الأصلي»، بهذه العبارة يجدر في رأينا أن نعرف مفهوم الترجمة. ويفترض أن تعوض الترجمة النص ـ المصدر بالنص «نفسِه» في اللغة ـ الهدف. إن الطابع الإشكالي لهذا التماثل هو الذي يشكل مصدر كل الصعوبات التي تعرفها نظرية الترجمة: إننا نتحدث عن «التكافؤ». . .

إننا نضع تماثلاً، في إطار تقارب أولي بين المصطلحين، بين الترجمة والمنامطة (transcodage) حيث تصل إلينا الرسالة عبر شفرة ـ مصدر (الذبذبات الكهربائية للمورس مثلاً) قبل أن يتم فك شفرتها ثم إعادة تشفيرها (بالاعتماد على شفرة ـ هدف لأبجديتنا المكتوبة مثلاً). لكن ذلك قد يعني اختزال اللغات الطبيعية إلى أبجديات (انظر الأصل التأثيلي (étymologique) لكلمة «نحو») أو في أحسن الأحوال إلى مجرد مدونات أو صنافات (nomenclatures) معجمية، حيث تكتفي الترجمة باستبدال الكلمات ـ المصدر بالكلمات ـ الهدف وفق

تطابق يُفترض أنه ثنائي بين هذه الكلمات وتلك[1]. وفي الواقع، نجد في الأصل المشترك للترجمة وللقاموس، مثل هذه اللوائح من المفردات الثنائية اللغة، بل المتعدّدة اللغة، والتي يطلق عليها جداول التطابق (tables de concordance) (انظر الثبت السومري ـ الأكادي)، وقد انطلقت الأعمال حول «آلة الترجمة» ببحوث انصبت على القاموس الآلي. وللإشارة، فالترجمة لا تستند إلى مفردات المعجم فقط بل تستند أيضاً إلى التركيب والأسلوبية والبعد الاصطلاحي للغات المعنية بالأمر. وذلك ما يجعل كل ترجمة حرفية تعتمد المنامطة ترجمة مستحيلة.

وتواجه كل نظرية في الترجمة المشكل الفلسفي القديم لـ «نفس» (Même) ولـ «الآخر» (Autre) : بعبارة أدق، لا يمثل النصّ ـ الهدف النص ـ الأصلي نفسه، لكنه ليس نصاً آخر مغايراً تماماً. فمصطلح «الأمانة» للنص الأصل يترجم هذا اللبس سواء تعلق الأمر بالأمانة الحرفية أو الأمانة لروح النص الأصل.

ويفضي هذا النقاش التقليدي حول «الجميلات الخائنات» إلى تناقض آخر أساسي للترجمة وهو مشكل تعذّر الترجمة (l'intraduisibilité). أي كل شيء قابل للترجمة، و/ أو: الترجمة مستحيلة. لا يوجد حل لهذه المشاكل في حد ذاتها وبشكل عام : لا نعثر إلا على حلول جزئية وفقاً للمواقف (انظر ص 85 وما يليها).

لا يمكن أن نضع خطاطة أولى لنظرية في الترجمة باعتماد

---

(1) إنه الخيال التبسيطي الذي تحدث عنه وارن ويفر بخصوص أعماله في ميدان الترجمة الآلية التي تماثل بين الترجمة ومشكل الكتابة الشفرة (cryptographie): فقد قرر في مقاربة أولى أن يماثل بين نص مقال روسي معيّن ونص حرر بالإنجليزية أصلاً، ثم تم «تشفيره» وفق شبكة رموز ملغزة ينبغي كشف مفتاحها. وستكون الترجمة هي حل الشفرة أو القيام بعملية منامطة بالضبط. انظر ص 90 و117 و315 وما يليها، وص 320 وما يليها، وص 350 وما يليها من هذا الكتاب.

مصطلحي الشفرة والرسالة، بل باعتماد المفهومين السوسيريَين اللسانيَين لغة (langue) وكلام (parole) اللذين لا يحيلان على المستوى ذاته من الصَورَنَة (formalisation). (تعني اللغة مخزون الاحتمالات اللغوية المتوافرة لدى الجماعة، ويمثل الكلام حقيقة النشاط الذي يُفَعِّل اللغة، انظر ص 223). ويعيد مصطلح التكافؤ إنتاج لبس الترجمة: إن الأمر يتعلق بشكل أدق بتماثل الكلام عبر اختلاف اللغات.

لنقل إنه من الأنسب مبدئياً أن نترجم ـ أي أن «ننقل» إلى اللغة ـ الهدف ـ ما يتصل بالكلام في النص ـ المصدر، لأننا نترجم ما «يقول» المؤلف. وبخلاف ذلك، فإن ترجمة ما ينتمي إلى اللغة (أشكال الدوالّ الصواتية والكتابية والقيود النحوية والعادات «الاصطلاحية». . .) يحكمه الاختلاف: إذ نعوض عناصر اللغة ـ المصدر بمقابلات في اللغة ـ الهدف (انظر ص 223 وما يليها).

إلا أنه يلزم عن تطبيق هذا المبدأ العام في الغالب مشكل على مستوى المراس. فنحن نترجم بالفعل دون تردد العبارة الانجليزية I) (am sorry بالعبارة الفرنسية (excusez ـ moi) لأننا هنا بصدد عبارات مسكوكة تنتمي إلى المخزون المشترك، أي وحدات من اللغة تستدعي اعتبارها في كليتها، إلا أنه لا يظهر أن بإمكاننا النزوع إلى مَفهَمَة دقيقة جداً مرتبطة بالخطاب النظري «للغة» الألمانية تبلغ حد التخفيف النسقي لنصيب من المضمون النظري الذي تسوقه جمل نص ألماني نقوم بترجمته إلى الفرنسية. . .[2].

(2) إنه الإغراء الذي خامرنا أحياناً ونحن نترجم نصوص هابرماس وأدورنو وكَنْت. وعموماً، تتجسد الفلسفة والعلوم الإنسانية في أساليب للكتابة تتباين تبعاً للغة التي ينجز بها المؤلفون أعمالهم الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية وتبعاً للتقاليد التي ينضوي تحتها كل منهم، وقد يشكل هذا مادة فصل يتناول البلاغة المقارنة للخطابات النظرية والذي يمكن أن =

قد لا يكون من السهل نزع كلام الكاتب من اللغة ـ المصدر حيث تمت صياغته فحسب، بل إن تعلّقاً متبادلاً لكل لغة مع سياق ثقافي كامل يبيّن ضرورة دمج البعد غير اللغوي (أو «اللغوي الموازي») لأنثروبولوجيا معيّنة ضمن نظرية الترجمة. وإلا فكيف يمكن ترجمة المفردة الفرنسية (ordinateur) أو (cassoulet) بلغة قبائل البول (Peul)؟ أو المفردات اليابانية لحفلة شاي، أو التعابير التقنية لكرة القاعدة «البايسبول» إلى اللغة الفرنسية فقط؟

وهكذا أوضح أوجين نيدا بعد سابير ومالينوفسكي أن حل مسائل الترجمة هو بالأساس إثنوغرافي ولا يرتبط بالجانب اللغوي فحسب. ولهذا الغرض عملنا على توسيع المصطلح اللساني «للغة» ليشمل أبعاد «لغة ـ ثقافة» (هـ. ميشونيك، 1973، ص 308 وفي أماكن متعددة) أو موضعة «اللغة الموسعة» (périlangue) الثقافية والمقامية والسلوكية المرتبطة باللغة (انظر ص 61 وص 178 وما يليها).

نتبنى، عموماً، صياغة ج. ك. كاتفورد، ذاك الذي تتسع الترجمة بالنسبة إليه لتشمل «المعنى السياقي» (بالمفهوم الموسع جداً للمصطلح الإنجليزي (context) الذي يتضمن في الآن ذاته الوسط النصي والمقام المرجعي)، وبعبارة أخرى التكافؤ اللساني و/ أو «الوظيفي»: يتوفر الملفوظ ـ المصدر والملفوظ ـ الهدف على المعنى «نفسه» عندما «يشتغلان في المقام ذاته» (J. C. Catford, 1967, p. 49). وفي الحقيقة، يستدعي هذا الموقف «الدلالي» المسبق لسانيّات الكلام ونظرية التلفظ.

= ينضاف إلى كتاب من قبيل كتاب أ. مالبلان (Malblanc, 1966) أو فيناي وداربلنيه (Vinay et Darbelnet, 1968). انظر مفهومَي الترجمة بالزيادة (incrémentialisation) والتبدد (entropie) وهي مفاهيم «معبرة» في هذا الباب.

ويؤكد كاتفورد، علاوة عَلى ذلك، أن العلاقة بين النظرية اللسانية والتطبيق الترجمي لا تحصر في كونها مجرد تطبيق خطي، تماثل العلاقة التي تصل البيولوجيا بالطب. ومادام اللسانيون لا يمتلكون ناصية المراس الفعلي للترجمة (وقلة هم الذين يفعلون) فهم ينتجون خطاباً نظرياً لا يرضى عنه المترجمون رضاً تاماً لأنه لا يستجيب لانتظاراتهم المراسية. ولذلك لا يمكن الحديث بكل دقة عن «تقنيات الترجمة».

3. من النظرية إلى التطبيق

تبقى الترجمة، على مستوى التطبيق، دائماً بالطبع جزئية. فهي ككل فعل تواصلي تستوجب درجة معينة من التبدد (entropie)، وبعبارة أخرى، نوعاً من ضياع المعلومة. وتقوم مهمة المترجم على اختيار أقل الضرر، إذ يجب عليه أن يَميز الجوهري من الثانوي. وتوجه «اختياراته في الترجمة» باختيارٍ أساس يتعلق بـ «قصد» الترجمة، وبالجمهور ـ الهدف وبمستوى الثقافة والألفة التي يفترض أنها تجمعه بالمؤلِّف المترجَم وباللغة ـ الثقافة الأصلية. وهكذا تستهدف الترجمة تقريباً «اللون المحلي»، أي التغريب (في الزمان كما في المكان)، وتستحيل نظارات المترجم على التوالي «زجاجات ملونة» أو «زجاجات شفافة» (ج. مونان، 1955، ص 109 وما يليها)، فمثلاً قد نترجم الكلمة اليونانية düëéò إلى الفرنسية بالحاضرة (la Cité) أو بالدولة (l'Etat).

كتب ج. ب. فيناي وج. داربلنيه (1968) كتاباً يحمل عنوان (*Stylistique comparée du français et de l'anglais*) ويعدّ أحد أحسن الكتب المدرسية في الترجمة. فقد حاول المؤلفان أن يحدّدا فيه مصطلح «وحدات الترجمة» (unités de traduction) (انظر ص 203

وما يليها) التي لا تتصل بالكلمات، بل بمجموعات تراتبية تسوق المعنى ويقترحان سبعة أنواع من الحلول لصعوبات الترجمة.

حين يواجه المترجم نقصاً معجمياً في اللغة ـ الهدف (أي حينما يكون بصدد كلمة «غير قابلة للترجمة»)، يمكنه أن يلجأ إلى حل «الاقتراض» (l'emprunt)، وهو الحل الأخير الذي لا غنى عنه ويقتضي أخذ المفردة كما هي من المصدر الأجنبي (دالاً ومدلولاً)، أو يلجأ إلى الاستيراد الحذر الذي يتمثل في «النسخ» (le calque) (وهو اقتراض المدلول دون الدال). وفي كلتا الحالتين، تُستورد، في الغالب الأعم، من اللغة ـ الثقافة ـ المصدر الكلمة كما يستورد الشيء ذاته. ويمكن أن يتخذ الاقتراض قيمة أسلوبية ذات «لون محلي»: فقد تفضل المفردة في الفرنسية ـ الهدف (feed-back) على مزاوجها[3] (rétroaction) الذي يجمع بين ظهوره المتأخر والحفاظ على طابعه التقني. وتعرف بعض الجامعات الفرنكوفونية وضع (Professeur ordinaire) الذي يستنسخ كلمة (l'Ordinarius) الجرمانية، وثمّة أيضاً «أساتذة غير عاديين» (Professeurs extraordinaires). وما دام الاقتراض والنسخ يقتضيان مدلولاً ـ هدفاً فيجب أن يُوضّح هذا المدلول، سواء في الهامش أو عبر سياق يفسره أو يشرحه (والأمران سيان). ويظل حل الكلمة ـ بالكلمة (le mot-à-mot) (أو الترجمة «الحرفية») أحياناً ممكناً: إنها الحالة القصوى، المتفائلة، حيث تنزع الترجمة إلى التماهي مع المنامطة، لكن هذه الترجمة المثالية تشكل استثناءً.

يقترح داربلنيه وفيناي إلى جانب هذه الحلول الثلاثة «المباشرة» أربع طرق أو أساليب «للترجمة غير المباشرة أو الملتوية». ويحل

(3) انظر ملاحظة المترجم التي سقناها في هابرماس (1973)، ص IX.

«النقل» (la transposition) «قسماً من أقسام الكلام» محل قسم آخر، وهكذا يعرف المترجم أنه عند استعمال فعل (aimer) «أحب» (يحب السباحة، الشوكولاتة...) في اللغة الفرنسية فذلك يؤدي في الغالب الأعم إلى إنشاء جملة متصلة بالظرف (gern) في اللغة الألمانية، والعكس صحيح. ويقتضي «التعديل» (la modulation) تقريباً التحويل الترادفي، ويعبر عن الفكرة ذاتها بطريقة مغايرة في اللغة ـ المصدر واللغة ـ الهدف: وتصبح العبارة الانجليزية (forget it!) في اللغة الفرنسية (n'y pense(z) plus)... ويتخذ «التكافؤ» (l'équivalence) الملفوظ ـ المصدر في كلّيّته ويعمد إلى اقتراح مقابل ـ هدف يطابق المقام المرجعي (غير اللغوي): وبذلك نترجم كل عبارة بالتي توافقها من العبارات التالية:

الفرنسية: J'ai une faim de loup

الإسبانية: tengo un hambre canina

الإيطالية: ho una fame da cavallo...

وأخيراً، لا يشكل التكييف (l'adaptation) إجراءً من إجراءات الترجمة بقدر ما يشير إلى حدودها: إنه الحالة القصوى لاستحالة الترجمة تقريباً والتي يخيّم عليها التشاؤم، وذلك لعدم وجود الواقع الذي تحيل عليه الرسالة ـ المصدر بالنسبة إلى الثقافة ـ الهدف. ويقدم أوجين نيدا عدة أمثلة تتعلق بترجمة التوراة: مثل ترجمة رمز شجرة التين في لغة لا تعرف هذه الشجرة إلا عبر صنفها المسموم الذي لا يؤكل؟ أما فيما يتعلق باسم الجلالة (الله)، فيبدو أن الصعوبات التي تخص ترجمته تحيي موانع جديدة جداً في هذا الباب...

إذا تأملنا عن كثب، في الحقيقة، هذه المسألة، تبدّى لنا أن تنميط الحلول السبعة المختلفة المقدّم لصعوبات الترجمة شكليٌ إلى

حد ما: ذلك أن الحلول الثلاثة الأولى المقترحة لا ترقى حقيقة إلى مستوى نشاط الترجمة، في حين أن الحل السابع والأخير يتجاوزه تجاوزاً: فلم يسمُ «الاقتراض» و«النسخ» و«الترجمة الحرفيّة» (الكلمة ـ بالكلمة) إلى مستوى الترجمة، والتكييف لم يعد ترجمة. وبالإضافة إلى ذلك، يحظى مصطلح «التكافؤ» بصلاحية عامة للغاية، وينزع إلى التأشير على كل عملية ترجمة. ويظل من الصعب جداً أن نميز هذا المصطلح ممّا يسمى «بالتعديل». لكن عملية الترجمة هذه هي التي يجدر بنا تحديدها...[4].

4. آفاق الترجمة

وبعيداً عن كل هذه العوائق الثقافية التي تعترض الترجمة وتعيق نشوء نظرية للترجمة تعتمد المقام (situationniste)، يطرح عامة مشكل **الميتالغات** أو اللغات الواصفة (métalangages) حيث لا يراهن المدلول على أي مرجع آخر غير ذاته (انظر ملحق I، ص 249 وما يليها). وهكذا تطرح الفلسفة، والشعر بالخصوص، مشكل الترجمة بكل مداه. ويجب، بالأحرى، أن نجاوز البعد اللساني نحو «شعرية للترجمة»، تفترض نظرية «الأدبية» (H. Meschonnic, 1973).

لم يعد يطرح المشكل القديم لترجمة الشعر في شكل أبيات

(4) لكن، حين نبين هذه الحدود، يبقى أن كتاب ج. ـ ب. فيناي وج. داربلنيه أداة منهجية مساعدة ثمينة جداً، وبالنظر إلى الأمثلة العديدة التي يوضح بواسطتها الأدوات الاصطلاحية التي يستخدمها. لا يستحق كتاب *Stylistique comparée du français et de l'allemand* لصاحبه أ. مالبلان (Malblanc) (1966)، المدح ذاته لأنه متشبع بأيديولوجية لسانية مثالية، تقتفي أثر الفلسفة الهمبولدتية، ولذلك فهو يفترض وجود «روح الشعوب» خلف «عبقرية اللغة»... لكن يجب الاعتراف أيضاً أن ج. ـ ب. فيناي وج. داربلنيه لايسلمان بدورهما من هذه المؤاخذة.

حيث استقر الرأي على ألا نرى في الأمر طريقة رعناء لتقليد (أخرق) لشكل القصيدة الأصلي ونقله إلى لغة ـ هدف تختلف اختلافاً عن اللغة ـ الأصل. «فتعذر الترجمة» (intraduisibilité) الذي يواجهنا يكون مزدوجاً ويهم شكل الدال والأشكال الأدبية والبلاغية والعروضية التي تتعلق بالتفرد الثقافي.

لا يتم التركيز على ضرورة ترجمة المعنى أو ترجمة العروض بقدر ما ينصب على «الوظيفة الشعرية» أي على الأثر الذي تبعثه القصيدة الشعرية فينا، وهذا الأمر لا يتأتى، في الحقيقة، إلا بفضل استثمار ذاتية المترجم الذي يقوم مقام مؤوّل بل وأيضاً مقام «مؤلف مشارك» (co-auteur) أو «كاتب ثان» (réécrivain) (انظر ص 232 وما يليها). فهل غاب هذا البعد الإنساني يوماً، بالإضافة إلى ذلك، عن أي ترجمة؟ ومن الآن فصاعداً فهل بالإمكان اتهام «آلة الترجمة» («الترجمة الآلية») بأنها ليست إلا يوتوبيا مكلفة استيهامية وتقنوية، تعدّ من بقايا الميثولوجيا البابلية...[5]؟

---

(5) بعيداً عن هذه المقدمة لمسائل الترجمة، سنجد لاحقاً عناصر بيبليوغرافية لـ «مرشد القراءة» في الملحق II من هذا الكتاب.

الفصل الثاني
الترجمة في المؤسسة البيداغوجية(*)

0. مقدمات

توجد الاعتبارات النظرية التي سننكب على قراءتها عند تقاطع اتجاهين بحثيَين مختلفين في «اللسانيات التطبيقية»: فثمة مشاكل الترجمة، من جهة، وثمة الإشكالية المركبة للعلاقات التي تربط اللسانيات ببيداغوجيا اللغات، من جهة أخرى. يتعلق الأمر، بالطبع، باللغات الحية الأجنبية. ودون أن نغفل تماماً «اللغات الميتة»، فإننا لن نوليها كبير اهتمام وستكون إحالتنا عليها عرضية وهي، فضلاً عن ذلك، تستحق دراسة خاصة. لقد اقتصرنا على تعليم اللغات في الإطار المدرسي (الثانوي)، وأقصينا من حيز اهتمامنا مشاكل من قبيل مشكل المدارس الابتدائية الثنائيّة اللغة ومشكل تعليم اللغات لليافعين ومشكل حالة الدول التي تعرف تعدداً لغوياً. .. إلخ.

وما دام الأمر يتعلق بدراسة «نظرية»، فإن قضية المصطلحات، التي سيكون لها تأثير تصوري يخص مفهمة الموضوع، مدعوةٌ إلى أن تكتسي

(*) في حوار شخصي مع المؤلف أكد أنه يفضل استبدال حرف العطف et (الواو) بالحرف dans (في) ليكون وفياً للعنوان الأصل للمقال ولمضمونه الذي يتناول مشكل الترجمة «ضمن» المؤسسة البيداغوجية.

أهمية خاصة في هذا الباب. وبالنظر إلى لَبْس متداول في اللغة الفرنسية يبطل التقابلات التي توافق، على مستوى المدلول، درجات مختلفة من التجريد الاسمي (الذي يهم الاسم أو الصفة ونادراً ما يشمل الفعل)، فالكلمة (pédagogique) (بيداغوجي) تشتغل في الآن ذاته باعتبارها «توصيفاً» لاسمين مختلفين (N_0 ,enseignement) تعليم، و ,pédagogie) N_1 (بيداغوجيا)، أي إنّها تحولهما إلى صفة. إن عنوان هذا الإسهام يعيد إنتاج هذا اللبس ويتعين عليه رفعه. ولا تهم هذه المنهجية التدريجية لرفع اللبس التصوري مفهومَ (pédagogie) فحسب، فالتداخل التقييمي البيداغوجي (l'interférence docimo - pédagogique) (ص 69 وفي أماكن متعددة) يوضح أنه ينطوي هو نفسُه على معنيين (N_1و N_2)، أي الحقل الصرفي الدلالي: النقل إلى اللغة الأجنبية/ النقل إلى اللغة الأم/ الترجمة (thème/ version/ traduction). . . ويحيل الدال معيار (norme) بدوره على مدلولين اصطلاحيين اثنين، أحدهما بيداغوجي والآخر لغوي: ويشكلان معاً موضوع خلاف هنا ويمثل تصادفهما على مستوى الدال قرينة أو إشارة (indice) وليس عائقاً فحسب. إننا، وبتطابق مع الزوج الأنجلوساكسوني (source language: target language) (في الألمانية (Ausgangsprache: Zielsprache))، نفضل على التقابلَ الكلاسيكي في اللغة الفرنسية بين (langue de départ, LD) (لغة انطلاق (**ل إ**)) و(langue d'arrivée, LD) (لغة وصول (**ل و**))، التقابل الفرنجليزي (langue-source : langue-cible) (لغة ـ مصدر: لغة- هدف)، حيث يمكن للعنصر الثاني الاسمي (الاسم المحدد (source/ cible)) أن يبقى ثابتاً لا يتغير وذا وظيفة لاحِقيّة تمكّن من توليد مجموعة من المركبات الاصطلاحية المتماثلة، والتي تتميز بمرونة أسلوبية، في خطاب طبعته عدة تسميّات (nominalisations)، تفوق المركبات الاسمية المرفقة بالحرف (de/ d').

سنتبنى في دراستنا هذا الضرب من الاقتراحات الاصطلاحية

البسيطة. ويبدو أن حل القضايا النظرية، لا يمر في حقل اللسانيات، كما في غيرها من الحقول، عبر الدوغمائية الذاتية للمراسيم الاصطلاحية الموضوعة قبلاً ولا يبدأ بها (ص 137)، غير أننا قد نقترب من هذه الدوغمائية من خلال وصف المصطلحات وتعميق رفع اللبس عنها. ويصدق الأمر كذلك على تعليم اللغات (الديداكتيكا)، ولا نعتقد بوجوب الاستسلام لمغريات «الوهم البيداغوجي» ويظلّ اقتناعُنا بأن بيداغوجيا جيدة بإمكانها أن تحقق إقلاعاً نموذجياً.

1. بيداغوجيا اللغات والترجمة

1.1. ضد الترجمة

تربط بيداغوجيا اللغات (الحية الأجنبية) بالترجمة علاقاتٌ يطبعها التناقض، كما يشهد على ذلك الطموح القديم القائل بوجوب بلوغ «التفكير بالإنجليزية»، أي التفكير مباشرة بالإنجليزية أو بالألمانية، إلخ.، بدل أن نترجم إلى اللغة ـ الهدف نوعاً من مسودة ذهنية باللغة الفرنسية (بما أنه من المفروض أن يسبق الفكر اللغة). وهذا يبيّن أن تمارين الترجمة قد فقدت كل ثقة بها. وتستند هذه التمارين بطبعها إلى القدرة في اللغة الأم (الفرنسية)[1]، وهي تحيل عليها باستمرار عبر حركة ذهاب وإياب بين اللغتين فتنهض بعض المعارف المنتمية إلى اللغة الفرنسية، والتي تظل معبأة، بدور مشابه لدور الذكرى القوية التي تحجب غيرها (souvenir-écran). وهذه المعارف تطور أشكال مقاومة[2] تبادلية بين النسقين. لقد أكد

(1) وبغرض التبسيط الاصطلاحي، لن نعمل على أشْكَلَة المعادلة لغة أولى (ل 1)= لغة «أم». وعلى النحو ذاته، سيتم تجنب الخوض في المسألة النفسية اللغوية المتعلقة بالثنائية اللغوية وكذلك القضايا ذات الصلة.

(2) بمعنى مشابه تماماً «لأشكال المقاومة» في التحليل النفسي.

البروفيسور كوبرينا، مُنظّر المنهجية السمعية البصرية البنيوية الشاملة لـ سان كلو/ زغرب (Saint-Cloud/ Zagreb)، أهمية هذه الظواهر على مستوى الأنساق الصواتية[3]. ومن ثم ستكون لتمارين الترجمة نتائج سيئة، مجحفة على مرماها الصريح والنوعي بوصفه عنصراً من بيداغوجيا اللغات الحية، ونتائج مجحفة على المرمى الشامل للمجموع البيداغوجي الذي يندرج فيه تعلم اللغة الأجنبية. يمكن أن تترابط هذه العوائق على النحو الآتي:

ـ سيتم التشويش على تعلم اللغة **الثانية** الأجنبية بسبب أشكال المقاومة النفسية اللغوية التي طورتها اللغة الأم. وسنلاحظ، بموازاة ذلك بل وبالعكس منه، وإن بدرجة أقل، حجباً نسبياً للموارد التعبيرية في اللغة الفرنسية. فممارسة الترجمة تواكبها التجربة المعروفة جداً والمتمثلة في «فقدان وسائل التعبير» والتي تثبط العزم. وأخيراً، يفضي تعدد التداخلات، في الاتجاهين، إلى تدهور متبادل للنسقين اللغويين. ولهذا السبب تمَّ تحميل اللاتينية (أو الألمانية...) مسؤولية الثقل الأسلوبي الذي يؤاخذ عليه بعض التلاميذ، بينما يمثل هذا الأمر ـ بالنسبة إليهم ـ دون شك، مناسبةً لبذل جهد من أجل ضبط قواعد تركيب أكثر تعقيداً. في حين أننا نجانب الصواب باتخاذ الجمل القصيرة، التي يغيب فيها الرابط، نموذجاً للتعلم، وهو نموذج مضلِّل يتلازم مع تعتيم على الموارد النحوية والأسلوبية للغة ويؤدّي إلى عدم اكتساب المهارة عند الاستعمال.

ـ سيعتبر النقل إلى اللغة الأم (version) والنقل إلى اللغة الأجنبية (thème) خاصة، من هذا المنظور، تمارين «رجعية»، نجت

(3) يأخذ التقابل «صواتة»/ صوتيات، في هذا السياق، إذاً، قيمة سجالية. انظر إضافةً إلى ذلك النتائج الملتبسة والمشكوك فيها، بل والموحية، للممارسة السمعية المنطقية للدكتور أ. توماتيس (Tomatis) (1963).

من المنهج القديم، المنبثق من الكتب، هذا المنهج الذي يستلزم حفظ قائمة كاملة منَفِّرة من قواعد النحو والقراءة وحفظ جداول أخرى من علم الصرف...، من أجل الخوض، فيما بعد، «بمساعدة القاموس» في عملية الترجمة المتعثرة والمتلجلجة. وإذا افترضنا أن منهجية «نحو ـ ترجمة» هاته قد كانت ملائمة في ما يتعلق باللغات الميتة ـ وهو ما ليس في حكم المؤكد ـ فثمة إرث ثقيل يجب التخلص منه حتماً مادامت «اللغات الأجنبية» المدرَّسة هي أيضاً «لغات حية»[4]. ولا يمثل هذا الأمر أبداً المطلب «الثوري» ليسار بيداغوجي متطرف: فقد عمل (Claudius) (le French Littelton) (Holyband, 1953)، الذي طبع عدة مرات، منذ القرن 16 ـ 17، على تحقيق هذا الهدف.

تعد مجموع المناهج المطبقة حالياً بمستويات التعليم الثانوي، والتي لم نعد نجرؤ على نعتها بـ «العصرية»، مناهج نشطة[5] (actives). سيكون ذلك، طبعاً، حال «المناهج السمعية البصرية» الشهيرة، وأيضاً حال المنهجية التي أصبحت المنهجية التقليدية المهيمنة، أي «المنهجية المباشرة» (la méthode directe) كما حددتها البرامج الرسمية[6] (Instructions officielles).

---

(4) لقد تطورت، في الآن ذاته، حركة بيداغوجية كاملة من أجل اللاتينية الحية، بل تم حديثاً تأليف مجموعة تمارين تهدف إلى إتقان بنية هذه اللغة.

(5) لكن مناهج بيداغوجية أخرى يمكن القبول بها أيضاً، وفق وضعيات نوعية: انظر ج. ر. لادميرال (Ladmiral) (1975b) بالخصوص. وعلاوة على ذلك، لم يتم التعرض هنا للمنهجية «الوظيفية التصورية» الحديثة جداً والتي لم تكن معروفة سنة 1972، في الوقت الذي ظهرت فيه الطبعة الأولى من هذه الدراسة، والملاحظ أن هذه المنهجية تستجيب لبعض الملاحظات النقدية المعبر عنها هنا (انظر أيضاً ج. ر. لادميرال، 1975e).

(6) نعثر على نص البرامج الرسمية المحللة هنا في: *Langues vivantes. Horaires, programmes, instructions* (Paris: S.E.V.P.E.N. (IPN), 1970) (brochure no. 74 Pg), مذكوراً في نصنا «IPN» ومتبوعاً بالإشارة إلى الصفحات. في الوقت ذاته، ظهرت =

2.1. المنهجية المباشرة

وتعد هذه المنهجية نشطة ملموسة في الآن ذاته. إنها تدور حول فكرة «التلقائية». إلا أن صيغاً مثل «تعبير شخصي تلقائي»، والتي تتكرر في الغالب، يجب ألا تخدعنا. لا يتعلق الأمر بتمارين من نوع «النص الحر» الشهير الذي اعتمدته بيداغوجيا فرينيه، والذي سيكون له مكانه في تعليم اللغات «الحية» (واللغات القديمة بالأحرى). ويؤكد مصطلح «التلقائية»، بالخصوص، أن إنتاج ملفوظات (وتلقيها) بلغة أجنبية سيحصل من دون وساطة اللغة الفرنسية[7]. ولعل في هذا السلوك، في حقيقة الأمر، طريقة للتحيز ضد الترجمة، إنه نفي لها. لا تستعمل عبارة ترجمة ذاتها إلا لماماً: إذ يعكس رفض الفكرة غياب العبارة. سيكون للتعليق الشارح لمعنى النص حضور دائم في اللغة الأجنبية، «في اللغة المدرَّسة»، التي يجب أن نتفادى «ترقيطها» وخلطها باللغة الفرنسية. فالترجمة ذاتها لا تقبل إلا عند نهاية الدرس وعلى سبيل «الفحص والتثبّت» (vérification)، لأنه يجب التأكد من أن النص «المشروح بلغة أجنبية» قد تم فهمه بالفعل.

«لا يمكن أن تباشر الترجمة إلا عندما يتم التحقق فعلياً خلال

= نصوص أخرى، وخاصة سنة 1972: انظر: *Langues vivantes. Horaires, objectifs, programmes et instructions* (Paris: C.N.D.P., 1978) (brochure no. 6074),

للاطلاع على آخر مستجدات المسألة، تجب العودة إلى كراريس *Réforme du système éducatif, pour les classes de 6e /5e* (réf. no. 6083) et ... *pour les classes de 4e /3e* (à paraître en 1979).

وقد بدا لنا أن كل هذه التغييرات، الواقعية، لا تؤثر تأثيراً أساسياً في الافتراضات الأيديولوجية العامة للتعليم المدرسي للغات ولا يمكن أن تلغي التحليلات، المؤرخة والمعروضة هنا.

(7) التعبير الحديث جداً، والعابر من دون شك، لـ «الترجمة التلقائية» يعني ترجمة غير مهيأة سلفاً.

المقابلة باللغة الأجنبية من الاستيعاب الدقيق للمضمون، لينصبّ التركيز على دقة التعبير الفرنسي فقط. فلن نحجم عن مباشرة الترجمة إلا إذا كان المقطع المدروس سيشكل مادة تمرين ينجز في المنزل»[8].

يتم الحرص على إبعاد تمارين الترجمة من مناهج المرحلة الأولى من التعليم [المرحلة الابتدائية]، ولاترد كلمة ترجمة في البرامج الرسمية للصفين الأولين من المرحلة المتوسطة [بحسب نظام التعليم الفرنسي: (Sixième et Cinquième)]. ولا يسمح كذلك في الصف الثالث المتوسط (Quatrième) إلا بالنقل إلى اللغة الأجنبية (thème) مع تحفظات صريحة، وليس بالنقل إلى اللغة الأم (version): «من حين إلى آخر ومع توخي الحذر، يسمح بتمارين مقتضبة في النقل إلى اللغة الأجنبيّة»[9]. ومن المحدد بشكل واضح في التعليمات الخاصة» في خيار طلبة الصف الثالث المتوسط بالنسبة إلى مادّة «اللغة الحية الأولى (I) المعزّزة»، إلى أنه «يجب (إذاً) عدم استخدام التوقيت المعزّز من أجل توسيع الشرح الأدبي فقط أو مضاعفة تمارين الترجمة» (IPN، ص 50). إنه فقط في الصفّ الرابع المتوسط (Troisième) [صف الشهادة الإعدادية: البريفيه] يتخذ نوعا الترجمة معاً الوضع الصريح بوصفهما «تمارين مكتوبة» مستقلة:

«تمارين نقل إلى اللغة الأم يكون موضوع نصها قد شُرح سلفاً (والشرح يتم دائماً باللغة المختارة للتدريس). وتكون تمارين النقل إلى اللغة الأجنبية على شكل محاكاة موجزة (thèmes d'imitation)،

(8) IPN، ص 40. يجب أن تفهم الدقة هنا بمعنى الدقة الدلالية وليس بمعنى الفويرقات الأسلوبية في اللغة الفرنسية ـ الهدف.

(9) IPN، ص 21 سنجد في هامش من هوامش البرامج المؤرخة بـ 25 فبراير 1963 والمتعلقة بتعليم الألمانية تحذيراً أكثر صرامةً مما سبق (IPN، ص 82 وص 49).

موجهة أساساً إلى تملك المعارف النحوية وترسيخها» (IPN، ص 23).

إذا كانت الفرنسية شبه غائبة تماماً في المستوى الأساسي وفي مرحلة الحلقة الأولى، فإننا لا نلمس مع ذلك رغبة في إعادة إدراج الترجمة لاحقاً. وهكذا يمكن، على سبيل المثال، أن تفسح «الحصة القصيرة المألوفة المخصصة عادةً للصوتيات» المكانَ لشرح مسألة في النحو باللغة الفرنسية يتم توضيحها خلال الدرس، بل يمكن أيضاً أن نبدأ بترجمة ثانية لنص الدرس السابق.

وفضلاً عن ذلك، فبفعل ما سيُتناول لاحقاً تحت عنوان «التداخل التقييمي البيداغوجي»، يخشى أن يؤثر الأجل البعدي للتمارين المكتوبة للنقل بنوعيه (حيث يكون التقييم بالتنقيط الغاية من التباري) سلباً في طبيعة الترجمة الدنيا، المقبولة في السلك الأول، ووظيفتها. فالترجمة الدنيا التي تباشر في نهاية الدرس ـ أو عند بداية «إعادة الترجمة»، وهو ما يعني الشيء ذاته ـ والتي تمَّ تصوُّرها فحصاً شفهياً في البداية فقط، ترمي من هذا المنظور إلى التعجيل باختبار التلاميذ في أحد ضربي النقل. وهذا ما تحمل على التفكير فيه إلى حد ما برامج الفاتح من كانون الثاني/ ديسمبر 1950 والقاضية بأن هذه الترجمة الدنيا تظل ضرورية بشكل خاص (لا غنى عنها ولا مفر منها، بل هي واجبة). وهكذا، «لن نحجم، كما مر بنا، عن مباشرتها إلا إذا كان المقطع المدروس سيشكل مادة تمرين ينجز في المنزل» (IPN، ص 40).

والجهد الذي يتطلبه الحرص على «دقة التعبير الفرنسي» قد «يجازف» به في التطبيق ليتحول إلى تمرين أسلوبيّ في اللغة الفرنسية ـ الهدف. إن الدعوات الصريحة (IPN، ص 45، 49)، في الإطار المؤسساتي للتعليم، لفائدة تعاون ضمن تكامل معرفي ـ مع أستاذ

الآداب خاصة، أي أستاذ اللغة الفرنسية بالضبط ـ تسهم في «إعادة فرنسة» (refranciser) تعليم اللغة الثانية، وقد يؤدي ذلك إلى إعادة فرنسة بيداغوجيا هذه اللغة، أي تجارب التغريب التي لا تزال هشة والتي يجتهد أستاذ اللغة في دعمها.

3.1. المناهج السمعية البصرية

يجب أن نرى في المنهجية (methodics) أو (methodology) السمعية البصرية مقاربة بيداغوجية أكثر منها تكنولوجيا آلات باهظة التكاليف إلى حد ما ونافعة إلى حد ما ونعرف إلى حد ما كيفية استعمالها...[10] إنها، **أولاً**، مناسبة لاستعادة روح هذه المبادئ بشكل جدي وتطبيقها هذه المرة حرفياً بطريقة نسقية. تُمكِّن البيداغوجيا السمعية البصرية من إقصاء اللغة الأم جذرياً من حصة اللغة.

لم يعد (le tertium quid) الذي يمكن من «ربط» المداليل بدوال اللغة الأجنبية هو الترجمة الفرنسية بل هو الصورة. يعمل هذا الربط ـ الذي تم إبعاده الآن من كل نوع من أنواع الترجمة ـ بين «الدال ـ النص» المسموع، و«المدلول ـ الصورة» البصري، على التنسيق الجذري لمبدأ المنهجية المباشرة الذي كانت تعلق به بعض «التحريفات»: استُبعد التواصل البيْلغوي (الذي يعتمد على ترجمة لغة معيّنة إلى أخرى) لفائدة تواصل دخْلغوي (intralinguistique) (في اللغة الأجنبية) حيث يعوّض «الضجيج» و«الفراغات» بالتنويع

---

(10) تنحصر «المناهج» ذاتها في الغالب الأعم في أدوات بيداغوجية (teaching materials) محدودة. يجب التمييز على وجه الخصوص، في إطار الترسانة الغنية والمتنوعة إلى أقصى حد بالوسائل السمعية البصرية المساعدة (audio-visual aids)، بين «السمعي البصري الثقيل»، والسمعي البصري «الخفيف»... إلخ.

النسقي الذي يعتمد الوسائط غير اللغوية (السياق المرجعي أو المقامي)، ويضطلع الحوار هنا بدور الترجيع. وبهذا المعنى، تفسح تداولية التواصل المجال لدلالة النسق- الهدف. غير أن الصورة ليست «مدلولاً ـ محوراً» فقط، تسهم في تداول المعلومة، بل لها وظيفة نفسية لغوية أيضاً. واعتباراً «للسلطة» النسبية التي تتميز بها «الصورة لسحرها»، فإنها تحجب (inhibe) الترجمة الفرنسية للمتوالية المسموعة: يجب على الترجمة ألاّ تكون بأي حال من الأحوال الجواب النُطقي (أو الذهني) الذي يقدمه التلاميذ عن المنبه المسموع.

فالكتابة تُستبعد، بطريقة تنافسية، عند الشروع في الحصة السمعية البصرية[11]، ولا تظهر إلا بعد مرور عدة أشهر. غير أن هذه الأولوية التي تحظى بها اللغة الشفهية، أي المسموعة، والتي تتمتع بأساس نظري مزدوج، لغوي ونفسي لغوي في الآن ذاته، لا تعمل هنا أيضاً إلا على استعادة شيء ما، كان موجوداً من قبل في المنهجية الفاعلة التقليدية، بدقة أكثر نسقية، وتحذر المؤسسة البيداغوجية الوطنية (IPN) المعلم، مرات عديدة، من مخاطر التداخلات المنسوبة إلى الكتابة.

وفي ما يخص «نحو» اللغة الأجنبية، فقد تم التخلي عن تدريسه موضوعاً باللغة الفرنسية. إنه يصبح موضوع تعلّم عبر تقريبات (approximations) تتابعية بفضل مراس يستند إلى «البنيات»

(11) بمقتضى أولية الإدراكات الحسية (gnosies) السمعية والممارسات الذهنية (praxies) النطقية، فإن المناهج تكون سمعية أكثر منها... بصرية. ومن ثم، فإن سمو الـ «سمعي البصري» يمكن أن يفسح المكان لمناهج سمعية-شفهية (audio-orales) أكثر تواضعاً (انظر الكلمة الإنجليزية (aural) المركبة من (-au) المجتزأة من (audio) و(-ral) المجتزأة من (orales).

اللغوية[12]. إنه أيضاً البرنامج ذاته الذي لم تقو المنهجية المباشرة (أو لم تجرؤ) على إنجازه كلياً والذي قبلت أن تبتعد عنه قليلاً: إذا تم إبداء «الملاحظات النحوية باللغة الفرنسية»، فيجب أن تكون «متبوعة بتطبيق مباشر» (IPN، ص 40) و«ستكون قليلة جداً» (IPN، ص 41). بل أكثر من ذلك:

«لن تفسر قواعد النحو (التركيب أو الصرف) ويعبر عنها باختصار، في الأقسام الابتدائية خاصة، إلا بعد أن تنجز، في اللغة الأجنبية، تمارين متكررة فردية وجماعية تُطلع التلميذ على أشكال ما تزال جديدة ويجب عليه أن يدرك قيمتها ومعناها ويحتفظ بهما تجريبياً قبل الشروع في أي تفكير تحليلي. يجب أن تستنبط القاعدة، قبل أن تقدم في اللغة الفرنسية، من مجموع الأمثلة التي تطبق عليها.

ينبغي أن نتجنب، في دراسة النحو، كل غموض لن تكون الفائدة منه إلا نظرية» (IPN، ص 41).

لقد أدى اعتماد كل هذه الحواجز إلى إقصاء الترجمة بشكل جذري أثناء تعلّم لغة أجنبية معينة، أي على مستوى «بنياتها الأساسية».

4.1. مقاصد تعليم اللغات والثنائية اللغوية

1.4.1. بعيداً عن «المنهجية المباشرة»، يعمل استخدام وسائل الإعلام السمعية البصرية ومنهجية «البنيوية الشاملة» بالخصوص وتطبيق «الإغماس اللغوي»(*)... إلخ، على تبني الفرضية

---

(12) في موضوع وضع اللغة الواصفة أو الميتالغة التي يجب تدريسها، انظر على وجه الخصوص ج. ر. لادميرال (1975d) ص 5 وما يليها.

(*) آثرنا «الإغماس اللغوي» (immersion linguistique) كمقابل لـ la pratique du «bain linguistique»، وذلك بموافقة المؤلف.

البيداغوجية ذاتها تبنّياً نسقياً «علمياً»، وهي إجمالاً فرضية قديمة، (هذا طبعاً من دون أن تستنفذ هذه الوسائل والمناهج كل خصوصيتها). إن الفكرة القائلة بضرورة تعلم لغة أجنبية بموازاة اللغة الأم، مع الحرص على الإبعاد الكلي لعملية الترجمة، تظل فرضية بيداغوجية بالرغم من أن الاقتراحات المقدمة تستند في الغالب الأعم إلى مجال واحد، بل إلى مجالين علميين اثنين كما هو الحال هنا (اللسانيات وعلم النفس). لا يسمح المقام للحسم في ما يخص صحة هذه الافتراضات التي تتصل بلسانيات نفسية تبدو تجريبيةً أكثر منها «علمية»[13].

إن المشكل الحقيقي يكمن في مقاصد هذه الممارسة البيداغوجية[14]. إلا أن الأمر يبدو وكأن تعليمنا للغات تنحصر وظيفته في إنتاج «ثنائيي اللغة» (بالمعنى الشائع، غير اللساني والشامل، لـ «متساوي اللغات»[15] (équilingues)). إن المثال الأعلى للنظام

(13) ينطلق علماء التربية في الغالب الأعم من اقتراحات أولية من قبيل: «يطلعنا العلم (علم النفس) على أن...»، «(ذلك منذ زمن غير محدد) ونعرف الآن أن...»، «بينت الاكتشافات الأخيرة لعلماء النفس (وللسانيين) أن...» إلخ. إنها في الغالب الأعم تعابير آسرة، وظيفتها دفاعية ولا تستند إلى مراجع معينة. وبشكل عام هنا يطرح مشكل الوساطة البشرية لبحث علمي يحول حَدّاهُ، الأقصى النظري والأدنى التجريبي، دون أن تكون منفعته مباشرة.

(14) لكل منهجية إيجابياتها وسلبياتها الخاصة: المنهجية المباشرة التي أصبحت منهجية تقليدية لا تحمي التلاميذ جيداً من التداخلات، بينما هؤلاء الذين تكونوا عن طريق المناهج السمعية البصرية يخطئون في النحو والإملاء (agraphies)... إنها، إذاً، قضية اختيار قبل كل شيء.

(15) إنه بالضبط «المثال الأعلى الضمني» الذي انتقدناه والذي تنصح به البرامج الرسمية، ويمكن لتحليل مضمون هذه البرامج (كذلك الذي شرعنا فيه الآن) أن يجلي هذا المثال الأعلى. إن الوضع مختلف في بلجيكا، مثلاً، حيث تمثل الثنائية اللغوية ضرورة سياسية وإمكاناً تطبيقيّاً: ومن ثم نفهم أن ذلك هو الهدف الذي يقترحه: M. De Grève et F. van Passel (1973), et J. R. Ladmiral (1975d), p. 10.

التعليمي الفرنسي راقٍ (على الأقل كان كذلك...): فنحن نتوخى أن يتوفر للغة الأجنبية نموذج قدرة موازٍ لنموذج اللغة الفرنسية، مدعم بالانفتاح على الثقافة الأجنبية، مع أن اللغة الفرنسية (اللغة الأم) واللغة الأجنبية تخضعان، في واقع الأمر، لنموذجين بيداغوجيين مختلفين اختلافاً جذرياً.

يُماثل، ضمنياً، بين الـ «تلاميذ» وبين «الأطفال» (باللاتينية (infans))، وبينهم وبين الرضع الذين يكتسبون الملكة اللغوية (اللسان) في الآن ذاته الذي يتعلمون فيه لغة ستكون «لغتهم» الخاصة. وإجمالاً، فهذه الخطاطة التحتية تبقى حاضرة حتى عندما تكون بعض المناهج السمعية البصرية، مثل منهجية سان كلو/ زغرب، واعية منشغلة بالمشاكل النوعية التي تطرحها هذه الثنائية اللسانية («الثنائية اللغوية» بالمعنى الواسع لـ «اتصال لغوي» شخصي) والتي تطرحها الأسبقية الحاسمة للغة الأم، وتتبرم هذه المناهج من المماثلة التبسيطية جداً بين اللغة الفرنسية واللغة الأجنبية، من **جهة**، وبين التلاميذ والرضع من **جهة ثانية**.

إن نموذج القدرة المقترح هو نموذج الثنائية اللغوية المنسق (bilinguisme coordonné). إنه مثال أعلى بيداغوجي لم يتم صوغه بشكل صريح، لكنه قابل للتمحيص انطلاقاً من البرامج الرسمية ذاتها. فتعليم اللغات:

«يعمل على خلق ارتباط مباشر وغريزيّ. بين الشيء والكلمة التي تدل عليه» (IPN، ص 51).

«يجب أن ينصب الجهد المتواصل للمعلم على إقامة ارتباط مباشر (من دون وسيط) بين الدليل الأجنبي، كلمة كان أو شكلاً، والشيء المدلول، شيئاً كان أو حدثاً. وهكذا، لن تُقدم الكلمة، أو

لن تُلقن منعزلة، بل يجب أن تكون مقرونة بأحد مقابلاتها الفرنسية. يجب ألاّ تنطبع في ذاكرة الطفل إلا وهي مرتبطة بالشيء الذي تدل عليه أو بصورة هذا الشيء، أو منصهرة في مجموعة فعلية تبرز معناها وإيحاءها الدقيق» (IPN، ص 39).

إن وظيفة تدريس الحضارة تظل أيضاً، من هذا المنظور، وظيفة تغريب (dépaysement). ينبغي على اللغة الأجنبية أن تحيل على «وضعية سيميوثقافية مختلفة».

إنه معنى «المنهجية الملموسة» المطبقة، وسيكون من أثر الترجمة (أو ربما من هدفها أيضاً...) الحيلولة دون اشتغال منفصل للنسقين اللغويين لهذه «الثنائية اللغوية المحكمة». قد نجازف برؤية هذه الثنائية اللغوية «المنسقة» تتراجع إلى ثنائية لغوية «مركبة» أو بعبارة أخرى «تآلفية» (compound): فانتقال دوال لغة إلى دوال لغة أخرى يقوم على قاعدة مضللة سندها المداليل الفرنسية، والتي سترتبط بها دوال اللغة الأجنبية بوصفها متوالية إضافية لدوال «الإبدال» (signifiants «de rechange») حسب مطابقة ثنائية. وبهذه المضاعفة للدال تستحيل الترجمة، في الحقيقة، مجرد منامطة (transcodage)، ومن ثم يضحي هذا التحليل كما يضحي غير شرعي، لأنه يتجاهل خصوصية الاشتغال الدلالي للغات، غير ملائم لآليات الترجمة. وما بيداغوجيا اللغات في حقيقة أمرها سوى المقاومة المنظمة ضد باعث التداخلات هذا.

2.4.1. ثمة سؤالان يستحقان أن يطرحا في ما يتعلق بالمثال الأعلى البيداغوجي للثنائية اللغوية المنسقة: هل يمكن الاستجابة لهذا المثال الأعلى؟ وهل يجب السعي وراءه؟ ليس مؤكداً أن الجواب يكون إيجابياً وليس مؤكداً أن هذا الجواب يكون هو ذاته الجواب عن السؤالين **الأول** و**الثاني**.

يجب أن نؤكّد أن «اشتغال الثنائية اللغوية (المركب/ المنسق) لم يحصل على تأكيد حاسم، بالرغم من خضوع نموذجه لمحاولات متنوعة من الفحص التجريبي» (أ. تابوري ـ كيلر، 1972، ص 307)، يتعلق الأمر بارتياب نظري يقود نحو تنسيب المقتضيات البيداغوجية ويبعث على الحذر.

وعلاوةً على ذلك، يبقى من البدهيّ، على مستوى المراس، عدم إمكان تحقيق برنامج «ثنائية لغوية» حقيقية في كليته. يمكن أن نعترض مثلاً على هذه الثنائية اللغوية بالقول إنها قد يدحضها الحضور المفروض لميتالغة نحوية ستبقى على أي حال حاضرة في ذهن التلاميذ. وهكذا، فليس بوسع التلميذ أن يتمثل «المقولات الفعلية للزمنية» إلا لأنها توجد أيضاً في اللغة الفرنسية. سنكون إذًا بصدد ترجمة «مسبقة» (ضمنية)، طالما أن هذه العملية البيْلغوية مؤسسة ميتالغوياً[16].

لنلاحظ في البداية أن المثال مميز وأن هذا الأمر لا يصدق إلا على مقولات «الزمن». أما ما يتعلق بالجهات (aspects) أو الصيغ (modes)، فثمة «إدراك شامل» للمتوالية اللغوية وللمقام الذي يرتبط بها ارتباطاً قوياً «مباشراً». وهو المقام الذي تدمج فيه فيمنحها كامل معناها. إنها «بنية» بالمعنى النفسي اللغوي والغشطالتيّ لمتوالية دالة سمعية شفهية مرتبطة بشكل «توليفي» بدال شامل مرئي مألوف. وعلاوةً على ذلك، فإن الأولوية الممنوحة لأزمنة الفعل التي ستكون

(16) هكذا فقد اشتغلت اللاتينية زمناً طويلاً ضمن التقليد الغربي بوصفها ميتالغة كلية على أساس علاقة قرابة لا يمكن إنكارها بين اللغات الهندو ـ أوروبية والتي لم تخف الأصالة الخاصة بكل واحدة منها.

فيما بعد موجهة عبر جهة مفترضة (يعتبر (l'imparfait) في اللغة الفرنسية، مثلاً، زمناً من أزمنة الماضي بالأساس، واستمرارياً، بل تكرارياً من حيث الجهة، بشكل عرضي... إلخ) هي أولوية سُلّمية تصورية تتعلق بتقليد تعليم النحو قدر تعلقها ببنية الفعل في الفرنسية. وتعد «الـميتالغة النحوية» الخاصة بالمقولات الزمنية ميتالغة ثقافية ـ غربية ـ أكثر منها ميتالغة لسانية. لا يمكن أن يعد هذا الثابت البيلغوي من «كليات» اللغة طالما أنه هو الذي مثل بالخصوص المحور الخطي للزمنية والذي انتقده كثير من الفلاسفة الغربيين مثل كَنْت أو برغسون... والذين سعت أعمالهم الإثنية اللسانية، التي أنجزت وفق روح الفرضية المسماة فرضية سابير- وورف، أن تبيّن نسبيته. ويبدو أن هذه العرضيّة (transversalité) البيلغويّة لاتمثل في النهاية خطراً كبيراً يتصل بالتداخلات بالنسبة إلى الناطقين باللغة الفرنسية (الفرنكوفونيين). إن ما يبرز في الجملة التالية (I used to go there)، هو بالأساس طابعها التكراري[17]، ولعل ربط أشكال الجهة «تكراري» بالزمن (l'imparfait) في الفرنسية يستند إلى بيداغوجيا غير موفقة.

صحيح أن الجهات، في اللغة الإغريقية القديمة، تُؤَوَّل، في جداول الصرف، انطلاقاً من «الزمن»، في حين أنها، في ما يخص جزءاً منها على الأقل، كالماضي المبهم (aoriste)، تعتبر متحررة من كل تضمين «زمني». لكن، الأمر لا يتعلق باللغات الحية، طالما أن تمسك التلاميذ بالميتالغة النحوية لايعود إلى ميل طبيعي تلقائي لديهم

(17) يكتسي الشكل التكراري مع ذلك معنى وجهياً مزدوجاً لسببين: فهو ليس زمناً من «الماضي» إلا بمعنى تعبيره عن التمام أو التمام السلبي، أي «المتجاوز» (le «dépassé») بمعنى ما.

بل لأنهم يتعلمونها تعلماً، ولا يتعلق أيضاً بلغة ميتة، طالما أن العملية تتم من دون وضعيات تحقيق ولا باعتماد متكلمين فطريين. وذلك أن بيداغوجيا اللغات القديمة بقيت مرتبطة أساساً بالنموذج «نحو ـ ترجمة».

إن الأمل في الحصول عند التلاميذ على ما يرفع التكييف الثقافي (dé-conditionnement) ويعيق الترجمات «التلقائية»، يعتبر أمراً واقعياً ممكن التحقيق في هذه الحالة كما في حالات أخرى كثيرة. إن صور المناهج السمعية البصرية تقتضي بالضبط حداً أدنى دقيقاً من «اللون المحلي» الذي من شأنه أن يؤدي إلى رفع هذا التكييف بالتمكين من إدراك شيء من مركب الائتلاف والاختلاف بين الحضارات التي تتطابق، على التوالي، مع اللغة الأجنبية ومع اللغة الأم. وخلاصة القول: إننا بالتركيز على المستوى الأولي، أي البسيط والأساسي، للبنيات الأساسية للغةٍ أجنبية تتميز بتكرار مرتفع، وباللجوء إلى تمارين مكثفة من قبيل (pattern drill) أو إلى «تطبيق سمعي ـ شفهي» لهذه البنيات (حوارات)، يمكن أن نأمل، بلا ريب، في أن نطور لدى التلاميذ أنظمة سلوكية شاملة لكنها تتميز بخاصية بسيطة نسبياً، سواء تعلق الأمر بممارسات ذهنية (praxies) نطقية أو بإدراكات حسية (gnosies) سمعية، ستكون مفعّلة دون أن تشبه أبداً عملية الترجمة[18].

ولا يمكن لهذا الأمر أن يمثل مع ذلك إلا ما يمكن تسميته

---

(18) انظر IPN، ص 36 و47 و50 وفي أماكن متعددة، حيث يتم التأكيد على «اكتساب آليات صوتية وبنيوية» و«عادات الحركة الضرورية»... لن نتطرق إلى الإشكال الصعب المتعلق بالانتقال المحتمل من الذاكرة المباشرة (والتي هي ثابتة فيزيولوجية) إلى الذاكرة العميقة (التي تخص المعلومات الدلالية).

جزر الثنائية اللغوية المنسقة. ستكون هذه الجزر قابلة لبلوغ كثافة شديدة على مستوى البنيات الأساسية، لكن «مثالاً أعلى بيداغوجياً» كهذا لا يمكن أن يتحقق إلا على هذا المستوى الأولي وسنبقى بذلك بعيدين جداً عن نموذج قدرة المتكلمين الفطريين(19).

3.4.1. يبدو أيضاً أن الأمل غير معقود على متابعة هذا «المثال الأعلى الثنائي اللغة». فيجب، **أولاً**، أن يكون كل هدف بيداغوجي قابلاً للتحقيق، سهله، وإلا عرّض نفسه لأن يصبح عاملاً إضافياً للإقصاء المدرسي واضطلع موضوعياً بوظيفة الانتقاء الاجتماعي. فالهدف من تعليم اللغات، في الحقيقة، ليس إنتاج أفراد ثنائيي اللغة، مثلما لا يكون هدف التمارين الرياضية «إعداد» نخبة من أبطال المستقبل! كما لو أن الثقافة تصلح لتكوين أساتذة سيكون عليهم بدورهم أن يُكَوّنوا أساتذة ـ بحسب عبارة لـ سيمون فاي (Simone Weil) ـ وفق ظاهرة التماثل التي تقضي بأن الأساتذة تلامذة قدامى نجباء و«غير قابلين للتقويم». . .

إن غاية كل مدرّس هي أن يرفع جيداً من قيمة المادة التي يدرّسها، ولا يُستثنى من هذه «الجاذبية البيداغوجية» أساتذة اللغات. لكن، بالرغم مما تفرضه اللازمة الرسمية، فإن كل فرنسي لا يمكن أن يتحول إلى مُصدرٍ للغة الفرنسية في اتصاله المستمر بغير الناطقين بها، ويجب على تعليم اللغات أن يتبوّأ المكان المخصص له ويضطلع بالدور المنوط به. إن هدف التعليم الثانوي يكمن في منح التلاميذ «تكويناً أساسياً» يكون إسهام بيداغوجيا اللغات فيه محدوداً. إن تواضع النتائج إضافة إلى الاعتبار النفسي اللغوي المحتمل

---

(19) بخصوص هذه الإشكالات وبخصوص «قلب الاستراتيجية» الذي نقترحه في بيداغوجيا اللغات، انظر ج. ر. لادميرال (1975d).

والمتمثل في أن المدرسة الثانوية تصادف المرحلة العمرية غير الملائمة لاكتساب لغة ثانية كل الملاءمة، عليهما أن يعملا على الحث على اختيار أهداف مضبوطة بدل هذا التوجه الشمولي الذي «يدعم الثنائية اللغوية» (bilinguiste).

إذا لم تغب فكرة الثقافة العامة حقاً عن البرامج الرسمية: «فإن تمرين التلاميذ على استعمال اللغة وتكوينهم العام يرتبط أحدهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً» (IPN، ص 44)، ويظل «الهدف الثقافي» (IPN، ص 47) المتوخى ذا طبيعة «حضارية» بالضرورة (ص 61). إن ما نرغب في تلقينه التلاميذ هو «حياة الشعب الأجنبي وفكره» (IPN، ص 36 وص 47 وفي أماكن متعددة). يجب على أستاذ اللغة أن يتجنب تقديم كل عرض نسقي عن تاريخ الحضارة، ومن ثم يتعيّن عليه أن يتمسك...

«بتوعية التلاميذ بأخلاق الإنسان الأجنبي وبتصرفاته وميوله العاطفية وبهمومه الاقتصادية والاجتماعية. وعليه أن يحرص على جعل التلاميذ يبدون رأياً يتسم ببعد نظر وأن يعمل على كشف ما يتقاسمه الأجنبي معنا، وما يختلف فيه عنا. لذلك وجب أن توقظ هذه الدراسة، التي تمت في إطار تطبعه الموضوعية والكرم والسخاء، فضولاً ذكياً، منفتحاً ونقدياً في الآن ذاته، وتثير لدى التلاميذ الرغبة في التبادل، والعناية بأنماط حياتية وفكرية مختلفة، وتحرضهم، على أي حال، على المواجهات الفكرية السلمية والمقارنات الخصبة التي تسمح لهم بإدراك ثقافتهم الخاصة بوعي ثاقب، وبتعميقها وتهيئة السبل لتجديدها» (IPN، ص 45).

إن التغريب الحضاري الذي يهدف إليه هذا الضرب من التعليم هو إثني نفسي أكثر مما هو إثني لغوي، وتندرج هذه الثقافة

الحضارية في منظور إنساني «للتقريب بين الشعوب»[20]، تطبعه أيديولوجية نابعة من روح «الديمقراطية الاجتماعية» التي هي في حقيقة أمرها «الحركة من أجل الثنائية اللغوية». وهكذا:

«لا يمكن لأحد أن ينسى (مع ذلك):

وأن كل تعليم يقدمه رجل ثقافة هو تعليم ثقافة، وإن على المستوى الأولي، وأن وأبسط جملة في اللغة الأجنبية، تمكّن واحداً من تلامذتنا من الدخول «في اتصال مباشر» وحي برفيق أجنبي، يمكن أن تكون في حد ذاتها أداة ثقافية، لأنها تدشن الحوار الضروري التمهيدي لكل أشكال التقريب الإنساني» (IPN، ص 43).

قد يطول الحديث عن هذه الأيديولوجية «الثنائية اللغوية» وضدها. فالحركة من أجل الثنائية اللغوية، التي هي أساساً باللغة الفرنسية، تنحو نحو ثنائية لغوية فرنسية - إنجليزية مقابل تراجع عن كل انفتاح على سائر الجبهات اللسانية الأخرى. يجب أن نكتفي هنا بالإشارة إلى خطر ما قد نتواضع على تسميته بـ «رفع التثقيف الفرنجليزي» (dé-culturation franglaise) الذي يمكن أن يبدو ملازماً لعجز حقيقي في إخفاء كل واحدة من اللغتين بل قد يقود إلى خلق تداخلات في اللغة الأم (**ل 1**). يطرح المشكل أساساً بالنسبة إلى اللغة الإنجليزية، لأن «الثنائية اللغوية البيداغوجية» تأتي هنا لتعزيز اتجاه عام يتصل بالحضارة. وبخلاف ذلك، فإنّ هذه الثنائية اللغوية

---

(20) يجدر التفكير في ما أسميناه، في المجال الفرنسي الألماني (Verbrüderungsquatsch)، انظر ج. ر. لادميرال (1978)، ص 29... إلخ. نلامس هنا، بشكل عام، الإشكالية التي سنخصص لها قريباً سلسلة من الدراسات، في إطار البحث الذي نقوم به بمساعدة الـ (O.F.A.J) (المركز الفرنسي الألماني للشباب) حول دينامية المجموعات الثنائيّة اللغة.

«الأطلسية» ليست تبادلية، كما أن هذا الانعدام في التوازن لا يفتأ يتفاقم منذ عدة سنوات. ثم إن توسيع هذا المثال الأعلى للثنائية اللغوية ليشمل تعليم اللغات الأخرى غير الإنجليزية هو إجراء يشبه «ناراً مضادة» ويتسم وراثياً بالتناقض، إلا إذا تمسكنا بالأمل الاستيهامي والمريب في أن نرى التعليم بثلاث لغات، بل بأربع لغات... يُعمّم يوماً ما... أو قبلنا، على العكس من ذلك، بأن الإنجليزية يجب ألاّ تكون اللغة الثانية **(ل 2)** لتلامذتنا، أي «**لغتهم الأجنبية الأولى**»[21]!

قد تمثل الترجمة أيضاً النار المضادة المزاوِجة بالضبط والتي يجب أن نواجه بها هذا «الحريق اللساني» للغرب الذي جاء متزامناً مع «الثنائية اللغوية الأنجلو ـ X»[22] التي قد تسلط علينا قدراً، إلا أنها ليست في حقيقة أمرها قدراً! إنها نار مضادة في الآن ذاته بالنسبة إلى المترجم، «الثنائي اللغة» المحترف، الذي يخوض مقاومة منظمة ضد التداخلات، وكذا بالنسبة إلى النصوص المترجمة وإلى قرائها لتلافي خطر التبعية اللغوية والثقافية هاته (ص 97 وما يليها).

---

(21) إنه المشكل الذي كان زميلنا برنار كاسن من السبّاقين إلى طرحه، بطريقة قوية تتسم ببعد نظر وشجاعة، مقترحاً أن تكون الإنجليزية دائماً «اللغة» الأجنبية «الثانية» التي تدرس، وهذا، بالرغم من أنه هو نفسه مؤنجلز (angliciste): انظر ب. كاسن (Cassen) (1974). وللأسف! يبدو أننا لم نتبع الطريق التي أشار بها علينا، وقد ازدادت الوضعية تأزماً منذ الظهور الأول لهذه الدراسة في 1972. وكما تشهد على ذلك المشاريع التي عرضها مؤخراً سكرتير الدولة ج. بيلتييه (نيسان/ أبريل 1979، ستراسبورغ!)، يبدو أن ثمة رغبة في التوجه نحو جيل جديد من (Gallo-Ricains)، بتعبير ج. سيلار (Cellard) (1975)، ص 1 و8، وهـ. غوبار (Gobard) (1976)، ص 105 وما يليها، وفي أماكن متعددة. بخصوص هذه الإشكالات انظر أيضاً ج. ر. لادميرال (1973).

(22) ... بمعنى: «حيث X تمثل أي لغة من لغات العالم، تراجعت بالتدريج لتتحول إلى لهجة للتواصل اليومي بينما الإنجليزية (الأميركية؟) تصبح لغة الثقافة»، ج. ر. لادميرال (1975c)، ص 142.

لا تمثل الثنائية اللغوية، في نهاية المطاف، الهدف الذي يتوخاه أساتذة اللغات بالطبع: فهم ليسوا ضحية هذا الوهم، لكن، بالنسبة إليهم، وبعيداً عن وعيهم بما هي عليه فاعلية جهودهم البيداغوجية من محدوديّة، ثمة مثال أعلى ليس سهلاً مناله. فهم يبذلون قُصاراهم للاقتراب منه .(وهم في حالهم هذا أشبه ما يكونون بعلماء اللاهوت الذين هم في منـزلة بين منـزلتي الـ «أطروحة» والـ «فرضية»). وعلاوةً على ذلك، يظل هذا الاختيار «الثنائي اللغة» ذو الصبغة النزوعية، مرتبطاً بتعليم اللغات ضمن منطق داخلي للمؤسسة البيداغوجية كما نعرفها وكما قمنا الآن بتحليل نتائجها. ولن يتحقق هذا الأمر من دون تناقضات. وتعود الترجمة، بعد أن أبعدت من الحلقة الأولى للتعليم الثانوي، بشكل مكثف إلى المؤسسة البيداغوجية، حيث تتخذ مظهر إجراء تقييمي بيداغوجي ذي أهمية رئيسية. . .

2. الترجمة والنقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم

2.1. الـ «ترجمة»

تعد مفردة «الترجمة» ذاتها ملتبسة. ويعد نمطا النقل اللذان مارسناهما في الثانوية عمليّتَين تتضمنهما الترجمة، إلا أن الترجمة لا تنحصر في ما ينعت بـ «النقل إلى اللغة الأجنبية» (le thème) و«النقل إلى اللغة الأم» (la version): إنها ليست المفردة الشاملة التي تطابق هذين الضربين الخاصين من النقل ذينك اللذين يغطيان معاً حقلها الدلالي برمته (إلى جانب «امتداده»). فالنقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم يحددان نوعاً خاصاً جداً من الترجمة: أي «الترجمة باعتبارها تمريناً بيداغوجياً». وهذه الحالة الخاصة هي حالة لافتة للنظر ويجب أن نبرز نوعيتها.

قد يكون من الواجب أن نضع تقابلاً بين هذه العملية

البيداغوجية وبين ما يمكن تسميته «الترجمة الحقيقية»، أو الترجمة «المقصودة لذاتها» (traduction «traductionnelle»). فغاية الترجمة بالمعنى الحصري، بخلاف نمطَي النقل، هي الترجمة ذاتها ويمثل النص المترجَم جوهر عمليّة الترجمة. إننا هنا بصدد حالة من «القصد الداخلي»، كما درج الفلاسفة على القول منذ عهد قريب: لا تخضع الترجمة إذاً إلى القصد الخارجي لاستراتيجية بيداغوجية إجمالية لن تشكل ضمنها إلا وسيلة من وسائلها. يتعيّن أن ننجز ما نسميه «ترجمة» بكل ما في الكلمة من معنى، أي أن ننجز نصاً- هدفاً معدّاً للنشر وللقراءة (بل وللعرض إذا تعلق الأمر بالمسرح... إلخ.) تنحصر وظيفته الأساسية في إعفائنا من قراءة النص ـ المصدر الأصل. يجب أن تلبي هذه الترجمة عدداً من المتطلبات التي ليست هي المقاييس البيداغوجية. تهدف الـ «ترجمة الحقيقية» إلى إنتاج انجاز خاص بها (performance-cible)، فما «الترجمة البيداغوجية» سوى رائز إنجاز يفترض فيه أن يشتغل بوصفه رائز قدرة (قدرة- هدف وقدرة- مصدر) ويندمج في كلٍّ، بيداغوجي، أوسع.

ثمة فرق بين هذين الضربين من النقل يهم «طبيعة» كل منهما. فالترجمة البيداغوجية (أو النقل إلى اللغة الأجنبية/ النقل إلى اللغة الأم) تتضمن عدداً من السمات المقيّدة الخاصة بها (تعتيمات، حذف...) والمكوّنة لـ «بنية خاصة»، والتي سنسعى جاهدين إلى تحليلها هنا[23].

إذا كانت المؤسسة البيداغوجية قد اتخذت من نمطي النقل، اللذين يتحيّزان فيها، هدفاً لها، فهذا لا يمنع البتة إمكان وضع

(23) انظر أيضاً على وجه الخصوص ك. ر. بوش (K.- R. Bausch) (1977) وبشكل عام، مجموع مواد العدد الخاص من المجلة (*Die Neueren Sprachen*)، الذي أشرف عليه ف. ر. ويلر والمخصص لقضايا «الترجمة البيداغوجية»، حيث يوجد هذا المقال (ص 266).

«بيداغوجيا للترجمة» حيث تكون العلاقة معكوسة: ممارسة الترجمة وإنتاج «ترجمة» تتخذ من مؤسسة تربوية معيّنة، تكون تابعة لها، هدفاً لها وليس العكس[24].

من المألوف أيضاً التمييز بين «الترجمة الفورية»[25] (l'interprétariat) والترجمة بالمعنى الواسع (lato sensu)، والتي تتضمن، في الآن ذاته، الترجمة باعتبارها تمريناً بيداغوجياً (يتضمن بدوره النقل بنمطَيه) و«الترجمة الحقيقية»، أي «الترجمة بالمعنى الحصري» (أو stricto sensu)... يمكن أن نحدد الترجمة الفورية بوصفها «ترجمة» شفهية، متعاقبة أو متزامنة: ومن ثم المعنى المتسع جداً لـ «ترجمة» تتضمن في الوقت ذاته عمل المترجم الفوري والترجمة بالمعنى الواسع (lato» sensu»)، والتي متونها النصوص المكتوبة. تشتغل «الترجمة»، على هذا المستوى العام جداً، بوصفها معجميّة جامعة (archi-lexème) تبطل التقابل «ترجمة: ترجمة فورية». يستند هذا التعميم الأخير إلى أن هاتين العمليتين، في حال ثبوت

---

(24) إنها حال مؤسسات مثل .L'E.S.I.T (المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين) في باريس ومدرسة الترجمة والترجمة الفورية بجنيف والمعاهد المتخصصة التي تشتمل عليها عدة جامعات ألمانية غربية، مثل ساربروك وهايدلبورغ، إلخ. (بخصوص .L'E.S.I.T، انظر: Moskowitz, 1972).

(25) انظر د. سيليسكوفيتش (1968). نفضل حالياً الحديث عن (interprétation). إنه التعبير الإنجليزي الأكثر «حداثة»، إنه أيضاً تغيير ذو طابع إعلاني تقريباً أو «مروّج» للعلامة (كما نلاحظ ذلك بشكل دوري حالياً في كل الأوساط المهنية): فالمفردة (interprétariat) تنسجم مع (secrétariat) (سكرتارية)... ويبدو أنه يغوينا اللعب على اللبس، مذكرين هكذا بالبعد الهرمنوطيقي الملازم لكل فعل ينقل رسالة (نصاً) من لغة إلى أخرى (انظر ص 327 وما يليها، ثم ص 106 من هذا الكتاب بالإضافة إلى ج. شتاينر (Steiner) 1987 ، ص 37 وما يليها... إلخ). وفي الحقيقة، يوافق هذا الأمر أيضاً سلمية حقيقية: تعني (l'interprétation) حالياً النشاط المهني، من مستوى عال جداً، يضطلع به المترجم الفوري بالمؤتمرات، بينما تحيل (l'interprétariat) على مهام ثانوية (وعلى العموم تمهيدية) تخص «الاتصال».

تباين كبير بينهما، تحيلان على عمق في الإجراءات المتماثلة الثاوية أحياناً خلف بعض تمارين الترجمة البيداغوجية (ص 45 وما يليها). إلا أن هذا القاسم المشترك يظل قاسماً أدنى.

وعلى العموم، فباعتماد هذه التفاصيل الاصطلاحية وغيرها، والتي هي بمثابة متغيرات دلالية لدالٍ ثابت، يجدر تفجير الوحدة الظاهرة لهذا المصطلح والتي هي في حقيقتها وحدة مخادعة. فالمفردة «ترجمة»، بوصفها مشتركاً لفظياً، لا تعني عملية بسيطة وفريدة ستكون أنماطها وتحققاتها المتنوعة متجانسة بالضرورة، يتعلق الأمر، في الواقع، بمجال كامل، متنوع ومتعدّد الاهتمامات. إن الأسطورة البابليانية القديمة هي استيهام يتحلل في الواقع، ضمن مجموعة من الإجراءات غير المتجانسة. فإن كل ممارسة من الممارسات الترجمية يمكن تحديدها بثوابت مختلفة. وليس من المدهش، بموازاة ذلك، أن تذوب نظرية في الترجمة لتتحول إلى رابسوديا من «الإشكالات»: فليس هناك «الترجمة» فحسب، إنما هناك أوجه أو صيغ لممارسة الترجمة، بل ثمة ترجمات (متعددة).

2.2. النقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم

تتخذ تمارين الترجمة ضمن المؤسسة البيداغوجية، بالأساس، شكلين اثنين معروفَين جداً، هما «النقل إلى اللغة الأجنبية» و«النقل إلى اللغة الأم». بمعنى أننا في العملية **الأولى** من النقل نترجم النص الفرنسي إلى لغة ـ هدف أجنبية، وفي العملية **الثانية**، تكون اللغة ـ المصدر هي اللغة الأجنبية المُدرَّسة، أي إن الترجمة تتم إلى اللغة الفرنسية. وتظهر هاتان الترجمتان بمظهر عمليات متناظرة جداً، لكنهما تتمان في اتجاهين متعاكسين. بالنسبة إلى الفرنسيةِ بوصفها اللغة الأم (المركز)، يتسم الضرب **الأول** من النقل بكونه نابذاً طارداً (centrifuge) والضرب **الثاني** بكونه نابذاً جاذباً (centripète) نحو المركز.

ليس غرضنا هنا القيام بدراسة معجمية لهذا الزوج الصرفي الدلالي (thème-version) الذي يتباين بشكل غريب على مستوى الدوال (بينما تتوافر في الألمانية، على سبيل المثال، مفردتان تربط بينهما علاقة تقابل تجانسي ظاهر (Hinübersetzung) و-(Herüber-setzung). وقد يجد التأثيل (l'étymologie) مكاناً له هنا، كما قد تسعفنا التطورية (التعاقبية) المعجمية على كشف التسلسل التاريخي لهذه الممارسة المزدوجة للترجمة البيداغوجية. هنا أيضاً، كان تدريس الإغريقية واللاتينية ذا أهمية كبيرة، شأنه شأن التقليد الإغريقي اللاتيني نفسه: وهكذا كان يتم في الإسكندرية، في المرحلة الهيلينية، شرح أشعار هوميروس، شرحاً بَيْلغوياً ودَخْلغوياً في الآن ذاته في وضعيةِ ازدواجية اللغة (diglossie) التي أقامها من قبل التطور التعاقبي للغة الإغريقية، مما جعل من الممارسة ترجمة- تعليق أحد أقدم التقاليد البيداغوجية الغربية.

وأخذاً في الاعتبار اختلاف القدرات اللغوية عند التلميذ واختلاف مستويات القدرة التي يتطلبها على التوالي فك الشفرة والإشفار (encodage)، ننتظر في حال النقل إلى اللغة الأم قدرات مرضية تفوق المنتظر في ما يتعلق بالنقل إلى اللغة الأجنبية. نعتبر عامة أن «النقل إلى اللغة الأجنبية أصعب من النقل إلى اللغة الأم»، ويقال «المتفوق في انجاز النقل إلى اللغة الأجنبية» يُعدّ الشغّال الكدود.

ولا تصح هذه القولة إلا جزئياً لأن الأمر يتعلق بمستوى الانتظارات (البيداغوجية التقييميّة (docimologique)) المتصل بكل واحد من هذه التمارين أو الاختبارات، وبشكل عام جداً، فنماذج الإنجاز المنتظرة تخص، على التوالي، هذه التمارين والاختبارات. ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً المكانة التي يحتلها التمرين في الاستراتيجية العامة للتعليم المعني بالأمر: سيكون النقل إلى اللغة الأجنبية أسهل من النقل إلى اللغة الأم الذي يتخذ صفة «المباراة».

ثمة اختلاف طبيعةٍ، بين نمطَي النقل، يهم صيغ اشتغالهما، وهو اختلاف يفوق درجة الصعوبة بينهما.

إذا كان النقل بنوعيه يساعد، في ما يخص اللغات القديمة، على تثبيت البنيات اللغوية، فإن البرامج الرسمية تسند إلى هذين التمرينين الكتابيين وظائف مختلفة جداً تتعلق باللغات الحية. وسنلاحظ، كذلك، أن الحصول على درجة التبريز في الآداب العصرية يستوجب امتحانين في «النقل إلى اللغة الأم»، بينما الحصول على درجة التبريز في مادة «النحو» يستوجب امتحانين في «النقل إلى اللغة الأجنبية».

إن المتفوق في انجاز النقل إلى اللغة الأجنبية نادراً ما يكون هو المتفوق في النقل إلى اللغة الأم، وقد يحصل له كثيراً أن يكون «جيداً في الرياضيات». فهو ليس جيداً في «الفرنسية»، ونعني بذلك: أن ميوله ليست أدبية. يحافظ النقل إلى اللغة الأم على صيغته الأدبية: فالمرشح مطالب بإنجاز شرح باللغة الفرنسية لنص أدبي أجنبي. ويظل الأهم، في ما يخص النقل إلى اللغة الأجنبية، هو تمحيص القواعد النحوية وتطبيقها، حيث يضطلع النقل إلى اللغة الأجنبية بوظيفة تقييمية واضحة. يكون المتفوّق في النقل إلى اللغة الأجنبية في اتصال مباشر بخطاب مدرّس الترجمة.

والآن، وبعيداً عن هذا التكييف البيداغوجي، يطابق نمطا النقل، من وجهة نظر لسانية صرف، نماذج من القدرة الخاصة (انظر ص 56 وما يليها).

إذا صح أن الترجمة تمارس في الاتجاهين، فإن النقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم ليسا متناظرين إلا ظاهرياً. وهما يطابقان عمليتين مختلفتين اختلافاً جوهرياً. ويمكن أن نرى في تباين الدالين الخاصين بمدلولين متشابهين («متبادلين») إشارة على هذا «اللاتناظر بين النقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم».

3.2. تمارين أساسها الترجمة

ثمة عمليات ترجمة ضمنية، كما أشار إلى ذلك بنفنيست وجاكوبسون أو مونان، تثوي، في الغالب الأعم، خلف بعض طرق اشتغال اللساني. ويتفق أيضاً أن عدداً كبيراً من التمارين البيداغوجية يكون أصلها «تعديلات» أو تغييرات تُجرى على الترجمة.

وبناء عليه، يمكن أن نحدد سلسلة من الإجراءات تنطلق من النقل إلى اللغة الأجنبية الذي يهم التطبيق على تمارين بنيوية صرف (Arrivé, 1971). لنستشهد هنا بـ «تمارين الاستخلاص» التي حددها جان دافيد والتي تتصل بالمعجم (David, 1968)، وبإعادة الترجمة عبر الذاكرة، والتي تعتبر بدورها بديلاً «لرائز الفهم»... إلخ.

يطرح هذا الأخير، فضلاً عن ذلك، عدة مشاكل شائكة. ولا يناسبه عنوان «الرائز» جداً بما أنه يستخدم ويراقب بلا تمييز مهارات ومعارف ذات طبيعة مختلفة جداً. قد نرى في الأمر اختباراً في ضربَي النقل حيث لا تستخدم العمليتان المتعاقبتان (أو «المتزامنتان» أحياناً) للتلقي والتحرير القدرةَ اللسانية المزدوجة فقط بل تستندان إلى الـ «ثقافة» والتكوين الأساسي للمرشح أيضاً وتثيران على وجه الخصوص المسألة الشائكة المتعلقة باشتغال الذاكرة. ويستلزم هذا التمرين المركب التدرب على «تقنيات» التعبير وأخذ النقط[26].

---

(26) لنشر، في هذا الصدد، إلى أننا نُلقن للتلاميذ مترجمين ـ ومترجمين فوريين تقنيات أخذ النقط (J.-F Rozan, 1970) ونعتقد أن تعليم تقنيات التعبير يمكن أن يقدم بوصفه ممارسة بيْلغوية للترجمة، معدلة تبعاً لبدائل مختلفة، مشابهة لتلك التي نقوم بجرد وجيز لها، نتجنب بذلك افتراض أن كل أفراد جماعة سكانية متعلمة لهم معرفة موحدة باللغة الأجنبية-المصدر وفق قدرة متجانسة (انظر ص 126 من هذا الكتاب). تطرح الترجمة، بشكل عام، قضية إعادة الصياغة في المؤسسة البيداغوجية.

وكما هو الشأن بالنسبة إلى (l'essay) أو (l'Aufsatz)...، فإن «التحرير» أو «التعبير التلقائي» باللغة الأجنبية («لغة-هدف») يشبه نقل التطبيق (thème d'application) من دون نص انطلاق، يحل هنا محل نص الانطلاق تناص قراءات مفترضة.

تعد «إعادة الترجمة» (*re-traduction/* traduction «en retour») (في اللغة الألمانية (Rückübersetzung)) بمختلف أشكالها تمريناً جيداً يمكّن التلاميذ (الطلبة) من أن يخبروا ذاتية الترجمة. فهي تنزع إلى توضيع أحسن سواء للغة الأجنبية أو للغة الأم. ويمكن لإعادة ـ الترجمة أن تكون مصدر نمط جديد من اللعب، لعب «الأوراق الصغيرة» الذي يقوم على ترجمة نص وإعادة ترجمته مرات عديدة من لدن مجموعة كاملة من التلاميذ، يجهل كل واحد منهم المراحل السابقة التي مر بها النص وتنحصر معرفته في الحالة الراهنة التي بلغها النص الذي عليه أن يترجمه. عند نهاية التمرين، نقارن بمعية مجموع التلاميذ النص الأصلي ـ الدخل (entrée) والنص النهائي ـ الخرج (sortie).

يمكن أن تؤدي العملية إلى تمرين آخر: «نقد الترجمة». إنه تمرين يمارس في الجامعات الألمانية (Übersetzungskritik)[27]. وقد

(27) انظر رايس (Reiß, 1971). من الممكن «تعقيد» هذا النموذج البيداغوجي، ومن ثم يمكن أن تسمح الممارسة بتعليم يتميز بـ «تكامل معرفي» شبيه بالحلقات الدراسية الصيفية التي أشرفنا عليها بجامعة هايدلبيرغ، وكان ذلك بمعية الأستاذ فريتز بايبكه (مدير القسم الفرنسي بمعهد اللسانيات التطبيقية و(Doletscher-Institut) القديم). فقد عمل الألماني المُسترِوم (المتخصص في اللغات الرومانية)، والفرنسي المتجَرمِن(اختصاصي في لغة الألمان أو ثقافتهم)، وهما معاً لسانيان متخصصان في قضايا الترجمة، على تشجيع «بيلغوية تطبيقية» في الاتجاهين تُدمِج بشكل ملموس في نظرية الترجمة آفاقاً من قبيل اللسانيات التقابلية و«لسانيات النص» (Textlinguistik)، والمختصرات السوسيولغوية. فقد أصبحت هذه المختصرات ضرورية بفضل التمييزات الدخلغوية الخاصة بكل لغة متى دخلت في اتصال بغيرها (دون =

لا يتعلق الأمر بمقارنة نقدية لترجمةٍ معينة بـالنص الأصل فقط بل بمقارنة عدة ترجمات للنص ذاته أيضاً (منشورة كانت أو غير منشورة).

ويمكن أن نجمع جمعاً وثيقاً بين شرح النص والترجمة التي تتخذ عند إنجازها مظهر تنفيذ أو أداء (exécution) لقصيدة أو لمشهد مسرحي... شأنها في ذلك شأن قراءتها بصوت مرتفع. ودون استنفاذ قائمة التمارين التي تستند إلى الترجمة أو إلى «تعديلات» الترجمة البيداغوجية، يمكننا، في الأخير، أن نطبق ما يصطلح عليه بـla) (contraduction وهي عملية تجمع بين التلخيص (la contraction) والترجمة (la traduction): نلخّص نص اللغة الأجنبية باللغة الفرنسية ثم نترجمه إلى اللغة الأم. ويجب أن يوصى بهذا الضرب من التمرين في اتجاه النقل إلى اللغة الأم أكثر مما يوصى به في اتجاه النقل إلى اللغة الأجنبية، وذلك للأسباب نفسها التي يسمح باستخلاصها وتحليلها «فحص نقدي للنقل إلى اللغة الأجنبية».

3. نقد النقل إلى اللغة الأجنبية

3.1. ضد النقل إلى اللغة الأجنبية

يعد النقل إلى اللغة الأجنبية في حد ذاته تمريناً مصطنعاً. فإذا كان من المبالغ فيه أن ننتظر من تدريس اللغة الأجنبية أن يفلح في أن يجعل من التلاميذ تلاميذ «ثنائيي اللغة» بحق عند نهاية دراستهم، فإنه من باب التناقض الافتراض بأن يصبح هؤلاء التلاميذ «ثنائيي اللغة» قبل أن يتموا دراستهم تلك، أي إنهم يبلغون، خلال السيرورة

= إهمال التطورية بشكل كامل) والخاصة بمختلف المستويات التي تستعملها عدة «طبقات» في الترجمة. ومن دون شك، يحظى التواصل اللساني الفرنسي-الألماني، في الحقيقة، بامتياز في هذا الصدد، ومن أجل مقارنة بين النسقين النحويين المعنيين بالأمر انظر الحاصل اللساني «التقابلي» لـ زمب (Zemb) (1978).

البيداغوجية، الوضع النهائي الذي تهدف هذه السيرورة إلى إيصالهم إليه (terminal behaviour). ومن هنا، يظل النقل إلى اللغة الأجنبية أملاً بعيد التحقق، بل مطلباً عبثياً. فقدرة التلميذ في اللغة التي ما نزال نسميها بحق «أجنبية» تظل غير كافية، مما يجعل الإنجاز المتحقّق متكلفاً ولا مجال لمقارنته بإنجاز المتكلمين الفطريين.

فمن جهة، يُسهِّل إشفار نص فرنسي في اللغة ـ الهدف الأجنبية التداخلات الآتية من البنية القوية للفرنسية ـ المصدر. يتعرض النقل إلى اللغة الأجنبية، أكثر من مقابله إلى اللغة الأم، للانتقادات التي توجهها بيداغوجيا اللغات إلى مختلف تمارين الترجمة التي يقدم النقل إلى اللغة الأجنبية، ضمنها، النموذج الأخطر.

ومن جهة أخرى، قد يؤدي تحرير نص مغلوط باللغة الأجنبية إلى أن تنطبع في ذاكرة التلميذ أخطاؤه الخاصة. وإنه لمبدأ قديم في الممارسة البيداغوجية أن نتفادى هذا الأمر مثلما نتفادى أن ندرج في الكتب المدرسية تعابير مغلوطة، حتى ولو كان الغرض الصريح من إيرادها جعل التلاميذ يصححونها أو سؤالهم أن يميزوا التعبير الصحيح من الخاطئ[28].

(28) قد يكون ثمّة إمكان، حقيقي، لتنسيب هذا المبدأ القديم الذي يتكرر باستمرار. إنه لا يحظى بأقدمية مطلقة. فإذا كانت، على سبيل المثال، منهجية اللغة الفرنسية بالنسبة إلى التعليم الابتدائي لـ برينو تنبثق عن بيداغوجيا التشرب ومن ثم فهي تقصي كل ما يمكن أن يبدو أخطاءً، فإن نحو أوجي (Augé) يتضمن جملاً يجب تصحيحها. قد يسعنا أن نطور مقاومة منظمة ضد الخطأ الذي يشتغل بوصفه منبّهاً إدراكياً وباعثاً للجواب التنفيسي المرفوض لسانياً. وينتج عن ذلك، في ما يبدو، سيرورات (processus) من هذا القبيل على مستوى الوعي اللساني الذي يحمله المستعملون عن لغتهم الأم (إنه مبدأ المراقبة (f(x)monitor) الذي جعل منه بعض اللسانيين الأنجلوساكسونيين موضوعاً لأبحاثهم). وبذلك تم تعويض سلبيات الاستذكار بأتمتة (automatisme) على مستوى «الوعي الباطن» اللساني. ويمكن روز الفرضيتين تجريبياً وإحصائياً.

وخلاصة القول، إن النقل إلى اللغة الأجنبية يُجسّد المخاطر القصوى لعائق عام يقوم على الرغبة في استذكار التعابير اللغوية في اللغة الأجنبية على وجه الخصوص: وبعبارة أخرى، يميل المتكلم إلى أن يحتفظ في ذاكرته بالإنجازات المغلوطة للهجته الخاصة والتي تكون شاذة عندما يتعلق الأمر بلغة أجنبية. كل شخص يستمع إلى ذاته، في الواقع، أكثر مما يستمع إلى غيره، ومن ثم، يتخذ الإدراك السمعي (extéroceptive) بعداً ذاتياً يتصل بالجسد (proprioceptive): فهو يصاحب بالممارسات الذهنية النطقية (والكتابية).

تبدو البرامج الرسمية واعية بالخطر:

«ثمة داع، في هذا الصدد إلى إثارة الانتباه للعائق الذي يشكله الاستعمال السابق لأوانه أو المتهور للتمارين التي تخص النقل إلى اللغة الأجنبية، وعلى الخصوص في الأقسام الابتدائية: فلا يمكن أن يكون النقل إلى اللغة الأجنبية في هذا المستوى أداة اكتساب، ولا يمكن أن يكون إلا أداة للمراقبة بين عدد آخر من الأدوات التي تضعها المنهجية الفاعلة نفسها رهن إشارة الأستاذ. وقد يكون لتطبيق النقل إلى اللغة الأجنبية بطريقة مركزة في الأقسام الابتدائيّة أثر سلبي على تماسك ردود الأفعال (réflexes)، فالجهد الفكري الذي يستلزمه هذا النقل يختلف عن الجهد الذي يعد ضرورياً بالنسبة إلى المبتدئين والذي يكمن في إيضاح الآليات الأساسية والضرورية للتعبير الشفوي التلقائي. لا يمكن أن يصبح النقل إلى اللغة الأجنبية تمريناً مثمراً في الأقسام الابتدائية إلا إذا تدرب تلاميذ هذه الأقسام جيداً على الكلام وامتلكوا قبلاً ردود أفعال أكيدة. لنذكر بهذه المناسبة أن الوارد في الأقسام الثانوية هو النقل النحوي (thème grammatical) أو نقل المحاكاة (thème d'imitation)» (IPN، ص 82).

يعد النقل إلى اللغة الأجنبية مقيّدَ الحرية: إنه «موجّه أساساً إلى

مراقبة المعارف النحوية» وتثبيتها (IPN، ص 23 و24)، إنه «نقل المحاكاة ذو طابع نحوي» (IPN، ص 44). فإذا بُوشِرَ به انطلاقاً من صف الثالث المتوسط (Quatrième) قبل النقل إلى اللغة الأم، فبجرعات مدروسة، «موقوتة وحذرة» (IPN، ص 21) ولأنه لا يعدو أن يكون تمرين نحوٍ قصيراً ليس إلا: فهو لم يُحمل البتة، بوصفه عملية «ترجمة»، على محمل الجد. إضافةً إلى أن مدارس الترجمة والترجمة الفورية لا تمارس إلا قليلاً هذا الضرب من النقل، وبخاصة بصفته تمريناً يهيّئ لممارسة الترجمة بمعنى النقل إلى اللغة الأم[29].

2.3. تلاشي النقل إلى اللغة الأجنبية

3.2.0. النقل إلى اللغة الأجنبية لا وجود له: لا تمثل هذه المفارقة الظاهرة تحريضاً بلاغياً محضاً. فلا وجود لنقل إلى اللغة الأجنبية في حد ذاته، وإذا ما حاولنا أن نرى في النقل إلى اللغة الأجنبية عملية من نوع خاص (sui generis)، مضادة ومتناظرة مع النقل إلى اللغة الأم، فذلك أنه تم حجب الاستراتيجية البيداغوجية التي يُدمج فيها هذا النمط من النقل بل تمّ حذفها، ولا يشكل النقل من هذه الاستراتيجية إلا لحظة تعمل على تأسيسه وهو يعمل على تشكيلها. إن عمليات الترجمة انطلاقاً من الفرنسية-المصدر (اللغة الأم)، والتي تم تصنيفها تحت المقولة البيداغوجية «للنقل إلى اللغة

(29) على الأقل كان ذلك صحيحاً حتى الآن، إلا أن بعض ضرورات المردودية قد تكون جاهزة لفرض مراجعة مؤثرة لهذه التجربة البيداغوجية الجيدة على ما يبدو (انظر ص 64). إضافةً إلى ذلك، للمترجمين عامة لغة ـ هدف هي لغتهم («اللغة الأم» أو اللغة أ) وعدد من اللغات ـ المصدر. وقد ذهب بعض هؤلاء المهنيين الموهوبين إلى درجة إضافة بعض الغنج والتأنق على لغاتهم المصدر، بنطقها بشكل سيء أو بارتكاب بعض الأخطاء (على مستوى لواحق الانتهاء في الألمانية مثلاً...).

الأجنبية»، هي عمليات غير متجانسة. فالنقل إلى اللغة الأجنبية مصطنع متباين شاذ أيضاً.

3.2.1. ثمة، في البداية، النقل النحوي (thème grammatical). إنه النقل الصرف، كما تشهد على ذلك البرامج الرسميّة مثلاً. إنه تمرين لتثبيت البنيات النحوية ليس إلا. إن هذا النقل طريقة لنصب فخاخ (pièges) للتلاميذ (انظر ص 73 وما بعدها)، كما لو أنه فرصة يترصد فيها المصحح التداخلات المهددة تحت جنح الظلام الذي تمثله، بالنسبة إلى التلميذ، اللغة ـ الهدف الأجنبية...

ويظل النقل، على هذا المستوى، الأولي والجوهري، نحوياً: فهو يستند أساساً إلى النحو ولا شيء غيره. وهنا تتغلب الوظيفة التقييمية على الوظيفة البيداغوجية، وعلى المستوى اللساني، يؤدي النقل إلى اللغة الأجنبية إلى إعادة بناء اللغة-الهدف المدرَّسة باعتماد تعتيمات تصل إلى تحديد معيار بيداغوجي ومعيار لساني من نوع خاص (sui generis) (انظر ص 78 وما يليها). لا يعد هذا النقل ترجمةً بل تمريناً في النحو: إنه المعادل الموضوعي لتمرين ملء الفراغات (exercice à trous) المنجز انطلاقاً من «فخاخ» تشكل جوهر النقل النحوي والحيلة اللغوية التي يتخذ منها موضوعاً ـ هدفاً.

2.2.3. ينبغي بلا ريب أن نميز النقل «النحوي» الصرف من نقل المحاكاة أو نقل التطبيق (thème d'application)[30]. وبينما يعتبر

(30) يعتبر التعبيران مترادفين، والأمر كذلك في البرامج الرسمية ذاتها. ونفضل، على «نقل التطبيق»، «نقل المحاكاة» الذي يحيل بشكل مباشر على إشكالية الحوار الضروري عند كل تعلّم للغة ثانية، وهو تعلم يتلازم مع ما نسميه أثر الارتداد (l'effet de rebond) الذي هو أصل عملية «إعادة الاستعمال». وهكذا يمكن لاثنين من «مختلفي الأصوات»، لا يتقن كل منهما لغة الآخر، أن يتبنيا المبدأ المزدوج التالي: **أ)** على المستوى الكتابي، يمكن أن يستعمل كل طرف لغته الخاصة عند تبادل الرسائل مثلاً، لكن **ب)** على المستوى الشفهي، من =

الأول شبكة تمكن من مراقبة الحضور المشترك الاستبدالي لعناصر قدرة-هدف ذات طبيعة نحوية تُدَرَّس للتلميذ، يهدف نقل المحاكاة إلى إعادة الاستعمال (réemploi) المباشر للعناصر اللغوية الموجودة في مركبات نص أصلي مُقترح على التلاميذ يمثل تحقيقاً للقدرة-الهدف.

ويمكن أن ينصب نقل المحاكاة على «المعجَم» (**1,2,2,3**). فستكون وظيفته إعادة تنشيط المعارف المعجمية للتلاميذ بفضل التمرين المسبوق بتذكير بالوحدات والمركبات (العَجْمات (lexies)). إنه الانتقال المشهور من معالجة «المعجم غير الفعال» إلى «المعجم الفعال» (انظر ص 55 وما يليها). يمكن أن ينصب نقل المحاكاة على الصرف ـ التركيب، الذي يساعد النص الأصلي على تمثل الصعوبات بجعلها في المتناول لتيسير عملية إعادة استعمالها. إنه إذًا النقل المحاكاة «النحوي» (**2,2,2,3**).

ويضطلع النقل إلى اللغة الأجنبية، في هذه الحال، ـ وحتى لو لم نعتبره بشكل قاطع في عداد «وسائل الاكتساب» ـ بوظيفة بيداغوجية حقيقية للتعليم، وهي وظيفة لن يتم التضحية بها على المذبح التقييمي الذي يعتمد التصحيح كما هو الحال في النقل النحوي الصرف. ويباشر «النقل النحوي» استنباطياً تطبيق النظرية

= الأحسن اختيار إحدى اللغتين (حتى لو اقتضى الأمر تغييرها عدة مرات خلال الحديث) إذا لم نرد أن نشغّل التعتيمات البيلغوية لـ «ترجمة داخلية» حذرتنا منها المناهج الحديثة (انظر ص 79 من هذا الكتاب. ـ انظر أيضاً دراستنا عن الترجمة ودينامية المجموعات الثنائيّة اللغة، قيد الطبع). للإشارة فقد نشرت هذه الدراسة سنة 1995 ونحيل القارئ على المرجع الذي ترد فيه: Jean-René Ladmiral et E. M. Lipiansky, «La traductologie au XIX[e] siècle: De la linguistique à la psychologie,» dans: *La communication interculturelle* (Paris: Armand Colin, 1995), ch. 1.

النحوية (القواعد) على «ممارسة اللغة» (الجمل). ويردف نقل المحاكاة هذا «التطبيق» بمنهجية استقرائية تستخرج البنيات النحوية و/ أو الوحدات المعجمية للنص الأصلي.

ويسمح تمرين التثبيت هذا بألا نفترض بأن التلاميذ هم أصلاً «ثنائيو اللغة»، كما يتلافى وجوب تصحيح انجازاتهم وفق «النحو» المدرَّس حصراً. إن التمرين مبرّر بيداغوجياً ولسانياً لدرجة تجعلنا نميل إلى تحديد النقل التقليدي أو النقل الأدبي بطريقة يعتبرها حارمةً (privative) إيّاه، على اعتبار أنه نقل محاكاة من دون نص أصلي. ففيه يستبدل النص الأصل، كما هو الأمر في (l'essay) و(l'Aufsatz)، بقراءات يفترض أن يقوم بها التلميذ في القسم أو في البيت (ص 46).

يبدو من الواضح، رغم ذلك، أن نقل المحاكاة ليس إلا لحظة من بنية بيداغوجية إجمالية تضبط حدوده وتميزه من الترجمة الحقيقية. وتمثل هذه اللامسؤوليّة البيداغوجية الفدية التي يدفعها مقابل إثبات منفعته. فإذا صح أن نقل المحاكاة ليس جنساً أدبياً وأن الإحالة على النص الأصل تسمح عموماً بتجنب المشكل الذي يطرحه اختيار النص المروم ترجمته لأن هذا النص قد صيغَ من أجل مقتضيات القضية[31]، فلا ينبغي أن نرى في هذا الأمر سوى ملاءمة

(31) تتم إعادة كتابة هذا النص باللغة الفرنسية ـ المصدر انطلاقاً من نص موجود سلفاً باللغة الأجنبية (نص «أصل») وتقوم على قواعد مضبوطة تحدد الفرق القائم على إعادة الصياغة بين النص الأصل أو النص ـ المصدر والنص ـ الهدف (الهدف البيداغوجي) بناءً على التحويلات المنتظرة وفق تحليل ميتالغوي سابق للغة ـ الهدف، موزع بحسب مقتضيات شبكة بيداغوجية معيّنة. وتوافق إعادة الترجمة (السابقة والتهييئية) هاته، والتي يمكن أن نطلق عليها نقلاً وفياً إلى اللغة الأم (version en creux)، مقتضيات نوعية تجعلها مقابلة للنقل إلى اللغة الأم وللترجمة بالمعنى الحصري. إنه مظهر آخر للإشكالية العامة: «الترجمة وإعادة الصياغة في =

بيداغوجية لا ترفع المشاكل المرتبطة بالتقطيع الذي مورس على الخطاب (النص الطويل) الذي يشكل المقتطف (extrait).

يمثل نقل المحاكاة[32] «انقطاعاً» (court-circuit) بيداغوجياً لعملية الترجمة. وأول رد فعل يقوم به المترجم، قبل مباشرة الترجمة، هو التزوّد بالوثائق (Moskowitz, 1972) وقد يقدم المترجم على عدد من القراءات في موضوع النص الذي يروم ترجمته، تكون أكثر نفعاً من القاموس الثنائيّ اللغة الذي يشوبه القصور عموماً، وتحدد هذه القراءات تناصاً غنياً جداً ومتنوعاً لا يمثل إلا تشابهاً ضعيفاً جداً مع المقتطف الذي يمثل النص الأصلي لنقل المحاكاة: وقد كانت هذه الحلقة الطويلة موضوع تقليص بيداغوجي، استفحل عبر قلب للمنظور الخاص بالنقل إلى اللغة الأجنبية ـ اللغة **الثانية** (بل **الثالثة**)، والتي تكون قدرة التلميذ فيها أدنى، والتي أصبحت لغةً ـ هدفاً عبر تناقض يقوم على تقييم بيداغوجي مصطنع.

3.2.3. ينزع النقل إلى اللغة الأجنبية عند بلوغه مستوى أعلى إلى أن يصبح ترجمة حقيقية. فيغير حينئذٍ من طبيعته ويستحق بالأحرى أن يُطلق عليه النقل (إلى اللغة الأم) بالمقلوب (version à l'envers). ذلك ما يسمو إلى تحقيقه النقل إلى اللغة الأجنبية، إلا أنه في الآن ذاته تجاوز له (aufheben!).

في هذا المستوى الأعلى، يفترض في المترجم امتلاك اللغة ـ الهدف بقدر امتلاكه اللغة ـ المصدر، إنه «ثنائي اللغة». ويُجَسِّد هذا

= المؤسسة البيداغوجية» (بخصوص المشاكل التي يطرحها تقطيع النص ـ المقتطف المروم ترجمته، انظر ص 128 وما يليها وص 131 وما يليها من هذا الكتاب).

(32) ... أو ربما «نقل محاكاة» يمكن أن يشكل تمريناً ممتازاً في اللغة الفرنسية، أو «تقنية تعبير» قد تكون أصبحت ضرورية (انظر ص 104 وص 120 وما يليها من هذا الكتاب).

المثالَ الأعلى البيداغوجي، على المستوى المؤسساتي، المبرّزُ في اللغة الحية. فبالنسبة إليه، لم يعد النقل إلى اللغة الأجنبية تمريناً يملأ الفراغات ويركم «الفخاخ»، بل تمريناً في الأسلوب يضاهي «التمرين في الفرنسية» ذاك الذي يحدد النقل إلى اللغة الأم.

أصبح هذا النقل إلى اللغة الأجنبية أو النقل الأدبي (thème littéraire) قضية تعبير - بما أن القدرة - الهدف لا تمثل دائماً «ضمانةً» (sûreté) توازي ضمانة القدرة - المصدر - وسيكون من باب تقديم وصفة بيداغوجية قيِّمة الإشادة بفضائل المسودّة الأولى التي تعبئ كل ما يمكن جمعه من وسائل تعبيرية، بهدف إنجاح غرضها.

وبالطبع، نتمكن في الأخير مع مرور الزمن من أن نطور، في اللغة **الثانية**، «جزراً من القدرة»، تضاهي من حيث الضمانة والدقة القدرة في اللغة الأم. إلا أنه يجوز، في الحقيقة، أن نتساءل عما إذا كان هذا الهدف الأسمى، إجمالاً، وعلى هذا المستوى، لا يعدو كونه وهماً واستسلاماً للإغراءات التي مارسها متعدّدو اللغات على الدوام لشغفهم بسحر الذكريات الأسطورية لبرج بابل. . .

يبدو جيداً أن الأمر يتعلق بادّعاء مفرط وأن برنامج هذه الثنائية اللغوية الشاملة لا يمكن تحقيقه (ص 34 وما يليها). فلا يمكن لقدرة المبرّز في اللغة الحية، في الواقع، أن تكون مساوية البتة لقدرة المتكلم الفطري (ص 78 وما يليها)، بل يمكن أن نشك في إمكان أن يفلح أحد في اكتساب تلك القدرة مهما كانت مواهبه وسيرته أو وضعيته الخاصة. وخارج المؤسسة البيداغوجية ذاتها، تظل هذه الثنائية اللغوية «المتناظرة» (أو هذا «التوازي اللغوي» إذا شئنا القول) حالة قصوى وستكون الغلبة حتماً لإحدى البنيتين اللغويتين تبعاً لمراحل الحياة أو للأنساق الفرعية السيميوثقافية الخاصة. . . إلخ.

3.3. فائدة النقل إلى اللغة الأجنبية

يعكس غيابُ التناظر بين نمطي النقل غيابَ التناظر الذي تتصف به كل ثنائية لغوية والذي يمنع بشكل قاطع أن يكون النقل إلى اللغة الأجنبية ممكناً. إن هذه الممارسة (النقل) هي في حقيقة أمرها إما تمرين في النحو، وإما إعادة صياغة بيداغوجية لنص أصلي أو إعادة تشفير (recodage) لنص معيّن مترجم سلفاً، وإما «نقلٌ (إلى اللغة الأم) بالمقلوب»، وهو ما يصبو إليه النقل الأدبي إلا أنه يظل مجرد محاكاة له (وكأن الأمر يتعلق بفكرة أفلاطونية...) بما أن النقل بالمقلوب يحبط سعيه. وبهذا المعنى فإنه «لا يوجد النقل إلى لغة أجنبية».

لكن إذا لم يتم الوفاء بالوعود القصوى للنقل إلى اللغة الأجنبية، فثمّة إجراءات الإشفار في اللغة ـ الهدف على أساس رسائل تمَّ تحريرها في اللغة الفرنسية ـ المصدر تكون مفيدة وضرورية في الآن ذاته. وخارج المؤسسة البيداغوجية، تعيد «وجهة نظر الحاجة» (besoin) الاعتبار جزئياً لـ «النقل إلى اللغة الأجنبية»، مستوجبةً مثلاً أن «تتم منامطة» هذه الرسالة التجارية أو هذه النشرة التقنية... إلخ. (ص 12). أما ـ في الممارسة البيداغوجية، فمن الصعب الاستغناء عن هذا الضرب من النقل حتى ولو أن وجهة نظر النجاح تدينه.

فمن جهة، تدعو الحقائق التطبيقية التي لا تمت إلى البيداغوجية بصلة، البيداغوجيَّ إلى أن يكترث بوجهة نظر الحاجة هذه. ومن جهة أخرى، لا يمكننا في الآن ذاته أن ندين النقل إلى اللغة الأجنبية على مستوى النظرية اللسانية، ونشتغل به على مستوى التطبيق البيداغوجي مع طلبتنا! وفضلاً عن ذلك، يمكن تصور هذا النقل بوصفه تمريناً لتمثّل موقف (simulation)، أو بوصفه «لعب مترجم

فوري» بالأوضاع الفعلية لاستعمال لغة أجنبية. وتطور هذه الوضعية، التي تخص تمثل موقف، الخفةَ لدى المتعلم، مثلما تدعم لديه، على مستوى معيشه، مهارة ذهنية إيجابية للتملك حيال اللغة «الأجنبية». غير أن ثمة عامل دعم أساسياً لتعلم المتعلِّم اللغة (**ل 2**) وامتلاكها يعتمد التقييم الذاتي (Selbstbewuâtsein) الإيجابي لإنجازاته اللغوية ـ الهدف.

وإجمالاً، يجب أن يُستعمل النقل إلى اللغة الأجنبية بالضرورة، لكن في إطار حدود معينة، مع تحديد المقاصد في كل مرة بوضوح، وفق مختلف الوظائف التي يمكن أن يؤديها والتي تم تحليلها الآن. ويجب أن نشير بخاصة إلى الأهمية البيداغوجية لجدلية النقل إلى اللغة الأجنبية والنقل إلى اللغة الأم والتي تمكن في الآن ذاته من مَوضَعَة وتوضيع (objectiver) اللغتين ومغايرتهما، ومن دون هذا العمل لن يحصل أي تطور لغوي ممكن. وهكذا سنتمسك بأن نجعل النقل إلى اللغة الأم يفي بالوعود التي لا يمكن أن يفي بها النقل إلى اللغة الأجنبية.

4. النقل إلى اللغة الأم والترجمة

1.4. القدرة المزدوجة

يُعدّ النقل إلى اللغة الأم، تماماً مثل النقل إلى اللغة الأجنبية، حالة خاصة من الترجمة: إنها عملية بيداغوجية. لكن إذا كان الإطار المؤسساتي للتعليم، الذي يعتبر مؤسساً لعملية النقل إلى اللغة الأجنبية، وهو في الوقت نفسه يثقل كاهلها بعقبات جسام، جاعلاً منها حادثاً مصطنعاً ناتجاً مباشرةً من المؤسسة البيداغوجية والذي للمفارقة يجب فصله عن الباقي، فبدايةً يمكننا معالجة النقل إلى اللغة

الأم بالترافق مع الترجمة [33]. وفي هذه الحالة لا تغيّر المؤسسة البيداغوجية طبيعة الترجمة تغييراً جذرياً.

ويمثل النقل إلى اللغة الأم تمريناً يمارس أثناء حصة اللغة: إنه يختبر قدرة التلاميذ في اللغة ـ المصدر الأجنبية وتَمرُّنهم عليها. وتمثل «الترجمة الدنيا» الدرجة الصفر للنقل إلى اللغة الأم. فهي، من جهة، تروز فهم نص الدرس الذي شُرح في الصف. ويمكنها، من جهة أخرى، أن تَفسَح المجال لنقل كامل إلى اللغة الأم حين ينجز هذا التمرين كتابةً وفي المنزل[34].

يجد النقل إلى اللغة الأم الإنجازات في اللغة الأجنبية مجسدة ومتحققة في نص معين. وهي الإنجازات التي يجب على النقل إلى اللغة الأجنبية أن يُنتجها. ولا يمكن، من هذا المنظور، تصور اللغة ـ المصدر التي هي لغة أجنبية ولغة موضوع بحث إلا بوصفها أداة تواصل، أي بوصفها مجرد شفرة. وتبدو النصوص المروم ترجمتها رسائل مُشفّرة يجب فك شفرتها فقط. وفي نهاية هذه العملية، يكون التلميذ مطالباً بأن يتمثل المضمون الإخباري الخالص للرسالة، أي يكون مطالباً بأن يتمثل معناها، هذا المعنى الذي يجب تحريره باللغة الفرنسية، اللغة الأم الشبيهة بلغة ـ صفر مجردةٍ من الإعتام اللغوي (opacité linguistique) ومُدركة باعتبارها وسطاً موضوعياً (يجاوز اللغة) يشفّ عن المعلومة الخالصة، لغة ـ صفر شبيهة بـ «اللغة ـ المحور» («langue-pivot») التي تستخدمها آلات الترجمة. إن تقديم

(33) كما يلاحظ ذلك بحق لورتولاري (Lortholary, 1975, p. 6)، «لا يختلف النقل إلى اللغة الأم والترجمة إلا من خلال نقائصهما»، وإجمالاً، فإن «عملية نقل جيدة إلى اللغة الأم ما هي في حقيقة أمرها إلا جزءاً من ترجمة جيدة» (ص 7).

(34) (IPN، ص40). انظر ص 82 وما يليها، وعن التداخل التقييمي البيداغوجي بخاصة، انظر ص 134 من هذا الكتاب.

الأمور على هذا المنوال، يعني في الحقيقة التوقف، مؤقتاً، عند تشبيه تبسيطي يمكن القول إنه، انسجاماً مع تسلسل العرض، يميل، في مرحلة **أولى**، إلى أن يماثل بين الترجمة و«المنامطة» (ص 15 وما يليها).

ويبدو، من هذا المنظور، أن «الأخطاء» التي ترتكب عند النقل إلى اللغة الأم تكون أساساً أغلاطاً تهم فك الشفرة. إنها «معانٍ متناقضة» (م.م)، أو «معانٍ خاطئة» (م.خ) أو هي «لا معانٍ» (ل.م). وتمثل هذه الأخطاء جميعها درجات مختلفة من المعاني المتناقضة. وإذا كان التلميذ لا يعرف جيداً الإنجليزية أو الألمانية...، فهو يعجز عن فهم النص، ومن ثم يجب عليه تحسين مستواه في اللغة الحية (ص 61 وما يليها). إن الانشغال بالفهم الجيد للنص ـ المصدر ثابتٌ وواضح في البرامج الرسمية المتعلقة باللغات الحية.

إن من شأن اللغة الأجنبية، باعتبارها لغة ـ مصدراً لا لغة ـ هدفاً أن يجعل نموذج القدرة المعني بالأمر خاصاً مختلفاً تماماً عن النموذج الذي يتطلبه النقل إلى اللغة الأجنبية. ويجدر بنا أن نميّز نحو الإنتاج المناسب للإشفار، الذي يمثله النقل إلى اللغة الأجنبية، من نحو التلقي الذي يُمكن من فك تشفير نصٍّ من النقل إلى اللغة الأم. والحق أن المؤسسة البيداغوجية لا تُموضع هذا الاختلاف وتعالج الاثنين معاً: ويفترض أن يكون نحو الإنتاج أكثر «قوةً» (ص 149) ويضم نحو التلقي، إنه هو الذي يُدَرَّس إذاً وفق مبدأ «من يقدر على فعل الكثير بإمكانه فعل القليل». ومن ثم درجنا على القول إن النقل إلى اللغة الأم لا يتطلب إلا المعارف «غير الفاعلة» في حين يتطلب النقل إلى اللغة الأجنبية معارف «فاعلة» (خاصة في مجالَي المعجم والنحو). قد نكتفي بالإشكالية النفسية اللغوية للاستذكار وتذكّر الوحدات المعجمية القابلة «للتحول» والتي تختزل بدورها في الفكرة

القائلة «بأن النقل إلى اللغة الأجنبية أصعب من النقل إلى اللغة الأم» (انظر ص 43 وما بعدها).

ولتقديم تأويل دلالي مقبول لما تتضمنه اللغة الأجنبية ـ المصدر من جمل صعبة ينبغي أن نغاير (انظر ص 190) الاشتغال الحقيقي الخاص بكل من المعجمين: فمجالات التنوعات السياقية ليست دائماً متماثلة من نسق إلى آخر، ويمكن للمكوّن الدلالي أن يتصرف في كل مرة بطريقة مختلفة على مستوى القيود التركيبية، وتقتضي المصطلحات المستعملة باستمرار من قبيل «مستويات الأسلوب» والتضمين... إلخ. أسلوبيةَ انزياح بينما تستعصي الإحالة على أي معيار بيْلغوي[35]. وعلى المستوى التركيبي، فقد عرفت كلٌّ من النظرية اللسانية والنظريّة النفسية اللسانية لأنحاء التلقي تقدماً طفيفاً[36].

نحن نلاحظ مثلاً أن القدرة ـ المصدر، على المستوى الابتدائي، قدرة غير فاعلة ـ نقصد قدرة التلقي ـ ، مادام الأمر يتعلق هنا بالنقل إلى اللغة الأم. وهذا ليس فقط بالمعنى الذي تكون فيه العناصر المعجمية أو التركيبية أقل حركية، حين نكون بصدد لغة أجنبية **(ل 2)**، ولكن أيضاً حين يفتقد المتلقي مبادرة الإشفار. وهو ما يشكّل صعوبةً إضافيةً بالنسبة إلى هذا المتلقّي لأنه لا يكفيه أن

---

(35) قد تسهم نظرية التعيين (Frege, *Théorie de la dénotation*) (1971) في رفع عدد من أنواع اللبس العالقة بمصطلح «التضمين» (connotation) الذي يرتبط في نظرنا باعتبارات تعد تعليميّة أكثر منها علمية صرفاً (انظر ص 268 وفي أماكن متعددة). وهذا المصطلح يموضع عامةً بوصفه ترادفاً دلالياً مفترضاً لا يوجه (modalisée) إلا عبر تضمينات أسلوبية (انظر ص 189 وما يليها).

(36) نعثر على بعض الإشارات خاصة عند كارول تشومسكي، انظر: (Goldblum, 1972).

يجعل مردودية قدرته (الدنيا) مثمرة إلى الحد الأقصى، بل يجب عليه أن يفك شفرة الإنجازات التي تفترض قدرة أوسع والتي يظل امتدادها مجهولاً قبلياً. وعلى عكس ما يحصل بالنسبة إلى النقل إلى اللغة الأجنبية، لم تتم هنا برمجة الصعوبات سلفاً وفق شبكة تدرج بيداغوجي (وتقييمي).

يروق لـ فريتز بايبكه أن يكرر بأن الفرق الدقيق ليس ترفاً، عند النقل إلى اللغة الأم، بل هو وجه من أوجه الدقة. وهذا ما يشهد عليه، بخلاف ذلك، مثال المترجمين الأردياء، هؤلاء الـ «مُسَلِّمين»(*) (traditeurs) الذين ينتقدهم جواشيم دوبللاي بشدة باستعمال لغة فرنسية تمكّن من التعبير عن التلاعب بالألفاظ المعروف في اللغة الإيطالية (ص 91 وما يليها). ويبدو أن حالة «الرجل الأمين»، المتواترة في التقليد الجامعي حالة متناقضة لكنها تكميلية. هو هذا «الرجل الأمين» الذي يسمح لنفسه، انطلاقاً من قدرة ـ مصدر ناقصة ومن «ثقافة» مزعومة، أن يُصحح ترجمات لم ينجزها وهو غير قادر تماماً على إنجازها...

يبيّن مصطلح القدرة المزدوجة أن بالإمكان تمييز نحو الإنتاج من نحو التلقي في بيداغوجيا اللغات[37]. لكن الحديث أيضاً عن قدرة مزدوجة في ما يخص النقل إلى اللغة الأم ممكن طالما أنه لا ينبغي التركيز حصراً على فك شفرة الإنجازات ـ المصدر: فلن يبرر هذا الأمر عند الاقتضاء إلا على المستوى البسيط جداً أو، بخلاف

(*) مُسلِّم: ويقصد به أحد جماعة المُسَلِّمين الذين سلّموا الكُتب المقدسة للوثنيين طلباً للنجاة من الموت.

(37) إنه الموقف الذي اتخذناه منذ ذلك الحين، ونحن نعد درسنا المعنون الألمانية - المستوى صفر، الذي هو قبل كل شيء نحو تلقٍ لبيْلغة (interlangue) وظيفية للألمانية والمعدة للناطقين باللغة الفرنسية من مستوى سوسيوثقافي رفيع (Ladmiral, 1975b).

ذلك، قد يبرر حين يتعلق الأمر بالمترجم المحترف. لنذكر بأن النقل إلى اللغة الأم، في التعليم الثانوي، يمثل تمريناً في اللغة الفرنسية. تطلب البرامج الرسمية من الأستاذ أن «يركّز على دقة التعبير الفرنسي فقط» (IPN، ص 40، انظر ص 28 و29). إن القدرة ـ الهدف أيضاً هي التي تطرح مشكلاً، كما أن مماثلة اللغة الفرنسية بلغة ـ صفر هو تبسيط موغل في الإفراط، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى اختزال الترجمة إلى مجرد مناطة: يجب إذاً تعميق البحث أكثر في هذا الباب.

2.4. البعد الثقافي

إذا صح أن النقل إلى اللغة الأجنبية يقتضي أيضاً تأويلاً دلالياً دقيقاً للنص في اللغة الأم، فإن هذا يمثل مظهراً من الحد الأدنى المطلوب بالنسبة إلى بيداغوجيا اللغات الحية الأجنبية (input). صحيح أنه يطيب لنا في الغالب الأعم أن ننسب الأخطاء في النقل إلى اللغة الأجنبية إلى أغلاط تخص النص الفرنسي. وهو أمر مبالغ فيه، إلا إذا كانت الفرنسية ـ المصدر تتضمن بالطبع ما يجب تسميته إحياء المنبوذ والمهمل والمهجور والمبهم... إن الأمر يتعلق في الحقيقة بمشكل يخص التعبير (يخص الإشفار وليس فكه): فالأسباب اللغوية والميتالغوية التي تجعل من النقل إلى اللغة الأم «تمريناً في اللغة الفرنسية» هي الأسباب ذاتها التي تحول دون أن يكون النقل إلى اللغة الأجنبية «تمريناً في اللغة الفرنسية».

والنقل إلى اللغة الأم يتم تعلم اللغة الفرنسية فيه بطريقة موضوعاتية. وبخلاف النقل إلى اللغة الأجنبية، حيث يقدم الإشفار بوصفه إعادة بناء تحليلية على أساس الوحدات الدنيا للترجمة، فإن عملية النقل إلى اللغة الأم تُباشر بطريقة توليفية بواسطة الوحدات

الشاملة للترجمة، والتي تتخذ لها موقعاً على مستوى الجملة. ومن ثم، تتعدى اللغة الأم كونها مجرد أداة تواصل مهمتها نقل معلومات، إنها الوسط التوليفي الشامل الذي يشكل مصدر التكوين الأساسي للفرد والذي تمر عبره طرق تعلُّمها المختلفة[38].

إن محط الخلاف ليس إذاً قدرة لغوية صرفاً. فثمة تفعيل لكل البعد النفسي البيداغوجي الأساسي الذي يتجلى هنا في المؤسسة البيداغوجية عبر صياغات أيديولوجية. لذا سنرى في النقل إلى اللغة الأم تمرين «ذكاء» أو «حساسية» أدبية أكثر مما نرى ذلك في النقل إلى اللغة الأجنبية. وعلاوةً على أن التعبير «المتفوِّق في إنجاز النقل إلى اللغة الأجنبية» يمكن أن تكون له إيحاءات قدحية، فهو يعني محدودية في الأفق تعتمد الكدح والمثابرة. وسيكون الحكم على الشخصية سلبياً إذا لم يكن الفرد «أدبياً». والنقل إلى اللغة الأم يوظف القدرات التعبيرية للتلميذ وملكته في فهم النصوص. ومثلما تشتغل روائز تمثُّلِ المفردات المعجمية باعتبارها روائز ذكاء، يهدف النقل إلى اللغة الأم إلى روز مجمل مقومات الشخصية. بمعنى أن هذا الإجراء القائم على تقويم بيداغوجي يعيد إنتاج مجموعة كاملة من العناصر السوسيوثقافية المتفرقة.

ويتخذ البعد الثقافي مظاهر ثلاثة في النقل إلى اللغة الأم. ويشهد هذا الضرب من النقل باعتباره تمريناً في الفرنسية ـ الهدف على ما إذا كان المرشح مثقفاً وعلى ما إذا ما كان يتمتع في الآن ذاته بتكوين أساسي و«ثقافة شخصية». ويبيّن النقل إلى اللغة الأم، من جهة **ثانية**، أنواع الحجب والحذف التي تحدد المعيار اللساني

(38) سنتحدث بالضبط عن اللغة الناقلة (véhiculaire) بالمعنى الحصري للغة يتم تعلُّمها لضرورات التواصل فقط والتي لا تشكل موضوع تملك من قبل الفرد.

والثقافي لفرنسية ـ هدف ذات صبغة «أكاديمية» (انظر ص 67 و81 وما يليها).

وبالإضافة إلى هذين العنصرين السوسيوثقافيين الأوّلين اللذين يحضران على المستوى «الذاتي» للغة الأم، يجب تأكيد الأهمية «الموضوعية» أو الموضوعاتية لما يمكن تسميته المكون الحضاري، الذي يحضر (بوعي، وفي شكل قصور مفترض في المعلومات) على مستوى القدرة ـ المصدر أكثر مما يحضر على مستوى اللغة الأم. إذا كان بالإمكان أن نترجم العبارة الإنجليزية (civil war)، في سياق أميركي، بالمقابل الفرنسي (guerre de Sécession)، («حرب الانفصال») بدلاً من (guerre civile) (حرب أهلية) (J.-P. Vinay, 1968a, p. 693)، وإذا كان بالإمكان تلافي أن المفردة الألمانية (Geheimrat) تصبح في الفرنسية (conseiller secret) («مستشار سري»)، فذلك ليس بالاستناد إلى قدرة لغوية صرف، بل باعتماد بعض المعارف الخاصة بالحضارة ـ المصدر التي تشكل جزءاً مما يمكن تسميته قدرة لغوية موسعة.

ويسعى وجود تعليم خاص بالحضارة، في المؤسسة البيداغوجية، إلى الإجابة عن هذا الضرب من الحاجات بالإضافة إلى تدريس اللسانيات والأدب (انظر ص 38). لكن اللغة الموسعة (la périlangue)، في الحقيقة، لا تتضمن عناصر حضارية فقط، بل إنها تتسع لتشمل بعض القدرات الخاصة التي تحدد «لغات التخصص»، أي لهجات اجتماعية أو «لهجات تقنية»[39] مرتبطة بممارسات اجتماعية محددة. ولهذا الغرض قد نجد في بعض الجامعات، خارج

(39) انظر م. فاندروسكا (Wandruszka, 1972)، ص 103 وفي أماكن متعددة، كنا نفضل في ما يخصنا أن نتحدث عن لهجة خاصة بممارسة معينة (praxolectes)، إلى جانب اللهجات الاجتماعية وباقي اللهجات.

شعبة اللغات أساساً، تعليماً من قبيل «الإنجليزية النفسية» و«الألمانية الفلسفية»[40]. . . إلخ.

3.4. تنميط الأخطاء في النقل إلى اللغة الأم

يؤدي تحليل النقل إلى اللغة الأم باعتباره تمريناً في الفرنسية، في الأخير، إلى اعتبار الأخطاء في هذا النمط من النقل أغلاطاً في النص ـ المصدر تعزى إلى جهلٍ باللغة الأجنبية، وليس إلى جهل أشمل بالأمور. ومن هذا المنظور، فالخطأ الأساس هو في الواقع اللامعنى (ل. م): إنه الخطأ الذي يعاقب عليه عقوبة شديدة أيضاً. ففي ما يخص المعنى الخاطئ، نرى أنه ينطوي في الغالب الأعم على تناقض صغير. يتعلق الأمر، في الحقيقة، بشيء آخر، وإذا استمررنا في اعتبار أن المعنى المتناقض يعكس مجرد نقص في قدرة التلميذ في اللغة ـ المصدر الأجنبية، فإنه يجب ألاّ نرى في المعنى الخاطئ غلطاً أدنى بخصوص النص الأجنبي ـ طالما أن المعنى المتناقض بالغ الخطورة ـ بقدر ما يجب أن نرى فيه عدم قدرة على التعبير باللغة الفرنسية بدقة ووضوح كافيين.

ويمكن، بطريقة منهجية أكثر، تمييز نمطَين هامَّين من الأخطاء: فثمّة، من جهة، الثالوث اللامعنى/ المعنى المتناقض/ المعنى الخاطئ، وجميع هذه الأخطاء أغلاطٌ تُرتكب على مستوى التأويل المنصبّ على دلالة (signification) النص ذاتها (ص 57)، وثمة، من جهة أخرى، سحابة من الأخطاء البسيطة جداً، والتي هي أخطاء في اللغة الفرنسية، تقع في مستوى البنية النهائية للدال ـ الهدف.

يمكن أن ننعت **الأولى** بالثالوث الدلالي أو «الهرمنوطيقي»،

(40) انظر لادميرال (1975c)، ومجموع مواد عدد المجلة المذكورة.

موضحين بذلك أن الشخصية الثقافية بكل مكوّناتها معنيّة بالأمر، أي إنها لا تنحصر في القدرة، لغويّةً كانت أو حتى ثنائيةً لغويةً، بل تتعداها لتشمل ثلاث حالات أخرى. فالمعنى الخاطئ ينتج عن مشكل تعبير في الفرنسية باعتبارها اللغة ـ الهدف الأم (**ل. 1**)، وينتج المعنى المتناقض عن فهم النص ـ المصدر، أي عن مشكل قدرة في اللغة الأجنبية (**ل. 2**)، تتّصل بـمكوّنات حضارية أو مكوّنات لغوية موسعة من منظور بيْلغوي، ويشير اللامعنى إلى أن ذكاء التلميذ مع مكوّناته السوسيوثقافية هو الذي يطرح المشكل. إنه الخطأ الفادح، ويتم الحديث عن «التلميذ الذكي» في إطار إضفاء قيمة إجمالية بإيحاءات وتضمينات نخبوية.

يجب، في الحقيقة، تنسيب هذا التصنيف بعض الشيء. فمن الصعب رسم حد فاصل بين هذه الوحدات التقييمية الثلاث التي أصلها ممارسة تجريبية خالصة. فهي لا تمثل، في الغالب الأعم، إلا ردود فعل متنامية بحدة (المعنى الخاطئ ـ المعنى المتناقض ـ اللامعنى) على التحريفات أو التشويهات التي نسجلها على مستوى «النقل» الذي ينجزه التلميذ إلى اللغة الأم مقارنة بـالنص المقترح الذي يكون عامة «مقطعاً مختاراً» من «أمهات الأعمال» الأدبية.

إن النقل إلى اللغة الأم يعد تمريناً في اللغة الفرنسية، ويغدو الأمر أكثر وضوحاً حين يتعلق بالمجموعة **الثانية** من الأخطاء. إنها «أخطاءٌ في اللغة الفرنسية»، يعاقب عليها بوصفها انزياحاً بالنسبة إلى معيار اللغة الفرنسية المكتوبة، التي تكون غالباً «رفيعة» أو «أدبية» (ص 67). إن هذا المعيار ليس لسانياً فقط (ص 81، وما يليها)، بل ثقافياً أيضاً، وتتضمن القدرة ـ الهدف أيضاً مكوّنات لغوية موسّعة محددة اجتماعياً وثقافياً.

إن الانزياحات التي يعاقب عليها هي انزياحات (صرفية) ـ تركيبية أو أخطاء في النحو، أو انزياحات بالنسبة إلى المعيار الكتابي وأخطاء أو تعابير ثقيلة (maladresses) ذات طبيعة أسلوبية. وتكون الملاحظات المناسبة لهذه المجموعة الثانية من الأخطاء من قبيل («m.d») (mal dit) أو (maladroit) أو (gauche)، (faute de) (fr. français) ((خطأ) لغوي)، («o.» ou «or.») (faute dª orthographe) ((خطأ) إملائي)... بل حتى (charabia!) (رطانة!)، هذا من دون أن نحتسب أنواع التعجب المعدلة (...«???» ou «oh!») والتقديرات «الهزلية». إن هذه الأخطاء التي يسجلها أستاذ اللغة هي عينها الأخطاء التي يعاقب عليها أستاذ اللغة الفرنسية. وهي أخطاء يعاقب عليها بشكل أقل عند عملية التنقيط [وضع العلامات]. ومقارنةً مع اللامعنى والمعنى المتناقض أو حتى المعنى الخاطئ، لا تعد تلك الأخطاء من الكبائر بل هي أخطاء تغتفر.

وباستثناء تبني إجراءات صارمة و«شاذة» على مستوى التقييم، فليس من المألوف في النقل إلى اللغة الأم معاقبة الأخطاء النحوية والأخطاء الإملائية في اللغة الفرنسية ـ الهدف (**ل 1**) مثلما نسميه في النقل إلى اللغة الأجنبية على التوالي «اللحن» («solécismes») و«العُجمة» («barbarismes»)، وهو ما يمثل انزياحاً بالنسبة إلى المعيار ـ الهدف الأجنبي (**ل 2**) وتتم المعاقبة عليه بشدة. قد نلاحظ أيضاً بتعجب أن الأخطاء التي تخص العُجمة هي أكثر فداحة من الأخطاء التي تخص اللحن، بينما يعد الخطأ الإملائي أقل فداحة من الخطأ النحوي (ص 70 وما يليها).

ويعتبر الفهم «الهرمنوطيقي» للمدلول النصي، أي «ذكاء النص»، أكثر أهميةً مقارنةً بالانزياح بالنسبة إلى معيار دوال الجمل، أي دوالّ النحو والإملاء والأسلوب. ويعتبر النقل إلى اللغة الأم أيضاً

تمريناً في اللغة الفرنسية بالمعنى الواسع لـ «تمرين في الفهم والتعبير» في الوسط اللساني للغة الأم. لذلك نعتقد أنه يشكل تمريناً يستحق أن يرد ضمن ما اصطلح على تسميته بـــ «تقنيات التعبير» (ص 46). ويضاف إلى ذلك، أن اللغة الأجنبية تبقى موضوعاً للتعلم وهو ما يفسر كون أستاذ اللغة يحاسِب على «أخطاء اللغة الفرنسية» بشكل أقل صرامة من محاسبته على الأغلاط التي تخص «المعنى» (اللامعنى ـ المعنى المتناقض ـ المعنى الخاطئ).

5. نص للترجمة

1.5. النص ـ الأمر (consigne)

يُقدم النقل إلى اللغة الأم (أو النقل إلى اللغة الأجنبية) نفسه مادياً بوصفه مجموعة نصوص ـ مصدر ينبغي ترجمتها. وقد شكل الواصل (embrayeur) البيداغوجي موضوع حذف، لكن «الأمر» ليس في حاجة إلى أن يصاغ صراحةً: فهو بالأحرى في حد ذاته يسوّق أمراً «بشكل طبيعي». الأمر مزدوج: **(1) ترجموا هذا النص! (2) ترجموه كما يجب! وينقسم هذا الأمر الثاني** بدوره إلى أمرين يرتبطان به ارتباط تبعية: **(2أ)** أي أن يكون مثل النص الأصلي! وأيضاً **(2ب)** وفقاً لمقتضيات اللغة ـ الهدف! ويتم التركيز، في النقل إلى اللغة الأم، على **(2أ)**، وبخاصة في المجال الأسلوبي، ويتم التركيز، في النقل إلى اللغة الأجنبية، على **(2ب)**، أي على النحو والمعجم.

لكن ثمة أكثر من وسيطين اثنين يتعيّن، في الحقيقة، أخذهما بعين الاعتبار بمجرد أن يتعلّق الأمر بالترجمة الحقيقية. فبخلاف النقل إلى اللغة الأم (وبخلاف النقل إلى اللغة الأجنبية بالأحرى)، لا تتحدد الترجمة الحقيقية انطلاقاً من هذه «الأوامر الصارمة» ذات الطبيعة البيداغوجية بل انطلاقاً من ضرورات افتراضية من قبيل:

«إذا. . . فإن. . .»: **(1)** فبهدف الاستغناء عن قراءة الأصل، بمعنى إذا كنا لا نعرف اللغة ـ المصدر، [فإننا] يمكن أن نقرأ النص ـ الهدف، **(2)** على اعتبار أنه **(أ)** يوجد فقدان للمعنى («تبدد» (entrepie)) في كل عملية ترجمة، كما في كل فعل تواصلي، و**(ب)** تبعاً للجمهور الذي تُوجه إليه الرسالة، و/ أو **(ج)** للغرض الذي يتوخاه المترجم، سيكون من المقبول جداً أن نضحّي انتقائياً بهذا المظهر بدل ذلك المظهر. . . إلخ.

ليس ثمّة ترجمة في حد ذاتها، والترجمة الحقيقية عمليةٌ تُحددها شروط الإنتاج التي تخص المترجم وهي عملية تضبطها وسائط متعددة تتصل بطبيعة النص المروم ترجمته (الرسالة) وبنمط أو أنماط المخاطَبين (المتلقي). وتمثل المسافة الـ (بَيْـ) لغوية، أو تلك المتسلسلة زمنياً (الكرونولوجية) و/ أو الثقافية بين هذه الرسالة ـ المصدر والجمهور ـ الهدف الجديد (والتي يفترض فيها أن تجعله يطلع على الترجمة) بعضَ هذه الوسائط، التي يموضعها مونان (1955، ص 109 وما يليها) عبر تقابل استعاريّ بين «الزجاجات الملونة» و«الزجاجات الشفافة».

2.5. النص ـ المقتطف

إذا كانت اللغة ـ الهدف الأم تجمع بين النقل إلى اللغة الأم والترجمة الحقيقية، فإن النقل إلى اللغة الأم يتميز بعدد من التعتيمات الخاصة التي تجعل منه تمريناً بيداغوجياً.

وإذا كان النص ـ المصدر المروم ترجمته خطاباً بمعنى أنه نص طويل له مقاييسه الخاصة للإغلاق (مؤلف، مقالة، محاضرة، رواية أو مسرحية. . .)، فإن نص النقل إلى اللغة الأم تقطعه المؤسسة البيداغوجية التي يجسدها الأستاذ (أو مؤلف الكتب المدرسية). وتطرح هنا من جديد الإشكالية العامة للمقتطفات (extraits) والمقاطع

المختارة، التي تمثل ثابتة من ثوابت المؤسسة المدرسية والتي تحكمها بدورها شروط ذات طابع مادي. لكن «مقص الرقابة البيداغوجي» يتعدى بكثير التحديد الكمّي للعمل المروم إنجازه. ثمة فرق ذو طبيعة كيفية عند الانتقال من الترجمة إلى النقل إلى اللغة الأم، وذلك بالنظر إلى أن بعض المشاكل الأساسية للترجمة قد تم حذفها بالكامل عبر حجبها والتعتيم عليها. إن الختم البيداغوجي للنص ينعكس على طريقة الترجمة وعلى بنيتها بوصفها نشاط ترجمة وبوصفها ناتج هذا النشاط.

ومن ثم لا يتبنى النقل إلى اللغة الأم توضيحاً منهجياً يستند إلى المصطلحات. فخاصية النص المقتطف من سياقه لا تحل المشكل وتمنع من الإجابة عنه بشكل مرضٍ كما تجعل من وضع الوحدة المعجمية نفسه إشكالاً. فليس من المجدي، من جهة، وضع المقابل لقائمة المصطلحات لأن تواتر المفردات في النص تواتر ضعيف جداً. كما أن القيام بذلك، من جهة أخرى، يظل مستحيلاً للسبب ذاته، لأننا غير قادرين على التوصل إلى تحديد سياقي للمفردة باعتماد موارد النص (الخطاب) وحدها، ومن ثم تبقى الكلمة مرهونة باللجوء الأحادي والمبهم إلى القاموس الثنائيّ اللغة. وينبغي أن نعترف، في الحقيقة، أنه لن يكون ممكناً أبداً حتى بالنسبة إلى المترجم («الحقيقي»)، إعادة تشكيل دلالة المعجم، بشكل كامل، انطلاقاً من سياقات الخطاب ـ النص المروم ترجمته، إلا أن هذا المترجم في الغالب قادر بفضلها على تعويض نواقص القاموس الثنائيّ اللغة والقاموس المتخصص أيضاً.

وعلى العكس من ذلك، يحدث أن يخضع التلاميذ لقاعدة عبثية، هي في حقيقتها كاريكاتور لظاهرة اصطلاحية ينبغي بمقتضاها أن تطابق كلُّ كلمة أجنبية كلمةً فرنسية خاصة: فإذا كان المؤلف ـ كما يقال ـ قد استعمل كلمتين مختلفتين، في الألمانية (ـ المصدر)

مثلاً، فلأن له مبرراته ويجب في الفرنسية (ـ الهدف) أن نحترم قراراته المعجمية. وسيكون من السهل أن نطوّر، بطريقة بلاغية («أدبية») وغير علمية (غير لسانية)، فكرة عدم وجود مرادفات عند الاقتضاء، لكن سيكون أقل سهولةً ترجمة الزوج الألماني (Objekt/ Gegenstand) بكلمتين مختلفتين. . .[41].

وبالعكس، قد يكون من المؤسف بل من غير المقبول تفجير وحدة المفهوم المطابق لدال ـ مصدر واحد يتكرر في النص بمنحه عدة ترجمات مختلفة (دوال ومداليل). إن ممارسة فعلية للترجمة تبين عبثية هذا الأمر. فليس ممكناً دائماً أن نترجم بمفردة ـ هدف ثابتة وحدةً من اللغة ـ المصدر لها في الخطاب المترجم قيمة اصطلاحية لا غبار عليها. . .[42].

وإذا لم يتوافر، على مستوى الدقة النظرية، ترادفٌ معجمي ـ دلالي أصيل على مستوى اللغة، فإنه قد يحدد، على مستوى المراس، ترادفٌ سياقي ـ مقامي ضمن الكلام ـ الهدف لترجمة معينة. ويمكن للقاعدة البيداغوجية أو «الأيديولوجية» للمطابقة الثنائية أن تفسح المجال لأمر مضاد (consigne contraire) يمنع كل «تكرار». ومن ثم تجد هذه الوصفة البلاغية نفسها مشاكلة لظاهرة من الظواهر اللغوية! . . .

إن أوامر من هذا القبيل تصدر عن موقف غير لساني. فهي ذات طبيعة أيديولوجية وتتصل بميتافيزيقا جوهرية للغة: كما لو أن إمكان

(41) انظر «ملاحظة المترجم» التي وضعناها في ي. هابرماس (Habermas, 1973)، ص XLII بوصفنا مترجماً للكتاب.

(42) وهكذا في ترجمتنا لـ هابرماس (Habermas, 1973)، لم يكن ممكناً بالنسبة إلينا أن نجتنب تفجير العبارة الألمانية ـ المصدر (Öffentlichkeit). بخصوص هذه المشاكل انظر ص 313 وما يليها من هذا الكتاب.

إقامة منامطة بين الدوال ـ المصدر والدوال ـ الهدف كان مضموناً بديمومة شبه أنطولوجية لذرات مداليل لا نعلم كنهها! كل ذلك أنها مشروطة بالتقليد البيداغوجي.

ولا يحجب النص ـ المقتطف البعد المعجمي ـ الاصطلاحي لكل خطاب، بل يحذف كل ما يطبع «أسلوب المؤلف ـ المصدر» أيضاً، وهو ما يشكل أمراً خطيراً لأنه متناقض في إطار نظام يطبعه بقوة تقليد أدبي حصراً[43].

يمكن أن نتصور أن عمل مؤلف أعيد تركيبه انطلاقاً من مقتطفات مترجمة (تصحيحات للنقل إلى اللغة الأم) قد يعطي نموذجاً أقصى لهذه «الترقيعات الأسلوبية» المتباينة التي أشار ج. مونان (1955، ص 154 وفي أماكن متعددة) بحق إلى أنها تمثل الخطيئة المميتة للترجمة. وقد يتم إقصاء التعديلات التي وُضِعَت على أسلوب المؤلف نفسه لفائدة هذا «الأسلوب ـ الجامع» («archi-style») الأكاديمي الصرف الذي يحدده المعيار اللساني والثقافي للفرنسية ـ الهدف في إطار المؤسسة البيداغوجية[44].

3.5. اختيار النص

يقود اختيار النص، على مستوى المراس، إلى تحديد جزئي للعقبات التي تم تحليلها. وقد يتم استبعاد كل نص يطرح مشاكل

---

(43) يجسد مفهوم لغة التخصص انحرافاً بالنسبة إلى النموذج الخطي للتطور اللساني الذي هو نموذج التعليم. يضحي هذا النموذج بكل ما هو لغة وظيفية على مذبح مبدأ الكونية المزعومة الخاص بـ «اللغة الأدبية». إلا أنه يظل صحيحاً أن التقدم التقنوي داخل المؤسسة البيداغوجية، خلال هذه السنوات الأخيرة، غيّر من طبيعة «الجبهات البيداغوجية»، وبسبب هذا التقدّم لم يعد نقد أنواع التعليم الأدبي معركة تقدمية.

(44) بخصوص الفرنسية «كما ندرسها»، انظر ص 147 وما يليها، وبخصوص «المحافظة اللسانية» للمترجم، انظر ص 319 من هذا الكتاب.

اصطلاحية، لكن لن يتم استبعاد الكلمات النادرة، لأجل ذلك. ويتعين على المؤنجلزين أن يعرفوا جيداً مفردات الملاحة الشراعية...

ويجب ألا يتطلب النص ليفهم بكل تفاصيله أي ألفة مع سياق الخطاب الذي يندرج فيه، سواء تعلق الأمر باستدلال عقلاني أو تعلق بحبكة روائية، أو مسرحية... وسيتم العمل على إقصاء الأسماء الأعلام بشكل منهجي من المقتطفات المروم ترجمتها. ولن تثار، مبدئياً، مسألة تنميق النصوص. وسيتم القبول بالاسم العلم إذا لم يكن يقتضي شيئاً أو يضيف شيئاً واشتغل بوصفه نكرة مرجعية أو، على العكس من ذلك، شكّل وجوباً جزءاً من لغة موسعة أدبية أو حضارية. ويمكن أن نلجأ، في الملاذ الأخير، إلى الهامش الذي يخصص لشرح بعض الكلمات النادرة.

وسيكف الإقصاء المنهجي للسياق عن أن يظل ضرورياً أو حتى مستحباً، بالطبع، حين تطابق اللغة الموسعة النصية المفترضة تناصاً ضمنياً لمعلومات أدبية أو حضارية «لا يسمح بتجاهلها»، لأن تعليم اللغة هو أيضاً «تعليم للثقافة» (IPN، ص 43).

يقدم المقتطف المروم ترجمته نفسه مثل «صفحة جميلة» (أدبياً) تحتمل الإغلاق البيداغوجي. ويسمح إمكان منح عنوان للنص من تعويض النقص المفترض الناتج عن غياب السياق. ووصف المناظر الطبيعية والشخصيات... إلخ. ذاك الذي تبدأ به بعض فصول الروايات مثلاً، يُقدِّم عدداً من المقاطع التي تستحيل خالدة عند عزلها عن السياق.

ويجب أن يقدِّم النص صعوبات لغوية كثيرة حتى يحتفظ بطوله المعياري. وهي صعوبات بلغت من التنوّع حداً جعلها واردة لتشكّل موضوع تقييمٍ وتبارٍ، وهي أيضاً ذات مستوى متجانس يسهل تعيينها

لهذا القسم أو ذاك. وهذا ما يشكل بالضبط عائق النقل الأدبي: فبما أن النص ـ المصدر يعتبر في حد ذاته صفحة جميلة، فإنه لا تبرمج فيه، نسقياً، الأسئلة الصعبة («الفخاخ») أو الأسئلة التي تتصل بقضايا النحو، كما لا يمكن أن تكون الأجوبة التي يجب تقديمها محددة سلفاً تحديداً دقيقاً كل الدقة.

ومن الواضح جداً أن كل هذه الحواجز تعطي للترجمة البيداغوجية (أي للنقل إلى اللغة الأم وللنقل إلى اللغة الأجنبية بالأحرى) وضعاً خاصاً يضعها في مقابل الترجمة الحقيقية.

6. التداخل التقييمي البيداغوجي

1.6. القصد المزدوج

إن الوظيفة الرئيسية الجلية لأستاذ اللغة هي التدريس: إنها وظيفته «البيداغوجية». ويتعلق الأمر بالنسبة إليه بإنتاج نموذج معين من قدرة التلاميذ في اللغة الأجنبية وتطويره والمحافظة عليه. وتمثل هذه العملية استراتيجية شاملة تحكم استعمال مختلف المقاربات أو المناهج أو التقنيات، فتكون الإجراءات البيداغوجية متلازمة مع بعض العمليات ذات الصبغة «التقييمية»، تلك التي تمارس وظيفة مزدوجة للمراقبة.

فمن جهة، يتعلق الأمر، بإجراء تشخيص (استعاديّ) يخص أثر الإجراءات البيداغوجية المعتمدة كما تشهد بذلك الإنجازات المحققة. ومن جهة أخرى، تمكن هذه اللحظة ذات الصبغة التقييمية من صياغة تشخيص عام عن تكييف ممكن لهذه الإجراءات البيداغوجية وعن برمجة نسبية للتطور وعن الاستعدادات المفترضة للتلميذ وتوجهه، وعن ضرورة محتملة لإعادة توجيهه أيضاً.

وقد يبلغ هذا الأمر حد التهديد الجلي بالإقصاء المدرسي. فالبرامج الرسمية تشيد «بالملاحظة من أجل التوجيه»، والعمل على «تحيين ملف يخص كل تلميذ» (IPN، ص 52)، وتطرح قضية معرفة ما إذا كان التلميذ «قد تلقى تعليماً طويل الأمد» (IPN، ص 51) وتضع تدرجاً تصنيفياً بين «أصحاب الذاكرة البصرية» (les visuels) و«واسعي الخيال» و«السماعيين» (les auditifs) و«المتأملين»، «والببغاوات» و«المتكاسلين» و«المتظاهرين». . . . (المصدر نفسه).

وينطوي هذا الإجراء المركب «للترجيع» (feed-back) التقييمي البيداغوجي، كذلك، على إحالة على «مستوى مطلوب» معين، أي على برمجة دنيا ـ وتجريبية في الواقع ـ للتعليم، يقيس بدقة مختلف مستويات القدرة اللسانية المستلزمة من الصفر إلى الهدف البيداغوجي المختار. وتقوم «الترجمة البيداغوجية»، في الواقع، في إطار تعليم اللغات الأجنبية، حيّة كانت أو ميتة، بوظيفة مزدوجة بوصفها «إجراءً تقييمياً بيداغوجياً».

وتنتج من تعذر تحقيق التمييز بعضُ التداخلات. ويمكن لهذين القصدين أن يتنازعا. ويحدث أيضاً أن يلزم عن الأمر ظاهرة «استبدال البواعث»: فقد توشك الجدولة القادمة للاختبار في النقل إلى اللغة الأم أن تجعل من «الترجمة الدنيا» هدفاً لها وأن تلجأ بشكل استباقي إلى التركيز على الترجمة داخل المنهجية المباشرة على سبيل المثال (انظر ص 29). وقد تنزع السلمية إلى أن تصبح معكوسة ويتم اكتساح مجموع الاستراتيجية البيداغوجية بمضمون تقييمي قائم على التباري.

2.6. الأخطاء في النقل إلى اللغة الأجنبية

يؤدي التداخل التقييمي البيداغوجي دوراً مهماً في حال النقل إلى اللغة الأجنبية. فيكون لإسناد النقاط تأثيرٌ حاسم وكذا الأمر

بالنسبة إلى اعتماد سلم مقاييس الإصلاح (barème) وتحرير «التصحيح» (انظر ص 74 وما يليها). ويُشكل النقل إلى اللغة الأجنبية موضوع «تصحيح»، وهو ما يضفي على هذا النقل طابع اختبار تقييمي أكثر منه تمريناً بيداغوجياً.

فبينما يهدف المنظور «البيداغوجي»، بالمعنى الحصري، أو المنظور النفسي ـ البيداغوجي إلى تسهيل السلوك الشفهيّ في اللغة ـ الهدف الأجنبية، تدخل الضرورة التقييمية، في النقل إلى اللغة الأجنبية، في صراع مع هذا القصد وتسعى إلى التغلب عليه. وبدلاً من أن يتم تثمين (إعادة) إنتاج المركبات ـ الهدف، نكتفي بأن نعاقب التلاميذ على ما نسجله عليهم من انزياح بالنسبة إلى المعيار الذي يعد المثال الأعلى البيداغوجي.

يحدد هذا التقييم السلبي للنقل إلى اللغة الأجنبية نمطَين من الأخطاء: أنماط العُجمة التي هي انزياح بالنسبة إلى المعيار الصرفي الصواتي والخطي، وأنماط اللحن، التي هي انزياح بالنسبة إلى المعيار الصرفي التركيبي. ومن هذا المنظور، لن توجد «أخطاء إملائية» بل أخطاء تخص اللحن فقط، ما دامت الإنجازات ـ الهدف تتم في اللغة الأجنبية.

وفي الحقيقة، يميل أساتذة اللغات (الحية) أكثر فأكثر إلى التخلي عن هذه المقولات التقييمية الموروثة عن النقل اللاتيني والنقل الإغريقي إلى اللغة الأجنبية إذ يفضل كثيرون منهم الحديث عن «أخطاء في الإملاء» وعن «أخطاء في النحو» بدلاً من الحديث عن اللحن والعُجمة. ولا يعد هذا الاختيار الاصطلاحي اختياراً محايداً، إنه يؤشر هنا إلى تقييم أقل سلبية، وهو أمر صحيح جداً بحيث إن بعض أساتذة اللغات يقومون باختيار معكوس...: ينزع النقل إلى اللغة الأجنبية إذاً إلى أن يصبح «اختبار سد» الغرض منه إقصاء التلاميذ.

وعلى النحو ذاته، تحدد الإحالة الحصرية الضرورية على الأشكال الثابتة تصوراً تكرارياً للمعيار وتنتهي إلى تقدير مبالغ فيه للأساليب المُميزة (phraséologies) والتعابير والعبارات «المسكوكة» والأمثال... إلخ. ويقود غياب القدرة ـ الهدف، والذي يتفاقم بسبب هذا القمع التقييمي، إلى تصور إنتاج نص ـ هدف مثل «لصق» (collage) غير متجانس تقريباً، مؤلفٍ من إنجازات جزئية جُمعت مختاراتها صدفةً من القراءات، أو الممارسات السابقة للنقل إلى اللغة الأجنبية... ويؤدي النقل إلى اللغة الأجنبية، في نهاية المطاف، «وظيفة مَوضَعَة وتوضيع» للغة ـ الهدف (surobjectivation) وحياد مفرط تجاهها، طالما أن الخوف من التداخلات ينزع إلى قمع كل إنتاجية لسانية تلقائية. ولا يمكن للغة ـ الهدف أن تشكل موضوع تمثل وتملك من لدن الفرد بغرض التواصل. إن هي إلا أصل الإنجازات المدرسية التي يتم قياسها بالنموذج الغامض للإنجازات ـ الهدف، ذاك الذي يعتبر المعلم مالكه الوحيد.

3.6. بيداغوجيا سلبية

يحدد هذا الثقل التقييمي بيداغوجيا سلبية للغات الأجنبية. وقد نعزو هذا الأمر إلى أسباب ترتبط بما يمكن أن نسميه الجاذبية التقييمية نفسها. فمن السهل المعاقبة على الأخطاء التي تقدم بوصفها انزياحاً جلياً بالنسبة إلى المعيار الـمُدرَّس ثم وضع حاصلها الجبري في ما بعد. وقد يتطور الأمر فيتخذ شكل صورة كاريكاتورية: نقوم بالتصحيح «وفق الشبكة»[45]. ومثلما يمكن لأستاذ الرياضيات ألاّ

(45) تندرج «تمارين الفراغات»، المعتمدة في التعليم المبرمج، في سياق بيداغوجي مختلف، إذ تنحصر وظيفتها الواضحة في التحقق من امتلاك الآليات الأساسية وتشتغل باعتبارها روائز نحوية (انظر ص 109 وما يليها من هذا الكتاب).

يأخذ بعين الاعتبار خلال عملية وضع العلامات إلا نتائج المسائل (وليس البراهين)، يمكن لمصحح النقل إلى اللغة الأجنبية (بل النقل إلى اللغة الأم) أن يحدد، تبعاً للأسئلة الصعبة (الفخاخ) المقدمة في النص، عدداً من «المقاييس» التقييمية التي تمكن من تسريع عملية تصحيح أوراق الامتحان...

وفضلاً عن هذا الامتياز الثمين...، يبدو أن التقييم السلبي يمنح بعض ضمانات الموضوعية والإنصاف. فثمة عدالة ودقة في وضع العلامات، في الآن ذاته، عند تحديد معيار الإحالة وسلّم مقاييس التصليح اللذَين يكمّمان (quantifier) المعاقبة الخاصة بمختلف أنواع الانزياح، لأن النص ـ المصدر يظل هو نفسه بالنسبة إلى كل تلاميذ القسم الممتحن. فالنصوص المروم ترجمتها في المباريات والامتحانات هي أيضاً متجانسة على نطاق أوسع. وهذا الأمر لا يخلو من أهمية في إطار منهج منافسة فردية مشخّصة جداً على أساس أيديولوجية «يعقوبية»(*) لتكافؤ الفرص الثقافية والرفع من قيمة السلوك الشفهيّ للطبقة المسيطرة، وهو السلوك المقرَّر والـمُدَرَّس داخل المؤسسة البيداغوجية. ويشترط التقييم أو التباري السلبي، مقارنةً ببعض صيغ الإقصاء المدرسي، «بيداغوجيا انتقائية».

إنها أيضاً «بيداغوجيا قمعية» كما تبيّن ذلك حالة النقل إلى اللغة الأجنبية. ويظل نموذج الكفاءة، الذي يقترحه التعليم الفرنسي كهدف بيداغوجي، نموذجاً عالي المستوى: إنه نموذج «ثنائيّ اللغة» المنسَّق، ولا يبدو أن هذا السموّ يذهب في اتجاه الفاعلية. ويجب، تبعاً لاقتراح سومبف (J. Sumpf)، إعادة الاعتبار إلى الـ «رطانة» (baragouin) والإلحاح على فعاليتها على مستوى التواصل اللساني.

(*) نادي اليعاقبة أو اليعقوبيون، حركة ظهرت أثناء الثورة الفرنسية تؤمن بالمركزية الموحدة للجمهورية وتتخذ من باريس مقراً أساسياً لممارسة السلطة.

يمكن أن يكون للنقل إلى اللغة الأجنبية أثر الكبت النفسي اللغوي، وعلى النحو ذاته، فإن الفرنسية ـ الهدف للنقل إلى اللغة الأم تظل موسومة بقوة بالنقائية (purisme)، وفقاً لتقليد يمكن أن نظل ننعته بـ «اليعقوبي»، وقد يكون متصلاً أيضاً بالأكاديمية الفرنسية، أو بالنحويين. . . إلخ. وتقوم هذه البيداغوجيا أيضاً بدور سوسيولوجي لقمع المنحرفين عن المعيار المقترح بوصفه نموذجاً أعلى لسانياً وثقافياً[46].

بهذا الخصوص، يعتبر غياب القدرة ـ الهدف في حال النقل إلى اللغة الأجنبية ذا أهمية حاسمة كما أنه يؤسس بنية عامة لـ «اللامسؤولية» البيداغوجية.

7. الترجمة والخطاب البيداغوجي

1.7. الإنجاز «المكتمل» (magistrale)

يمثل نمطا النقل عمليتين بيْلغويتين يمكن أن تحدد نتيجتهما أو حصيلتهما على أنهما «خطاب بيداغوجي»[47]. ومن ثم، فهما يهدفان إلى ملء فراغ قائم بين نوعين من المعرفة ينتميان إلى عالم الخطاب

---

(46) سيكون هنا أيضاً بالإمكان إظهار الفويرقات الدقيقة، بل مراجعة هذا التحليل النقدي، المساند إلى حد ما لأفكار مريدي «الثمانية والستين»، ذلك أننا كنا نشهد، منذ بضع سنوات، على مستوى «الجبهة البيداغوجية»، تفككاً مطرداً للتربية الوطنية التي أورثتها الجمهورية الثالثة للبلد، وكنا نشهد، على مستوى الجبهة السياسية، تضخماً للهجمات النقدية المفرطة، غير العادلة، واللامسؤولة ضد «اليعقوبية» الفرنسية!

(47) عن التمييز القائم بين الخطاب العلمي الاستكشافي الجزئي السجالي من جهة، والخطاب التعليميّ الاستعادي الشامل والكوني، من جهة أخرى: انظر لادميرال (Ladmiral, 1971)، ص 168 وما يليها وأعمال جان دوبوا وجوزيف سومبف التي استوحينا منها الكثير، انظر دوبوا (Dubois, 1970)، وجان وكلود دوبوا (1971)، ص 49 وما يليها وفي أماكن متعددة ودوبوا وسومبف (Dubois et Sumpf, 1970) ودوبوا (Dubois, 1972). فلنغتنمها فرصة أيضاً لنشيد هنا بجان دوبوا على الأفكار النقدية التي أفدنا منها الكثير في هذه الدراسة.

نفسه ويحافظان على علاقة «خطية» بينهما. وتتجسّد هذه العلاقة في خطّ يتقدّم إذ ينطلق من عدم معرفة التلميذ (الفرنكوفوني الأحاديّ اللغة) إلى معرفة الأستاذ (الثنائيّ اللغة الذي «يعرف» ويدرّس الإنجليزية أو الألمانية...). وإن تجسيد المدرّس لنموذج القدرة يضاهي تجسيد المتكلم الفطري لها: فالمفردات «مؤنجلز» أو دارس الإنجليزية (angliciste) و«ناطق باللغة الإنجليزية» (anglophone) و«مُتجَرمِن» أو دارس الألمانيّة (germaniste) و«ناطق باللغة الألمانية» (germanophone)... إلخ. قد أصبحت مرادفات بفضل المؤسسة. وسنلاحظ أن اللغة المتداولة تنطوي في الغالب على الغموض ذاته: «لست متجرمناً» هي طريقة أخرى لقول «لا أعرف الألمانية»، ـ شأنها شأن «لا أعرف «لغة غوته»...

إن إنجازات التلاميذ (شبه) المغلوطة هي المحاولات والأخطاء (trials and errors) التي تشوب المسار الذي يجب أن يقودهم إلى مستوى قدرة الأستاذ التي تعد مثالاً أعلى. وتقاس هذه الإنجازات بقياس «نموذج الإنجاز» الذي حققه المدرّس. فالأستاذ يقترح تصحيحاً هو بمثابة «إنجاز مكتمل» ذي معنيين: معنى السلسلة الكلامية التي أنتجها المدرّس ومعنى العمل الباهر الذي لا يضاهى، والمعنيان يتداخلان.

فالترجمة البيداغوجية هي إذاً مزدوجة: «ملفوظ على ملفوظ آخر». فهي تمثل، على المستوى الشكلي البديهي الأولي، بدءاً، ملفوظاً ـ هدفاً أنتجه التلميذ انطلاقاً من نص أصل أو من ملفوظ ـ مصدر. لكن المؤسسة البيداغوجية تحيل بها أيضاً على النص (صريحاً كان أو ضمنياً). وهو النص الخاص بالتصحيح الذي هو ملفوظ ـ «هدف»، أي إنه هدف بيداغوجي ونموذج تقييمي للقياس يحدد بناءً عليهما الانزياح بوصفه خطأً.

إن تماثل التصحيح ونموذج الإنجاز الذي ينتجه المتكلم الفطري تكفله الشخصية المُمَأسَسَة للمدرّس، الذي هو كفؤ (بمعنَيي الكلمة، أي إنه مؤهل ويمتلك «كفاءة» المتكلم الفطري). إنه الملفوظ ـ الهدف ذاته وليس ثمّة إلا واحد. الوحدة تصاحبها الوحدانية وتفضي المصادرة التقييمية البيداغوجية للإنجاز البيلغوي إلى الدوغمائيّة التعليميّة القائمة في سلم تراتبي للتثمين (valorisation): هذه الترجمة «أحسن» من ترجمة أخرى أو «أقل جودة» منها، عندما لا تكون بكل بساطة «جيدة» أو خاطئة... فمن النادر جداً وعلى مستوى رفيع، «أعلى»، أن تكون ترجمة ما أخرى «ممكنة». ففي هذا العالم الخطي، البيداغوجي غير اللساني (غير العلمي)، تنزع الزاوية المغلقة للامسؤولية فتيل معيار التواصل بالتدخل وفرض وساطة المدرّس.

وفي حال النقل إلى اللغة الأجنبية مثلاً، تُعرف اللغة ـ الهدف الأجنبية بـ «المستعملة» (de seconde main): إنها لغة تم تحليلها آنفاً وتمت مطابقتها مع «نحوها» الخاص وامتزاجها معه. وتشتغل هذه «اللغة النحوية» (لغة ـ نحو) بوصفها النص البيداغوجي الضمني لنظام من الأسئلة والأجوبة. وما دام النقل إلى اللغة الأجنبية ليس «نقلاً إلى اللغة الأم بالمقلوب» فهو في الواقع نسيج من الأسئلة الملغومة (questions-pièges) التي هي عبارة عن أسئلة في النحو و«فخاخ» مسكوكة.

2.7. مصطلح «الكمال التقريبي»

إن التصور الخطي التراتبي الذي يوزع إنجازات التلاميذ على امتداد سلم يصعد بالتدرج نحو الأمثل (l'optimum) المرجعي للتصحيح المكتمل، يُمثل النقلَ إلى اللغة الأم باعتباره ترجمة بيداغوجية تتحدد «لامسؤوليتها» عبر تبعية مزدوجة. ومقابل كل نزعة

مفرطة في التسامح يقود إليها تصور أصيل «للترجمة»، ستقضي البرامج بألا نبتعد عن النص إلا إذا استعصى الأمر، أي إذا لم يكن «بإمكاننا» أن نعثر على ما هو أفضل، نقصد بذلك: إذا وجد الـ «مُصحِّح»، أي مُنجِز التصحيح، نفسه مرغماً على التصرف في النص الأصل، أي إذا لم يجد بداً من أن «يغايره». إن الأمانة للنص تحيل على تقليد «نموذج الإنجاز» المكتمل الذي وضعه الأستاذ[48].

هكذا يُحدَّد بشكل غير مباشر ما نصطلح على تسميته باستراتيجية «الكمال التقريبي» بوصفه مجهوداً مُقارِباً (asymptotique) لما يمكن أن يبلغه «مستوى» عملٍ في الترجمة من تحسين. وهذا يعني أن الترجمة تستدعي الاشتغال عليها باستمرار ودون كلل. ويمثل مسلسل إعادة القراءة المتتالية وصفةً بيداغوجية مرحباً بها، ويوافق هذا الإجراء فعلاً ممارسة الترجمة.

ومن الصحيح القول إن هذا المسعى «للرفع» من منتوج الترجمة البيداغوجية قد تم تبعاً لمحور ذي بُعد واحد حدّده المرجع المزدوج الذي يخص النص الأصل والتصحيح. وبخلاف «النقل إلى اللغة الأم» الذي ينجزه التلاميذ، والذي يكون مغلوطاً أو «أبعد ما يكون عن النص» فإن الإحالة على التصحيح تؤدي إلى «مماثلته» بالنص الأصل. إن التعتيم البيداغوجي الذي يحجب الذاتية، فضلاً عن التعددية وما سمّيناه البنية «الافتراضية» لكل ترجمة «حقيقية» (انظر ص 64 وما يليها)، يجعل من التصحيح «إعادة تشكيل»[*] (une hypostase) للأصل: ومن ثم إعادة إنتاج الفكرة «البيداغوجية» القائلة

(48) المؤسسة البيداغوجية وهي تعيد إنتاج الـ «بنية الغريزية» المهيمنة، تمثل تبعية مزدوجة تحيل على الإشكالية «ترجمة وتحليل نفسي»، والتي سنعود إليها لاحقاً (انظر خاصة الملحق I، ص 349 وما يليها).

(*) استقى لادميرال هذا المفهوم من الفيلسوف أفلوطين (المولود في مصر نحو عام 203 / 207 ق. م.) ووظفه ليجعل من التصحيح ضرباً من «إعادة التشكيل» للنص الأصل.

إن كل نص قابل للترجمة. وفي الواقع فإن التصحيح نفسه، المحاط بهالة من الموضوعية، هو الذي نحاول قراءته باعتباره نصاً موازياً للأصل وخلفية كامنة للنص المحقق.

إن هذه المَوضَعَة المفرطة لنموذج الإنجاز المكتمل، والتي تعد فعاليتها مؤقتة في إطار الممارسة البيداغوجية، تتعارض ومبدأ النظرية العلمية للترجمة. فهي التي جعلت بالخصوص جورج مونان يواجه إشكالية «الاعتراض الاستباقي» (problématique de l'objection préjudicielle) (انظر ص 85 وما يليها). إنه بطرحه السؤال، بطريقة عامة غير محددة، «هل الترجمة ممكنة؟» قد أرغم نفسه على تبني موقف دفاعي، هو أقرب إلى الموقف التعليمي منه إلى الموقف العلمي، وتقوقع ضمن حقل «أيديولوجي» لنقاش أكاديمي أو «أدبي» فيه يتسنّى الدفاع عن هذه الأطروحات المتناقضة أو عن تلك. وهي أطروحات غير مقنعة، وهذا أمر يصدق على كتابه (*Problèmes théoriques de la traduction*) (G. Mounin, 1963) أكثر مما يصدق على كتابه (*Les belles infidèles*) (G. Mounin, 1955).

ويبدو الأمر لافتاً مادام المجال المغلق لهذه الإشكالية قد تم الإفصاح عنه منذ البداية ومادام مفتاح المعضلة قد قدم منذ السطور الأولى لـ (*Les Belles infidèle*): «تتلخص كل الاعتراضات على الترجمة في اعتراض واحد ـ أي إنها ليست الأصل...» (G. Mounin, 1955, p. 7) إن القراءة «التَكرارية» لأعماله اللاحقة تحملنا على ألا نرى في هذه الجملة تحصيل حاصل بقدر ما ينبغي أن نرى فيها خارطة طريق لم يأخذ بها: هي طريق تحليل مصطلح الترجمة ورفع اللبس عنه من أجل تنسيق مجال نشاط الترجمة علمياً وتحديد «القضايا التطبيقية للترجمة» تحديداً دقيقاً، وهي القضايا التي يمكن أن تطرح بالنسبة إلى النظرية اللسانية.

3.7. الافتراضات التعليميّة

لا يمكن إذاً لبنية الترجمة البيداغوجية أن تؤسس نظرية علمية للترجمة، إنها تؤسس ذاتها على ما يمكن أن نسميه إبستيمولوجيا «تعليميّة».

إن تصحيح نمطَي النقل، باعتباره «خطاباً بيداغوجياً»، لا يحمل توقيعاً. إذ يتم إبعاد ذاتية المترجم المدرّس. ولا يعد هذا الإغفال (anonymat) بريئاً، إنه ليس الإغفال المفروض على المترجمين المحترفين، بل هو إغفال يمكن أن نقول عنه إنه إغفال «مبالغٌ فيه». فإذا كان المنجز الحقيقي للتلفظ محذوفاً وممزوجاً بملفوظه (التصحيح) فذلك يعود إلى سببين.

يتماثل المترجم ـ المصحح مع مؤلف النص ـ المصدر، الذي يتخذ مظهر المنجز الخيالي (والمثمن) للنص ـ الهدف، أي للتصحيح الذي أنجز. وتنتمي الترجمة ذاتها إلى الخطاب التعليمي (أو البيداغوجي) وذلك أنها تهدف إلى دعم الفكرة الخيالية التي مفادها أن النص ـ الهدف هو نفسه النص ـ المصدر. لكن هذا المطمح الذي لا حد له إبستيمولوجيا يتجلى عبر تواضع يتخذ شكل إغفال «مبالغ فيه»، إغفال يعد مرادف الكتمان: فإذا حجب عمل الترجمة بكامله، وإذا لم تُقدم لنا كواليس الصنيع الباهر وخباياه، فليس ذلك من باب التباهي. فما صاحب التصحيح إلا الكاشف عن إمكان ـ إمكان يظل قائماً... (!) ـ للقيام بالترجمة وإنجاحها. فمنجز التصحيح، مثله مثل المؤلف الأدبي المستشهد به من دون مَراجع في قاموس اللغة (ومثل مؤلف النص ـ المقتطف المروم ترجمته إلى حد ما) أو بالأحرى مثل القاموسي ذاته، يحافظ على إغفال ذلك الذي يكشف عن اللغة وعن إمكان الترجمة.

وتطرح هنا أيضاً، بشكل متلازم، كونية «القابل للترجمة» (traduisible) على المستوى المجاوز للغة أكثر مما تطرح على المستوى البيلغوي. وعلى كل، لم يعد ثمة إعتام لغوي. فالتعدد اللغويّ يهدف إلى الامّحاء لفائدة اللسان ملكةً بشريةً كونية تؤسس هذه «القابلية للترجمة»: إن اللغة تشاكل منطقاً مُميَّزاً بدقة يمكنه أن «يقول كل شيء» عندما نتمثله جيداً.

لكننا نضطر إلى إدخال تصويب (مكمِّل أكثر منه مناقضاً): إنها إشكالية المسكوكات و«الاستثناءات» التي تعيد تجميعها الأساليب المُميزة وتفهرسها القواميس بشكل ناقص. إن هذه المسكوكات والاستثناءات تمثل شذوذاً لغوياً يستند إلى التقريب الأسلوبي (أو اللغوي) وهي خاضعة للتكييفات التي هي «لمسات ترقيعية» تخص الممارسة اللسانية.

لقد شكلت كل من الذاتية الفردية (النفسية والتجريبية) لـ «عالِم التربية» والذاتية الجماعية (المتعالية والأنثروبولوجية)، بعبارات همبولدية جديدة، للُغات ذاتها موضوعَ محوٍ، وذلك لتبدو الذاتية الشخصية للكاتب في كل جلالها الكوني والسرمدي. وستدخل الشمولية البيداغوجية والاستبداد بالرأي الأدبي في تناقض: إذا «كان كل شيء قابلاً للترجمة» وكان في الوقت ذاته عملاً رائعاً غير قابل للترجمة ويجب قراءته «في الأصل» (ليس فقط لنتعلم منه اللغة ولكن لنتذوق «نكهتها» كاملة أيضاً). يُعتبَر الأمر هنا مجرّد تعديل للتناقض الأساسي، الذي هو أصل «الاعتراض الاستباقي» (انظر ص 89 وما يليها).

4.7. اللغة الـمُدرَّسة باعتبارها لهجة اجتماعية بيداغوجية

لا تمتزج قدرة أستاذ اللغة الحية الأجنبية بقدرة المتكلم الفطري، بل تختلف عنها اختلافاً يقوم على عدد من الانزياحات والنواقص والتداخلات... التي تحدد لهيجته (لهجته الفردية)، والتي

تخضع بدورها لبيداغوجيا (إعادة التأهيل أو التربية الدائمة). ويمثل هذا التماثل المزعوم بين القدرتين وهماً تعتمده الترجمة لتتأسس بوصفها خطاباً بيداغوجياً، يُمَكّن التلاميذ من إحراز تقدم خطي.

يمكن إضافة ما يلي: ليست اللهجة الفردية النموذجية للأستاذ («magistral») نظاماً فرعياً من اللغة الأجنبية التي نقصد تدريسها فقط، إنها نظام فرعي للهجة اجتماعية تقييمية بيداغوجية تمثل بدورها نظاماً فرعياً لهذه اللغة الأجنبية ذاتها. ويتعلق الأمر بنوع من «لهجة اجتماعية» أو اجتماعية صغرى تحديداً، تناسب القدرة المؤسساتية والمفترضة للجنة (تحكيم) في اللغة ـ الهدف. وتتضمن هذه اللهجة الاجتماعية لمجموعة صغرى من المتكلمين المُدرّسين غير الفطريين عدداً من السمات المميزة تُحدد خاصة بمجموعة من التعتيمات الجلية تقريباً. فاختبارات النقل إلى اللغة الأجنبية تقيس الإنجازات ـ الهدف للمرشحين بقدرة مثالية وهمية ترتبط «بلهجة اجتماعية».

وهكذا، ففي ما يخص الألمانية كما تُدَرّس، مثلاً، أمكن الحديث ـ بقصد سجالي طبعاً ـ عن (Agregationsdeutsch)، التي هي نظير «لهجة بيداغوجية» للألمانية[49]. ويقدم المتكلمون المدرّسون، باعتبارهم ثنائيي اللغة غير فطريين ومحترفين، مقاومة منظمة ضد التداخلات ويفسح انشغالهم بالمغايرة البيلغوية المجال لظواهر تصحيح مفرط (hypercorrection).

ويمكن أن يصل هذا الأمر حد تعتيمات مكثفة للقدرة ـ الهدف

(49) يتعارض هذا الـ (Agregationsdeutsch)، البيداغوجي، بخصوص هذا الأمر جذريا مع لهجة اجتماعية أخرى مثل (Le basic english)، التي يمكن أن نرى فيها «لهجة علمية» للغة الإنجليزية. ويجب أن نميز منها أيضاً مشاريع من قبيل (français fondamental). (في ما يخص درسنا المعنون الألمانية ـ المستوى صفر، فإن وظيفته تقربه من (Le basic english)، انظر ج. ر. لادميرال (Ladmiral, 1976b).

ـ قد تمس على سبيل المثال جزءاً كاملاً مهماً كمياً من المعجم، مثل النفي الصريح(*) (l'ostracisme) الذي تبعد به المؤسسة ـ التقييمية البيداغوجية الأغلبية الساحقة من المفردات الألمانية ذات الأصل الفرنسي (Fremdwörter)، والتي لا تتمتع بحق المواطنة في الألمانية كما يتم تدريسها[50]. ولا يتم قبولها استثناءً إلا إذا تعذر استبدالها بكلمات «ألمانية قحة»: فليس ممكناً، مثلاً، أن نُجَرْمِنَ الكلمة «الألمانية» (Natur) وليس مطلوباً مع ذلك استبدال المفردة (Philosophie) (فلسفة) بـ (Weltweisheit).

نعثر هنا من جديد على معادل الإغفال التعليميّ الذي هو أصل هذا «الكمال التقريبي» المحدد لاستراتيجية بيداغوجية للنقل إلى اللغة الأم. إلا أن المحو ينصب الآن على الذاتية الجماعية للجنة مثالية تعرضت لإعادة التشكيل (hypostasié)، ولم يعد ينصب على ذاتية منجز التصحيح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه الكلمات الألمانية القحة التي أعادت المؤسسة دمجها في اللغة تعطي المتكلم الفطري أحياناً انطباعاً بغرابتها، ويعني إبعاد الـ (Fremdwörter) حجباً مهماً للقدرة في اللغة الألمانية، لأن أغلب الأسماء والصفات وكذا الأفعال لها، تكميمياً، مزاوِج من أصل أجنبي (فرنسي في أغلب الحالات) يمكن أن يأخذ صفة مقابلٍ دلالي دقيق لمدلول (نواة) دالٍ «ألماني قح»[51].

(*) العبارة تستعمل للتعبير عن المنفى الذي تعرض له بعض المواطنين من أثينا عقاباً لهم. وهنا يقابل لادميرال بين هؤلاء المواطنين والمفردات الألمانية ذات الأصل الفرنسي التي أبعدها الألمان من لغتهم.

(50) الـ (Fremdwörter) هي الكلمات الألمانية من أصل أجنبي. كان النازيون قد اجتثّوها بشكل منهجي من الألمانية أو على الأقل باشروا هذه المحاولة المستحيلة.

(51) وهذا حال Gegenstand وObjekt بخاصة (انظر ص 130) وTrieb وInstinkt (انظر ص 354 وما يليها من هذا الكتاب)... إلخ.

وتتحدد القدرة في اللغة الأجنبية (اللغة ـ الهدف أو اللغة ـ المصدر) أيضاً عبر حجب أشد أهمية يقصي البعد التطوري للغة. إلا أن اللهجة الاجتماعية البيداغوجية المعنية بالأمر لا توافق وضعاً تزامنياً للغة: فليست اللغة المعاصرة هي التي تدرس، ولا اللغة المنتمية إلى «قرن ذهبي» معيّن يمكنه أن يتغير وفقا للغة المُعَينة. وهكذا، حين نتحدث، بالنسبة إلى اللاتينية، عن مستوى رفيع من اللاتينية (latinité d'or) فذلك يخص لغة يتعيّن استقراؤها انطلاقاً من متن خاص بأعمال شيشرون ـ سيزار. . . إنها لغة تآلفية، أي مركّبة من عناصر شتّى (composite)، هي وهمٌ لغوي قد يسعف بالتواصل بشكل متصل راسخ خلال عدة قرون. وتحيل الإنجازات ـ المصدر للنقل إلى اللغة الأم والقدرة ـ الهدف للنقل إلى اللغة الأجنبية على تقليد أدبي كامل يمكن أن يعود في الألمانية إلى غوته وقد يتعداه، وفي الإنجليزية إلى شكسبير مثلاً. . . إنه إذاً وضع لغةٍ أُقصيَ منها البعد التطوري للتغيير اللساني والدلالي بل حتى النحوي (langue achronique)، دون الحديث عن الواقع الصواتي لهذا الوهم! وقد نُقّحت هذه اللغة الأدبية أيضاً من كل تخصيص وظيفي ومن كل ما يشبه لغة تخصص.

وهكذا تمنع القدرة في «الألمانية البيداغوجية» من أن نترجم بهذه الكلمات (Arroganz) و(Distanz) و(Prägnant). . . الكلمات الفرنسية (mépris) (الاحتقار) و(détachement) (عدم الاكتراث) و(précis) (مضبوط). . .[52]، يشتغل هذا التعتيم على مستوى الإنتاج (القدرة ـ المصدر)، لكن يجب أن تشكل هذه الكلمات جزءاً من

(52) ثمة إمكان، دون شك، لإظهار فويرقات بخصوص هذه النقطة: يبدو من المسلمات الآن، مثلاً، أن المفردة الفرنسية ـ المصدر (coffre-fort) (خزنة) يجب أن تتخذ مقابلاً لها في الألمانية ـ المصدر المفردة (Safe) وليس (Geldschrank).

قدرة التلميذ ـ المصدر كي يكون قادراً على فهمها عندما يصادفها في النصوص (التلقي). وعلى العكس من ذلك، ثمة، على مستوى القدرة ـ المصدر، بقايا معجمية أو تركيبية (بل أشكال لهجية معزولة وجزر ذات طبيعة جهوية) تظل صامدة وتعادل ما يعرف في الجغرافيا بـ «التلال الشاهدة» (buttes-témoins). نحن لا نزال نُدَرّس (Flinte) بدل (Gewehr)، أو ندرسهما معاً باعتبارهما مفردتين متنافستين. وعلى كل حال، يجب أن يعرف التلميذ أيضاً أن المفردة الألمانية (Scherbe) تعني (l'éclat) («شظية») ولكن أيضاً (le vase) «الإناء» برمته، لأن كلمة قد وردت بهذا المعنى في «فاوست».

سنقوم بالتحليل ذاته للغات الأجنبية الأخرى المُدرَّسة، لأن الأمر يتعلق هنا بـ «الجاذبية» الخاصة بالمؤسسة (التقييمية) البيداغوجية القائمة على التباري. وتتحدد الفرنسية ـ الهدف للنقل إلى اللغة الأم بدورها بمجموعة من التعتيمات وأنواع الحذف. وقد تتعرض العبارة الفرنجليزية (plate-forme électorale) (برنامج) للرقابة من لدن بعض المصححين للنقل إلى اللغة الأم، اللغة الإنجليزية، مثلاً[53]. إننا هنا بصدد إشكالية الفرنسية كما يتم تدريسها (انظر ج. دوبوا، 1972).

وعندما يتعلق الأمر بلغة أجنبية، يطرح، بالطبع، مشكل الإحالة على «معيار» معيّن. إلا أن المعيار اللساني، بالمعنى الذي أعطاه إياه كوزريو، يتحدد بناءً على مجموعة من الانزياحات (أو التكييفات) التي تجعل منه مقابلاً لـ «النسق». لقد تم تعويض هذا المعيار بمعيار بيداغوجي يبدو أنه يسعى إلى الاستغناء عن (Sprachgefühl) (شعور

(53) يتنوع هذا الضرب من التعتيمات التعليميّة للبيْلُغة (interlanguage) المُدرّسة تبعاً للغة المعنيّة بالأمر: ومن ثم تأتي هذه التصحيحات المفرطة (كما هو الحال هنا بالنسبة إلى الإنجليزية أو أعلاه بالنسبة إلى الألمانية)، التي تحدد ما يمكن أن يسمّى صيغاً مختلفة لـ «التبعية البيْلغوية المضادة».

لساني أو معنى اللغة). وقد فسحت لسانيّات الاستعمال الوصفيّة المكان لنحوٍ ولأسلوبٍ معياريَين للغة الأدبية بالمعنى المزدوج لمستوى أسلوبٍ ولتقليدٍ «أدبيين». فاللغة الأدبيّة هذه هي أيضاً لغة مكتوبة. وإذا ما قُدّمت باعتبارها لغة كونية حيادية، فلأن شروط إنتاجها السوسيوثقافية قد تم إقصاؤها مثلما أُبعد الإنجاز البيداغوجي الذي يؤسسها موضوعاً للتدريس وليس أداةَ تواصل كما في السابق[54].

8. خلاصة

يعمل تداخل المعيار اللساني والمعيار البيداغوجي أساساً في إطار النقل إلى اللغة الأجنبية، وتبدو تعتيمات الفرنسية ـ الهدف، في إطار النقل إلى اللغة الأم، مجرد تقريبات بيداغوجية شمولية يستطيع التلميذ أن يضبطها بالنظر إلى قدرة يمتلكها قبلاً. وبالنسبة إلى اللغة الأجنبية المُـدرَّسة، تنصب التداخلات أساساً على مستوى النقل إلى اللغة الأجنبية الذي يؤدي أيضاً إلى موضعة بل وتوضيع مضاعف وكابت للقدرة ـ الهدف، بينما يُطوّر النقل إلى اللغة الأم قدرة ـ مصدراً تظهر الفروق لكنها غير فاعلة (التلقي). ولا يمكن، من وجهة نظر الحاجة، أن نستغني عن النقل إلى اللغة الأجنبية الذي سيمثل، مؤقتاً، البديل الضروري للتعبير التلقائي والذي يجب أن ينزع إلى أن يختفي أمامه تاركاً له المكان. لن يمثل النقل إلى اللغة الأم دائماً مدرسة جيدة لتعليم الترجمة، لكنه يظل بالتأكيد تلقيناً جيداً لتقنيات

(54) لقد كان لتقليد تعليم اللاتينية (والإغريقية) كبير الأثر. وهذا يتجلى بوضوح في ما يتعلق بالنقل إلى اللغة الأجنبية. يمكن للنقل إلى اللغة الأجنبية في اللاتينية أن يمارس من دون قصد سيئ لعدم وجود متكلمين فطريين، ولأنه لن يحدث أن يمنع الـ «معيار» النسقَ الذي هو بمثابة «إعادة تشكيل» استقرائية انطلاقاً من متن محدود محتمل (وربما غير مؤكد في ما يتعلق بأدبية النصوص التي أعيد تشكيلها (ré-établis) بهذه الكيفية).

التعبير عبر الترجمة الدخلغوية (intralinguistique) أو إعادة الصياغة التي تقتضيها المرحلة الأخيرة للترجمة باعتبارها «نقلاً شبه مكتمل» للنص الأصل. وباختصار، تجدر «إعادة الاعتبار للترجمة» وتجديد بيداغوجيتها.

الفصل الثالث

إشكالية الاعتراض الاستباقي

1. المشكل

1.1. فلسفة الاعتراض

الغريب أنه، عندما يتعلق الأمر بالترجمة، يبدأ التفكير **أولاً** بالتساؤل عن إمكان هذه الممارسة التي تتخذ منها الترجمة موضوعاً لها، فضلاً عن أن الاتجاه المهيمن اللافت للانتباه هو الرغبة في الخلوص إلى الاستحالةِ النظريةِ للترجمة! وهو ما يمثل مفارقة غريبة جداً تخص الترجمة بحسب ما يبدو. هل يمكن أن نتصور نشاطاً إنسانياً آخر يوازي من حيث الأهمية والانتشار والخلود نشاطَ الترجمة؟ وهل يمكن إنكار وجود هذا النشاط قانونياً بالرغم مما يواجهه باستمرار من حقائق؟ هل يمكن أن نقيم الدليل، مثلاً، على أنه يستحيل علينا المشي؟

لقد أنكر، في الحقيقة، بعض الفلاسفة القدامى، والعهدة على الراوي، الحركة (ومن ثم إمكان المشي). ونحن نعرف مفارقة أخيل والسلحفاة: في اللحظة التي يدرك فيها أخيل مكان وجود السلحفاة بقفزةٍ، تكون هذه السلحفاة قد انتقلت إلى مكان أبعد، ويكون على

أخيل أن يقفز قفزةً أخرى لكي يدركها، لكنها تكون قد تقدمت مرةً أخرى، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية. لهذا السبب، لن يدرك أخيل، «الجامد في خطاه العملاقة»، أبداً، أبطأ حيوانات البسيطة.

هذه واحدة من الحجج الأربع التي ساقها زينون الإيلي (Zenon d'Elée) ضد إمكان الحركة: سفسطائيّة مخزية فكرياً أو مثيرة للضحك بعض الشيء بالأحرى. في الحقيقة، ليست هذه المفارقة مجرد عبث، إنها استدلال بالخلف يستمد كل معناه من جدال فلسفي حول الحركة، جدال يرتبط بنقاش ميتافيزيقي عميق ينتصر فيه الاتجاه الإيلي لصالح الذات على حساب الصيرورة ولصالح الفكر على حساب الحواس. لا يمكننا أن نتوسع أكثر حول خصام المدارس الفلسفية هذا. إنه يتخذ مغزاه بالنسبة إلينا مما يوحي به من إشارات على أكثر من مستوى.

إذا تأملنا مَلياً حجة زينون، لاحظنا أنها تسعى بدورها إلى أن تُبرز الإعلان عن أن التناقض ذاته يواجهنا عند الترجمة. وهو قائم بين النظرية والتطبيق، وبين إمكانات الخطاب وحقائق العالم، وبين الفكر والفعل، إضافة إلى الحظوة الأدبية والميتافيزيقية التي يمنحها هذا التناقض أو هذه «العبثية» بالإحالة على التقليد الفلسفي للعصور القديمة. في هذه الحالة كما في تلك، يبدو أن العقل يختبر لذةً ماكرةً في أن يقع في شرك خطابه الخاص. ينغلق المُنَظِّر داخل سجن المصطلحات الخالصة وينقطع عن الممارسة التي يقصد معالجتها. وما دام الأمر يتعلق هنا بالتفكير في مسائل الترجمة، فإننا، والحالة هذه، بصدد ما نسميه إشكالية الاعتراض الاستباقي (l'objection préjudicielle) (انظر ص 76).

و«قبل» الخوض في الترجمة، نستبق الحكم على إمكانها،

ونجزم بالسلب، كما فعل زينون مع الحركة. ثمّة شبه كبير بين المشكلين. يشكل الاعتراض الاستباقي ضرباً من الإيلية(*) الذي ينحو نحو البرهنة على استحالة حركة الترجمة. وفي الحالتين، يظل التناقض جوهرياً: كيف (ولماذا؟) نثبت أن شيئاً ما مستحيل؟ ألا ينبغي أن نكون قد حددنا هذا الشيء بالاعتماد على الحقائق التي يحيل عليها؟ لكن من يقدر على فعل الكثير بإمكانه فعل القليل، وما يدخل في خانة الواقعي له بالأحرى موقعه في إمبراطورية الممكنات. كيف يمكن أن نتحدث بِجِدٍّ عن الترجمة ـ ولو لنقول إنها غير ممكنة ـ من دون أن نكون قد مارسناها على الإطلاق؟

يجب أن تتوافر لدينا، من دون شك، حجج في غاية الأهمية حتى إذا طرحنا استحالة الترجمة، كان بمقدورنا التصدي للمنطق والتفكير السليم. فثمة ما يؤشر على أن كلاً من الاعتراض الاستباقي على الترجمة وبرهان زينون ضد الحركة يخفيان في واقع الأمر أكثر مما يظهران: إذ يحيل هذا الضرب من الاستدلالات في الحقيقة على إشكاليات أخرى أكثر عمومية، وهي لا تبدو مباشرةً لكنها تتحكم في الاستدلال المعتمد. وهكذا، فمفارقات زينون ليست مفهومة في حد ذاتها، بل هي نتائج متفرعة أو متلازمات نابعة من فلسفة الكائن التي يُـدرّسها مريدو المدرسة الإيلية. وعلى النحو ذاته، لا تحيل إشكالية الاعتراض الاستباقي أساساً على صعوبات الترجمة فحسب، والتي

(*) يعد زينون، إلى جانب برمينِدس، أحد رواد المدرسة الإيلية التي كان مقرها بلدة إيلية جنوب إيطاليا. اشتهر بمنهجه الجدلي ويمكن إجمال الفكرة الأساسية التي تدور حولها مؤلفاته الفلسفية في ما يلي: «الوجود واحد لا متعدد، وساكن غير متحرك أو متغير». وقد ساق حججاً كثيرة للاستدلال على وحدة الوجود وإبطال الحركة. وفي هذا السياق تأتي قصة أخيل البطل اليوناني وأسرع عدائي زمانه مع السلحفاة التي وظفت في إطار استدلال بالخلف لإثبات «استحالة الترجمة».

هي صعوبات واقعية، بل تمثل في حقيقة أمرها نتاج موقف فكري جماعي. إن لها موقعاً خاصاً تتبوّؤه ضمن حقل أيديولوجي يمنحها معناها ويفسرها.

2.1. هل الترجمة مستحيلة؟

الاعتراض الاستباقي، للإشارة، ليس وليد الأمس. وبالطبع، فإن النقاش الذي يخص معرفة ما إذا كانت الترجمة ممكنة أم مستحيلة نقاش قديم جداً. وفي ذلك تقليد فكري طويل. وقد خاض جورج مونان، المتخصص الفرنسي المُقَرَّ بمعارفه بخصوص نظريّة الترجمة، في هذا النقاش التقليدي. في كتابه **الأول** والذي يحمل عنواناً طريفاً (*Les belles infidèles*) (مونان، 1955)، يراكم ج. مونان، بوصفه «عالم ترجمة» (traductologue)، شهادات واستشهادات هي حصاد وفير جمعه على امتداد التاريخ الأدبي.

نفد ـ هذا الكُتيّب منذ زمن بعيد ومن المؤسف جداً عدم إعادة طبعه. ويجب ألاّ ـ ننخدع بكتابته الأدبية: فالكُتيّب يتضمن عصارة المواضيع الرئيسة التي سينكب ج. مونان على تطويرها في أعماله اللاحقة. وننزع، في ما يخصنا، إلى اعتباره أحسن كتبه وأهمها ونفضله على مؤلفه (*Problèmes théoriques de la traduction*) (G. Mounin, 1963)، إنه على كل حال كتيب موح للغاية، ينبغي أن يتصدر كل بيبليوغرافيا تتصل بالترجمة. لقد دفعناً نفاده إلى مضاعفة الاستشهادات وإلى محاولة استعادة فحواه. ومن ثم فالنقد الذي نوجهه هنا إلى الاستدلالات التي يعرضها تصبح أحياناً مبررة لتعوض، بشكل من الأشكال، غياب الكتاب.

تتطور هذه الدراسة إذاً انطلاقاً من جورج مونان في حين أنه

يبدو من الصائب «الانطلاق» من أعماله، أي البدء بها بهدف تجاوزها... ومنذ البداية، يطرح جورج مونان السؤال الشامل الذي سيوجه كل استدلالاته ويهيمن على الكتاب في مجمله. وهو: هل الترجمة ممكنة؟ (إنه عنوان الفصل الأول من كتابه).

يُطرح المشكل، منذ البدء، بوضع فصل بين من يسميهم «منظري الاستحالة» والواقع الفعلي لممارسة ترجميةٍ عريقة. وهذا التناقض الأساسي، المشار إليه سابقاً، والذي يُفَعِّل هذه الجدلية المضطربة للممكن (أو بالأحرى، للمستحيل) وللواقعي، يطابق بالفعل شكلاً من أشكال تقسيم العمل، قابل للنقد في حد ذاته. فليس الأشخاص الذين ينظِّرون (لاستحالة الترجمة) هم أنفسهم الذين يترجمون، فثمة من يتحدثون وثمة من يفعلون. ويظل هذا التباين (clivage) جلياً في الترجمة. فالعامة أو بالأحرى بروليتاريا المترجمين «في الميدان» يبقون مبعدين عن التأمل النظري. وقد ظل هذا التأمل النظري حكراً على زمرة من أرستقراطية اللسانيين الذين يتفلسفون في الترجمة دون إخضاعها لمحك المِراس[1]، سواء لتوضيح ما ينبغي القيام به، أو لإبراز أنه لا يمكن القيام بأي عمل ذي جدوى...!

ثمة «تقليد عمّرَ طويلاً ينزع إلى اعتبار فعل الترجمة مستحيلاً» (مونان، 1955، ص 8). وتُستحدث دوماً صيغٌ جديدة للنظرية

(1) قررت، بوصفي كاتباً لهذه السطور، أن أعترض على هذه الثنائية السخيفة وأن أكون في الآن ذاته منظّراً وممارساً للترجمة (انظر ص 59 وما يليها وص 71، وص 154 وما يليها من هذا الكتاب). إنني أعترض أيضاً على التباين النخبوي الذي يضع بدوره طبقة أرستقراطية من مُصدّري الكتب (préfaciers) والمعلقين في درجة تعلو درجة المترجمين الذين يتطفلون عليهم ويرغبون في أن يروهم مكتفين بدور الخدم البكم المجهولين.

الواحدة التي تخص «تعذّر الترجمة» (l'intraduisibilité) وامتناعها. وتخضع هذه النظرية لتعديلات طفيفة على مر القرون. ولعل أبسط المفارقات تكمن في أن الوجود المستمر لمترجمين يمارسون الترجمة فعلياً يظل «تقريباً دون تأثير سلبي على هذه النظرية» (المصدر نفسه، ص 7). ومع ذلك، فقد كانت الترجمة حاضرة على الدوام قبل وجود أي نظرية. إن الترجمة نشاط إنساني كوني في الزمان كما في المكان، لقد كانت ضروريةً لكل العصور وأسطورة بابل تشهد أيضاً على قدمها (انظر ص 11 وما يليها). فلنقل، من أجل أن نوسع بشكل ما استعارة الـ «الجميلات الخائنات» التي يقترحها ج. مونان، إن مهنة المترجم هي بالفعل إحدى أقدم مهن العالم...

3.1. الترجمة المتناقضة

هذه الأقدمية ذاتها دالة، فهي التي تطرح المشكل. كيف حدث أن عدداً من أصحاب العقول الملهمة، والذين كان بعضهم أيضاً مترجماً عند الحاجة (بالرغم من أنهم يتناسون الأمر بتحولهم إلى منظّرين)، يبدون وكأنهم يتجاهلون عمداً بديهيات ممارسة تعود إلى العصور الغابرة؟ كيف حدث أن يتكرر حضور نظريّة عن استحالة الترجمة بكل تحولاتها إلى جانب ممارسة تكذبها باستمرار؟ ماذا يعني ذلك؟ وما دام للترجمة، نظريةً وتطبيقاً، تاريخان متوازيان، يناقض الواحد منهما الآخر، فإن الأمر يستدعي تفسيراً.

يوجد هنا ما نسميه تناقضاً (antinomie)، كما يقول الفلاسفة، أي إنه يمكن القيام ببرهنة على النقيض كما على نقيض النقيض. الترجمة مستحيلة، و/ أو: كل شيء قابل للترجمة (انظر ص 76 وما يليها).

إشكال استحالة الترجمة هذا ـ هل يجب أن نتحدث حقيقة عن «استحالة الترجمة» (ج. مونان، 1955، ص 7 وفي أماكن متعددة)؟ ـ هو تناقض جوهري ينعكس، على مستوى ممارسة الترجمة، في مفردات متناقضة لبديل ينطوي بدوره على «تناقض»: ينبغي أن تكون الترجمة قريبة من النص أم بعيدة عنه؟ ترجمة حرفية أم ترجمة أدبية (أي «حرة»)، ترجمة أمينة أم أنيقة، ترجمة الظاهر أم ترجمة الروح... هنا أيضاً، يتعلق الأمر بقطبي البديل ذاته، واللذين يتغير اسماهما إلى ما لا نهاية، ويقسمان تاريخ الترجمة (انظر ص 14 وما يليها). هذه التقابلات المختلفة هي أيضاً تعديلات للتناقض الأساسي ذاته. إنها هي ذاتها تنطوي على تناقض لا يمكن معه ـ الفصل، بكل دقة، بين المفردتين: يجب الاستجابة في الوقت ذاته لشرطين متناقضين في الظاهر، وهما في الواقع وجهان لشرط واحد، مزدوج. يجب في الوقت ذاته مراعاة الأمانة والأناقة، وظاهر النص وروحه...

وتزخر نظرية الترجمة، أو «الترجمية» («Traductologie»)، بهذه الأزواج المتقابلة التي تعكس أو «تعيد إنتاج» بنية تناقضية (antinomique) أساساً. وبالإضافة إلى تقسيم العمل، الذي أشرنا إليه سالفاً، بين طبقة أرستقراطية من محبي الجمال أو الهواة وطبقة بروليتارية من المترجمين، فإن الأمر يتعلق، في هذه الحال على وجه الخصوص، بالتوتر المتناقض الذي يحدد العلاقة بين النظرية والتطبيق (انظر ص 114).

يمكن القول، إذا ما بقينا عند هذا المستوى من التجريد المتعلق بموضوع فلسفي تقليدي، إن بين هذين القطبين المتناقضين علاقة جدلية. وثمّة إجماع على ذلك. لكن بم يتعلق الأمر بشكل ملموس؟

2. برهنة ثلاثية ضد الترجمة

0.2. حضور دو بللايّ في مونان

لا حاجة البتة للاستفاضة في شرح الأمر الموغل في البداهة والذي يتصل بإمكان الترجمة تطبيقاً بدليل أننا لا نتوقف عن الترجمة. لا تطرح مفردة التطبيق التي تشكل أحد طرفي النقيض إشكالاً، في حين يمكن التساؤل بخصوص المفردة الثانية: لـمَّا تم التحقق من إمكان التطبيق، فما جدوى نظرية الاستحالة التي نتشبث بها؟ وما هي هذه البراهين النظرية التي يمكن أن تؤدي قوتها إلى التصدي لبديهيات التطبيق وإنكار دروسه؟

نستغرب قليلاً عندما نرى متخصصاً مثل مونان يخلص هو نفسه إلى هذا الضرب من الدرجة ـ صفر من التفكير في الترجمة ويحمل على محمل الجد، إلى هذا الحد، هذا الإشكال للاستحالة النظرية للترجمة. وكما مر بنا، فهو، بعد آخرين، يبدأ بطرح أو «بإعادة طرح» هذا السؤال الأبدي. وهو بذلك يغذي، في مرحلة أولى على الأقل، إشكالية الاعتراض الاستباقي.

يستشهد مونان بكثرة بجواشيم دوبللايّ في الفصل الأول من كتابه (*Les belles infidèles*) وهو يميز بين أنواع ثلاثة من الاستدلالات ضد الترجمة (مونان، 1955، ص 8 ـ 17 وفي أماكن متعددة): السجالية والتاريخية والنظرية الصرف. فقد خصص دوبللايّ في (*Défense et illustration de la langue française*) ثلاثة فصول للإشكالات التي تطرحها الترجمة مباشرة، ذلك أن الفصول (الرابع والخامس والسادس) من الكتاب **الأول**، على التوالي، تطابق تقريباً الأنماطَ الثلاثة المشار إليها. وسنلاحظ الإحالة على التقليد الأدبي القديم جداً لـ لابليّاد (la Pléiade)، التي تتموقع في أصل لغتنا، وتشهد مرة أخرى، على قدم هذا النقاش الذي أحياه مونان (انظر ص 104).

1.2. استدلالات سجالية

لقد تم في البدء استحضار «استدلالات سجالية ضد الترجمة». وتقوم هذه الاستدلالات على التبرم من الترجمات الرديئة ومن المترجمين الأردياء. إنها تجسيد للعبارة الشهيرة (Traduttore traditore) (الترجمة خيانة)، ويمكن للغة دوبللايّ أن تسوق في اللغة الفرنسية التلاعب بالألفاظ المعروف في اللغة الإيطالية كما يتجلى في تعبيره: «ماذا أقول عن بعضهم، يجدر حقيقة أن نطلق عليهم لقب مسلِّمين بدل مترجمين (traditeurs que traducteurs)؟»

وحول هذا الموضوع، يظل مَعين بعض الحقول النيّرة خصباً لا ينضب. ففي الأوساط الجامعية، على الخصوص، نشتكي عادةً من الرداءة وغياب الجودة في الترجمات. نكتشف بعض التناقضات، وينصب النقد على التنقيحات الشخصية التي تقدم كأنها ضرورية لفهم النص. ويكفي أن نذكر بالثورة الاصطلاحية التي اخترقت (قلبت؟) أوساط التحليل النفسي الباريسية والتي لم يمضِ عليها وقت طويل جداً. فبموجبها لم يعد بالإمكان ترجمة المفردة الفرويدية (Trieb) إلا بـ (Pulsion) (غريزة جنسية)، في حين تم الاكتفاء خلال عقودٍ لفها الجهل بالحديث عن (instinct) (الغريزة)... (انظر ص 253).

يطيب لنا أن «نصحّح» هذه الجزئية أو تلك من ترجمة مَعيبة ونعمل على تسليط الضوء عليها. وذلك ليس تظاهراً بالمعرفة، بدل التباهي بالثقافة. وفضلاً عن ذلك فإن الذين يسمحون لأنفسهم بوضع «حبة ملحهم» هنا، إذا شئنا القول، هم عموماً غير قادرين على إنجاز الترجمة التي ينتقدونها ساخرين، بل ينقدونها بشدة. أما في ما يخص «اقتراحاتهم من أجل تحسين الترجمة»، فهي في الغالب ليست ذات أهمية واضحة، على الأقل، عندما لا يتعلق الأمر بأخطاء حقيقية... وهكذا، نشوّش على الاقتصاد الدقيق للترجمة المنجزة،

وذلك بإدراج أخطاء شخصية منبثقة من تقدير مبالغ فيه للأهمية الدلالية للمصطلح الأجنبي المروم ترجمته، أو عن حيرة حول مصطلحات في غير موضعها... إلخ. إن الأمر يتعلق في الغالب الأعم بهوى مثقفين أو عادة «مربين»[2].

ويصعب، من جهة أخرى، إنكار أن كل الترجمات ليست جيدة ـ هيهات أن تكون كلها كذلك! ـ وبخاصة ما يتعلق بالنصوص الصعبة في علم النفس والفلسفة والعلوم الإنسانية عامةً. فيلسوف كبير، غامض وعميق، مثل هيغل أو هايدغر، مثلاً، يطرح لمترجمه مشاكل تأويل قد يتعذر حلها، وندرك وقتئذٍ سبب تعدد الترجمات واختلافها. وتصبح هذه الترجمات موضع مجادلات في الحوار الفلسفي وكأنها نسخ متباينة من النص الأصلي ذاته إذ تعتمد كل واحدة منها تأويلاً خاصاً. وفي الحقيقة، لا يتعلق الأمر بمعانٍ متناقضة بقدر ما يتعلق بوجهات نظر مختلفة وبتأويلات متنازع بشأنها (انظر ص 220 وما يليها... إلخ).

وعموماً، تحصل «الاستدلالات السجالية المقدمة ضد الترجمة»، بالفعل، بسهولة على ما تتغذى به من أمثلة. ولسوء الحظ، يسهل جمع «لآلئ» الترجمة. ويمكن أيضاً أن نجمع عناصر لمجموعات من الحماقات، كما تقوم بذلك دار نشر باريسية كبيرة ومعروفة جداً تنشر سلسلة من الروايات البوليسية (سلسلة روايات «سوداء»)، معظم عناوينها «مترجم عن الأميركية» كما يقال الآن[3]...

---

(2) انظر ص 119 (وص 321 وما يليها من هذا الكتاب). نلاحظ أنه، منذ فترة قصيرة، تمّ غزو الصفحات الأدبية للصحافة (بما فيها الصحافة ذات المستوى الجيد) بهذه الموضة غير المسؤولة القائمة على نقد الترجمات بما فيها الترجمات الممتازة.

(3) بل نجد أيضاً كتباً «مترجمة عن البرازيلية». فمتى كانت الكتب تترجم عن الأسترالية أو النيوزيلندية أو المصرية أو المغربية أو السورية أو النمساوية أو عن الألمانية الشرقية و ـ لم لا! ـ عن الكندية أو السويسرية أو البلجيكية؟

كل هذا ليس بالأمر الجديد وليست له عواقب وخيمة. لقد انتابنا على الدوام ضيق من الترجمة الرديئة. لكن ليس ثمّة ما يقنع بتبني الاعتراض الاستباقي سبيلاً، بل، على العكس من ذلك، يمكن أن نرى في الأمر استدلالاً مضاداً. فإذا اعتقدنا أنه يجب أن ننتقد المترجمين الأردياء بقسوة، فمعنى ذلك أن ثمة مترجمين جيدين، ومن ثم (ergo)، فالترجمة ممكنة.

تعزى عيوب الترجمة إلى عجز المترجم. فعندما نجادل كتابياً ضد المترجمين الأردياء، فإن المأخذ الرئيس الذي نوجهه إليهم باستمرار هو جهلهم بلغتهم ـ المصدر أو بلغة الانطلاق **(ل أ)** أي اللغة التي يترجمون منها. وهكذا فبصدد ترجمات التوراة إلى اللغة الفرنسية مثلاً، نسجل لهنري ميشونيك، الذي لا يمثل مدار حديثنا هنا، عبارات عنيفة من قبيل: «إذا لم تكونوا تتقنون العبرية، فترجموا شيئاً آخر» (1973، ص 417). وسيكون من السهل أن نضاعف الأمثلة. فلنكتفِ، على سبيل الختام، بأن نذكر الورقة الممتعة حول «الجنرال ستاف (Staff) المنشورة حديثاً بجريدة **لوموند**، بتوقيع بيار فيدال ـ ناكي (1974، ص 16):

«إنه جنرال لا يحظى بشهرة كبيرة في التاريخ. إلا أنه يظهر بشكل متواتر في بعض المؤلفات التاريخية.

«مثلما هو الحال في الكتاب المترجم حديثاً عن اللغة الأميركية لآدم ب. أولام (Bolcheviks). فلنفتح الفهرست: الجنرال ستاف مذكور فيه من خلال الإحالة على الصفحات 317، 352، 363 بين ماريا سبيريدوفا (هكذا لسبيريدونوفا)، التي كانت زعيمة الحزب الاشتراكي الثوري اليساري، وجوزيف ستالين. تطلعنا الصفحة 317 على أنه في غاليسيا النمساوية كان الاشتراكيون البولونيون يهيئون المعركة ضد روسيا «بالتواطؤ مع الجنرال ستاف». وبناءً عليه، لا

يمكن أن يرقى الشك إلى أن الأمر يتعلق بجنرال نمساوي. في الصفحة 352، نقرأ أنه «منذ بداية الحرب، كانت حكومة الإمبراطورية الألمانية والجنرال ستاف على وعي بما يمكن استفادته من الحركة الثورية الروسية». إنه إذاً جنرال ألماني. وأخيراً في الصفحة 363، يُفَسَّر لنا أنه كان من الصعب على الحكومة المؤقتة وعلى الجنرال ستاف أن يوقعا معاً سلاماً منفصلاً سنة 1917. ها هو جنرالنا أصبح روسياً.

«جنرال غريب لا يملك اسماً شخصياً وتحركاته في الفضاء لافتة للانتباه. ومع ذلك فهو يتمتع بخاصية كونه لا يظهر إلا في كتب مترجمة عن الإنجليزية أو الأميركية. لكننا تعرفنا من دون شك على هويته الحقيقية: القيادة العامة (General Staff)».

وبالطبع، «فالترجمة ليست عملاً سهلاً»، كما يعترف الكاتب بذلك صراحة. «ومع ذلك يجب أن نقتل الجنرال ستاف!» كان ذلك استنتاج الكاتب، وهو استنتاج نشاطره.

2.2. استدلالات تاريخية

يمكن أن يستخدم هذا المثال، «التاريخي» (المتعلق بغلطة كبيرة عُثر عليها في ثنايا ترجمة كتاب في التاريخ، و... عُدّت حدثاً تاريخياً نوعاً ما، لأنها استرعت انتباه محرر الأخبار)، جسراً لحسن التخلص يسمح بالعبور من الاستدلالات السجالية إلى الاستدلالات التاريخية التي يستند إليها مونان ضد الترجمة. وعلاوةً على ذلك، فالمرور من الاستدلالات **الأولى** إلى **الثانية** غير محسوس، لدرجة تجعلنا نتصور إلى حد ما أن أحدهما يتميّز من الآخر بمقتضى هاجس لا يخلو من بلاغة... إضافة إلى أن مونان، بوصفه أديباً فذاً، يستمر في استحضار طيف دو بيللايّ.

إذا كانت الاستدلالات السجالية ضد الترجمة تنتمي إلى كل العصور فهي في الواقع «استدلالات مرتبطة، في الغالب الأعم، بظروف تاريخية معينة» (مونان، 1955، ص 10). وعندما أقصى مونتسكيو المترجم، بعبارة قاطعة ـ «إذا ظللت تترجم دائماً، فلن يترجمك أحد أبداً»! ـ فقد كان الأمر يتعلق، «في الحقيقة، باستدلال ذي أهمية تاريخية» (ص 12): كان يريد أن نَنذُر أنفسنا لعمل إبداعي معاصر، بدلاً من أن نكتفي بترجمة (بل بمحاكاة) أمهات أعمال العصور القديمة التي لا يمكن تجاوزها، وهو ما كان يدعو إليه دو بللايّ قبل قرابة قرنين من الزمن تقريباً. فالأمر يتعلّق، عند مونتسكيو باتخاذ موقف يدخل ضمن صراع القدامى والمحدثين، ينتصر فيه للمحدثين على حساب القدامى. وعند شاعر لابليّاد، الذي هو دو بللايّ، وذلك عشر سنوات بعد وثيقة فيلليه ـ كوتريه (1539) التي أعطت للفرنسية وضع لغة الدولة، وهو رهان بالنسبة إلى لغتنا، إذ يتعلق الأمر بالدفاع عن حقوق اللغة الفرنسية وتعزيزها بأدب وطني أصيل «ضد اللاتينية ومنتوجها الاستبدالي: الترجمة» (ص 15)، لكن مونان كان يستشهد هناك بمونتسكيو (ص 11 وما يليها) مستنداً إلى الاستدلالات السجالية وهنا بـ دو بللآيّ (ص 13 وما يليها) مستنداً إلى الاستدلالات التاريخية.

وعلى العموم، فهو يرصد النقد اللاذع الذي وجّهه دو بللايّ للترجمة (وللمترجمين الأردياء) ويردّه إلى الظروف التاريخية للنهضة. فقد لاحظنا تضخّماً فجائياً للطلب في ما يخص الترجمات ولا سيما ترجمة النصوص الإغريقية. عملياً، كانت اللغة الإغريقية (القديمة) «نسياً منسياً»، مما نتج منه ازدهار مترجمين مرتجلين وغير أكفاء. وهكذا ظهر شخص «المتحذلق الكالابري»، أي المتكلم باللغة الأم لإحدى الجماعات المتوحدة اللسانية المتبقية من الـ (Mezzogiorno)

الإيطالي حيث تمت المحافظة على لهجة محلية متحدرة من اللغة الإغريقية. لنُذكّر أن «اليونان العظمى» كانت الاسم الذي أطلق، في القرن الخامس قبل الميلاد، على مجموع المستعمرات الهيلينية الواقعة ـ في الجهة الجنوبية ـ الشرقية من شبه الجزيرة. وهنا أيضاً (ص 10 وما يليها)، يحيل الاستدلال السجالي ضد الترجمة على ظروف تاريخية محددة.

3.2. استدلالات نظرية

ثمّة إذاً، تبعاً لـ ج. مونان، مجموعة من الاستدلالات التاريخية «القوية جداً» ضد الترجمة. لكن، إذا توقفنا مع دو بللايّ عند هذا الحد، فلن تكون بحوزتنا إلا أسباب «خاصة بمرحلة تاريخية محدودة جداً» (ص 14 وما يليها) من أجل البرهنة ضد الترجمة. إلا أن ثمّة أسباباً أخرى، رصينة، تتمثل في «الأسباب النظرية». ويقدم مونان نوعاً ما «سلة» **ثالثة** من الاستدلالات وذلك بفعل تأثره دائماً بـ دو بللايّ. فما هي هذه «الاستدلالات النظرية ضد الترجمة»؟

أوضح كاتب (*Les belles infidèles*)، وهو يفسر قول الشاعر، أن «الوسائل الحقيقية للأسلوب والبلاغة والشعر» تفلت من الترجمة ـ أو «الإلقاء» كما يقول دو بللايّ ـ لأن «هذه الوسائل غير قابلة للترجمة» (ص 15). ها هي الكلمة قد تم الإفصاح عنها أخيراً: ثمّة ما هو غير قابل للترجمة في اللغة، أو بالأحرى، في اللغات وفي «كل لغة على حدة». ثمّة رواسب يستحيل ترجمتها ولن يفلح أي مترجم مهما بلغ شأنه، جيداً كان أو رديئاً، أن ينقلها بأمانة. والأدهى من ذلك، فالأمر لا يتعلق بجزئية غير قابلة للترجمة يمكن التغاضي عنها، بل يتعلق، بجوهر شعر الشاعر، هذا الجوهر الذي تتعذر ترجمته وهو ما يمثل كل البعد الشعري للغة.

ونتيجة ذلك، يتقلص حيّز التطبيق المتصل بالاعتراض الاستباقي الذي يرى في الأمر قاعدة نظرية تدعم موقعه. ويفسح السؤال «هل الترجمة ممكنة؟» مكانه للسؤال «هل يمكن أن نترجم الشعر؟»، ويثوي خلف السؤالين معاً جواب سلبي.

فالشعر إذاً غير قابل للترجمة. يجب أن نُقر بذلك. وسيقودنا الاعتراض الاستباقي إلى التضحية ببعض المترجَم لئلاّ نخسر كلّه.

... إن في هذه الاستعارة التي تتخذ شكل إعلان حكم بالإعدام حرقاً، إنْ أمكن القول، شيئاً من تدنيس الكاتب المتَطيِّر. وإذ نظلّ في السياق لا نبرحه نجد أن فولتير يقول: «ما دمنا قد تُرجمنا، فلن نحرق». ومعنى ذلك أن نسخةً من الترجمة أو من النص الأصل، على الأقل، سيكتب لها البقاء لأننا سنكون بذلك قد ضاعفنا من حظوظها في النجاة من التلف سواء تمّ ذلك بإضرام النار في الكتب التي تدرج في قائمة الكتب الممنوعة لأسباب دينية أو سياسية أو «عنصرية» أو تمّ «لكتب لا تباع» وقرر الناشر إتلافها، أو تم بكل بساطة بما تفعله الفئران القوارض «من نقد» في مسودة ضائعة... إلخ. إنه الأمر الذي أوشك أن يحدث للكتاب البريء **ابن أخ رامو** لديديرو، ذاك الذي لم نتعرف عليه منذ زمن إلا بفضل الترجمة الألمانية التي أنجزها غوته[4]!

لكن ثمة نصوصاً ذات طبيعة مغايرة، من الممكن، بل ومن المشروع الإقدام على ترجمتها. وهكذا، يمكن «لكل العلوم»، بحسب دو بللايّ الذي لا يُفوّت ج. مونان فرصة لإعطائه الكلمة، أن تترجم بأمانة إلى اللغة الفرنسية. ومن ثم يمكن أن نقرأ كل الأدب

(4) إنه إشكال «رَجعية الترجمات» (Rückübersetzungen) الذي يجد له تجسيداً جيداً هنا، هو غير التجسيد البيداغوجي (انظر ص 105 من هذا الكتاب).

العلمي ـ أو لنقل، كل الأدب العلمي والتقني ـ في الترجمات، من دون مشكل. ولحسن الحظ هذا الأمر ممكن لضرورته إذ لا يعقل أن نتصور أن يتعلم كل فرد جميع اللغات التي تُنشر بها أشياء مثيرة للاهتمام لأن ذلك سيرفع عدد النصوص «القابلة للترجمة»، بمعنى النصوص التي يجب ترجمتها.

إن ذلك سيجعل عدداً كبيراً جداً من الكتب تنتظر دورها في الترجمة (وسيطول انتظارها)، لدرجة أن الحجة المقدمة أصبحت تنهض بدور معكوس: إذ، كما هو معلوم، ليس من السهل حالياً على أي باحث أو تقني أو أي مستعمل للعلم، أن ينتظر ترجمة كل الكتب أو بالأحرى كل مقالات البحث العلمي التي يرغب في الاطلاع عليها. فالخناق يشتد على الترجمة[5]، مما يدفع ببعضهم إلى نشر أعمالهم مباشرة باللغة الإنجليزية التي تعتبر لغة كونية. ومن الواضح أن هذا الحل سيقضي، في النهاية، على الترجمة، وسيدفع بالمترجمين نحو البطالة. وما مظهر «الحريق اللسانيّ» هذا بالمظهر الضارّ الوحيد (انظر ص 39 وما يليها). ومن هنا ينقلب الاستدلال: فبالنظر إلى قابلية النصوص العلمية للترجمة وبالنظر إلى وفرتها وتعددها، لن يعود بالإمكان ترجمتها. وبذلك تستحيل نصوصاً غير قابلة للترجمة... من فرط (قابليتها للترجمة).

إلا أن استحضار المشاكل الحديثة قصد تحيين توثيقٍ علمي متعدد اللغات بناءً على استشهاد لـ دو بللايّ (وهو ما نقوم به الآن)،

---

(5) لقد كان الغرض من الأبحاث التي جرت حول الترجمة الآلية، التغلبَ على هذا الضرب من الإشكالات. في الحقيقة، لن ترى «آلات الترجمة» النور غداً، والوظيفة الأساسية التي ستوكل إليها هي التوثيق الآلي: إنها «آلات لاستكشاف المطبوع، آلات للتنقيب في صحارى البيبليوغرافيا، آلات للتحليق فوق محيطات المداد الذي يغرق كل باحث» (مونان، 1976، ص 267).

هو ما نسميه بالضبط مفارقة تاريخية. ألا يؤشر ذلك على أن «كل علوم» دو بللايّ، لا تطابق علومنا؟ ومهما يكن من أمر، فعقب هذا التقديم لاستدلالات دو بللايّ، التي عرضنا لها بإسهاب متوسعين فيما جاء في الصفحات التي خصصها لها مونان، حصل لدينا تقابل حقيقي بين العلم والشعر، بل ما يشبه المقابلة التي ينبغي ألاّ تُفهَم عناصرها حرفياً بل في معناها الموسّع. وهذه العناصر تستدعي تدقيقاً.

3. الميتانقد

1.3. تداخل الاستدلالات الثلاثة

لنلاحظ أن مونان ساق استشهاده بـ دو بللايّ ضمن الاستدلالات «التاريخية» ضد الترجمة وهو يتحدث عن خصوصية خطاب ما ينعته بـ «العلوم»: فنحن هنا أيضاً بصدد انزلاق يستبق الاستدلالات «النظرية» التي سيتم عرضها لاحقاً.

وفعلاً، فإن دو بللاي يواجه إشكالاً تاريخياً ـ أو بالأحرى سياسياً ـ وهو يقابل لغة الشعر بخطاب العلوم. فقد كان الشاعر، كما رأينا، مناضلاً أيضاً من أجل قضية لسانية، همه الدفاع عن اللغة الفرنسية وتعزيزها. وتكتسي هذه الاستدلالات التاريخية إذاً طابعاً «سجالياً». لكن المعركة، في السياسة وفي السياسة اللسانيّة على وجه التحديد كما في غيرها من الميادين، ليست سهلة. فلا يتم أبداً تحديد طرفي الصراع بطريقة واضحة ثابتة كما هو الشأن بالنسبة إلى فريقي كرة قدم، ومن ثم تكتسي المُحاجة التي يجب القيام بها على جبهتين جدليتها.

ولهذا الغرض، ففي هذه النصوص التي يستشهد بها ج. مونان ضد الترجمة، يتجلى قلبٌ للتحالفات: «بعد أن استخدم الترجمة

حليفاً ضد اللاتينية، ينقلب دو بللايّ ضدها للدفاع عن الأدب الفرنسي» (ص 14). وقد نذر نفسه، في البداية، للدفاع عن الترجمة لأن «كل العلوم»، كما يعترف بذلك هو نفسُه، يمكن أن تترجم بأمانة إلى اللغة الفرنسية، ولكنه ندّد، في ما بعد، «بهذا الجهد الجدير بالثناء إلى حد كبير»، لأن الأمر تعلق بالشعراء.

ومهما يكن من فحوى المحاجة نفسها، فإننا نسجل تداخلاً آخر بين مختلف أنماط الاستدلالات التي ميّز بينها مونان، ويهم التداخل هذه المرة الاستدلالات «النظرية» والاستدلالات «التاريخية»: وهو ينضاف إلى التداخلات الأخرى التي تمت الإشارة إليها عدة مرات من قبل. وثمّة، بشكل عام، انزلاق مستمر غير محسوس تقريباً، من نمط استدلالي إلى نمط آخر، مما يقود أخيراً إلى الاعتقاد بأن التصنيف الذي اقترحه مونان متكلف. فالاستدلالات المستحضرة لا تجد لها موقعاً فيه إلا بصعوبة. ولدينا انطباع بأن هذه الأنماط المختلفة من الاستدلالات يتميّز بعضُها من بعضٍ بمقتضى همٍّ بلاغي بالأساس، يستهدف حفظ «التصميم الثلاثيِ الأجزاء»، التصميم الكلاسيكي الشهير لكل بحث فرنسي. وهنا أيضاً، يبدو مونان أديباً فذاً. . .

ويتأكد ميله إلى الثالوث أيضاً من خلال التقابل المجازي الذي يقترحه علينا بين «الزجاجات الشفافة» و«الزجاجات الملونة»، وذلك بمقتضى درجة بُعد النص ـ الهدف عن النص ـ المصدر، وبمقتضى ما إذا كانت الترجمة تفرنس لنا النص الأصلي أو أنها تهدف إلى تغريبنا (G. Mounin, 1955, pp. 109 sq.). ويعتقد أن من الواجب توزيع هذا التقابل تبعاً لثلاثة محاور ممكنة تتعلق بالمسافة بين النص ـ المصدر والنص ـ الهدف: إنه يقوم بتمييز ثلاثي، وفقاً لما إذا كانت هذه المسافة تحيل على تلوينات (colorations) مميزة خاصة

باللغات المعنية بالأمر، أو على تلوين تاريخي يرتبط بالقرن الذي ينتمي إليه النص المروم ترجمته، أو على التلوين المحلي ذي الصلة بالاختلافات الموجودة بين الحضارات (انظر أيضاً ج. مونان ص 142، وما يليها).

وما دمنا عقدنا العزم على وضع تقييم لمختلف الاستدلالات الموجهة ضد الترجمة، **فأول** أمر جدير بالإشارة هو أن ثالوث ج. مونان يظل، حقيقةً، ممتعاً للعقل، وقد عُرض بأناقةٍ وتمَّ إغناؤه بأمثلة مهمة متعدّدة انتُقيت بعناية، لكنها مهلهلة، والأمر **الثاني**، وهو وطيد الصلة **بالأول**، يكمن في أن وضع هذه الاستدلالات التاريخية إشكالي تماماً.

يعسر، في الواقع، جداً تمييز هذه الاستدلالات من غيرها. لقد رأينا أنها تطبع بمسحة تاريخية الفصلَ (الفصل الفرعي) المفرد «للاستدلالات السجالية ضد الترجمة». ويبدو أنها تستثمر «الاستدلالات النظرية» نفسها أيضاً: لا لأن التقابل بين العلوم والشعر، كما رأينا، يعود إلى محاجة محددة تاريخياً عند دو بللايّ الذي يستبق الاستدلالات النظرية المعروضة في ما بعد فقط، بل، لأن ج. مونان، يستقي، من تاريخ الترجمة، أيضاً، الاستدلالات النظرية ضد الترجمة. وهي الاستدلالات التي يستشهد بها، من جهته، بعد الشاعر. فتبعاً لجورج مونان، فإن كل الشعراء الذين قدموا بعد دو بللايّ، لم يعملوا إلا على «تقليص فن الترجمة إلى همومهم الصغيرة الخاصة بالعصر» (ص 17). وقد «أدان كل واحد منهم تاريخياً لغة مترجِمة معينة» (ص 19). وكل مترجم يعتذر ويلفت الانتباه ـ بناءً على تواضع حقيقي أو مزيف ـ لكونه لم يفلح بعد في عكس الجمال الحقيقي للأصل وهو يترجمه إلى الفرنسية، إلى هذه اللغة التي لا تستجيب إلا قليلاً لهذه العملية...

2.3. ترجمة وتاريخ

1.2.3 إن مبدأ هذه الاستدلالات المسماة تاريخية، بخلاف غيره من الاستدلالات الأخرى، هو بالأساس ما يجب تبئيره. فالمشاكل، مهما تبلغ من أهمية، تُطرَح بالتأكيد، بعبارات تاريخية أي بعبارات مرحلة تاريخية معينة: إنه أمر بدهي، إنه تحصيل حاصل. لكن ذلك لا يعني أن هذه المشاكل تاريخية في جوهرها، أي أنها مشاكل ترتبط بمرحلة معينة. ويمكن أن يعاد طرح هذه المشاكل في مراحل مختلفة، بعبارات متنوعة تقريباً، دون أن تُغير طبيعتها.

فعندما يستحضر مونان مثلاً النقد اللاذع الذي ساقه دو بللايّ ضد المترجمين الأردياء، بوصفه استدلالاً سجالياً ضد الترجمة، يتّضح بسرعة أن هذا النقد اللاذع ضد «المسَلّمين» قد أملته في الواقع «ظروف تاريخية مماثلة جداً» (ص 11). لكن هذا «الطلب المتزايد على الترجمات» مردّه، في الحقيقة، «تزايد عدد القراء الجدد» (ص 10)، وتعدد اللغات والثقافات التي تترجم منها المؤلفات كذلك. وهذه وضعية معاصرة جداً أيضاً: فالأسباب ذاتها تفرز النتائج ذاتها، إنها تسهم أيضاً في أيامنا هذه في «انتشار للمترجمين الأردياء»، وهو عامل ينضاف إلى الأسباب الرئيسة ذات الطابع الاقتصادي والتي تتصل بالوضع الصعب للمترجم في مجتمعنا. وبعبارة أخرى، فإن الاستدلال السجالي موضوع النقاش يحيل على مرحلة محددة تاريخياً. إنه استدلال «تاريخي». لكنه ينزع إلى أن يصبح في الواقع قابلاً لكل زمان، إنه في نهاية الأمر مجاوز للتاريخ (transhistorique).

وعلى النحو ذاته، يضاعف مونان الأمثلة المستمدة من مراحل تاريخية مختلفة حين يتعلق الأمر بالاستدلالات النظرية ضد الترجمة. ويعني ذلك أن الفكرة الثاوية خلف عمل ج. مونان هي الفكرة ذاتها،

فكرة تفرد اللغات التي يفترض ألاّ يقاس بعضها إلى بعض. وقد تم اختيار الأمثلة المستشهد بها من اللغة الفرنسية حصرياً، اللغة التي ترجم إليها هذا العمل أو ذاك من لغة أجنبية معيّنة، وهي كلها أمثلة مرتبطة بفترة محددة تاريخياً: ومن هنا، تتجلى على ما يبدو «أرخَنَة» (historicisation) المشكل. وبالفعل، فعندما تستحضر مدام داسييه (Madame Dacier) اللياقة اللازمة في اللغة الفرنسية من أجل التخفيف من حدة فحش كلام هوميروس (Homère) وسوقيته، وعندما ينحو ريفارول (Rivarol) المنحى ذاته مع دانتي[6] (Dante)، وعندما يشير مونتاين (Montaigne) إلى الخطر الذي تشكله ترجمة عمل رائع من العصور القديمة إلى «لغة أضعف»، ضعف لغتنا، أو «سوقيتنا»، فإننا، في كل هذه الأحوال، يمكن أن نقول مثل ج. مونان بأن ما تم هو «المحاكمة التاريخية للغة مُتَرْجِمة معيّنة»، لكن هذه المحاكمة تظل هي نفسها عبر مختلف المراحل التي بحثنا فيها عن مستندات توثق لها[7]. ومن ثم، فهي لا تستحق أن تحمل لقب محاكمة «تاريخية» إلا بالنظر إلى الظروف المتتالية التي تستقي منها أمثلتها: فالتاريخ لا يعدل معطياتها العميقة.

---

(6) «عندما نكون فقراء وحسّاسين، يجدر أن نكون متحفظين»، هذه العبارة التي صيغت على الطريقة الفرنسية عثر عليها جورج مونان (1955، ص 22) عند ريفارول، وهي توضح في الآن ذاته ما نسميه «المُحافظة اللسانية» للمترجم (انظر ص 319). وبشكل عام، سيكون ثمّة ما يدعو إلى موضعة مفهوم «اللغة ـ الثقافة» الذي اقترحه ميشونيك (Meschonnic, 1973, p. 308 et passim) ومفهوم اللغة الموسعة (périlangue) الذي يتخذ هنا طابعاً أدبياً والذي نفضله على الأول (انظر ص 263 وما يليها من هذا الكتاب).

(7) يعد مشروع هنري ميشونيك النظري أكثر راديكالية، فهو يعتبر الترجمة «مغامرة تاريخية لموضوع معيّن» (Meschonnic, 1973, p. 307)، «إن المتعذر ترجمته، بالنسبة إليه، يدخل في باب الاجتماعي والتاريخي، وليس في باب الميتافيزيقي» (المصدر المذكور، ص 309). من أجل توضيح ملموس وتطبيقي للقضايا التي يطرحها البعد التاريخي لنشاط الترجمة، انظر ص 335 من هذا الكتاب.

في الأخير، فإن ما يشكل محط الاهتمام هو الخلفية الثقافية للاشتغال اللساني. وفي هذا الصدد، تمثل الفرنسية مثالاً متميزاً، بلا ريب، بكل قيودها الاجتماعية الموضوعة على اللغة وكل هذه «الاستعمالات» التي شطرت تاريخها. . . الأدبي. لكن بقطع النظر عن لغة خاصة معيّنة وعن تاريخها الخاص، لا يعدو كتاب (*Les belles infidèles*) كونه يقدم لنا بعض البدائل التي تحيل على مراحل تاريخية معينة في موضوع الإشكالية الخالدة للاعتراض الاستباقي، كما يذهب إلى ذلك، ج. مونان نفسه في مكان آخر: «غنى مثير للإعجاب يميز كل لغات المصدر وفقر مزمن يطبع كل لغات الهدف» (مونان، 1972، ص 376). إن ما تم تجميعه على امتداد التاريخ الأدبي من أسرار واعترافات للمترجمين، لا يكفي لتغذية استدلال نظري صرف ضد الترجمة، حتى ولو أضفنا إليه متوالية من المقارنات الموحية التي قيم بها بين الأصل وترجمته[8]. لكننا لا نستخلص من ذلك أيضاً استدلالاً تاريخياً حقاً.

فالاستدلالات «السجالية» شأنها شأن الاستدلالات «التاريخية» تعود «إلى كل الفترات، مستندة إلى تبريرات تاريخية متنوعة» كما يعترف بذلك مونان (1955، ص 9)، مما يعني أن «أرخَنَتها» لا تمس الجوهر. وإذا كان للاستدلال قيمة ما، وإذا كان له معنى بالنسبة إلينا، فلأنه يحظى بصلابة خاصة، يُضاف إليها ملء تاريخي، بالصدفة، يمد الاستدلال بالمضمون الملموس للأمثلة التي يتغذى بها. وإلا استحال كل استدلال استدلالاً تاريخياً.

---

(8) ونحن نسجل بوضوح أن المقارنة ليست حجة، فنحن نحتفظ بالصورة الجميلة التي قدمها بنيديتو كروتشيه الذي يعتبر أنّ من يقوم بترجمة كمن «يُقدم لعاشق امرأةً عوضاً عن التي يحبها: امرأة معادلة أو عموماً مماثلة لها، لكن العاشق عاشقٌ لمعشوقته، وليس لمعادلاتها» (مذكور في مونان، 1955، ص 25).

2.2.3. إذا انصب نقدنا حتى الآن على مبدأ الاستدلالات التاريخية ضد الترجمة، بدءاً، بالتركيز على تحليل بُعد الاستدلالات السجالية والنظرية التاريخي، فلأن هذه الاستدلالات التاريخية أضحت في حكم المتلاشي، لا لأنها تبدو كأنها ملحقة بغيرها من ضروب الاستدلالات الأخرى فحسب، وهو مظهر سطحي كما تم إيضاحُه سابقاً إيضاحاً ضافياً، بل لأنها، في حد ذاتها، تختزل اختزالاً: فقد أُفردت لها في كتاب (*Les belles infidèles*) صفحتان اثنتان (ص 13 ـ 15) بينما خصص للاستدلالات السجالية ما يربو على خمس صفحات، بدا ما عُرض بها بسيطاً، بل تبسيطياً، مادام انصبّ على نقد المترجمين الأردياء، أما في ما يخص الاستدلالات النظرية، فيخصص جورج مونان لها أكثر من عشر صفحات.

فضلاً عن ذلك، ففي هاتين الصفحتين الموجودتَين في قلب الاستدلالات التاريخية، لا يُعثر البتة على مادة استدلال حقيقي «ضد الترجمة». فليس ثمّة ما يدعم الاعتراض الاستباقي الذي يهم إمكان الترجمة، الذي هو، للتذكير، الإشكالية التي انبثق منها كتاب مونان الذي تَصَدره السؤال «هل الترجمة ممكنة؟». والحق أن إمكان الترجمة أو وجود مترجمين يتميّزون بالجودة والأمانة ليسا موضوع خلاف. فالأمر لا يتعلق بمحاجة، بل بإعلان قناعة نضالية، وتستحق أن يطلق عليها استدلالات سياسية صرف بدلاً من استدلالات «تاريخية».

يستعيد مونان صراعاً أيديولوجياً يُجدوَل من فترة إلى أخرى ومن جماعة لغوية وثقافية إلى أخرى، إنه يصدر عن موقف إرادوي سجالي يرفض الترجمة لأنها تعتبر عقبة في وجه تطور الأدب الأصيل. وسرعان ما تم قلب «الاستدلال». وهذا تقريباً ما قام به

مونان عندما استحضر، في الصفحات اللاحقة، البتراركيّة (pétrarquisme) التي تعتبر حقيقةً أصل أدبنا الوطني. «وبتراركيّة جواشيم دو بللايّ بالتحديد تعد واحدة من المفضلات»[9]. فالترجمة تساعد على بعث الحياة في لغة معيّنة، بل قد تساعدها على أن ترى النور، كما يبيّن ذلك مثال توراة لوثر بالنسبة إلى الألمانية، وتشكّل الترجمة حالياً أحد الشروط التي تضمن بقاء اللغات، ويمكن أن تفتح الترجمة للغة، على مستوى ثرواتها الأسلوبية، نُغيمات جديدة، إغرابيّة (exotique)، يمكن للأدب الأصيل أن يفيد منها[10]. ويعد كل هذا حقيقةً لا ريب فيها وهو أكثر بداهةً في أيامنا هاته منه في زمن دوبللايّ: وبهذا المعنى، وهذا المعنى فقط، يمكن الحديث عن عنصر استدلال تاريخي حقيقي.

تظل نتيجة الاستدلالات التاريخية التي خلص إليها كتاب (*Les belles infidèles*)، عموماً، سلبية أو على الأصح باطلة عديمة القيمة. وإذا كان صحيحاً أن مونان قد استند بدوره إلى براهين بيّن فيها أنه ضد دو بللايّ وضد استدلالاته الرافضة للترجمة، فهو لم يبئّر محدوديتها التاريخية. وإذا كانت إشكالية الاعتراض الاستباقي قد حصرت في كونها نقاش مؤرخين، وإذا تم تحليل الترجمة نفسها بوصفها ظاهرة تاريخية، فيكفي أن نبيّن أن معطيات ذلك الزمن قد عرفت تجديداً وأن المشاكل تطرح الآن بصيغ مختلفة.

---

(9) مونان (1955)، ص 68 ـ نتعرض هنا لمسألة السلسلة المتصلة ترجمة ـ تكييف ـ محاكاة التي تعتبر محوراً للتقليد البلاغي الذي نلاحظ أن شعراء لابلياد (وخاصة دو بللايّ) الذين يمثلون تجسيداً لها هم أصل أدبنا الوطني (انظر ص 68 من هذا الكتاب).

(10) لم يغب هذا عن مونان (1955، ص 142) الذي يستحضر الـ «نغمة ـ الترجمة»، وحالة أبوللينير، مثلاً، الذي أدخل في الأدب الفرنسي الأصيل نغمية تذكر بالترجمات التي تُصوَّر على أنها («زجاجات ملونة»).

هنا أيضاً، يُعنى مونان باعتباره أديباً فذّاً، في الحقيقة، بالبلاغة الجامعية. فهو، قبل أن يبيّن لنا سبب «إمكان الترجمة» ومداه، و«كيفية الترجمة» ـ هكذا يعنون هو ـ الفصلين/ الجزأين الآخرين من كتابه ـ قدم تذكيراً مطوّلاً بمواقف مناقضة لمواقفه، وهو يعد الجزء **الأول** بكامله ضد الترجمة، مراعياً في ذلك ما يسميه باسكال «النوافذ المغلقة» في الترتيب الاستدلالي لبحث معين. ولم يتم تجاوز الاستدلالات التاريخية ضد الترجمة: إذ ليس ثمّة استدلالات تاريخية ضد الترجمة.

ومونان، بالرغم من تنكره، لايزال يبدو لنا رهين محبس الاعتراض الاستباقي الذي يظل في آخر الأمر قضية متجاوزة. وتعد أيضاً قضية متجاوزة هذه الثنائيةُ التي تجعل من الشعر استثناءً وتقابله بالعلوم؟ فالتاريخ، في حد ذاته، على أي حال، يشكل أحد أبعاد المشكل، عندما يطرح بالصيغ المعاصرة لـ «العلم اللساني»، في الوقت الذي لم تعد فيه الاستدلالات التاريخية المستشهد بها في (*Les belles infidèles*) ... تخدع أحداً.

4. علم وشعر

1.4. نظرية ثنائية

بما أن الاستدلال التاريخي قد تم دحضه، وبما أن الاستدلالات السجالية قد قلّصت تقليصاً، أي قلّصت إلى مجرد بادرة غضب ضد العمال بالمقطوعية (tâcherons) ومن ثمّ إلى تلهف يترك مبدأ الترجمة ذاتها سليماً، لم تبق إلا «الاستدلالات النظرية ضد الترجمة». هذا إضافة إلى أن صيغة الجمع غير مقبولة لأن الأمر يتعلق باستدلال واحد في آخر الأمر: ما إن يستقر التقابل بين «العلم والشعر»، فإننا نكتفي بحصر الشعراء في عالم من الأسرار والسحر، وبجعل

أعمالهم ضمن المحرّمات المتعذر ترجمتها. ومقابل ذلك، نقبل بأن تتعرض العلوم لمعالجة تجعلها تنتقل من لغة إلى أخرى وتسهل ترجمتها.

لنفترض أننا قبلنا بالاستدلال الذي ورد في مؤلف (*Les belles infidèles*) فهل يقدم لنا البديل المقترح بداية نظرية عامة في الترجمة؟ ثمّة في الحقيقة ما لا يمكن ترجمته، وثمة ما يمكن ترجمته: من جهة يحضر الشعر، ومن جهة أخرى يحضر العلم. العلم والشعر، وماذا عن البقية؟

ليس ثمة، في الحقيقة، بقية! لأنه يجب فهم طرفي هذه المقابلة بمعناهما الموسع، فهما يسعيان إلى تغطية مجموعة من أشكال الخطاب الممكنة. وسيكون لدينا هنا إذاً ضربان أو نمطان خطابيان أو لغويان أساسيان، ما يزالان، في الحقيقة، قابلين للتحديد.

لقد تمَّ وضع ثنائية أو تقسيم يقابل فيه بين الشعر الذي يعد غير قابل للترجمة، وما ليس بشعر ويعد قابلاً للترجمة نفسها إياها، أي النثر، الخطاب غير الأدبي... وهكذا أصبح الاعتراض الاستباقي يستلزم نظرية لسانية متقطعة (discontinuiste) لأنه تم حصره ولم يعد معمّماً ولأنه تحول إلى حد منهجي ولم يعُد محرّماً ميتافيزيقياً لتناقض معيّن. إنه يقيم قطيعةً بين نموذجين خاصين للكتابة، أي بين نمطَين خطابيَين: فيمكن أن نتحدث في هذا الصدد عن «قطيعة» أدبية، قياساً بالـ «قطيعة الإبستيمولوجية» التي تقابل بين العلم والأيديولوجيا، والتي مجدتها قبل سنوات الماركسية الألتوسيرية.

ويجدر بنا أن نحدد عنصري المقابلة. فكما لاحظنا آنفاً، يبدو أن من باب المفارقة التاريخية أن نماثل بين ما تعنيه الـ «علوم» بالنسبة إلينا وما يمكن أن يعتبره دو بللايّ كذلك من جهته... أما

في ما يخص الـ «شعر» فينبغي أيضاً أن نحدد ما نعنيه به.

2.4. ترجمة الـ «علوم»

ينبغي، في البداية، أن نتساءل: بأي «علوم» يتعلق الأمر؟ ويجب، في هذا المقام، توسيع المفهوم بشكل كبير. وللإجابة عن السؤال، بوصفي مترجماً للفلسفة الألمانية وكاتباً لهذا المؤلَّف، أحاول العودة إلى ممارستي الترجمة والمرور عبر المفردة الألمانية المناسبة. إلا أن الكلمة الألمانية (Wissenschaft) التي نترجمها عامة بالمقابل الفرنسي «علم»، تحمل في الواقع معنىً واسعاً سعةً تجعلنا نتحدث تقريباً عن معنى مخالف[11]. ففي اللغة الفرنسية، يتعلق الأمر بمصطلح دقيق جداً يعني ركماً معرفياً ومُبَنيَناً، يستجيب لضوابط المنهج التجريبي والصَورَنة (formalisation) المنطقية الرياضية، إنه مقولة إبستيمولوجية. وفي اللغة الألمانية، تُعدّ (Wissenschaft) كل معرفة لها منهجها الخاص والمحدّد، ومن ثم، هي ـ كل معرفة متجذّرة في المؤسسة الجامعية، إنها بالأحرى مقولة تاريخية أو سوسيوثقافية، بل هي مقولة سوسيومهنية. فعند بعض الكتّاب المعاصرين مثل هايدغر، يُعدّ علم ـ اللاهوت ضرباً من (Wissenschaft).

ولنتابع غوصنا قليلاً في الزمان دون الاقتصار على المكان، فإذا أردنا أن نواصل اعتماد الترجمة ـ موجّهاً في بحثنا، وجب التفكير في المفردة اللاتينية (Scientia). وعلاوةً على ذلك، ففي اللغة اللاتينية للكنيسة، يعتبر علم اللاهوت علماً، (scientia sacra). وفي اللغة

(11) حول هذه القضايا التي تخص الدلالة والإبستيمولوجيا، انظر لادميرال (1971)، ص 163 وما يليها وفي أماكن متعددة (انظر ص 358 ـ 359 من هذا الكتاب).

الفرنسية، وهي فرنسية يجب الإقرار بأنها أضحت الآن مهملة، نسمي (ربما ينبغي أن نقول: كُنا نسمي) المنطق وعلم الجمال بل والأخلاق أيضاً «علوماً معيارية». فبهذا المعنى القديم والواسع يستعمل دو بللايّ الكلمة، وليس بالمعنى الضيّق الذي ينطوي على مفارقة زمنية، ويتصل بالبحث العلمي الحديث (انظر ص 98). ومن ثمة، فـ «علم» هي مرادف كل «معرفة» منظمة قد تُشكل، مثلاً، موضوع عرض حجاجي ودرس منهجي. وإضافة إلى أن معنى الكلمة قد عرف مؤخراً إعادة توسيع يجدد الارتباط بالمعنى الدلالي القديم: فإننا نتحدث عن «علوم اقتصادية» بل أصبحنا نتحدث مؤخراً عن «علوم قانونية»، وعن «علم الأدب»... فلنراهن على أنه في الفرنسية أيضاً، ستحمل نظرية الترجمة أو الترجمية ـ (التي يتناولها هذا الكتاب) عما قريب اسم «علم» مثلما هو الحال في الألمانية (Übersetzungswissenschaft)، وفي الإنجليزية (Science of Translation)[12].

وبهذا المعنى الموسع، تصبح الفلسفة «علماً» ومن ثم فهي قابلة للترجمة. وهذا الأمر ينسحب أيضا على كل خطاب إخباري، أي على كل خطاب ينقل معرفة أو معارف، أي معلومات، وتكون غايته الأساس (إن لم تكن غايته الوحيدة على الدوام) نقل هذه المعلومات، وهذه المعلومات تتصل بكل ما ليس شعراً. إن هذا الشعر إذاً هو الذي يجب تحديده: لأنه، في نهاية الأمر، سيكون لدينا الشعرُ، من جهة، والباقي من جهة أخرى. العلم والشعر. مفردتان تنطويان على معانٍ موسعة. وبالنسبة إلى مصطلح «علم»، فقد مر بنا أنه يمكن أن يتسع ليشمل كل ما ليس شعراً، أما الشعر

(12) إنه عنوان كتاب أوجين نيدا (E. Nida, *Toward a Science of Translating*, 1964).

فهو ما يستوجب تحديداً. ومن ثم وجب الانكباب على وضع أسلوبية بل شعرية للترجمة.

3.4. ما الأدب؟

1.3.4. إن السؤال الذي ينبغي طرحه إذاً هو: ماذا نعني هنا بـ «الشعر» ومن هم هؤلاء «الشعراء» الذين يثبط دو بللايّ عزم المترجمين كي لا يقبلوا على أعمالهم؟ لا يتعلق الأمر فقط، في هذا المقام، بالشعر بالمعنى الضيق والشكلي للقطع المنظومة شعراً. وإذا كان دو بللايّ يفكر **أولاً** في المؤلفين الذين يتقيدون بالوزن الشعري، مثل هوميروس أو فرجيل (Virgile) أو بترارك (Pétrarque)، فيجب ألاّ نفهم المفردة بالمعنى الواسع: فالمفردة «شاعر» هي هنا مرادفة لكاتب.

يلجأ ج. مونان، دائماً بصفته أديباً، إلى جوزيف بيدييه (Joseph bédier (1955، ص 28) ليصوغ صياغةً صريحةً أفكار دو بللايّ التي يمكن إجمالها في أنه «لا وجوب لترجمة أي كاتب جيد، شاعراً كان أو ناثراً». وهنا أيضاً، يظل من الأنسب التعريج على الترجمة بين الفرنسية والألمانية: فالمعادل الحقيقي للمفردة الفرنسية (écrivain) (كاتب) هو بالضبط المفردة (Dichter) في الألمانية، بالرغم من أنه، في إطار إعادة ترجمة حرفية (Rücküber. . .)، قد يكون المقابل الفرنسي هو المفردة (poète) (شاعر). فـ كافكا (Kafka)، على سبيل المثال، يعتبر (Dichter)، ـ بمعنى أنه كاتب كبير، بل هو «شاعر». . .

يُعدّ الشعر غير قابل للترجمة حين يكون مُرادفاً للأدب بمعنييه الضيّق والواسع، بالمعنى الذي كنا نطلقه في الماضي على «الآداب الجميلة» (ومرة أخرى نعتمد حدسَ المترجم لنشير إلى أن الحديث

يكون باللغة الألمانية عن (Belletristik)). إن الأمر يتعلق بالأدب في شموله، الأدب الذي لا يُشكل الشعر إلا جزأه الدقيق، الذي يمثله أحسن تمثيل، إنه بمعنى ما نقطة التوهّج الأدبي، وفي الآن ذاته شكل الكتابة الحية التي كانت تاريخياً موضعَ اهتمام وعناية زمن دو بللايّ. إنه الدور الذي توازيه في عصرنا الأغنية باللغة الفرنسية، ويوازيه الشعر نفسه في روسيا.

من الصعب جداً إعطاء تعريف دقيق بالمفهوم (en compréhension) للمعنى الذي يهم التقاط الجوهر، لذا سنكتفي بأن يتم التعريف بالمدلول النطاقي (extension) عبر الإشارة إلى «مجموعة» كاملة من الأشكال الأدبية. لن نقترح هنا نظرية للأدب، أو بتعبير هنري ميشونيك (1973) نظرية للـ «أدبية» أو «إبستيمولوجية للكتابة».

أن نجازف بتعريف للشعر فمعناه أن نتبنى صيغة تحديدية بالتحيز في إطار نقاش «أكاديمي» تتقابل فيه تأويلات مختلفة. وتعتمد هذه التأويلات حتماً مقدمات فلسفية تتجاوزها. قد يعني ذلك اختياراً لهذا المظهر أو ذاك وتفضيلاً له على غيره من الظاهرة الشعرية، مع القبول ببعض التعتيمات التي تهمل هذا الجانب أو ذاك من الفضاء الأدبي.

2.3.4 قد يعني ذلك التورط في نقاش واسع ينتهي بابتلاع موضوعنا: نقاش ضارب في القدم، «نقاش خالد»، لا نستطيع أن نتخيل أن بإمكاننا حسمه، بل حسبنا أن نسلّط عليه إضاءات جديدة. ثم إن المترجم الذي هو كاتب هذه السطور قد نذر نفسه لنقل النصوص النظرية للفلسفة وللعلوم الإنسانية إلى الفرنسية. ودون أن يغفل البعد الأدبي الأصيل الذي تخفيه أحياناً هذه النصوص، ودون أن يتهرب هو نفسه من الصعوبات التي تواجهه عند ترجمتها...،

يعترف بعدم قدرته على مباشرة ترجمة الشعر، بل والأدب عموماً.

فثمة تقريباً زهو، بل حماس، لتدريس جمالية أدبية حقيقية، لا يزال فتياً. فالكتّاب لا يعطون غالباً الانطباع بِأنهم يستسلمون لإغراء «روح النظام» إلا لأننا نسيء الظن بنواياهم. وبعبارة أخرى، لا يتعلق الأمر بإنشاء جمالية أدبية كلية بل بصياغة نمط للكتابة ذي استعمال شخصي.

فالمترجم الذي هو في الآن ذاته ممارس جريء للكتابة يطرح على نفسه مشاكل ممارس الترجمة. فهو ينظر إلى الأدب عبر مرآة تضخّم التفاصيل التي يجب عليه أن يكد للتغلب عليها تدريجياً.

ويمكن أن يلزم الكاتب نفسه بإفراط في اختيار نظرية جماليّة ليخترق بعض الافتراضات التي يشعر بها كامنةً بداخله. وفي ما يخص المترجم، يجب عليه أن يقنع نفسه بأن يمتنع عن ذلك امتناعاً لأن عليه أن يكون رهن خطاب الآخر، أي أن يكون الحاضر الغائب. فليس هو من يُفَعِّل ما ينطوي عليه الإبداع الأصيل من تأثير، بل يجب عليه بالخصوص ألاّ يغفل هذا التأثير عند اشتغاله: إنه إذاً مرغم على أن يكون يقظاً، نبيهاً فطناً، دون الاستناد إلى تجربة جمالية معيّنة. يجب أن يكون مستعداً لكل احتمال، مستعداً لأن يندهش من كل شيء وألا يفرّط في أي شيء.

ولذلك فإن الجمالية الدنيا التي يمكن أن يتبناها المترجم قد تكون جمالية إنصاتٍ وتلقٍ. لن تكون صرحاً نظرياً منظّماً جداً ومتسلسلاً، بل «رابسودياً» (كما كان يقول كَنْت) أو منتقيات من وحدات نظرية منفصلة تمنعها، من أن تشكل وحدةً منتظمةً ومنسجمةً، ممارسة تتجدد باستمرار ويقتضي ما تحدثه من زوبعة تصدّياً متواصلاً.

ونحن نسوق كل هذه البواعث لتبرير تهيبنا من الجمالية الأدبية،

أي تهيبنا من «الشعرية»: إن هذا الامتناع النظري يُعدّ درساً في التطبيق! يحضر المترجم القابع فينا ليعيد إلى الرشد الفيلسوف الذي هو نحن أيضاً. ويعمل احتراسنا بصفتنا ممارساً على تخفيف الإغراءات التي يمكن أن تتملكنا باعتبارنا جامعياً وباعتبارنا مدرّس فلسفة وباعتبارنا لسانياً، فنستسلم إلى تفخيم النظرية. لكن ممارسة الترجمة تظل عصية على النسيان. فتعدد الصعوبات المتراكمة على اختلافها يجعلها تُذكّر بنفسها وتثير انتباه الذي يرغب في إخفائها واستبدالها بالترتيب الجميل للأفكار والكلام الجميل لنظرية من النظريات، إلا إذا أراد طبعاً أن يبقى منظّراً من دون ممارسة، بمقتضى تقسيم العمل المندّد به آنفاً (انظر ص 88)!

3.3.4. وفضلاً عن ذلك، فجورج مونان نفسه، يحجم بحكمة كبيرة عن أن يقترح علينا نظرية في الأدب، أي يحجم عن أن يقترح علينا شعريته في الترجمة بمعنىً ما. ويبدو في مؤلفه *Les belles infidèles*) محترساً جداً إلى حد أنه يكتفي بتقديم بعض الأمثلة من الترجمة الناجحة (لكنها تتضمن أمثلة تقتضي إعادة النظر). هذا التهيّب النظري يصبح جريئاً نوعاً ما عندما يقدّم ج. مونان ـ في نص لا يعرفه القرّاء الفرنسيّون لأنه نشر مباشرة باللغة الإيطالية (مونان، 1965)، ولا توجد له ترجمة (ثانية) في الفرنسية ـ عناصر لما يمكن تسميته شعرية سالبة، على غرار «اللاهوت السالب».

وكما نعرف، يصدر اللاهوت السالب عن منح البشر صبغة التواضع ليقدّر الكمال الإلهي حق قدره، إنه لا يخاطر بأن يقول ما هو الله، بل يكتفي بمقاربته بطريقة غير مباشرة وعن بعد عبر خطاب السلب، فالله، بالفعل، ليس شيئاً مما يسمح ضعفنا ومحدوديتنا بالتفكير به. وبطريقة مماثلة تقريباً ـ (mutatis mutandis) ـ يحرص مونان على أن يقدم لنا ما ليس بشعر.

لا يمكن الاحتفاظ بالكلمات ذاتها، وإلا اختُزل الشعر في

ترسانة تجارة السقط الشفهي الذي يستقي من المصادر السهلة لمفردات «رفيعة»، أو أسطورية، أو «شعرية»... ولا يمكن للمترجم أيضاً أن يظل أميناً للشكل النحوي: فعلى هذا المستوى، «الدقة العمياءُ الآليةُ تُحرّف النص» (مونان، 1955، ص 127). ولا تعني الترجمة الجيدة لقصيدة شعرية أيضاً احتراماً لـ «أمانة آلية لأسلوب» (؟) الأصل. فالأمر لا يتعلق حتى بأمانة موسيقية! ولا يخشى جورج مونان ـ على ما يبدو ـ أن يدحض هذا «الادعاء الفارغ»...، وأن يرفض هذه الفكرة التي تعد راسخة والتي فصّل فيها العديد من منظّري الترجمة منذ أمد بعيد جداً القول، والتي لا يزال يخوض فيها شاعر ومفكر من طينة فاليري (Valéry).

يعود ج. مونان، بعد هذه المجزرة المبددة للأوهام والتي ترفض مبدأ الأمانة الكاذب في ما يتصل بالترجمة الشعرية، إلى بديهية من البديهيات الجميلة، إلى الحقيقة الخالدة وغير الفانية التي تُعنى بتعيين الصعوبة: «الأمانة في ترجمة نص غنائي...، هي الأمانة لشعر هذا النص» (مونان، 1965، ص 129). ولا يمكن أن نعبر عن الفكرة جيداً إلا كالتالي: الشعر شعر! أو كالتالي: الشعر ما هو إلا ما هو... بالتأكيد، من السهل التهكم من تحصيل الحاصل ذاك، والذي سمح له مقص الاستشهاد بأن يبرز من كتاب ج. مونان. إلا أننا نفيد من ذلك أن مهمة المترجم الصعبة تكمن في التعيين الفعلي، على مستوى الكتابة ـ الهدف، للوسائل التي «سخّرها» بعناية شعرُ النص ـ المصدر. ومرة أخرى، يعيد المترجم تلفُّظ نص «يختلف عن الأصل» (مونان، 1955، ص 7) لكنه يظهر من خلاله «مؤلفاً مشاركاً» أو «كاتباً ثانياً».

5. خواتم

0.5. تظل الخاتمة التي تنبثق من الصفحات التي قرأناها للتو

مفتوحة، بمعنى أنها ليست خاتمة، وهي متعددة، بمعنى أنها ليست واحدة...

1.5. قبل كل شيء، لم يبق من مجموع «الاستدلالات ضد الترجمة»، التي طرحها ج. مونان، إلا استدلال واحد: الاستدلال «النظري» الذي يضع تقابلاً بين «العلوم» والشعر. قد يبدو أنه يجب «فقط» تحديد جمالية أو أسلوبية منتجة أو شعرية للترجمة. لكن، وكما مر بنا للتو، يُعد برنامج كهذا عصياً على التطبيق بالنسبة إلى ممارس الترجمة، بل وبالنسبة إلى المنظّر لها أيضاً. سنكتفي من جانبنا بمقاربتها جانبياً، عبر معالجة مشكل «التضمينات» (Connotations) (انظر ص 115 وما يليها).

2.5. يجب، برغم ذلك، أن نلفت الانتباه إلى أن «العلوم» بالمعنى الذي يقصده دو بللايّ تغطي مجالاً واسعاً جداً، وإلى أن الترجمة، حتى في هذا المجال، لا يمكن أن تُختزل إلى مجرد منامطة (transcodage) لا تطرح إلا مشاكل اصطلاحية. فثمة ما يدعو إلى تطوير نظرية لترجمة الفلسفة على وجه الخصوص، أما في ما يخص العلوم الإنسانية، المقصودة هي أيضاً في هذا المقام، فهي تتبنى نموذجاً من «الخطاب النظري» الذي يضع أمام الترجمة عقبات نوعية. فإلى هذا المجال المزدوج تستند أساساً ممارستنا كمترجم ومنه سنستخلص بعض الأمثلة بغرض مناقشتها (انظر ص 216 وما يليها). وبشكل عام، لا يمكن إطلاقاً أن تؤسس الثنائية التي تعزل الشعر عن الباقي نظريةً كافيةً للترجمية.

3.5. يقارَن الاعتراضُ الاستباقيُّ نفسُه بمذهب «إيليّ» (éléatisme) جديد. وهو يرمي إلى إظهار استحالة الحركة الترجمية (انظر ص 85 وما يليها)، ومن ثم، نرد عليه رداً يماثل رد ديوجين (Diogène) الذي برهن على إمكان الحركة وهو يمشي... ولعل في

حقيقة الممارسة الترجمية التي هي ضاربة في التاريخ جواباً كافياً عن ذلك، إلا أن ما يلفت الانتباه في هذا النقاش، هو تعنت «أكاديمانية»، يمكن نعتها أيضاً «بالأدبية» أو «اللاهوتية»، وهو تعنت سيئ وذو صبغة سجالية: إنه الموقف الذي يرمي إلى رفع الطابع التاريخي عن المشاكل النظرية ومنحها خلوداً مثالياً قابلاً لتغيرات بلاغية لا تنتهي. إننا بصدد أمر تحتي أو ما قد نزعم بأنه يدخل ضمن خانة «الغموض» الذي يتعذر توضيحه. وهكذا، فبالنسبة إلى جورج مونان، الذي برهن مرة أخرى على أنه «أديب» فذ في هذا الباب، يملك دو بللايّ الحل لكل الإشكالات. ومن هذا المنطلق، لا يخلو من معنى أن نلاحظ أن نظريته في الترجمة تنطلق من تحصيل حاصل (الترجمة ليست هي الأصل) يخلص إلى تحصيل حاصل آخر (الشعر هو الشعر).

4.5. في الأخير، يظهر لنا أن مونان ظل حبيس الاعتراض الاستباقي[13]، وذلك لكونه لم يجابه مجابهة ملموسة، أي عملياً، مشكل العلاقات التي تصل النظرية بالتطبيق: وهو ما سنحاول الخوض فيه[14].

(13) وما عليكم إلا أن تتصفحوا (على سبيل المثال) (*Les problèmes*). . . ، انظر ج. مونان (1963)، ص 8 وما يليها، والصفحات 143، 168، 170، 191، 223، 251، 269، وخصوصاً الصفحات 93، 187، 241 وبالأخص الصفحة 271 وما يليها.

(14) انظر ص 301 ـ 302 وما يليها والصفحة 242 و188 وما يليها و274 وما يليها و268 وما يليها و278 و288. انظر ص 71 من هذا الكتاب.

الفصل الرابع
الترجمة والتضمين

0. تمهيد

يَدْرُس اللسانيون (المُتَجَرمِنون (germanistes) والمُتفَرنِسون (francisants) والمؤنجلزون (anglicistes) وغيرهم)، أو سبق لهم أن درسوا، النقل إلى اللغة الأم (la version) أو إلى اللغة الأجنبية (le thème). ومن هؤلاء اللسانيين، الذين ننتمي إليهم، من هم مترجمون (انظر ص 7 وما يليها)، وسيجدون أنفسهم، بصفتهم بيداغوجيين وربما بصفتهم مترجمين أيضاً، في مواجهة إشكالات التضمين (la connotation). فإذا تفحصنا مختلف معاجم اللغة التي ظهرت بالفرنسية حالياً، لاحظنا أن (*Dictionnaire de didactique des langues*) الصادر حديثاً لـ روبير غاليسون ودانيال كوست يتضمن المادة الفضلى والأكثر تفصيلاً عن مفهوم التضمين (R. Galisson et D. Coste, 1976, pp. 117-119)، وهذا أمر لا يخلو من أهمية.

لكن علينا أن نوضح على وجه السرعة أن هناك أمرين مختلفين تماماً. تشكل بيداغوجيا (أو ديداكتيكا) اللغات ونظرية الترجمة مجالين رئيسيين مما اصطلح على تسميته باللسانيات التطبيقية، إلا أنه يجدر التمييز بين هذين المجالين لأن «الترجمة» كما نُدرِّسها، أي

كما نمارسها داخل المؤسسة البيداغوجية (أي النقل بنمطيه)، تخضع لقيود خاصة تجعل منها مجرد تمرين، محدد بجملة من التعتيمات (scotomisations)، ومن ثم فهو تمرين يطبعه التكلف نسبياً، لأنه يقطع كل صلة بالإنجاز الحقيقي لترجمة قائمة الذات (انظر ص 23 وما يليها).

ودون الرجوع إلى هذا الفصل الدقيق الذي ينبغي إقامته بين نظرية الترجمة وبيداغوجيا اللغات، يمكن أن نلاحظ، في ما بعد، أن الخلاصات ذات الصلة بالترجمة الحقيقية «يمكنها دون شك أن تعمم على تدريس اللغات»، كما يشير إلى ذلك غاليسون وكوست (1976، ص 118). فقد أوردا التحليلات التي أفردها جورج مونان، في الفصل العاشر من كتابه (*Problèmes théoriques de la traduction*)، للإشكال موضوع اهتمامنا حول الترجمة والتضمين. (سنضطر بدورنا إلى الرجوع مراراً إلى ما قمنا به من أعمال عن بيداغوجيا اللغات ومن دراسات انصبت على الترجمة).

ونحيل بالخصوص، من أجل تحليل نظري ونسَقي لمصطلح التضمين، على دراسة ماري نويل غاري بريّور (Marie-Noëlle Gary-Prieur) (1971)، التي نشاطرها غالباً تحليلاتها، دون أن نقاسمها دائماً فرضياتها الأيديولوجية القبلية[1]. ومع ذلك فقصدنا يباين بشكل ملموس قصدها، لأن التضمين لا يهمنا إلا في إطار ما يسميه أنطوان كوليولي (Antoine Culioli) «نظرية للتطبيق»[2]. إذا كان الأمر يتعلق

---

(1) دون أن نستنفد مجموع ما كتب عن الموضوع، يمكن أن نذكر أعمال كوزريو التي تم تناولها من جديد ضمن الأعمال التي أشرف على تنسيقها جيكيلر (Geckeler, 1978)، وأعمال روسلر... إلخ. ولنشر أيضاً في ما يخص الترجمة إلى الملاحظات الإجرائية والقيمة لزميلنا لورتولاري (Lortholary, 1975) ص 9 وما يليها.

(2) وذلك بخصوص مصطلح «اللسانيات التطبيقية»، وأما بخصوص فكرة وضع =

هنا بالفعل بدراسة للمصطلح فإن هذه الدراسة تتعرض للتعديل باستعمالها في إطار نظرية الترجمة.

إلا أن ما يمكن انتظاره من نظرية الترجمة هو بالضبط المساعدة على المَفهَمَة (conceptualisation)، وعلى بناء الإشكاليات (problématisation) وصياغة الصعوبات التي تعترض المترجِمَ في عمله، وهو ما لا يمكن أن يشكل ما نسميه خطأً أحياناً «تقنيات الترجمة»، التي يمكن استنباطها خطياً انطلاقاً من النظرية الحقيقية أو «العلمية»: تلك هي على الأقل وجهة النظر التي تنبثق منها تحليلاتنا[3].

إن أهمية مفهوم التضمين في اللسانيات، دون شك، كبيرة. وهو ما يبرّر تبئيرنا إياه في دراستنا، ويشهد على ذلك، على الأقل، كون موسوعة حديثة مخصصة للتواصل كرّست له إحدى موادها الإحدى عشرَة الموجهة إلى رصد الخصائص الأساسية لعلم اللغة، ذاك الذي يُختزل في مجموع مصطلحاته (Moles, 1971, pp. 363 sq.). لنوضح في الأخير أننا نتبنى هنا حصرياً، كما في مجموع هذا الكتاب، منظور الترجمة البشرية دون الحكم مسبقاً على الكيفية التي يمكن أن يطرح بها مشكلنا على الترجمة الآلية (ت.آ.)...

1. الأسلوبية والترجمة

1.1. مصطلح التضمين

مهما يكن من أمر الممارسة حيث يضع ـ كل منا تصوّره للتطبيق، أترجمة كان أم تعليماً فحسب، فإننا نتوجه جميعاً إلى

= «نظرية للتطبيق» موازية للسانيات، فانظر ملاحظاتنا النقدية المضمنة في لادميرال (1975e) ص 321 و522 وما يليها.

(3) انظر لادميرال (1975d)، ص 5 وما يليها وص 301 وما يليها من هذا الكتاب.

الثنائية الكلاسيكية التي تقابل بين مظهرين لدلالة الكلمة أو العبارة أو صيغة الجملة:

ـ المجال الدلالي أو التقطيع الدلالي... أو، ابتذالاً، «المعنى»، لنقل بالأحرى: التعيين (la dénotation).

ـ مستوى الأسلوب أو القيمة الأسلوبية أو مستوى اللغة... أو، ابتذالاً، «الأسلوب»، لنقل بالأحرى: التضمين (la connotation).

لنسُق أمثلة بسيطة جداً فنقول إن الكلمات (cheval) (جواد)، و(canasson) (حصان رديء، كديش)، و(coursier) (فرس سباق)، أو (employeur) (مستخدِم)، و(patron) (رب عمل) و(chef d'entreprise) (رئيس شركة)... إلخ.) لها التعيين نفسه، أي المعيّن (dénoté) نفسه، في حين أن كل كلمة من الكلمات الثلاث تحمل تضميناً مختلفاً. مرة أخرى، لا يتعلق الأمر بكلمات معزولة فحسب، بل بعجمات (lexies) وبمركبات بل وأيضاً بجمل كاملة: إننا نميز بين الجملتين (la voiture est abîmée) و(la bagnole est esquintée) وكأنهما تدلان، تضمينياً، بطريقتين مختلفتين على المدلول ذاته. وقد تعمدنا هنا إعادة سوْق المثال الذي استعملته ماري ـ نويل غاري ـ بريّور (1971، ص 97) في دراستها التي سبقت الإشارة إليها.

في هذا الزوج من التقابل التصوري الذي مثّلنا له أعلاه، فإن المفردة **الثانية**، أي التضمين، هي التي ستشكل محط اهتمامنا لأنها المفردة الموسومة. ويمثّل التعيين المفردة غير الموسومة ويبدو أنها لا تطرح مشكلاً. وثمة اتفاق عموماً حول معنى كلمة تعيين، إلا أن هذا الاتفاق «لا يحصل حين يتعلق الأمر بالتضمين»، كما يشير إلى ذلك ج. مونان (1963، ص 150).

أحيت اللسانيات الأميركية مصطلح التضمين، من وجهة نظر تاريخية، حينما اقتفت أثر بلومفيلد، قبل أن يُعاد تناوله لاحقاً

ويشكل موضوعاً للسانيين الأوروبيين بالخصوص (انظر ج. مونان، 1963، ص 145 و147 و153). من هنا، سنكون ملزمين بالإحالة على الإرث البلومفيلدي وأساساً على إسهام اللسانيين الأوروبيين مثل أندريه مارتينيه (A. Martinet) ومونان وغيرو (P. Guiraud) وج. ليونز (J. Lyons) ويلمسليف (L. Hjelmslev) وبارت (R. Barthes)...[4] بالخصوص. فإذا كانت بعض الدراسات الحديثة، كدراسة ماري نويل غاري بريّور (1971، ص 107) أو دراستنا هاته (انظر ص 172 ـ وما يليها وص 184) قد خلصت بالفعل إلى إعادة النظر في الصحة الإبستيمولوجية لهذا المفهوم، تظل الإشكالات المتصلة بالتضمين في اللسانيات، بالنسبة إلى العديد من المؤلفين، «أحدَ الاتجاهات الجديدة جداً، ممّا تخوض فيها الأبحاث حالياً» (مونان، 1971، ص 183) ويظل «المستقبل من دون شك للسانيات التضمين» (بارت، 1965، ص 164).

يمكن أن نشير إلى أن اقتحام التضمين مجال الدرس اللساني يبقى، في الحقيقة، «تاريخياً حديثاً» نسبياً، كما ذهب إلى ذلك ج. مونان (1963، ص 166)، إلا أنه ينبغي التذكير بأن اللفظ كان موجوداً من قبل. وهو في الواقع ضارب في القدم (انظر ص 129 وما يليها) ولا يشكل مفهوماً حديثاً إلا في مجال الدرس اللساني مقارنةً باستعمالاته السابقة، فضلاً عن أن المسألة مسألة سُلّمية: بما أن

(4) لقد تركنا جانباً بعض الاستعمالات الخاصة جداً والتقليدية جداً للفظ، من قبيل الاستعمالات التي ترد عند بوزيه (Marouzeau, 1951, p. 58) أو عند بوهلر (Th. Lewandowski, 1973, p. 345). وقد أفردت لها دراسة مركّزة عن المفهوم ذاته (Begriffsgeschichte) حيّزاً: وهذه الاستعمالات تدرج مع ذلك دون صعوبة تذكر في الاستمرارية التاريخية لتأملٍ يعود إلى الفكر القروسطي. إضافةً إلى أن هناك أيضاً إمكان وضع تقارب مع مصطلح من قبيلِ (virtuème) كما حدده بوتييه (1974، ص 30 وفي أماكن متعددة). إلا أن منظور نظرية للتطبيق على مسائل الترجمة يقتضي بأن نوافق على بعض التخفيفات.

المعنى اللغوي يعود إلى بلومفيلد (انظر ص 132 وما يليها) فإن حداثته نسبية جداً، كما لاحظ ذلك أرّيفيه (M. Arrivé) بطريقة لاذعة (1976، ص 117).

وردت الكلمة سلفاً عند ليتريه (Littré) الذي يخصّص للمفهوم مداخل ثلاثة في قاموسه، حيث تُعرف «تضمين» بكونها «الفكرة الخاصة التي تسوّقها مفردة مجرّدة إلى جانب المعنى العام»، وحيث (connoter) (تضمَّن) يعني «وضع تضميناً، أي أنه أشار، بالإضافة إلى الفكرة الرئيسية، إلى فكرة ثانوية مرتبطة بها»، وحيث (connotatif) (تضميني) يشتمل بدوره على خطاب خاص به. وأخيراً، إذا كان التضمين قد عَرَف بالفعل في معجم لغتنا الفرنسية عدة تغيرات عبر التاريخ، فإن «المعنى العام القديم للكلمة» (ج. مونان، 1963، ص 149)، على الأقل، لم يتغير قط في ما يخص مقابله، أي التعيين.

ويتعلق الأمر عموماً في هذه الدراسة بصراع بين الجهد المبذول من أجل «المَفهَمَة» الدقيقة التي تمثّلها النظرية اللسانية وبين الثنائية التقليدية التي تقابل المعنى بالأسلوب، والتي نمت بفضل الاحتكاك بمجمل المشاكل العويصة التي تطرحها الترجمة الأدبية، عبر التطبيق وعبر ممارسة الترجمة بالخصوص. لكل هذا يستجيب الاستعمال الحديث للزوج تعيين/ تضمين الذي يأتينا من إرث قروسطي بعيد ويخترق ثقافتنا قبل أن يُعاد تناوله حديثاً من لدن اللسانيين. وهكذا، استعمل الأدبيون (les littéraires) التضمين في الوقت الحاضر بشكل واسع. وفي هذا الإطار، فأمرٌ لا يخلو من مغزى، أن تُنشر دراسة كدراسة ماري نويل غاري بريّور (1971) عن مفهوم التضمين (La notion de connotation(s)) في مجلة (*Littérature*). بالإضافة إلى ذلك، يلتقي مصطلح السجلّات (les registres) السوسيولغوية (أو النفسية اللغوية) مفهومَ «مستويات اللغة» (niveaux de langue) الذي

أصبح كلاسيكياً في الخطاب الأدبي. وتولي اللسانيات الحديثة مصطلح السجلّات أهمية كبرى، بفضل الدراسات التي هي في طور الإنجاز عن اللغة الشفهية.

ما دام ثمّة مستويات أسلوب بتضمينات متنوعة، يبدو التعبيرُ عن الفكرة نفسها بأشكال مختلفة أمراً ممكناً: فتمثل المفردات (cheval) و(canasson) و(coursier) ثلاث طرائق لقول «الشيء نفسه»، وينسحب هذا الأمر على باقي الأمثلة التي سبق أن أدرجناها. ويحيل مفهوم التضمين على فكرة الترادف (synonymie)، أي على فكرة تماثل المعاني، مُعدّلة بـ «قيم أسلوبية»، ويمكن أن نماثل التضمينات بهذه القيم الأسلوبية (انظر غيرو، 1963، ص 47 وما يليها). ففي هذا الإطار الذي يهم إمعان الفكر في مسألة الترادف، عالج جان ليونز (1970، ص 343) التضمين. أمّا الترادف فيتعلّق، لدى بلومفيلد (1970، ص 468) مثلاً، بـ «بدائل لا تتمايز إلا بالتضمين».

لكنّ مفهوم التضمين، وبفعل التوسيع، أصبح يُستعمل حيث لا وجود لسياق استبدالي (paradigmatique) للمترادفات. لنأخذ مثالاً من عالم الحيوانات. فمفردة مثل (chien) (كلب) تحمل تضمينات متعددة جداً في اللغة الفرنسية: من قبيل الإخلاص والمودة، أو خاصّة من قبيل الخسة والازدراء... إلخ.، فضلاً عن تعابير من قبيل (un temps de chien) و(il n'est pas chien) و(elles adorent ça, ces chiennes)... وأخيراً، يفسر المؤلفون عموماً أن ثمّة إقصاءً للتضمينات في اللغة العلمية وبالخصوص في اللغة المتداولة[5].

---

(5) سنعود لاحقاً (انظر ص 229 وما يليها من هذا الكتاب) إلى هذا الإثبات المزدوج والذي هو محط نزاع كبير لننتقده. هل يمكن القول بأن التعريف العلمي لكلمة (chat) قطة والذي تقدمه معظم القواميس هو أقل إيحاءً أو أقل دلالة على التضمين (connoté) من التعريف الذي يحددها كـ «حيوان صغير أليف يأكل الفئران»؟

2.1. نظرية لسانية

سنمحص على الفور، من دون أن نتوقف هنا لمناقشة المسألة الكلاسيكية المتعلقة بمعرفة ما إذا كانت اللغات تحوي مترادفات عند الاقتضاء، نظريةً تُعد في صلب الأبحاث التي جرت في اللسانيات الحديثة، وقد وضعها لِسانِي هو بدوره مترجم وتوراتي هو شارل تابر، المتعاون مع نايدا. اقترح تابر، في ما دعوناه إلى الإسهام به في العدد الخاص من مجلة (*Langages*) والذي أُفرد لقضايا الترجمة، تحليلاً لمسلسل الترجمة على مرحلتين مختلفتين: **أولاً** «ترجمة المعنى»، ثم «ترجمة الأسلوب» (انظر ص 262). وهذا هو فعلاً عنوان مقالته[6].

ماثل المؤلف، على الفور، بين البنية العميقة و«البنية الدلالية» (ش. تابر، 1972، ص 55) وهو يسترجع التقابل الذي تضعه اللسانيات التوليدية والتحويلية بين البنية العميقة والبنية السطحية. فما يخص البنية السطحية ـ أي الملفوظ الذي نقرأه أو ننطقه، ويتعيّن ترجمته ـ إن هو إلا ثمرة سلسلة من التحويلات التركيبية «الموغلة في التنوع والتعقيد» (ص 56) انطلاقاً من البنية الدلالية العميقة. و«بالنظر إلى توافر العديد من الوسائل الصورية (اختيار البنيات، والصيغ والمفردات) الـمُمكِنة لتمثيل بنية دلالية ما، يقوم مؤلفٌ معين بالاختيار بين هذه الوسائل، ومجموع هذه الاختيارات هو ما يشكل الأسلوب» (المصدر نفسه). وبذلك نعثر هنا من جديد، بدعم من النظرية اللسانية الحديثة، على الفكرتين، فكرة الترادف الدلالي وفكرة البدائل الأسلوبية.

---

(6) تابر (1972): هذا هو النص الذي سنناقشه هنا لأن نسخته الفرنسية متوفرة، إلا أننا سنستند أيضاً إلى كتاب نيدا وتابر (1969)، والذي يشكل تتمة للمؤلَّف المهم لنيدا (1964).

أما بالنسبة إلى تابر، فالبنيات الدلالية العميقة لكل اللغات متقاربة جداً، وربما هي كلية. فهي تشمل أساساً أسماء (م) (Objet) وأحداثاً (ح) (Evénements) وتجريدات (ج) (Abstractions). وتوافق هذه المقولات الدلالية، على مستوى السطح، مقولات نحوية خاصة بكل لغة معيّنة، وتطابق بالتوالي في اللغة الفرنسية (وإجمالاً في مجموع اللغات الهندوأوربية): الأسماء (انظر «م») والأفعال (انظر «ح») والصفات والظروف (انظر «ج»). في الحقيقة، هذا التوافق بين المقولات الدلالية العميقة والمقولات النحوية السطحية ليس تاماً بالنظر إلى توافر جملة من التداخلات: إذ يمكن لاسم أن يعبّر ليس فقط عن شيء (م) بل وأيضاً عن حدث (ح) وكذلك عن تجريد (ج) وهكذا دواليك (تابر، 1972، ص 57 وما يليها).

وإجمالاً، يمكن لمتكلم فرنسي أن يعبّر عن الفكرة ذاتها قائلاً (La pluie ne cesse pas) = لم يتوقف المطر أو ـ (Il pleut sans arrêt) = أمطرت السماء من دون توقف ـ تبعاً لمثال كلاسيكي لأندريه مارتينيه (1968، ص 197). ولنُشِر إلى أنه بالنسبة إلى مارتينيه، لا يوافق هذا «التقابل الفعلي ـ الاسمي» بنية الكون في شيء كما قد يتبادر إلى «الملاحظ البسيط» (ص 196)، ولكنه يستجيب لقيود صرفية ـ تركيبية ملازمة للغة فحسب، أي للغة الفرنسية في هذه الحال. ويجدر هنا، حسب تابر، انتقاء إحدى الصيغتين، وهو انتقاء من شأنه أن يسهم في تحديد أسلوب الملفوظ: فالاختياران الأسلوبيان متكافئان دلالياً.

سعى تابر في إطار تبنيه النموذجَ التوليديَّ الذي يقابل بين البنيات العميقة وبنيات السطح، وفي إطار إيجاده مكاناً للتداخلات الحاصلة داخل التحويلات التي تجعل من المقولات الدلالية مقولات نحوية، إلى رسم الخطوط العامة لنظرية شاملة يبدو أنها قد تمكن

بالفعل من تجاوز الصَورَنَة الصرف لبنيوية على شاكلة مارتينيه. إلا أن معارفنا الراهنة باللسانيات النفسية، لا تسعفنا في أن نصدر حكماً بشأن هذا النقاش الدائر حول اللسانيات النظرية، إلا إذا أردنا أن نجازف، كما فعل تابر، بما بقي لنا بوصفه تنبّؤاً حدسياً أكثر منه فرضياً، لكي نعود إلى ما يسمى بالبنيات الدلالية العميقة. فـ «التحليل» (تابر، 1972، ص 57 وفي أماكن متعددة) الذي يمكِّن، حسب ظنّ تابر، من استعادة هذه البنيات، يحيلنا على نوع من اللاوعي اللغوي مدّه بسره صانعٌ للمعجزات ومحللٌ نفسي مدّع أو كاذب مجهول الهوية. ولذلك، نفضّل نحن أن نوقف تقييمنا بخصوص هذه النقطة بالذات، ولا نود أن نسير على خطى توليدية، كانت بالأمس ما تزال منتصرة.

قد لا تكون هاتان النظريتان، بالإضافة إلى ذلك، متقابلتين كما يبدو عند أول وهلة. فعندما كتب مارتينيه أن في التقابل بين (il pleut) = يهطل المطر، و(la pluie) = المطر، «لا يتعلق الأمر، ضرورةً، حتى بتصورَين مختلفين للظاهرة نفسها، بل بشكلين لغويَين متباينَين يحدّد السياق الاختيار بينهما» (1968، ص 197)، فإن الفرق الوحيد مع تابر هو أن نظريته تكمن في إعطاء هذا التقابل قيمة أسلوبية بشكل صريح. فكلا المؤلفين يضع معنى الملفوظ بمعزل عن هذا التكييف السياقي، فيبعده مارتينيه، تبعاً لذلك، عن مجال اللسانيات الصرف لامتناع تبريره «بمقاييس صورية» خالصة، في حين يسند إليه تابر وضعاً لغوياً في البنية العميقة.

إلا أن المشكل لا يخلو من أهمية على مستوى «الوحدة النظرية» (*théorème*) الأسلوبية التي تترتب عن الدلالة التوليدية التي طبقها تابر، وخاصة عن المتلازمة التي ـ يمكن ـ استنباطها من أجل نظرية للترجمة. فإذا كان ينبغي القَبول بورود أسلوبي للتقابل بين الجملتين اللتين اتخذناهما مثالاً، فلا نكون في الواقع قد «ترجمنا

الأسلوب» إلا إذا وضعنا تطابقاً دقيقاً بينهما: في اللغة الألمانية ـ الهدف، على سبيل المثال، تهدف الأسلوبية التوليدية التي اقترحها تابر إلى أن نترجم بالضرورة (Il pleut sans arrêt) بـ (es regnet ununterbrochen) و(la pluie ne cesse pas) بـ (Rogen hört nicht auf). فالقلب الذي يعيد توزيع هذين المقابلين إلى مقابلة عكسية (chiasme) قد يتحول إلى عملية غير أمينة بالنسبة إلى الجماليات الأسلوبية المحتملة لنص من النصوص...

لكن إذا رأينا في الأمر مجرد افتراض «تواز أسلوبي ـ نحوي» بين اللغتين اللتين وصلت بينهما الترجمة، فماذا سينجم عن ذلك عندما لا يتعلق الأمر بلغتين متقاربتين كما هو الشأن هنا، نقصد الفرنسية ـ المصدر والألمانية ـ الهدف؟ فحتى إذا سلمنا مثلاً بأن في كل اللغات، وإن بشكل كموني، «نزوعاً للتمييز بين «أسماء» و«أفعال»»، كما انتهى إلى تعميم ذلك مارتينيه (1968، ص 201)، فلن يكون موقفنا مؤسساً إذا اعتقدنا أن التقابل «فعلي ـ اسمي» هو تقابل كلي وضروري بشكل دقيق، وبخاصة إذا افترضنا أن التقابل ذاته يظل في كل مكان (المصدر نفسه، ص 196 وص 200 وما يليهما).

تطرح لنا الترجمة، هنا، بشكل ملموس، إشكالين اثنين. فمن **جهة**: قد توجد، في نظر بعضهم «محاور تفسيرية» تكفل الانتقال من لغة إلى أخرى، وسنوضح في مكان آخر أن هذا الافتراض أو ـ هذه الفرضية الضمنية، بالأحرى، غير مبررة نظرياً خصوصاً أنها لا توافق في شيء ما تبديه لنا التجربة التطبيقية للترجمة. وثمّة، من **جهة ثانية**: إشكال أعم يطرح نفسه ويهُمّ إشكال المسافة البيْلغوية (distance interlinguistique)[7].

(7) سنعود إلى هذا الإشكال المزدوج، الذي أثرناه هنا، في دراسة مقبلة.

وكما أسلفنا أعلاه، فما دمنا عاجزين عن إبداء رأينا في الافتراض التوليدي لـ تابر الخاص بالبنى العميقة ـ وفي غياب أساس قوي من الحقائق النفسية اللغوية[8] التي قد تتم البرهنة عليها تجريبياً «من خارج» نظرية للترجمة يفترض فيها العمل على تطبيق هذه الحقائق ـ فإنه يجب علينا البحثُ «من الداخل» عن حل مؤقت، وتحديداً من وجهة «نظرية الترجمة» (la «théorie de la traduction»)، لتصبح بذلك لا نظرية من أجل (*pour*) الترجمة بل نظرية لسانية انطلاقاً من (à partir de) الترجمة أيضاً.

وفي مثالنا، تستدعي الجملةُ الأولى في اللغة الفرنسية ـ المصدر «Il pleut sans arrêt» الجملةَ (es regnet ununfhörlich) باعتبارها مقابلاً لها في اللغة الألمانية ـ الهدف، وقد تستلزم، وربما بطريقة أكثر تلقائية، ترجمتَنا الأولى (es regnet ununterbrochen). وتجاهل ذلك، قد يجعلنا نضع ضمنياً معادلة بيْلغوية من قبيل: (sans arrêt/= في الألمانية ـ الهدف (ununterbrochen/unaufhörlich) sans cesse) في الفرنسية ـ المصدر. إلا أن هذا الأمر لا يوافق في شيء معنى لغة (Sprachgefühl) متكلم فطري، يعتبر المفردتين مقابلين استبداليَّين في اللغة الألمانية. ويمكن أن نعتمد أيضاً «رباعيات تناسبية»، ـ وذلك لنتمسك بالاستعارة الجبرية ونطبق على الترجمة تعبيراً يستعمله فرديناند دو سوسور (1972، ص 222) في وصفه للاشتغال التطوري للقياس ـ فنجد أنفسنا ميّالين إلى كتابة: . . der . (der Regen إلا أن (hör auf!/laß ab! = Regen hört nicht auf/)

(8) وينبغي دون شك الرجوع إلى أبعد من الظواهر النفسية اللغوية التي لم تُعرَّف بما فيه الكفاية إلى حد الآن، أي إلى المستوى المعتم المتعلق باللغة الأولى: المستوى العصبي اللغوي (انظر لادميرال، 1975e، ص 527 وما يليها).

(läßt nicht ab تظل غير مقبولة في اللغة الألمانية. ووفقاً للمنظور البِيْلغوي للترجمة، ليس بالإمكان وضع المعادلة التالية بكل صرامة (cesse !/ arrête/ = hör auf!/ laß ab!)[9].

كنا، في كل هذه الحالات، بصدد عوارض تسقط بشكل جوهري الاستبدالات التفسيرية للغة معيّنة على لغة أخرى في إطار لعبة تداخل. وتفترض هذه «الترجمانيات» (traductionnismes) (انظر مونان، 1955، ص 36) بشكل خفي أنه قد يحصل ما يشبه التطابق الثنائي بين الوحدات اللغوية لنسقين مختلفين. ويعود ذلك إلى تشبيه الترجمة بمنامطة (transcodage)، أي ببساطة إلى ما نسمّيه بـ «الترجمة الحرفية»، إلا أنه من البدهي أن هذه الحالة تبقى حالة محدودة، فهي الاستثناء وليست القاعدة.

والاختيار بين هذا المقابل ـ الهدف أو ذاك يبقى، على مستوى التطبيق، وبشكل موسع إلى حد ما، مرهوناً بمصادفات تكييف سياقي صرف، كما يؤكد ذلك مارتينيه. وفي الحقيقة، تبدو «البدائل الأسلوبية» التي شكلت موضوع بحثنا حتى الآن، وكأنها في الغالب الأعم «بدائل حرة». فنحن ملزمون، تدريجياً، بأن نأخذ بعين الاعتبار سياقاً استبدالياً كاملاً للمقابلات لا يمكن نظرياً أن يبث فيه تحكيم المترجم القائم على التجربة. وبعبارة أخرى، نحن مدفوعون في ممارستنا الحقيقية للترجمة إلى «العارض» الملازم للمحاور التفسيرية الخاصة بلغة واحدة. وذلك من دون أن نتمكّن من المجازفة بتقويم أسلوبي مقنع علمياً، وبالطبع، من دون القدرة على ضمان قيدٍ للتوافق البِيْلغوي الذي يظل قيداً استيهامياً.

(9) ... لا يكفي قلب الألفاظ!

3.1. الأسلوبية والتضمين

بعيداً عن «مبدأ التقلبات الأسلوبية» هذا الذي استخلصناه، ثمّة صعوبة أخرى، ومَرَدُّها هذه المرة إلى ما يبدو تناقضاً حتى داخل نظرية تابر. فلعبة التضمينات تظهر وكأنها عليها أن تُطرح، في بنية السطح، حصرياً على مستوى الشكل. إلا أنه وُضِّح على الفور أن البنية الدلالية العميقة مُـماثلة «للفحوى التصوّرية والعاطفية لرسالة النص» (تابر، 1972، ص 56)، إلا أن الفحوى العاطفية (emotive meaning) يشكّل في اللسانيّات الأنجلوساكسونية طريقة أخرى، أكثر تميزاً، لتسمية التضمين، ولما تناول تابر المرحلة **الثالثة** من «التحليل الذي يمكّن من استعادة هذه البنية الدلالية» (ص 57)، بعد «تحليل الطبيعة الدلالية العميقة للوحدات» (في أسماء (م) ـ وأحداث (ح) وتجريدات (ج)) و«تحليل معنى البنية»، يقترح تابر بديلاً لتحليل مُكَوِّني أو لتحليل يعتمد المعنيَين التعييني والتضميني للمفردات (ص 60).

من هنا، لم يعد «للأسلوب» الذي ينبغي ترجمته موقع على مستوى السطح فحسب، بل على مستوى البنية العميقة أيضاً، أي المستوى الدلالي لمضمون الوحدات المعجمية. و«تتم الاختيارات التي تشكل الأسلوب على عدة مستويات» (ص 61): على المستوى السطحي للإشكاليات «البديلة» (كما مر بنا للتو) وعلى المستوى العميق الخاص بالتضمينات بالمعنى الحصري. فالأسلوب إذاً خليط:

«فمن **جهة**، يرتبط مباشرة بالبنية الدلالية، بما أن الاختيارات التي تشكل الأسلوب تنجم عن بعض الاختيارات التي سبق اعتمادها في البنية الدلالية، ومن **جهة ثانية**، يمثل جزءاً ظاهراً من البنية السطحية، لدرجة يمكن معها القول بأن الأسلوب هو ما يميز بشكل واضح بين التمثيل والبنية الدلالية العارية (. . .) أي النص المكتمل» (المصدر نفسه).

إنّ ثقل الشرح الذي يبدو تحصيل حاصل يَـحْجُبُ بشكل سيئ هنا لبس النظرية الأسلوبية المقترحة. فضلاً عن أن الأمر كان يتعلق قبلاً بـ «التأليف بين السمات غير المميزة والدلالية والذي نسميه الأسلوب» عند بلومفيلد (1970، ص 470)، والذي يجد صداه في ما يمكن تسميته بـ «الغموض الأسلوبي» لـ تابر.

ليكن واضحاً أنه إذا كنا نناقش أطروحة تابر تفصيلياً، فليس ذلك بالنظر إلى أهميتها فحسب، بل لأنها تبدو لنا ممثِّلة لتيار كامل في ما يمكن أن ننعته بالأيديولوجية السائدة سواء تعلق الأمر بالنظرية اللسانية أو بالأفكار التي يمكن أن نكوّنها، هنا وهناك، عن هذه الممارسة الخاصة للكتابة التي هي الترجمة.

لم يكن بالفعل مرضياً لمن يمتلك تجربة في الترجمة الأدبية أن يرى الأسلوب ينحدر تقريباً إلى مستوى تكييف سياقي، محكوم عليه بأن يخضع لتحويلات تركيبية شبه آلية، وهي عملية تظل غير واعية تقريباً، وإنه بالفعل لمبعث اطمئنان أن يُفْرَدَ مكان لـ «الفحوى العاطفية» للتضمينات في البنية العميقة. إلا أن تابر يقترح أن «يترجم الأسلوب» في مرحلة لاحقة (انظر ص 61 و ـ ما يليها)، وكأن الأمر يتعلق بموسيقى مصاحبة فقط، أي بموسيقى ثانوية ليس إلا... اللسانيات مدعوة هنا إلى الإسهام بضمانتها النظرية في ممارسة معينة للترجمة يمكن تصورها عملية ذات «زناد مزدوج».

لقد انتفض هنري ميشونيك، الذي هو بدوره مترجم للتوراة (انظر ميشونيك، 1970)، بشدة ضد هذه الممارسة الرائجة والمنتشرة بخاصة في مجال الترجمة التوراتية، الذي هو مجال نيدا وتابر، وهو يطرح قضية ما يسميه («التشعير أو التأديب») (La poétisation ou la littérarisation): «ترجمة أولى حرفية «كلمة بكلمة» ينجزها من يُلِمُّ بلغة الانطلاق... يضاف إليها «الشعر»....» (ميشونيك، 1973،

ص 315). هذه الثنائية لا تنشئ نصاً، سواء أكان نصاً أميناً أم نصاً شعرياً أم نصاً جميلاً حقاً. ألا يكمن السبب الوحيد، بل العذر الوحيد، في هذه الحال، في أن اللغة ـ المصدر وهي عبريّة العهد القديم، هي لغة بعيدة جداً وتظل لغة غير معروفة؟ إلا أن الخلاصة الوحيدة التي نهتدي إليها هي الجملة اللاذعة لهنري ميشونيك: «إذا لم تكونوا تتقنون العبرية، فترجموا شيئاً آخر» (ص 417)! وهو ما يشبه رجع الصدى للمثال الفرنسي ـ الألماني الذي نوقش سلفاً، وهو ما يشكل مظهراً آخر لمشكل المسافة البيْلغوية.

تُبرِزُ تجربة الترجمة أن الأسلوبية بالمعنى الحصري ليست ثانوية (sekundär)، بل إن ثمّة نقطة تماس يلتقي عندها المعنى بالأسلوب و«الشكل» بـ «المضمون»، وما ينبغي ترجمته هو الوحدة التي تجمع الاثنين. ويبدو أن هذا هو ما يهدف المفهوم التجريبي للتضمين إلى الإجابة عنه. وهو مفهوم ينبغي تحديده بشكل أدق مما أسعفتنا به جولتنا في أسلوبية بدا لنا وضعها إشكالياً.

لا يختلف اثنان في أن الأمر لا يمكن أن يتعلق هنا بتحديد وضع الأسلوبية، بل ينحصر في استخلاص بعض «الوحدات النظرية» التي يمكن أن تشكّل دعماً عملياً من أجل «ترجمة الأسلوب». ولنلاحظ أن الوضع الملتبس الذي تسنده نظرية ش. تابر التوليدية إلى الأسلوب، وهي تحدّد للمشكل موقعَين في مستويَين اثنين، يشاكل التمييز الذي يضعه بيار غيرو بين ضربين من الأسلوبية: الأسلوبية **1** وتعني ـ من وجهة نظر شارل باللي (Charles Bally) ـ «الأسلوبية الوصفية أو أسلوبية التعبير»، التي هي في حقيقة الأمر دلالة الوسائل التعبيرية وبالخصوص دلالة التضمينات (غيرو، 1963، ص 45 وما يليها)، والأسلوبية **2** وتعني ـ من وجهة نظر ليو شبيتزر (Leo Spitzer) ـ «الأسلوبية السلالية أو أسلوبية الفرد»، التي يمكن أن

تكون بالأحرى سيميوطيقا أدبية للمؤلِّفين والمؤلَّفات (المصدر نفسه، ص 67 وما يليها).

لا يحدث أبداً أن يجد المترجم نفسه في مواجهة صريحة مع موضوع الضرب **الأول** من الأسلوبية وحده: فهو يكون مضطراً باستمرار إلى البحث في كل مقام عن معنى المصادر الأسلوبية للغة، هذا المعنى الذي يوظفه النص. وهو المعنى الذي على المترجم ترجمته في البنية العميقة، إن شئنا. لكن هذه الاختيارات الدقيقة في الترجمة، والتي على المترجم القيام بها، تظل، في الوقت نفسه، رهينة ثقافته والألفة التي يكون قد اكتسبها قبلاً مع الكاتب الذي يترجم. ويتمّ له ذلك بفضل قراءاته التحضيرية وما تشبع به من أجل أن يحصل على الطابع الخاص لأسلوبه. وهذا التفرد هو الذي سيشكل موضوع الأسلوبية **الثانية**. ومن الممكن، دون شك، أن نرى في هذا التآلف الأسلوبي «فالساً» تشكّله المتغيرات الذاتية، أو لحناً من الكلام قد يتناسب مع التقارب النزوعي والانطباعي للاختيارات التي ما فتئ الكاتب يقوم بها بين مختلف بدائل الكتابة، وهو تقارب يكون، جزئياً، خفياً في البداية...

مهما يكن من وضع الأسلوبية الموزع بين قطب دلالي وقطب سيميوطيقي، يبدو لنا وكأن هذا اللبس يشكّل بدوره هذا الوضع، وفي اعتبارنا فإنه من الأورد أن نقترح، بناءً على هذه القطبية (polarité)، مفهمةً نظرية لمصطلح التضمين انطلاقاً من استعمالنا التجريبي له (انظر ص 196 وما يليها). إلا أن ثنائية ش. تابر، التي توزع فحوى الأسلوب المروم ترجمته بين البنية العميقة والبنية السطحية، لا تعمل، مرةً أخرى، إلا على التجسيد المسبق لهذا «الاستقطاب الثنائي» للأسلوبية وللتضمينات، بناءً على تقارب قياسي يستدعي تحليلات أدق.

لم تعمل نظرية الترجمة في الغالب الأعم إلا على إعادة إنتاج الغموض الأسلوبي الذي أحاطت به هذه الهالة التضمينية التي قد تطرز بها ريشة الشاعر معنى كلمات القبيلة. كما هو الشأن بالنسبة إلى مفهوم كمفهوم التضمين الذي توظفه النظرية والذي يستدعي الآن توضيحاً نظرياً أكثر نسقية.

2. التضمينات والذاتيات

1.2. المعنى المنطقي

بخلاف ما سبق، جاءنا مفهوم التضمين من أفق آخر غير أفق الأسلوبية: ألا وهو أفق المنطق الصوري. أضف إلى هذا أن القواميس ـ أمتخصّصة في اللغة كانت أم لا ـ لا تتوانى عن التذكير بهذا الأمر. وفي هذا الصدد، لا يخلو من مغزى أن يكون ليتريه قد استقى من لويس ليارد (Louis Liard) المثال الوحيد ليجلي مفهوم المفردات محط اهتمامنا.

فبهذا المعنى المنطقي أيضاً، والذي ننسبه تقليدياً إلى منطق جون ستيوارت مِل (John Stuart Mill)، يشكل التضمين زوجاً مع التعيين الذي يقابله. ونحن نعلم أننا درجنا في المنطق الصوريّ على أن نقابل بين التعريف بالمدلول النطاقي (لمصطلح، أو لطبقة أو لمجموعة معينة) والتعريف بالمفهوم. بهذا المعنى، لا يعدو تعيين مفردة، تبعاً للمناطقة، أن يكون تعريفاً بالماصدق أي توسيعاً لمصطلح معيّن، بمعنى مجموع الأفراد أو الأشياء التي تدل عليها تلك المفردة أو ذلك المصطلح. وينضم تعيين المناطقة إذاً إلى ما اعتاد اللسانيون (وبشكل أقل نسقية، المناطقة أنفسهم) على تسميته بالمرجع.

يعادل التضمين في المنطق الصوري تقريباً ما درجنا على تسميته بـمـفـهـوم (la compréhension) الـمـصـطـلـح أو «بـقـصـده»[10] (l'intension): فهو يحيل على مجموع الخصائص أو السمات ذات الصلة بالأفراد أو الأشياء «المعيّنة» (dénotés) التي تشكل توسيعاً للمصطلح. يمكن أن نقيم، هنا أيضاً، تقارباً مع اللسانيات وأن نلاحظ أن التضمين المنطقي لمصطلح ينزع إلى الامتزاج بالمدلول اللغوي للمفردة. إلا أننا إذا توقفنا عندَ كلمة تضمين نفسها، يلزمنا ذلك أن نسجل وجود تعارض، أو بالأحرى تقابل بين معناها المنطقي ومعناها اللغوي، فالرابط بين المعنيين، وإن كان تطورياً فقط، فقد اختفى ولم يعد يظهر البتة.

ليس في نيتنا هنا القيام بحفريّات لهذا المعنى المنطقي للتضمين، والذي يرجع إلى تقليد قروسطي كامل للجدالات اللاهوتية والفلسفية في ما يتعلق بوضع الدلالة و«موضاتها» المرتبطة بتطور الإسـمـانـيـة (nominalisme)، مـع غ. دوران دو سـان بـورسـان (Guillaume Durand de Saint-Pourçain) وغيّوم دوكام (Guillaume d'Occam) وغيرهما[11].

لا ننوي هنا اتباع المناطِقَة في أفكارهم الدقيقة الحديثة ولا في التدقيقات التي يسهمون بها ولا في التمييزات ـ التي يدرجونها والتي تمس مفاهيم من قبيل تضمين ومفهوم وقصد وتعريف... إلخ. وبذلك فهم يقيمون بالأساس فرقاً بين أنواع المفهوم (أو التضمينات): شاملة، نهائية، ضمنية، ذاتية، بارزة... ويمكن أن

---

(10) تمت كتابة كلمة (intension) بـ s إلا أن مدرسة مونتاغو (Montagüe) أعادت كتابة الكلمة (intention) بـ t...، مؤخراً.

(11) تبعاً لـ بوهلر، يبدو التضمين، الذي لن نتناوله هنا، وكأنه يحيل من جديد على هذا الإرث القروسطي.

نرجع في هذا الصدد إلى المواد ذات الصلة في *Vocabulaire philosophique*) لصاحبه أندريه لالاند (André Lalande) (1962، ص 172 وما يليها. . . إلخ.) وإلى الموجز المقتضب الذي احتفظ به مونان لها في الفصل الذي يعالج فيه التضمين باعتباره مسألة نظرية في الترجمة (1963، ص 144 وما يليها وأيضاً ص 148 وما يليها). وسنكتفي بإتمام تحليل التضمين مع الإشارة إلى أن تضمين اللسانيين والأدباء وغيرهم من الأسلوبيين ما هو إلا «التضمين الذاتي» لمناطِقة مثل غوبلو (Goblot)، على سبيل المثال. وهو ضربٌ من التضمين وجده ج. ستيوارت مِل فضفاضاً جداً ونوى تعويضه بمضمون محدد لتعريف معيّن (a fixed connotation)، طالما أن التضمين الذاتي تحول إلى تضمين بالمعنى الحصري عند نهاية مسلسل من البتر أو التقليص التراكبي (syntagmatique)، معروفٍ على المستوى التطوري ومتلازم مع ما يطابقه من انزلاق للمعنى.

مهما يكن من تقارب نسَبي بين معنيي المفردة ومن إعادة التراكيب الممكنة بينهما، فالإحالة على المعنى المنطقي تبدو غير مجدية بما يكفي في السياق الذي يهمنا. ويمكن أن نغلق باب النقاش بوضع حدّ له هنا، بمعنى أن نقيم قطيعة. . . منهجية تقصي المعنى المنطقي من حيّز اهتمامنا. إضافةً إلى أننا نلاحظ أنه في المنطق، يبدو لفظ «تضمين» وكأنه تم هجره، بل ومحوه مقابل لفظ «فهم»، الذي يعد أكثر استعمالاً كلاسيكياً، وأكثر قِدَماً، ومع ذلك، فهو ينزع، بدوره، إلى إخلاء المكان لمرادفه القديم «القصد» (intension) الذي يستعيد حالياً طابعه العصري. إنه لا يخلو من مغزى، ودائماً بحسب ليتريه، أن تتم الإشارة إلى الأصل المنطقي[12] للفظ، وأن ما يتم تعريفه فيه هو المعنى اللغوي (راجع «فكرة خاصة»، «فكرة ثانوية». . .).

---

(12) ... وكذا النحوي، وفي هذا الصدد يشير **ليتريه** إلى بوزيه.

2.2. المعنى البلومفيلدي

نُرجع عامة «المعنى اللغوي» لمفردة «تضمين» إلى الأب المؤسس (founding father) للسانيات الأميركية ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) (انظر مونان، 1963، ص 145 وما يليها أو غاري ـ بريّور، 1971، ص 97 وما يليها... إلخ). يعالج بلومفيلد (1970، ص 144 ـ 149) التضمين في الفصل الذي يفرده للدلالة. وتكمن أهمية تحليله في تصنيف سوسيولغوي لما يسميه أيضاً بشكل عام «التضمينات الاجتماعية» (ص ـ 468): ثمّة التضمينات الاجتماعية (بالمعنى الحصري)، بل ثمّة أيضاً التضمينات المحلية والعبارات المهجورة والأشكال التقنية أو العالمة أو الغريبة أو شبه الغريبة (راجع (le Fremdwort)) واللهجات الفئوية التي يضيف إليها المحرّمات اللغوية وتضمينات «التكثير» كالتعجب وأشباه الجمل (interjections) وكذا المحاكاة الصوتية (onomatopées) وكلام الأطفال و«الأسماء الشخصية» وغيرها من الأسماء التحَبُّبِيَة...

هذه القائمة السوسيولغوية تم إكمالها، من هنا وهناك، ببعض اللمسات الانطباعية التي تتخذ منحىً يمكن أن ننعته بالفينومينولوجيا الأسلوبية للتأثيرات التضمينية. إلا أن بلومفيلد ظل مصراً على سلوكيته ومعادياً لكل نزعة ذهنيّة أو «ذهنانية» (mentalisme) تطبع اللسانيات بطابع نفسي مما يجعله لايخوض فعلاً في هذا الاتجاه.

ومع ذلك، فإن المترجم اهتم أساساً بهذه الفينومينولوجيا الأسلوبية، ومن ثم، اهتم بنظرية قد تمكن من منح طابع تصوري للتضمينات وقياسها بشكل أدق مما يمكِن أن يقوم به تجريبياً على مستوى المراس. وللسبب نفسه، فإن الفصل الذي أفرده نيدا وتابر للتضمين (Connotative Meaning) في كتابهما حول الترجمة (1969، ص 91 وما يليها) لم يشفِ غليلنا، كما نقول، لأنه كان مجرد

انتحال لبلومفيلد ليس إلا، يستعيد ما أسميناه بالقائمة السوسيولغوية مع إضافة بعض الملاحظات التي تقتصر على ذكر الصعوبة الناجمة عن ترجمة اللوينات التضمينية التي تنطوي عليها المستويات اللغوية المعنية بالأمر.

في الواقع، إذا تأملنا الأمر عن كثب، فإننا لا نفيد الكثير من بلومفيلد نفسه في ما يتعلق بإشكالنا. فهو يُعرّف التضمينات بكونها «قيماً إضافية» (بلومفيلد، 1970، ص 144): إنها صيغة مفتاح سيتضح أنها مركزية في النقاشات اللاحقة (راجع مونان، 1963، ص 148، 155 وما يليها وص 159 وما يليها)، إلا أنها تظل منعزلة ويمكن أن نقر بأن هذا المختصر لا يزوّدنا إلا بإشارة نظرية مُلغّزة جداً. عندما يتحدث بلومفيلد عن «طعم تضميني» (1970، ص 147 ـ في النص الأصلي (connotative flavor))، فهو لا يضيف شيئاً بخصوص فحوى هذه التضمينات منتقلاً بسرعة إلى تعداده للمستويات السوسيولغوية.

لكن، من جهة أخرى، كيف يمكن ترجمة ما هو سوسيو ـ لغوي صرف من لغة مجتمع إلى لغة مجتمع آخر؟ ألا ندخل في صميم المتعذّر ترجمته بهذه الإحالة على السوسيولغوي (انظر ص 155 وما يليها) المتصل بـ «الآثار بالاستحضار»؟ أضف إلى ذلك أن بلومفيلد لم يوضح النقطة المتعلقة بمعرفة ما إذا كان التضمين ظاهرة فردية أو حدثاً اجتماعياً متصلاً باللغة. فهو يكتفي بطرح المشكل وعرضه، عندما يكتب مثلاً: «في آخر الأمر، لكل شكل من أشكال الخطاب طعمه التضميني بالنسبة إلى العشيرة اللغوية برمتها، وهذا الطعم، بالمقابل، قد يُعَدَّل أو قد يُبْعَد، بالنسبة إلى كل متكلم، بواسطة التضمين الذي أكسبه إياه الشكل عبر تجربته الخاصة» (بلومفيلد، 1970، ص 147، انظر أيضاً ص 144). لذلك سينصب اهتمامنا الآن على فحص مختلف هذه المشاكل.

3.2. المضمون الذاتي

في ما يخص المعنى اللغوي، يمكن أن نستمر في حديثنا عن معنى «بلومفيلدي»، ولكن بوضعه بين مزدوجين، آخذين في الحسبان محدودية إسهام بلومفيلد في المشكل الذي يشغلنا، وينبغي لنا البحث عن عناصر لتعريف إيجابي للتضمين لدى لسانيين آخرين، طالما أن صيغته التي تميز التضمينات كقيم إضافية لا تقدم في آخر الأمر إلا تحديداً سلبياً. إضافةً إلى أنه يمكن اعتبار اللسانيين المعنيين بالأمر لسانيي «ما بعد بلومفيلد»، وقد أشار مونان مرات عديدة إلى أنهم جميعهم كانوا في البدء أنجلوساكسونيين، وبطبيعة الحال يدخل كل من تابر ونيدا في هذا الإطار، كما رأينا (انظر أيضاً ص 118).

فخارج الثنائية ترادف/ بدائل، وفي إطار الإسهام دون شك في ملء أولي لمحتواها، يقوم القاسم المشترك لمختلف التعريفات المقترحة على اعتبار التضمين نسبةً معينة من الذاتية في اللغة، أي أن التضمين ذو بُعد عاطفي بشكل أدق. وتكمن الصيغة التي يحتفظ بها اللسانيون الأنجلوساكسونيون في الغالب الأعم في إقامة تماثل بين التضمين والمعنى الانفعالي (أو العاطفي) (emotive/ affective meaning)، وهي الصيغة ذاتُها التي يحتفظ بها الكتاب المدرسي لـ ج. ليونز (Lyons) (1970، ص 343 وفي أماكن متعددة).

ويعد هذا التعريف قابلاً للتعديل، فقد أورد ج. مونان (1963، ص 147) قائمة بأكملها، غير تامة، للمقابِلات التي عثر عليها في أدبيات اللسانيات الأنجلوساكسونية. إذ عرّف بولّوك (Pollock) التضمين في مقابل التعيين (والعكس بالعكس)، باعتباره علامة استحضارية (في مقابل العلامة المرجعية)، وعرّفه فيغل (Feigl) باعتباره علامة غير معرفية أي تخييلية أو عاطفية (في مقابل العلامة الإخبارية)، وعرّفه ستيفنسون (Stevenson) باعتباره علامة دينامية (في

مقابل العلامة المعرفية)، وعرّفه ريشنباخ (Reichenbach) باعتباره قيماً تواصلية واقتراحية... إلخ[13].

يتحدث شارل باللي، ضمن التقليد السوسّيري، عن «القيمة الاستحضارية» ويتحدث جان ليونز أيضاً عن الترابطات الانفعالية (emotional أو emotive) أو الاستحضارية (evocative) لما باشر تعريف التضمينات (المصدر نفسه). وأخيراً، وفي إطار نظرية الترجمة التي يقترحها شارل تابر، فإن إحدى طرق تصنيف المكوّنات الدلالية تكمن، كما رأينا (انظر ص 126)، في وضع تقابل بين التضمين بوصفه «فحوى عاطفية» والتعيين بوصفه «فحوى تصورية صرفة» (تابر، 1972، ص 60).

من المتفق عليه، بالنسبة إلى المترجم، فعلاً، الاشتغال بواسطة قيم عاطفية، يجعله تصوره للغة (Sprachgefühi) يثمّنها تجريبياً في كلتا اللغتين. وهو يفعل ذلك بدلاً من أن يكون مضطراً إلى الرجوع إلى مستويات غامضة للتلفظ السوسيولغوي. وهي المستويات التي تظل أطراً فارغة وعامة جداً أو غير قابلة تماماً للإسناد. لكن ينبغي الاعتراف بأنه لا يمكن إنهاء «تحليل المكوّنات العاطفية، طالما لا يتوافر لدينا منهج دقيق»، كما يعترف بذلك ش. تابر (المصدر نفسه).

لم نعمل هنا إذاً إلا على صياغة الإشكال صياغةً مختلفة. هذا الإشكال الذي يظل قائماً، بين الاستكمال المضمر والمجازِف

---

(13) الملاحظ أن معظم هؤلاء المؤلفين يحيلون على... المرجع (إذا شئنا القول) وتسهم كل هذه الثنائيات في ما سنسميه لاحقاً «استحواذ المرجع» (انظر ص 245 وما يليها من هذا الكتاب). نتذكر أيضاً أنه بعد ك. بوهلر، ماثل جاكوبسون (1963، ص213 وما يليها من هذا الكتاب) في تصنيفه لوظائف اللغة، بين «الوظيفة التعيينية» أو «المرجعية» أو «المعرفية» في مقابل «الوظيفة الانفعالية» أو «التعبيرية»... إلخ.

لتحديدات سوسيولغوية افتراضية، من جهة، والعودة غير المشروطة إلى تجريبية فينومونولوجية أسلوبية للتضمينات كما مارسها المترجمون على مر الزمن، من جهة أخرى. بهذا التعريف، يكون «المعنى اللغوي» للفظ «تضمين»، في نهاية الأمر، هو المعنى الجاري والتقليدي الذي تحمله الكلمة في الخطاب ما قبل اللغوي للأدبيين، وفي خطاب العلوم الإنسانية. وهو المعنى الذي تقدمه الكلمة إلى كل شخص مثقف. وهو ما تقدّمه، أخيراً وليس آخراً، إلى المترجمين، بطبيعة الحال.

لكن، إذا عُرِّف التضمين بوصفه معنىً ذاتياً، يطرح السؤال حول معرفة ما إذا كان الأمر يتعلق، في هذه الحال، بذاتية تجريبية أو ذاتية مفارقة، متعالية. وبعبارة أخرى، إذا ترجمنا هذه المفردات المقترضة من الفلسفة الكَنْتية بمفردات تتصل باللسانيات السوسّيرية، يمكن أن نطرح السؤال كالتالي: هل التضمين ظاهرة «فردية»، متعلقة بالكلام، أم هل أنها حدث جماعي، متعلق باللغة؟ وبغض النظر عن المنظور السوسيولغوي الثاوي خلف تحليلات بلومفيلد، يمكن القول إنه عالج هذه النقطة بسطحية.

4.2. تفرُّد التضمينات

يظهر أن معظم اللسانيين ينزعون **أولاً** إلى أن يجعلوا من التضمين أمراً مرتبطاً بسلوك فردي للمتكلم. وذلك من دون حصول إجماع شكلي في الأدبيات اللسانية حول المسألة وبالرغم من أننا، على العكس من ذلك، قد نضطر إلى ملاحظة بعض التردد بهذا الخصوص من كاتب إلى آخر. أليست العاطفية ـ التي تم إسنادها بوصفها محتوى إلى التضمين ـ وظيفةً للذاتية الفردية؟

وبهذا المعنى، يصبح التضمين مطابقاً «لكل ما هو غير مشترك

بين المتخاطبين» (ألان راي، 1970، ص 284)، أو مطابقاً «لكل ما لا يتصل في استعمال الكلمة بتجربة مجموع مستعملي تلك الكلمة في تلك اللغة». وهو ما ذهب إليه جورج مونان، الذي استند هنا إلى الحجة التي يمثلها مارتينيه (1967)، في كتابه *Clés pour la linguistique*) (مونان، 1971، ص 181)، وقد ذهب في كتابه (*Problèmes théoriques de la traduction*) إلى حد القول بأن الكلمة (train) = قطار، على سبيل المثال، يمكن أن تتضمن ثلاثة تضمينات متباينة تماماً بالنسبة إلى ثلاثة أفراد مختلفين، بإحالتها «بالنسبة إلى أولهم على الجو المرح لسفر أثناء العطلة، وبالنسبة إلى ثانيهم على ذكرى أو على تخوف من حادثة مؤلمة، وبالنسبة إلى ثالثهم على رتابة الإقبال والإدبار يومياً بين المصنع والمنزل» (مونان، 1963، ص 168).

يعزى تعدد الدلالات التضمينية هذا إلى الطابع العرضي للمسارات السيرية لتعلّم ج. مونان نفسِه اللغة (1971، ص 181 وما يليها)، مما يجعله محسوباً على لسانيات بلومفيلد. إن لسانيات بلومفيلد التي تُعَرِّف معنى الشكل اللغوي بالنسبة إلى كل متكلم، «على أنه ناتج المواقف التي سمع أثناءها بهذا الشكل» (بلومفيلد، 1970، ص 144). ألحّ مونان (1963، ص 163 و157)، عند تنظيره للتضمين من منظور مسائل الترجمة، على مختلف الأبعاد لتعلم اللغة وهو تعلم متعدد لدى كل منا (انظر ص 180).

بما أن الأمر يتعلق أساساً باللغة الأم، وبما أن الخلفيات «المرتبطة بالتحليل النفسي» التي يستحضرها ج. مونان تُعطي للعبارة معناها الكامل، فقد يكون الاصطلاح دقيقاً لو انصب الحديث على «اكتساب» (اللسان واللغة الأم في الوقت نفسه) بدل الحديث عن «التعلُّم»، لكي يتم الاحتفاظ بهذه المفردة الأخيرة لبيداغوجيا اللغات

الأجنبية. إلا أن الأمر لا يتعلق هنا إلا بتحفّظ صغير، بل طفيف جداً. أضف إلى ذلك أننا، بصفة عامة، لا نعتقد أن حل القضايا النظرية يمر بالضرورة بإرادوية المراسيم المصطلحية «الاعتباطية»، عكس وهم شائع في أوساط اللسانيين وغيرهم من الباحثين في العلوم الإنسانية (ص 24). لهذا الغرض لم نتوانَ بدورنا في استعمال مفردات الأزواج المعجمية التي من قبيل تعلم/ اكتساب، معنى/ دلالة، سيميولوجيا/ سيميوطيقا، مفهوم/ مصطلح، الترجمية/ نظرية الترجمة... إلخ. بلا تمييز أو بشكل تنافسي، وكأنها «مُزاوِجات» ليس إلا، عُدِّلت بواسطة لعب أسلوبي للكتابة، ويمكن القول إنها تمايزت فقط على مستوى... التضمينات. لن نعمِّق، في دراستنا هاته، أيضاً، الاختلافات التي يمكن إقامتها بين ترجمات أدبية وشعرية أو بين «سياق» بالمعنى الضيق (الفرنسي) والمعنى الموسع أو «الفرنجليزي»[14].

عندما تناول مونان جدولة أسلوبية ترصد «التواصل الشعري» ـ تظل، بناءً على ذلك، أساسية في نظرنا طالما أن الترجمة الأدبية، وبخاصة الشعرية منها، هي التي تطرح القضايا الأكثر حساسية بالنسبة إلى المترجم ـ اقترح استعارةً تبدو لنا ناجحةً من حيث الاصطلاح، حين جعل من التضمينات الأهدافَ الفردية للمدلول (انظر مونان، 1969، ص 25). وبهذا، ينضم إلى بلومفيلد، الذي يتحدث، بخصوص توليد الكلمات، عن «العالم الحميمي والشخصي للتضمينات» (1970، ص 400). ولما جدَّد تعريفه للشعر في صيغة

(14) بخصوص معنَيَيْ كلمة «سياق» (contexte)، انظر الصفحتين 272 و283 من هذا الكتاب. وفي ما يخص المعنى (sens) والدلالة (signification)، فإننا سنستمر في استعمالهما في الغالب دون تمييز، بالرغم من التمييز المهم الذي اقترحه أ. كوزريو بين (Sinn) و(Bedeutung) (انظر ص 295 و269 من هذا الكتاب).

كلاسيكية، تحول هذا التعريف إلى استعارة أخرى: «ننقل وطننا اللغوي والشعري في نعل أحذيتنا الطفولية» (مونان، 1971، ص 182). إنه لجميل، حقاً، أن نراه يرفع جزئياً عن الأشياء العكرة للتحليل النفسي الفردوسَ الأخضرَ للحب الطفولي لكي يَحل محلها اكتساب الكلام الذي يحظى ضمن هذا الحب بهالة حنينية من الشعر العذري...

ألم يجعل هذا المنطقُ البلومفيلدي، الذي يمعن في تفريد التضمينات إلى حد يجعل منها وظيفة نفسية لغوية للتعلم، ج. مونان يتقوقع داخل ما أسميناه إشكالية الاعتراض الاستباقي (انظر ص 76 و85 وما يليها)، أي جعله ينغمس في نقاش أكاديمي، لا حل له، موضوعه إمكان الترجمة من زاوية نظريّة أو عدم إمكانها؟

لقد بدا مونان واعياً بالأمر وهو يذكر على التو بأن «للغة وظيفة تواصلية، أي إنها تهدف إلى جمع شمل الناس» (1971، ص 182)، إلا أن الشعر ينزع إلى أن يمثل استثناء في هذا الباب. وهذا يعني أنّنا سنُوجَّه نحو تصور «قطبي» (polaire) للأسلوبية، يضع مُقابل قطبِ التواصل قُطبَ ما يَستعصي وصفُه إذ يمثل الشعر ما يمكن تسميته بسيرورة «التكوّر» (processus d'involution) الانطوائي للغة، في توافق مع الاستحضارات التحليلية النفسية التي تقتضيها الأعراض اللغوية لمرحلة الطفولة. فبالرغم من حديثنا عن «التضمينات المشتركة»، كما يفعل ذلك مونان (1971، ص 183) وهو يحيل على مارتينيه، فإن التضمينات والشعر لا يمثلان أمرين ذاتيين بالأساس، يستعصي كلياً تبليغهما تواصلياً، ومن ثم ترجمتهما.

لكنّ علينا، قبل تعميق تفكيرنا في مشكل العلاقات بين «الترجمة والتضمين» وفي إطار اشتغال التواصل ـ كي نفلت من شبحي اللامُتَرجم والاعتراض الاستباقي ـ تخصيص حيّز لعنصر من

عناصر تعريفٍ لم تتم الإشارة إليه إلى حد الآن. فبالنسبة إلى بعض المؤلفين، مثل ليونار بلومفيلد (1970، ص 186، وراجع الصفحات 155 و468 و470) أو رولان بارت (1965، ص 92 و160)، يغطي تضمينُ مفردةٍ معينة جملةً من «السمات غير المـُمَيِّزة». إنه عنصر «تعريفي» تتضمنه أيضاً مادة «التضمين» التي حرَّرها ميشال أرّيفيه للملحق الثاني لـ (Grand *Larousse encyclopédique*, G.L.E).

وتمثل هذه الخصيصة تفسيراً أدق نوعاً ما «للقيم الإضافية» البلومفيلدية. إلا أن هذا العنصر من التعريف يحيل بالخصوص، مرة أخرى، على التصور «الفرداني» الذي حدَّدنا سلفاً نواقصه. فقد تم تصور التضمينات بوصفها تغيرات فردية ليس إلا، ومن ثم فهي غير واردة. وسنقتصر، بخصوص هذه النقطة، على إبداء ملاحظتين اثنتين:

فمن **جهة**: عندما رغب رولان بارت في توضيح تعريفه للتضمين، تناول مثالاً للتقابل غير وارد في اللغة الفرنسية، بين الـ *r* المكرّر (roulé) (متقدم) المسمّى «بورغوني» (bourguignon) والـ *r* الملثوغ (grasseyé) (طبقي أو لهوي أو مؤخر) المسمّى «باريسي» (parisien)، فهو يُدخل هنا البعد الشفهي. ومن الواضح أن هذا المشكل لا يهم الترجمة، بالمعنى الحصري، والتي تظل حكراً على النصوص المكتوبة (انظر ص 12 و42)، ولم يجانب ج. مونان الصواب حين ميّز بين التضمينات التي تهمُّنا والتضمينات الصوتية، سواء أكانت إرادية أم غير إرادية.

ومن **جهة ثانية**، ودائماً بخصوص المثال نفسه، لا يخفى على أحد أن البعد «الفردي» للتضمين يكون على مستوى فردية جماعية: يتعلق الأمر هنا بمستوى وسطي، يتجاوز لُهيجة متكلم فردي دون أن يبلغ العموم المجتمعي للغة. وقد يكون بالإمكان العودة قريباً (انظر ص 145 وما يليها) إلى منظور سوسيولغوي سبق لبلومفيلد أن حدد لنا توجهه.

ومرةً أخرى، فإن بلومفيلد، بالنظر إلى نباهته، يطرح من الإشكالات أكثر مما يحل. فنحن نجد لديه هذا المنظور السوسيولغوي، الذي يسعى إلى استخلاص التضمينات من حقل فردي صرف، ونجد لديه أيضاً منطقاً مقامياً للتعلم اللغوي يعمل على ترسيخ هذه التضمينات فيه. ونشير إلى أنه يحدث له أيضاً، بسبب ذلك، أن يستحضر البعد الصوتي للبدائل التضمينية غير الواردة، في مقابل السمات الصواتية (راجع بلومفيلد، 1970، ص 155 و470)، كما في المثال الذي اقتبسناه من بارت والذي أقصيناه من حيز حديثنا.

إلا أننا على مستوى أشمل، نجد لديه مُسَلّمة ضخمة، ويبدو أنها تحصيل حاصل. وهي تكمن في تماثل «الدلالة المُمَيِّزة أو اللغوية» (بلومفيلد، 1970، ص 134)، أي في طرح نظام توليدي ذاتي للغة. وهذا يؤدي إلى تجنب المشكل الذي يكمن في معرفة ما إذا كان التضمين ظاهرة فردية غير مُمَيِّزة: إن ما يمكن أن يتوافر في التضمين من طابع فردي، قد يحمله إلى عالم مبهم غير لغوي، أي داخل «العلبة السوداء» الشهيرة ذات الصلة بنفسية ذهنانية إلى حد ما. هنا أيضاً، لا يعدو الأمر أن يكون طريقة ينتهجها ليمنح المشكل تسمية، وربما أيضاً ليُحدد لنا توجهاً، توجه نظرية للتضمين تأخذ بالاعتبار الخصوصية اللغوية للتواصل[15].

بهذا، نكون قد توصلنا، منذ الآن، إلى خلاصة ثلاثية مؤقتة:

---

(15) بخصوص بُعد التواصل الذي يعد أساسياً بالنسبة إلى الترجمة، انظر ص 217 وما يليها ولكن أيضاً ص 246 وما يليها. وفي ما يتعلق بخصوصية الجانب اللغوي وأبعاده النفسية، انظر ص 263 وما يليها من هذا الكتاب. صحيح أن بلومفيلد ليس أقل من ذهناني، إلا أن حصره الدلالة في السياقات المقامية، وهو ما يمثل بالنسبة إليه مسلمة إقصاء، قاد ج. مونان إلى منح التضمينات صبغة نفسية.

التضمين ليس ظاهرة فردية صرفاً، وليس ثمّة معنى لغوي فردي للمفردة يمكنه أن يجاور معنى آخر، لغوياً كان أم اجتماعياً أم جماعياً، وثمّة فقط مشكل مطروح لمعرفة مقدار الفردي في لعبة التضمينات. ومن أجل الإشارة إلى هذا التعقيد الإشكالي والسيروري اخترنا أن نتحدث عن تفرّد التضمينات باعتماد لفظ قديم من الدرس الفلسفي (انظر أيضاً غرانجر، 1968).

3. الترجمة والجماعة اللغوية

1.3. استراتيجية التواصل

يظهر بسرعة إذاً أنه لا يمكننا أن نتمسك بـ «فردانية التضمين» إلا إذا رغبنا في تدمير كامل للمفهوم. وتدريجياً، يظهر أنه ليس فقط تبعاً للأفراد يتم تنويع التضمينات التي عُرِّفت بهذا الشكل، ولكن تبعاً لكل مقام من المقامات التي سيُنتَج فيها الشكل اللغوي المعني بالأمر أيضاً، وإن من لدن فرد واحد بعينه. فمن الفردي ننتقل إلى ما هو دون الفردي.

أضف إلى ذلك أنه بالنسبة إلى كل كلمة قد يُصبح كل استعمال «ندرة دلالية» طالما أن المدلول اللغوي لا يعدو أن يكون مجرد فعل لغوي. إذا كان كل ملفوظ يحيل على تلفّظ معيّن بشكل فردي وغير قابل تماماً للاختزال فهو لا يطابق أي ملفوظ آخر، ومن هنا، يصبح التواصل عموماً مستحيلاً بين الناس. والمصير ذاته ستعرفه الترجمة بالخصوص وستعرفه القراءة أيضاً. قال القدماء: لا نستحم أبداً في النهر نفسه مرتين، وينبغي أن نضيف أننا بالفعل لا نسمع ولا ننطق ولا نقرأ... ولا نترجم أبداً الملفوظ «نفسه». من هنا، قد يصبح الغِنى الذي يسوّقه الكلام غير قابل للنقل. وباختصار، إن ذَرية الدلالات والتضمينات بهذا الشكل قد تجعلهما تؤوَّلان إلى ما

يستعصي على الوصف وعلى الإبلاغ، وقد تجعل الذرّية الكلامَ كله مستحيلاً في الوقت الذي تضع فيه قبلياً أمام كل محاولة لترجمة هاته الدلالات والتضمينات حاجزاً يتعذر عبوره.

إنه لأمرٌ بالغ الدلالة في هذا الباب، تخصيص ج. مونان فصلاً كاملاً هو **الفصل الحادي عشر** «الترجمة واللغة والاتصال بين الأفراد» (ص 169 وما يليها)، ليدحض مأزق «الأنانة اللغوية» (solipsisme linguistique). وذلك مباشرة بعد أن عالج التضمين في **الفصل العاشر** من كتابه (*Problèmes théoriques de la traduction*) (1963، ص 144 وما يليها) وبعد أن جعل منه ظاهرةً فرديةً صرفاً. (ص 168)، ولا تخلو بلورتُه من حجّة «هذه المفارقة المغيظة» (ص 171) بل والأبدية والتي ينبغي عليه في نهاية المطاف رفضها. وقد فعل ما فعل انطلاقاً من «نفسية بيبليولوجية» تبيّن بكل دقة استحالة القراءة. وبناءً على ذلك، يبدو من الواضح أنه يعسُر علينا أن نتوقف هنا، في حين أن مونان انتهى إلى تجاوز الاعتراض الاستباقي لتلك الأنانة التي لا تسمو إلى اللغوي بل هي ضده. إلا أنه يظل صحيحاً أيضاً بمقتضى منطق موقفه أن يجد نفسه في مواجهتها مادام التضمين يشاكل في نظره، وفي نظر غيره، ظاهرة فردية تتصل بالكلام. وهذا يعني إذابة التضمينات والدلالات بدورها في غبار يستعصي على الترجمة.

تُعَدّ الفلسفة الثاوية خلف هذه المواقف تصوراً أُحادياً للتواصل بوصفه تعبيراً مشتركاً بين متخاطبين موزعين، يتبادلون ملفوظات منتظمة تمثل أحداثاً فريدة ومنفردة. ولنتناول كدليل على ذلك ترسيمة التواصل الذي يقترحه. مونان والذي يميز فيها «ثلاثة أصناف من العلاقات التداولية» (1963، ص 159):

أ) العلاقة مرسل ـ ملفوظ، أي «الموقف العاطفي للمتكلم إزاء

مداليل الملفوظ» (المصدر نفسه)، والذي يتخذ شكل التعبيرية النفسية،

ب) العلاقة ملفوظ ـ متلقّ، أي موقف «المستمع وحده إزاء ملفوظات المتكلم» (المصدر نفسه)، والتي تشكل التعبيرية السوسيولغوية للرسالة، أي «القيم السوسيوسياقية» تبعاً لـ غيرو (1964، ص 124)،

ج) العلاقة مرسل ـ متلقّ: «إنها حالة التضمينات التي تُتَرجم الشعور العاطفي المجتمعي» (مونان، 1963، ص 160)، «يتقاسم هذه التضمينات كلّ من المتكلم والمستمع» (المصدر نفسه) وتوافق الانطباعية الأسلوبية لـ غيرو (1963، انظر ص 65 وفي أماكن متعددة).

وهكذا، فوحده الصنف **الثالث** من العلاقات التواصلية يوافق واقعاً معيناً، في حين يظل الصنفان الأولان مجرد أشكال ناقصة. إذاً، تهمنا فقط تضمينات الضرب **(ج)**، لأنها «مشتركة» يتقاسمها المتكلم (الكاتب) ومستمِعُهُ (القارئ)، ومن ثم، يمكن إبلاغها كما يمكن ترجمتها، في حين أن الصنفين الآخرين من التضمينات واللذين وضعهما مونان لا وجود لهما في نظرنا إلا إذا تم دمجهما داخل الصنف **الأول**.

وبالنسبة إلى الصنف **الأول**، أي التضمينات العاطفية **(أ)**، يبدو لنا أن ثمّة إمكانات ثلاثة. فإما أنها يمكن أن تكون فردية صرفاً، وبذلك تفلت من كل تواصل وتقودنا إلى المنطق الفرداني والأحادي الذي تم انتقاده. وإما أنها تسهم بنشاط «اجتماعي» معين وهي، في نهاية الأمر، تضمينات من النمط **الثالث (ج)**، كما تشهد على ذلك الأمثلة المستنَد إليها والتي تتصل بالفقرات الأخيرة من القائمة

السوسيولغوية البلومفيلدية (انظر ص 132): «صيغ التصغير والتحقير والتعظيم والتحبب... إلخ.» (مونان، 1963، ص 159). وإما أنها، أيضاً، قد تهم جرْسَ تنغيمٍ تم ضبطه بشكل جيد تحت تأثير الانفعال وهي، بالنظر إلى خاصيتها الشفهية والصوتية، لا تهمنا بطريقة مباشرة (انظر ص 139 وما يليها)، مع أنها، بالإضافة إلى ذلك، تكون في الغالب الأعم مُقَوْلَبة ومختزلة في مفردات «سوسيولغوية»، وبذلك يمكن أن يفك المستمع والمترجم رموزها (من الشفهي ـ المصدر إلى المكتوب ـ الهدف)، مما يجعلها تمتزج بتضمينات النمط **الثاني (ب)** فيعسر التمييز بينهما.

وفي ما يخص هذا الضرب من التضمينات، أي التضمينات السوسيولغوية **(ب)**، فمن الواضح أنها مشفرة وبذلك هي بدورها «يتقاسمها» المرسل والمتلقي، بمعنى أنها ممزوجة بتضمينات النمط **الثالث (ج)**. فحتى التضمينات الاجتماعية «المسماة عامية أو فئوية أو متحذلقة أو مهجورة أو ريفية أو طفولية... إلخ.» (مونان، 1963، ص 160) والتي تمكنت من أن تفلت، عن غير وعي، من المتكلم فهي تظل حالة خاصة: يعتقد المتكلم أنه بين أترابه فيكون قد أخطأ، ومن ثم فالأمر لا يعدو أن يكون انزلاقاً للتواصل، أو إن المتكلم لا يتوافر لديه سوى «شفرة محدودة» فينجم عن ذلك عجز في التواصل، إلا أنه في كلتا الحالتين، وأمام هذين المظهرين الناقصين للتواصل، قد يفلح المترجم الكفء في أن يعيد موقَعَة هذه التضمينات داخل إطار مثالي لقائمة سوسيولغوية موضوعية تستمد منها التضمينات معانيها.

ينبغي التأكد من أن كل ملفوظ حين «ينشئ مقاماً للتواصل» يُشرك بقوة كلاً من المتلقي (المستمع/ القارئ) والمرسِل (المتكلم/ الكاتب)، وكذا الرسالة التي يتلفظ بها المرسِل وعلاقة «الترجيع» التي

تتصل به. فالملفوظ، حسياً، فعل لغوي (speech act)، ولعب لغوي (language game)، يسخّر على أنه «فعل إنجازي للتواصل». وبعبارة أخرى، يمكن القول، إذا أعدنا صياغة ما ذهب إليه مارسيل موس (Marcel Mauss)، إن التواصل يمثل ظاهرة اجتماعية شاملة عامة، وهذا ما يدفعنا إلى العودة إلى المنظور السوسيولغوي.

وهذا أمر بديهي ما دام يتعلّق بهذه الحالة الخاصة من التواصل التي هي الترجمة. وإضافةً إلى أن الترجمة حالة متميزة من التواصل ذلك، إنها «ميتاتواصل»، أي إنها تواصل من الدرجة **الثانية** ينصب، من لغة إلى أخرى، على تواصل من الدرجة **الأولى** يتناوله هدفاً له. ومؤدّى هذا أن الترجمة تعمل على «توضيع وَموضَعَة» (objectivation) التواصل في اللغة ـ المصدر، وهو تواصل تعمل على تعميمه لتجعل منه مضموناً للرسالة التي عليها ترجمتها إلى اللغة ـ الهدف. يجعل الميتاتواصل المترجِم من التواصل ـ الموضوع المصنف في الدرجة **الأولى** معطى سوسيولغوياً في اللغة ـ المصدر.

وهكذا على سبيل المثال ـ إذا وضعنا جانباً، وضع «الحالات النفسية» الطفيلية التي تنتمي إلى سلوك خاص فردي أو «انطوائي» محض، والتي هي أصلاً نشاز، وتُعد مضلِّلةً («أعشاباً سيئة») ـ للتواصل إذا شئنا القول ـ تكون تضمينات النمط **الثاني (ب)** التي تهم العلاقة ملفوظ ـ متلقّ، قد تمّ توضيعها في نظر الميتاتواصل المترجِم، والذي بدمجه لها بوصفها عناصر شفرةٍ داخل شبكة سوسيولغوية، يجعل منها تضميناتٍ من النمط **الثالث (ج)** تهم مجموع مقومات التواصل (انظر ص 176 وما يليها). في الواقع، لا يغيب هذا الأمر كلية عن مونان، فقد توصل بدوره إلى أن يعيد النظر في الثلاثية التي اقترحها بخصوص العلاقات التداولية، لكنه لم يقم بذلك إلا عرَضاً، في سطور ثلاثة (1963، ص 164)، ويستعصي

علينا فهم سر تفانيه في بلورة هذا الموضوع، إلا إذا افترضنا أن الأمر تعلق بمجرد تنازلات لبلاغة عرضٍ يخضع لمعايير جامعية لما يمكن أن تكون عليه أطروحة! بوجه عام، ذلك هو الانطباع الذي يعطيه **الفصل العاشر** من كتاب (*Problèmes*. .)..

2.3. اللغة والسوسيولسانيات

من المناسب إذاً إعادة وسم التضمينات بطابع اجتماعي، وألا نرى فيها مجرد «لعبة ألوان قزحية» يتعذّر الإمساك بها، مكرّسةً للاحتمالات البيوغرافية التي هي من صميم السلوك الخاص الفردي، بل نرى فيها حدثاً جماعياً عائداً إلى اللغة وليس إلى الكلام، بحسب التعبير السوسّوري. وتلك كانت بالفعل الخلاصة التي وجد محرّرو مقال (connotation) = (تضمين) أنفسهم مضطرين إلى تبنيها في أجود القواميس المتخصصة. لا يمكن أن يغيب عنا أن التضمين: (danger) = (خطير) للفظ (rouge) = (أحمر) «يجمع عليه كل المتكلمين الفرنسيين» (دوبوا وآخرون، 1973، ص 115). كما أن غاليسون وكوست (1976، ص 119) أغلقا ملف التضمينات المتنازع فيه بالإشارة إلى أن «الأمر لا يتعلق ببدائل فردية أو عاطفية فحسب، بل بثوابت على مستوى ما يمكن تسميته بالاستعمالات الثقافية» أيضاً.

بشكل أدق، يؤكد غاليسون وكوست، (1976، ص 118) أنه «بالنسبة إلى معظم المتكلمين الفرنسيين»، على سبيل المثال، كلمة (chien) = (كلب) تعني تضمينياً (la bassesse) = (الدناءة)، فنُظُمُ التضمينات «تتقاسمها كلّ الجماعة اللغوية أو بعضها» (المصدر نفسه). فالتضمين لا ينتمي إلى الكلام الفردي بل إلى اللغة، ومن دون شك، أن نكتب بأن التضمين يشير «إلى ما يتوافر في الدلالة من خصوصية فردٍ معيّن أو مجموعة معينة داخل الجماعة اللغوية» (دوبوا

وآخرون، 1973، ص 115) أمر لا يخلو من لَبْس. وذلك أننا نخشى أن نخصص المفهوم أكثر مما يلزم. فهو لا يشكّل، حصرياً، معطى من اللغة، بل ظاهرة تدخل في نطاق اللغة. وبهذا تشكل التضمينات معطىً لغوياً جماعياً، لا هو بالفردي المحض ولا هو بالعام أو الكلي تماماً، وإنما هو في الحقيقة «متوسّط» بين الكلام واللغة، بل هو أشد قُرباً من اللغة.

يحيل اشتغال التضمينات على استعمال لغوي جماعي شبيه باللغة، بالمعنى السوسّوري للكلمة، فالعديد من المتكلّمين يتمكّنون من أن يجدوا أنفسهم فيه وأن يتواصلوا على أساس هذا المفترض المشترك. فمجموعة المتكلمين المعنيين تُمثل في أغلب الأحيان جزءاً لا بأس به عددياً داخل الجماعة اللغوية. ويمكن الحديث، في هذا الباب، عن «ميكرولغات» أو «لغات فرعية» أو، ببساطة، عن زوايا الخطاب، فقد أعاد بيار غيرو (Pierre Guiraud) استعمال تعبير «أوضاع اللغة» (états de langue)، وقد كفّ عن منحه المعنى السوسّوري لمقاطع آنيّة أو تزامنية أُجريت داخل التطورية أو التعاقبية التاريخية للغةٍ معينة، ليمنحه، بالضبط، معنى السجلات السوسيولغوية (1963، ص 51). ومن هنا، نعي جيداً لماذا توصل بلومفيلد إلى أن يقترح مباشرة قائمة سوسيولغوية للسجلات التضمينية (انظر ص 132 وما يليها).

ومن الأنسب أيضاً ملاحظة أن السمة «سوسيولغوي» يشوبها لَبْس طالما أنها تدفع إلى التفكير في إمكان أن نُسنِد إلى أوضاع اللغة (أو أوضاع اللغات) هاته أو زوايا الخطاب ـ طبقة حقيقية من المتكلمِين المـُحَددين بناءً على إحداثيات «سوسيولغوية» دقيقة نسبياً. إلا أنه يلزم الكثير لكي يستمر الأمر كذلك، وإن بدا غير ضروريّ. لا تهتم «سوسيولغوية» التضمينات التي يتعلق بها الأمر هنا بإقامة بدائل ثانية تجريبية، إنها سوسيو ـ لغوية انطباعية بالكامل. ولذلك

نقترح استعمال لفظ «القرابة اللغوية»[*] (dialinguistique) من أجل إبعاد العائق الذي يلزم عن هذا اللبس وبسبب كون المجموعات الفرعيّة المشاكلة تقريبا للغة (إن وجدت) يُطرح على اللسانيات الحديثة، خصوصاً مع مسألة الأنحاء غير المعيارية. ومهما يكن من أمر هذا الاقتراح الاصطلاحي مستقبلاً، والذي نلاحظ أنه يرتبط، سلالياً، بمفاهيم من قبيل «لهجة اجتماعية» (dialecte social) (راجع مارتينيه، 1969، ص . .158. إلخ.) أو «نسق مزدوج» (diasystème) (فاينريتش، 1954، ص 307 وما يليها وفي أماكن متعددة)، فغرضنا من وضعه هو توفير مُزاوج أدق أو أكثر «تقنية» للاستعمال الذي يكون أحياناً فضفاضاً للفظ «سوسيولغوي» في مواقف كالموقف الذي يهمنا هنا، وليس غرضنا تعويضه نسقياً.

لاشك في أن الوقت قد حان الآن لإنصاف مؤلِفِين من قبيل رولان بارت عن وسمهم للتضمينات وكأنها غير مُمَيّزة، إذ صنفناهم، بطريقة غير مباشرة، ضمن «فردانيي التضمين» (انظر ص 138 وما يليها)، ولعلنا تسرعنا قليلاً في تصنيفنا هذا. وإذا أعدنا تناول المثال الذي أسلفنا ذكره، توضح أن التقابل بين الـ *r* المكرر والـ *r* الملثوغ، كما أشرنا إلى ذلك، ظاهرة جماعية وليس فقط فردية. بالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نجد بسهولة أمثلة مماثلة لا يمكن ردُّها كالمثال السابق الذي يكمن مشكله في كونه، ببساطة، ذا طبيعة صوتية. ومن ثم فهو لا يهم الترجمة لأن الترجمة تحصر

(*) في إحدى مناقشاتنا مع المؤلف أكد لنا أنه يضع تقابلاً بين «قرابة لغوية» (dialinguistique) وعلاقة «بيلغوية» (interlinguistique). يتم الضرب **الأول** بين «بدائل» لغة معيّنة، أي بين لغات تصل بينها قربى لغوية كتلك التي يمكن أن تحصل بين الفصيح والدارج من اللغة العربية في حين يصل الضرب **الثاني** من العلاقة بين لغات تختلف في ما بينها كالعلاقة بين اللغة الفرنسية واللغة الألمانية مثلاً.

اهتمامها في النصوص المكتوبة: ويمكننا بذلك أن نتناول مثال التقابل بين البلجاوية (belgicisme): (nonante) = (تسعون) والبديلة الفرنسية (quatre-vingt-dix) = (تسعون).

لقد وضّحنا في ما يخصّ بلومفيلد، بما فيه الكفاية، كيف أن منطقه «الفرداني» للتعلم اللغوي بواسطة المقامات لا يؤدي إلى «سوسيولغوية» للتضمينات. إلا أن بارت نفسه أوضح أنه إذا كانت تقابلات من هذا القبيل تشكل جزءاً من «التغيرات غير الدالة» فيمكنها أن تكون «مع ذلك «حنجرية'» (1965، ص 92)، بمعنى أنها محسوبة على اللغة. هذه البدائل غير الواردة «ليست دالة على مستوى التعيين» (ص 160) أي على المستوى الصواتي للغة (حين يتعلق الأمر بالتقابل السابق بين تحققَي الـ r في الفرنسية)، إلا أنها يمكن أن تستعيد دلالتها على مستوى التضمين» (المصدر نفسه)، أي على مستوى «نسق من المعاني الثانوية، نسق طفيلي، إذا شئنا القول» (ص 102)، و«هذا النسق الثانوي بدوره «لغة» (المصدر نفسه). وهذه «اللغة» التي ليست من اللغة في شيء، هي ما أسميناه «لغة فرعية» أو زاوية الخطاب. وبالنظر إلى ذلك، فتفرّد التضمينات هو في هذه الحالة جماعي، «سوسيولغوي» أو له علاقة بلغتين تربط بينهما قرابة (dialinguistique).

هذه السجلات أو المستويات التي تطابق بدائل مختلفة للغة واحدة والتي تلعب عليها التضمينات هي بالأساس تقليص للغة أكثر منها توسيعاً للكلام الفردي[16]، وبذلك أمكن إدراجها ضمن

(16) ولهذا السبب أيضا نعتبر صيغة ج. دوبوا وآخرون صيغة مزعجةً لأنها تجعل من التضمين شيئاً «خاصاً بفرد أو بمجموعة داخل الجماعة» اللغوية، (J. Dubois [et al.] 1973 p. 115) مع أنه تزامنياً، على مستوى إعادة بناء افتراضي، يمكن الجمع بين المنظورين في إطار نظرية الذبذبات (Wellentheorie) لـ ج. شميدت (F. de Saussure, 1972, p. 287).

استراتيجية للتواصل. كما أن فروع اللغة الممتدّة هذه قد تتمكن من احتلال المكان برمته والامتزاج بمجموع اللغة نفسها. وقد أضاف بارت شارحاً بعد أن ميّز البدائل التضمينية باعتبارها «حنجريّة» يقول: «بمعنى أنها تنتمي إلى اللغة» (1965، ص 92). لا يشوب الصيغة، لأول وهلة، إلا بعض غموض. وهي تبسيطية إلى الحدّ الذي تبدو معه كأنها لا تستوعب ضوابط بدائل اللغة الواحدة، هذه الضوابط المحتملة لزوايا الخطاب والتي تحيل عليها التضمينات.

إلا أن بارت يوضح جيداً أنه يتحدث عن الأمر «من وجهة نظر سيميولوجية» (المصدر نفسه)، وهو أمر أساسي بالنسبة إلى موضوع حديثنا. ويبدو بالفعل أن الترجمة تتصل بالسيميولوجيا بدل اللسانيات بالمعنى الحصري. وقد مر بنا (انظر ص 144) أن الترجمة تمثل ميتاتواصل يتّخذ من اللغة ـ المصدر موضوعاً له (ولكن أيضاً، اللغة ـ الهدف في وقت لاحق)، ويعيد موقعتها ضمن إطار أوسع لا تمثل فيه إلا عنصراً من بين عناصر أخرى. وتتدخل في هذا الميتاتواصل اللغة الأخرى تحديداً والشروط الخاصة للتلفظ المزدوج تلك التي تنظم إنجاز ترجمة معينة وتضبط «شروط إنتاجها» ومقتضيات الثقافة (الثقافة ـ المصدر والثقافة ـ الهدف)... إلخ. فاللغة هي الأساس هنا. إلا أنها ليست كل شيء.

وبموازاة هذا كلّه، «لا تمثل اللسانيات إلا جزءاً من هذا العِلم الشامل» الذي سماه فردينآند دو ـ سوسور (1972، ص 33) السيميولوجيا. «لا تمثل اللغة إلا النسق الأهم» (المصدر نفسه) ضمن أنساق العلامات التي تتناولها السيميولوجيا موضوعاً لها، وبما أن اللغة تشكل بالفعل النسق الأهم، فاللسانيات هي التي تؤدّي دور المجال البحثيّ الفرعي المُوجه وتقدم للسيميولوجيا، ولنظرية الترجمة، أبرز ما يتوافر لديها من مفاهيم، ونماذج ومناهج، لدرجة

أن رولان بارت فكر في «إمكان أن يقلب يوماً اقتراح سوسّور» وأن يجعل من السيميولوجيا ملحقاً للسانيات، أي «لسانيات عَبرية» أو «عَبرَ ـ لسانيات» (trans-linguistique) (1965، ص 81). ويمكننا أن نستخلص على الأقل ثلاثة مظاهر سيميولوجية للترجمة.

تنضم السيميولوجيا هنا إلى البعد «السوسيولغوي»، لأن عملية اتصال لغتين بواسطة الترجمة ـ تعمل في البداية على توضيع كل من اللغتين وتقوم بشكل من الأشكال مقام نسق مرتبط ببديلي لغة معينة، أي من وجهة نظر المترجم، تقوم مقام «لغة فرعية» سوسيولغوية تقريبا. وللمترجم «قدرة لغوية مزدوجة» تشتغل بوصفها قدرةً ـ جامعةً (archi-compétence) (أو إن شئنا القول بوصفها «ميتا ـ قدرة» أو قدرةً واصفةً) أقوى من كل واحدة من لغتي الاشتغال في حال تناولهما منفصلتين (انظر ص 177).

ونستعمل هنا الكلمة بالمعنى الذي يمكن معه القول إن نظام مسلمات (axiomatique) هو «أقوى» من آخر، أو إن حاسوباً هو «أقوى» من حاسوب آخر. ينطبق مفهوم القوة البيلغوية، ذاك الذي نستخلصه من هذه الاستعمالات «التقنية» للمفردة على مختلف مستويات اللغات. ويتجلى ذلك على المستوى الصوتي كما تشهد بذلك الصعوبة التي يعاني منها الناطقون بالإيطاليّة عند نطقهم بعض الحركات المستديرة أو المشفّهة في اللغة الفرنسية. وعلى المستوى الصرفي، يبقى نظام وسم الصفة (أو بالأحرى وسم المحدّد) مِلكي (possessif) للضمير الغائب المفرد الذي يوجد في الألمانية، مثلاً، «أقوى» من النماذج المطابقة في اللغة الفرنسية التي لا تَسِمُ إلا الجنس والعدد للمملوك، وفي الإنجليزية التي لا تسم إلا «جنس» المالك: يمثل نموذج الألمانية نوعاً ما توليفاً لنموذجين ويمكننا أن نتحدث هنا عن «صُرفات ـ جامعة» أكثر قوة... إلخ. (راجع ر.

جاكوبسون، 1963، ص 82 وما يليها). ويمكن تطبيق هذا المصطلح بشكل موسع في الترجمة، كما هو الشأن بالنسبة إلى «القدرة المزدوجة» للمترجم (انظر ص 55 وما يليها)، سنعود إلى هذا الموضوع في دراسة لاحقة حول المنظور البيلغوي في الترجمية.

وإضافةً إلى ذلك، يمثل المنظور السيميولوجي بشكل واضح لدى بارت طريقة لانفتاح اللغة على البعد الثقافي الملازم لها (ويستعمل لفظ «الثقافة» هنا بالمعنى الموسع الذي اتخذته الكلمة في الفرنجليزية). ستصبح السيميولوجيا أو «لسانيات التضمينات» التي يعلِن عنها «أنثروبولوجيا تاريخية حقيقية» (بارت، 1965، ص 164 وما يليها) «تتواصل مدلولاتها تواصلاً وثيقاً مع الثقافة والمعرفة والتاريخ...» (ص 165). هنا أيضاً، نشاطر وجهة نظر سوسّور، الذي يعتبر السيميولوجيا «علماً يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية» (1972، ص 33). وهو مظهر أسلف الإشارة إليه غاليسون وكوست (1976، ص 119)، كما رأينا، عندما تحدثا عن «استعمالات ثقافية». وهكذا، فبالنسبة إلى نظرية الترجمة، يقدم هنري ميشونيك «اقتراح» توسيع مصطلح اللغة إلى أبعادِ «لغة ـ ثقافة» (1973، ص 308 وفي أماكن متعددة)، وهو ما أسميناه المعطى «السوسيولغوي» الذي يشتغل عليه المترجم[17].

وأخيراً، تمثل وجهة النظر السيميولوجية التي يتبناها بارت

---

(17) ويمكننا أن نتحدث أيضاً عن «لغة موسعة» (périlangue) (انظر ص 262 وما يليها وفي أماكن متعددة). لنلاحظ أيضاً أن الإشكال المتعلق بالقرابة اللغوية (dialinguistique) لـ «لغاتنا الفرعية» أو لزوايا الخطاب يوافقه أيضاً تمييز يمكن أن ننعته بالقرابة الثقافية (dia-culturelle) لـ «الثقافات الفرعية» التي استحضرها غاليسون وكوست (R. Galisson et D. Coste, 1976, p. 119) بخصوص الترجمة والسوسيولسانيات، انظر م. برنييه (M. Pergnier).

بالخصوص شيئاً آخر بدورها. إنها نظرية للتضمينات كفيلة بأن توجِد مرة أخرى مكاناً للبعد الفردي، الذي لا يمكن إقصاؤه كلياً (انظر ص 179 وما يليها) لاسيما حين يظهر حدود البعد السوسيولغوي الذي جاء لينافس الإسهام السيميولوجي وليعمل على جعل نشاطه أكثر جلاءً وحسية.

3.3. حدود الترسيمة السوسيولغوية

كما مر بنا أعلاه (انظر ص 132 وما يليها)، خلُص بلومفيلد إلى ترسيمة «سوسيولغوية» للسجلات التضمينية، وكنا أشرنا على الفور إلى مدى عجز هذا المنظور النظري عن الاستجابة للانشغالات المراسية للمترجم. فاهتمام هذا المترجم بفينومينولوجيا أسلوبية لـ «مستويات اللغة» وللتضمينات المرتبطة بها يفوقُ اهتمامَه بتصنيف لـ «أوضاع اللغة» أو لزوايا الخطاب يعتمد قرابة لغوية. ففي هذه الأوضاع أو الزوايا يُفترَض أن تجد الآثار التضمينية تفسيراً لها. أوَلم يحن الوقت الآن لكي نفسر، نظرياً، مرتكز التصميم البلومفيلدي الذي انتهينا إليه في نهاية المطاف؟

فعلاً، تحيل تضمينات كلمة معينة، أو صيغة أو جملة أو حتى صفحة كاملة أو كتاب بأكمله، على سياق من الاستحضارات خاص بهذه الزاوية أو تلك من الخطاب. إنه ما يعمل المنظور «السوسيولغوي» لبلومفيلد أو المنظور المرتبط ببدائل لغة على مَوضَعَته، وهو في ذلك يلتقي مع مشروع شارل باللي الذي يبلور أسلوبيةً للغة تتخذ موضوعاً لها، بالإضافة إلى «الآثار الطبيعية»، ما يسميه «الآثار بالاستحضار». ويمكن رصد هذه الآثار كالتالي: «تعكس الأشكالُ المواقفَ التي تتحقق فيها وتستقي الأثر التعبيري من الجماعة الاجتماعية التي تستعملها». وهو ما أشار إليه غيرو (1963،

ص 51)، الذي يستعمل بدوره تعبير القيم «العاطفية» و«السوسيوسياقية» (1964، ص 124)، كما رأينا (انظر ص 142). وبالإضافة إلى ذلك، لم يفت مونان أن يسجل على الفور التقارب بين بلومفيلد وباللي (1963، ص 146 وما يليها).

وفضلاً عن الاعتبارات النظرية، التي تمّ عرضها سالفاً، يمكن أن نستحضر بعض الأمثلة لدعم مشروعية الترسيمة البلومفيلدية. من هنا، يسعى استعمال مفردات علمية داخل إطار اللغة المتداولة (Umgangssprache) إلى إحداث أثر أسلوبي من «التقنية» دال «تضمينياً» على الروح العام الذي ينظم الخطاب العلمي المأخوذة منه تلك المفردات[18]. وعكس ذلك، فإننا نُحدث أثراً هزلياً، مثلاً، عند القيام بما يناقض ذلك تماماً، أي باستعمال مفردات من اللغة المتداولة داخل ملفوظ علمي. لذلك عندما كان مؤلف هذه السطور تلميذاً في المرحلة الثانوية، كان يبدو له من الطريف استهلال برهنة هندسية بالجملة التالية: «لنفرض أن O يمثل مركز منتصف الحلقة...» (بدلاً من الصيغة الشائعة: «لنفرض أن O يمثل وسط الدائرة»).

---

(18) ... بمعنى الاقتراض (un emprunt) (البيْ) لغوي (Lehnwort) وبالمعنى الذي نقصده حينما نقول عن شخص «إنه موسوم، أي يحمل علامة» (il a l'air emprunté)، وإذا سمح لنا بهذا اللعب بالألفاظ ذي الطابع التوليدي، فإنه يطيب لنا أن نقول بأن هذا «الكولاج» المتصل ببديلي لغة معينة (dialinguistique) هو بدوره «موسوم» (empreinté)، بمعنى أنه يحمل «علامة» أو أثر الخطاب المتخصص الذي ينبثق منه. ويأخذ مفهوم الخطاب هنا معنى كلمة موسَّطة بين اللغة والكلام، ضمن جدلية الاستعمال والخرق التي تربط بينهما: فالخطاب لم يعد يؤشر فقط على المستوى التركيبي الأعلى للتلفظ الذي يجاوز الجملة، أي بوصفه مرادفاً للنص الطويل (المعنى اللغوي)، بل أضحى حاملاً للأثر التعييني أيضاً، كما يتميز بالتوليد الذاتي لكلام معين حول لغة معينة. وللإشارة إلى هذا الترسب الدلالي تحدثنا عن معنى «إبستيمولوجي» للكلمة، في ج. ر. لادميرال (1971)، ص 170 و173، انظر ص 290 ـ 291 من هذا الكتاب.

لا تطرح ترجمة هذا الضرب من الآثار التضمينية، مبدئياً، أي مشكل، لأنه إذا وجدت حالة تتطابق فيها المستويات الاجتماعية اللغوية بين لغة وأخرى، فتلك الحالة تتجسد هنا. يبدو، من **جهة**، أن اللغة المتداولة يمكن اعتبارها مستوى لغوياً محايداً. وليس من غير المشروع أن نؤكد، في هذا الصدد، بأن الأمر يتعلق، إجمالاً، بالمستوى «نفسه» في كل اللغات (idiomes). يمكن، من **جهة ثانية**، أن نرى في الخطاب العلمي لغة «تعرضت للحياد»، في أفق سيرورة تسعى إلى منح اللغة طابعاً كلياً على المستوى العالمي.

ثمّة طريقتان للحديث قد تُضللاننا فتبدوان وكأنهما توحيان بأنه قد توجد درجةُ صفر في التضمين. وقد يؤدي بنا الأمر إلى الاعتقاد في أن التضمينات لا يمكن أن تكون إلا شعرية وأن اللغة المتداولة يمكن أن تكون لغة خالية من كل تضمين. قد نعتبر الخطاب العلمي خطاب التعيين الصرف: لكننا سنعود إلى الفكرة القديمة التي مفادها أن اللغات تكون في أولها شعراً وتستحيل في نهايتها جبراً. لكن، في البداية، أيهما يكون مفتقداً للتضمين، أهي اللغة المتداولة أم هي الخطاب العلمي؟ أم هما معاً؟

يعرّف بلومفيلد، كغيره من المؤلّفين، اللغة العلمية[*] أساساً بسعيها إلى تحييد التضمينات، حيث تتجلى الظاهرة الاصطلاحية بقوله: «في حال المفردات العلمية، نحاول أن نخلص المعنى من العناصر التضمينية...» (ل. بلومفيلد، 1970، ص 144). إلا أن

(*) يحرص المؤلف على التمييز بين (langage scientifique) و(discours scientifique)، وهو تمييز يعكس التمييز الذي وضعه سوسّور بين «اللغة» في عمومها و«الكلام» في استعماله. ومن ثم كان الاتفاق على ترجمة الاقتراح **الأول** بـ «اللغة العلمية» و**الثاني** بـ «الخطاب العلمي». وقد آثرنا المفردة «لغة» على «لسان» بوصفها مقابلاً لـ (langage) في سياقات من قبيل «langage ordinaire»، «langage courant».

بلومفيلد يضيف بسرعة: «... بالرغم من أننا هنا أيضاً يمكن أن نخفق، فالرقم ثلاثة عشر، على سبيل المثال، يمثل بالنسبة إلى العديد من الناس تضميناً قوياً» (المصدر نفسه) وهو يتناول بذلك مثالاً أميركياً حقيقياً، كما تشهد على ذلك المخلفات الخرافية القوية جداً في التجمع الحضري النيويوركي الضخم الموغل في العصرنة حيث يغيب الطابق الثالث عشر حتى في البنايات (buildings) الفاخرة جداً والمطلة مباشرة على الجادة الخامسة، فالمصعد ينطلق مباشرة من الطابق الثاني عشر إلى الطابق «الرابع عشر»...[19].

في الواقع، يتناول إبطال الأثر الاصطلاحي التضمينات غير المرغوب فيها أو «الطارئة»، والتي تشبه غَرِيناً (allusion) تَرسّب في طبقة اللغة بواسطة التجعدات المضاعفة والمتراكمة للاستعمالات ما قبل العلميّة التي جرفتها تلك الطبقة قبل أن تُباشَر الأعمال العلمية، الحديثة والمحدودة، للتقنية والسّد «الاصطلاحيين». إلا أن لغة «العلماء» المشفّرة تفرز تضميناتها الخاصة (يجدر قول ذلك في هذه الحالة!).

في ضوء المنظور «السوسيولغوي» البلومفيلدي نفسه، يظهر أن ثمّة درجة دنيا من التضمين (التضمين الأدنى) تظل دائماً حاضرةً وملازمةً للخطاب العلمي ولكل خطاب. ويمثل التضمين الأدنى الوظيفة المرجعية الذاتية (ميتالغوية ضِمنياً ولَغْوية (phatique) إلزامياً) لدلالة هذا الخطاب تضمينياً على نفسه ضمن خصوصيته العلمية. وبواسطة هذا التضمين الأدنى قد يتسنى تفسير كون الآثار التضمينية

---

(19) في السياق ذاته، يلاحظ زمب أن (trente-six) (ستة وثلاثون) تكون عددية عندما نقوم بعملية ضرب «6×6=36»، مثلاً، لكنها تصبح لغوية في التعبير «trente-six chandelles» («ست وثلاثون شمعة»).

يمكن أن تشتغل كتلك التي قد نستخلصها من تداخل الخطاب العلمي مع اللغة المتداولة أو مع كل زاوية أخرى للخطاب. وذلك كما يتجلى ذلك في المثالين المعكوسين والمتكاملين اللذين تم استحضارهما. فحتى ضمن اللغة العلمية، الرجوع إلى هذه المفردة أو تلك يدل عامة تضمينياً على الانتماء إلى مدرسة معيّنة وعلى تركيز عميق من ذات الباحث، أي المتكلم، في سجالاته التي تحدد «الجبهات العلمية» لتخصصه (راجع لادميرال، 1971، ص 173 وما يليها): وهكذا فاستعمال مفهوم «الدال» في سياق خطاب التحليل النفسي يمكن على سبيل المثال أن تكون له تضمينات لاكانيّة، بكل ما يمكن أن يعنيه هذا الأمر. ثمّة اقتراض مصطلحيّ متبادل بين حقل وآخر، ومن ثم توجد تداخلات على مستوى التضمينات الخاصة بالخطاب العلمي.

إذا كان صحيحاً أن اللغة المتداولة تنهض بدور اللغة المحايدة في مثالينا، فذاك يعني أنها لا تخلو من تضمينات كثيرة، ملازمة للكلمات أو للعبارات أو للتعابير وصيغ الجمل. وقد سيق أعلاه مثال كلمة (chien) (انظر ص . .120. إلخ). وبصفة عامة، يظل مشكلُ هذه اللوينة التي تنعت بـ «العاطفية»، والتي ترتبط بكثير من عناصر الفسيفساء المختلطة التي تشكل قوام كل لغة مطروحاً. فـ شارل تابر يخصّص لها، في الأخير، كما مر بنا (انظر ص 126)، حيزاً دلالياً في البنية العميقة. واللسانيّون الأنجلوساكسونيون من قبيل جان ليونز يفسّرون، وهم يتبنّون الفكرة ذاتها المسماة (emotive meaning) (معنى عاطفياً)، مفهوم التضمين (انظر ص 133 وما يليها) قبل أن يباشروا نقده. وهو ما سنعود إليه لاحقاً.

ويظل غاليسون وكوست أيضاً، في منظورهما المتعلق بتعلم اللغات والمتصل اتصالاً بمسائل الترجمة (انظر ص 116)، على

صواب في إلحاحهما على أهمية التضمينات في «التواصل الاعتيادي» (Umgangssprache) وكذلك في «التواصل الشعري» (1976، ص 118). ويستحضران أمثلة يوازي توافرها في اللغة توافر القيم التضمينية «الإضافية» المرتبطة بكلمات من قبيل (chien) تحديداً أو (bœuf) (ثور)، أو (vache) (بقرة)، أو (bouc) (تيس)[20]، أو (coq) (ديك)...

وتشكل هذه التضمينات جزءاً من اللغة، وهي تضمينات غير مرغوب فيها في الخطاب العلمي الذي يسعى إلى التخلص منها جهد المستطاع. وباستعادة الاستعارة «النهرية» التي مكنتنا من قبل من إعطاء توضيح رمزي لتراكمات تلك التضمينات الطارئة والطفيلية، نقول إنه ينبغي على المترجم أن يكون ذلك الكاسح الذي يستخرج جوهر هذه الرسوبات التضمينية من أعماق اللغة ـ المصدر ويجعلها تطفو على السطح، في اللغة ـ الهدف، لأنه بإمكان هذه الرسوبات أن تخفي درراً قد ترصّع اللغة الشعرية كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغة المتداولة[21].

لا اللغة المتداولة ولا اللغة العلمية ولا أي زاوية من زوايا خطاب لغة طبيعية معيّنة، عكس ما درجنا على إثباته أحياناً بطريقة تفتقر نوعاً ما إلى العمق ولأسباب بيداغوجية تستهدف التبسيط وإيجاد أمثلة سهلة (راجع غاري ـ بريّور، 1971، ص 97)، تؤدي

(20) انظر مونان (1963)، ص 157 وما يليها وص 167.

(21) نعثر مرة أخرى على استعارة الترسب التي سبق استعمالها من قبل وسيتم الرجوع إليها لاحقاً (انظر ص 290 ـ 291 من هذا الكتاب)، إنه في الواقع وصف كافٍ للعلاقة التي تنطلق من سيميوطيقا الخطاب إلى دلالة اللغة (على مستوى المبادئ، لا نعتقد أن الاستعارات ينبغي أن تُبعد من الخطاب العلمي كما يذهب إلى ذلك بعضهم، وثمّة كثير من الأمثلة المضادة لهذا الموقف).

إلى إبطال التضمينات. فنحن لم نتمكن من إبطال كل التضمينات إلا في لغات اصطناعية تم إعدادها لأغراض تقنية أو علمية. إلا أنه ينبغي الإشارة هنا إلى أن إعادة استعمال عناصر مقترضة من تلك اللغات الاصطناعية داخل اللغة الطبيعية يأخذ قيمة تضمينية. والتداخل المتبادل بين الخطاب العلمي واللغة المتداولة، والذي زودنا بالمادة الخصبة لمثالنا المزدوج، يمثل حالة خاصة تماماً، ربما هي الوحيدة التي تناسبها كل المناسبة الترسيمة البلومفيلدية، وذلك على الأقل من منظور الترجمة الذي يهمنا في هذا المقام. وفي باقي المواقف، وبصفة عامة، ربط التضمينات بالشروط السوسيولغوية لتلفظها قد يجازف بوضعها في خضم ما تتعذّر ترجمته.

لا يمكن، في الواقع، القبول بالمعادلات التالية للترجمة إلا باعتماد قياس سريع، متعسف من دون شك، وإشكالي تماماً:

ـ الإنجليزية ـ المصدر لـ (public schools) = الفرنسية ـ الهدف (Sciences-Po) (العلوم السياسية)،

ـ الإسبانية ـ المصدر (Siglo de Oro) (القرن السادس عشر) = الفرنسية ـ الهدف الكلاسيكية للقرن السابع عشر،

ـ وكذلك الألمانية ـ المصدر الكلاسيكية للقرن الثامن عشر = الفرنسية ـ الهدف للقرن السابع عشر،

ـ اللهجة البافارية (أو غيرها) = باتوا شتيمي، اللهجة الأُكسيتانية، البريتانية (الفرنسية)؟ . . .

يمكن للمترجم أن يجد نفسه مضطراً إلى وضع معادلات من هذا القبيل ويلفي نفسه أحسن حالاً وهو يستخدمها على مستوى المراس، إلا أنها تبقى اختيارات ترجمة قد تجد تبريراً لها في تحليل قبلي للتأثيرات التضمينية المروم ترجمتها، في الفينومينولوجيا

الأسلوبية لهذه الآثار، تبعاً للمواقف، وليس في التطابق غير المعين والاستيهامي للشبكة التصنيفية لمستويات التلفظ «السوسيولغوي» (انظر ص 194 وما يليها).

وهكذا يتم ضبط حدود الترسيمة السوسيولغوية لبلومفيلد بعناية. لكن توجد أيضاً صعوبة أخرى مفادها: أي حيز تُبقي هذه الترسيمة للإبداع اللساني الفردي؟ هل نكون مضطرين للتخلي عن رصد الخلق الشفهي الذي يقوم به الشعراء والفلاسفة وغيرهم؟ وهو في الواقع خلق منحرف بالنسبة إلى معيار اللغة وبالنسبة إلى المعايير التي ترتبط ببدائل لغة معيّنة وتخص مختلف زوايا الخطاب، ويُطرح المشكل على كل المبدعين بمن فيهم المبدعون في الميدان العلمي. وبشكل أدق، وفي ما يخص المشكل الذي يشغلنا نقول: هل سنكون مضطرين إلى التخلي عن ترجمة هذه الإبداعات ونعدّها من صميم السحر الطيفي لما تتعذّر ترجمته؟

قد ينزعُ بعض اللسانيين إلى الاستسلام أمام هذا المشكل ويبرهنون على أنه «حالة خاصة» غير خاضعة (على الأقل في الوقت الراهن) للنظرية اللسانية، التي لا تتناول إلا اللغة العادية[22] موضوعاً لها. لكننا نعتقد أن توليد الكلمات بُعْدٌ أساسي لكل لغة حية! فعلاوة على أن بلومفيلد يبدو واعياً بالمشكل وهو يولّد، كما رأينا، من زوج من التوتّر (tension) (حيث يُلقّح اتفاق الجماعة اللغوية بواسطة التجربة الخاصة بكل متكلم)، «ذوقَ» التضمينات أو «عطرها» (flavor)[23].

---

(22) انظر مارتينيه (1969)، ص 193 بشأن الإبداع و«اللغة العاطفية»، اللذين يتصورهما بعضُهم مقابلين للغة النحوية ومترابطين في ما بينهما.

(23) إننا نُعيد هنا صياغة ألفاظ جملة بلومفيلد (1970، ص 147) التي أسلفنا إدراجها (انظر ص 207 ـ 208 من هذا الكتاب)، مع «تعديل» الترجمات ـ الهدف انطلاقاً من النص الأصل في الإنجليزية ـ المصدر.

إن هذا لا يعني أننا مجبرون على أن نستعيض عن تحليلاتنا السابقة بالعودة إلى التصور الفرداني للتضمينات التي سبق أن قدمنا نقداً لها. ويتعلّق الأمر بمشاطرة بعض مريدي سوسّور في ما يمكن تسميته بـ «لسانيّات الكلام» التي تطابق «وجهة النظر السيميولوجية» لـ رولان بارت (انظر ص 148) أو بسيميوطيقا قد تشكل توسيعاً وتعميقاً للسانيات (بالمعنى الحصري)، إذا فضلنا عبارة أكثر عصرنة. ومهما يكن من أمر السمة التي تم الاحتفاظ بها في الأخير، فإن الأمر يعود إلى تأمل من هذا القبيل، على خلفية القائمة «السوسيولغوية» أو المرتبطة ببديلي لغة معيّنة لزوايا الخطاب، أن يُموضع التضمين بوصفه مستوى «متوسِّطاً» بين المؤسسة الاجتماعية للغة والظاهرة الفردية للكلام. ولكن قبل تناول هذا المشكل يتعين العودة إلى فكرة «المضمون الذاتي» للتضمينات التي ينبغي الآن إعادة فحصها مع مراعاة التحليلات السالفة، لأنها «تترجم» بالفعل الطريقة التي يحس بها المترجم الأشياء تلقائياً وتجريبياً.

4. ملاحظات نقدية

1.4. نقد التضمين

يصعب أن نحدّد بدقة القيم العاطفية التي ماثلنا بها التضمين (انظر ص 134 وما يليها) بسبب إحالتها على «سوسيولغوية» قد تظل انطباعية بالكامل وكذا بسبب صلتها الوطيدة بالمشاكل الحقيقية التي تطرح على المترجم على المستوى التجريبي. وتتضح هذه الصعوبة بجلاء في الكتاب المدرسي لـ جان ليونز (1970)، ذاك الذي نؤسّس عليه تحليلاتنا. فهو يشكّل عيّنة تمثيلية للأدب اللساني الحديث وهو في متناول جمهور عريض نسبياً أيضاً. مرة أخرى، تبدو إشارتنا إلى الكتب المدرسية وإلى المعاجم اللسانية، في هذه الدراسة، مقصودة

ومعروضة هنا بطريقة منهجية. ويقتضي هذا الاختيار المقصود لإحالتنا على خطاب اللسانيّات التعليمي (وخطاب الفلسفة خاصّة) منظور المستعملين الذين تبنّيناه هنا. وذلك على قدر إحالتنا على مصادره العلمية الحقيقية، وربما أكثر. ويتعلق الأمر في الواقع بالاقتصار، من مكتسبات النظرية اللسانية، على ما يمكن تطبيقه على مستوى مراس المترجمين «على الخط» (on line)، كما يتعلق الأمر، عموماً، بإحالة القارئ غير اللساني على مصادر في المتناول نسبياً.

أود الإشارة إلى ملاحظة بشأن عنوان الكتاب المدرسي لـ ليونز واثنتين من ترجماته (للاطلاع على المصادر المرجعية الكاملة لهذه المجلدات الثلاثة، راجع ص 271). يظل التقارب بينها غير منتظر ويعطي المعادلة البيْلغوية التالية: في الإنجليزية ـ المصدر (1968) (introduction to theoretical linguistics) = في الألمانية ـ الهدف (1971) (einführung in die modene linguistik) = في الفرنسية ـ الهدف (1970) (linguistique générale...). هل هذه التغييرات دالة على مستوى ما يمكن تسميته «تبعية مضادة» (contre-dépendance) تضمينية (connotative) أو متضمنة (connotée)؟ هل يمكن القول إن العنوان الإنجليزي يسعى إلى أن يتميز من الجاذبيات الأيديولوجية للتجريبية ـ الملازمة للتقليد الأنجلوساكسوني، مع الإشارة إلى الطابع النظري للكتاب المدرسي، في حين أن العنوان الألماني يصدر، بواسطة الصفة «عصري» (moderne)، عن موقف علمي لقطيعة إبيستيمولوجية، عن التقليد النظري والمثالي للـ (Spachwissenschaft)؟ في ما يخص العنوان الفرنسي (الذي يقدم، في الحقيقة، بوصفه عنواناً فرعياً ترجمةً حرفية للعنوان الإنجليزي)، فهو يرغب في أن يكون (ولأغراض تجارية) تعليمياً فقط؟... بصفة عامة، ثمّة مشكل نوعي تطرحه ترجمة العناوين. ففيها تتداخل شروط التلفظ و«شروط الإنتاج» المادية التي تتحكم في ملفوظ عنوان كتاب ما. فمن **جهة**،

تكون هذه الملفوظات قصيرة، إذ فيها يبلغ الاقتصاد في التواصل اللساني ذروته وتستعملُ سيميولوجيا ضمنية لـ «اللغة ـ الثقافة» المستقبِلة. ومن **جهة ثانية**، يكون اختيار العناوين محكوماً مباشرة بمقتضيات إشهارية، القاعدة السائدة فيها هي أن صوت الناشر (Verlag) وليس (Herausgeber) هو الراجح، سواء تعلق الأمر بعنوان أصلي أو بترجمة. وفي الحالة التي تهمنا نهض العنصران معاً بدورهما أيضاً، ومن المحتمل أنه أخذت في الحسبان اعتبارات من قبيل تلك التي خاطرنا بأنفسنا من أجلها.

يحيل مفهوم التضمين على فكرة الترادف، بالرغم من أنه لا يرتبط بها دائماً ارتباطاً نهائياً، كما سبق ورأينا (انظر ص 120). ومن ثم، يقدم جان ليونز مفهوم التضمين (1970، ص 343 وما يليها) ويناقشه في الجزء المخصص للدلالة من كتابه المدرسي، أي في الفصل الذي يفرده للترادف. وقد باشر جان ليونز، بعد انتقاده شمولية لسانيين دلاليين من قبيل س. أولمان (St. Ulmann) أساساً، وقد ثبت لديه أنه لا إمكان لترادف إلا «داخل سياق معين» (context-dependent)، تصوّرَ التضمين على أنّه «معنى عاطفيّ» للكلمات. ولاحظ ليونز أنه، إذا كان صحيحاً أن بعض الكلمات تعتبر مترادفات بالنظر إلى فحواها المعرفي وليس بالنظر إلى قِيمتها الموسومة بالعاطفي (liberty/ freedom وpère/ pap وKopf/ Haupt. . .إلخ).، أي إذا كنا نتحدث عن ترادف معرفي دون الحديث عن ترادف عاطفي، فالعكس غير وارد ولا يمكن أبداً أن يتعلق الأمر بترادف عاطفي دون ترادف معرفي. من هنا نُقر بأن ما ينعت بالمعنى العاطفي ليس إلا هالة ملتبسة وغامضة تُتوّج المعنى الحقيقي. هو «موسيقى مصاحبة» ليس إلا.

يمثل هذا المعنى العاطفي، بشكل أدق، الاستيراد عن طريق التهريب لمقولاتِ علم نفسٍ شاخ داخل مفهمة لسانية. لقد تحول

«علم نفس الملكات» القديم إلى أيديولوجيا لسانية، وجاء ليُغذِّيَ الاقتضاء الميتافيزيقي لأساس (substrat) من الملكات النفسية التي تنظم اشتغال اللغة[24].

وباختصار، يمثل التضمين بالنسبة إلى ليونز نوعاً منcatch-all) (-- وبالفرنسية: ((un fourre-tout) غرفة مهملات) (ص 344)، وبالأخص ((un attrape-tout) شرك عام) كما درجنا على تسميته تحت التأثير المتصاعد للهمجية الفرنجليزية (أو أيضاً، كما يقول لويس كارول Lewis (Carrol بطريقة لبقة (un mot-valise) («كلمة ـ حقيبة»)).

أضف إلى ذلك، أنّ صوت ليونز لم يكن صوتاً منعزلاً، فهو يحتجز له مكاناً داخل تناغم عام تقريباً حيث يحصل الإجماع على نقد مفهوم التضمين. إنه أيضاً (un fourre-tout) بالنسبة إلى تودوروف (T. Todorov) (1966، ص 9)، و((un terme passe-partout) «كلمة عامة») بالنسبة إلى ج. مونان نفسه (1963، ص 164)، بالنسبة إلى راي (A. Rey)، هذا المصطلح «ليس واضحاً» (1970، ص 284). وبالنسبة إلى فاينريتش (Weinreich) (الذي تم ذكره في كتاب مونان، 1963، ص 154)، فالزوج تعيين/ تضمين ما هو إلا «ثنائية فظة»، ولم يكن «إلا مصدر غموض» بالنسبة إلى تودوروف (1966، ص 6)... أمّا (*Dictionnaire de linguistique*) الصادر عن دار لاروس، فقد وضع جرداً مماثلاً: بعد الإشارة إلى «الطابع الفضفاض لمصطلح التضمين»، أوضح بأن هذا المصطلح «ينهض دوماً بدور غرفة مهملات»، تجمع «كل ما لا يمت إلى حقل التعيين بصلة» (دوبوا وآخرون، 1973، ص 115).

(24) ليونز (1970)، ص 343. كما هو الشأن بالنسبة إلى مونان الذي ختم يقول بعد أن ساق أمثلة وهو يستند إلى مارتينيه: «المقابلة بين «اللغة العاطفية» و«اللغة الثقافية» هنا لم يتم استنتاجها بواسطة إجراءٍ لسانيٍ خاص» (1963، ص 162)، انظر ص 257 من هذا الكتاب.

إذا أضفنا إلى هذا، الشكوك الثابتة في وضع التضمين بوصفه معطى للغة أو بوصفه ظاهرة فردية للكلام، يبقى الإحساس المسيطر هو إحساس «فوضى اصطلاحية» كبرى (دوبوا وآخرون، 1973، ص 115)[25]. ويبدو أن ثمة توافقاً يلوح في الأفق ينزع إلى الطعن في مصطلح التضمين باعتباره مصطلحاً «غير لساني» (انظر غاري ـ بريّور، 1971، ص 98). إنه على كل حال الموقف الذي تبناه ليونز في كتابه المدرسي، تماشياً مع الخط المستقيم لتقليد المذهب الوضعي الذي طبع اللسانيات الأنجلوساكسونية. ألسنا هنا بصدد «رمي الرضيع بماء الحمام»، كما نقول حالياً بالفرنجليزية (وكما يمليه علينا سياق نقاشنا العام هذا)؟

2.4. نقد النقد

تخضع هذه النقود لمفهوم التضمين أيضاً لنقد نقد ـ مزدوج، إبيستيمولوجي **أولاً** ومنهجي **ثانياً**. فعلى المستوى الأساسي، يستحسن إجراء نقد النقد الإبستيمولوجي عليها موجهين إليها النقود ذاتها التي نوجهها لكل منهج وضعي (positivisme). في إطار الإبستيمولوجيا البوبيرية، الطاغية في خطاب العلوم الإنسانية الأنجلوساكسونية، بوشر «دحض» (falsification) بهدف إلغاء مفهوم التضمين ثم تم التخلي عنه وتسليمه «لقطاعة» الدقة المنهجية[26].

---

(25) بقطع النظر عن أن ثمة معاني تتوافر في الكلمة لدى بوزيه وبوهلر، أبعدناها عن حيز حديثنا هنا.

(26) بخصوص المعنى الخاص الذي تتخذه كلمة (falsification) في هذا السياق وكذا بخصوص مجموع هذا المشكل الإبستيمولوجي، والذي لا نعمل هنا إلا على استحضاره بسرعة بما أن الأمر يتعلق بدراسة لسانية وليس فلسفية، انظر لادميرال (1971)، ص 159 وما يليها. في الترجمات الأخيرة التي ظهرت لـ بوبر، تم تحاشي هذا الطابع الإنجلزي («الأنجلزة») (anglicisme) وتمت ترجمة الكلمة بمقابل فرنسي (réfutation). وتشكل هذه الترجمة إعادة صياغة مبررة تماماً، ونافعة للغاية بوصفها تقريباً أولياً. ولنا في هذا الأمر مثال=

سيطر هذا الإجراء في السنوات الأخيرة على اللسانيات بالخصوص، وهو إجراء يغلب الصرامة على الدقة، ولا نخشى أن نتحدث في هذا الإطار عن إرهاب حقيقي، «لغوياني» (linguisticiste)، «نظرياني» (théoriciste) (راجع لادميرال، 1975d، ص 6 وما يليها). إننا على استعداد للتضحية على مذبح المقتضيات المنهجية الآنية بكل مكتسبات تقليدٍ ثقافي يمتد على قرون وجد نفسه دفعة واحدة «متجاوزاً» باسم «قطيعة إبستيمولوجية» تؤسس ـ أخيراً! ـ اللسانيات بوصفها علماً: قد يكون ذلك مصير مفهوم التضمين الذي قد يتعذر رصد غموضه. وإضافة إلى ذلك فالسجالات بهذا الشأن لا تخلو من حدة بين المدارس اللسانية المختلفة. إلا أن هذا الأمر لا يشكل محط نقاشنا كما أن هذا الجو من الإرهاب الإبستيمولوجي ينزع حقيقة إلى التلاشي داخل اللسانيات الحديثة (راجع لادميرال، 1975e، ص 322).

لنكتف بالقول، بعد أوغست كونت (Auguste Comte) نفسه، بأننا لا نهدم إلا ما نعوّض. إذا تخلينا عن مفهوم التضمين، ينبغي أن نقترح على المترجم أداة مفاهيمية بديلة تحظى بالدرجة نفسِها من الاستعمال وتكون قادرة على تعويضه على مستوى التطبيق. وبصفة أعم، وفي مجال نظرية الترجمة أو الترجمية (traductologie)، من الأفضل وضع فصل بين «النظرية» و«التطبيق». ولا يمكن للترجمية أن تكتفي بتطبيق النظرية اللسانية، بل يجب عليها التدبير اليومي للمراس، إنها ممارسيّة أو براكسيولوجيا (Handlungswissenschaft).

= جيد لما نسميه (dissimilation) (مُغايرة) (انظر ص 276 وفي أماكن متعددة)، لكن، في ما يتعلق بالوحدات الاصطلاحية الصرف (انظر ص 315 وما يليها) أو بالأحرى بالعناوين (انظر ص 238 وما يليها)، فنحن نميل إلى تغليب ما نسميه بـ «مبدأ الشفافية» ولذلك احتفظنا في الفرنسية ـ الهدف لترجمتنا لـ هابرماس (1973) بالأنجلزة («الأصل») الحاضرة في الألمانية ـ المصدر (انظر ص 352 من هذا الكتاب).

هنا أيضاً لا نتوقف طويلاً (انظر ص . .114. إلخ.)، ونؤكد أنه في غياب بديل قابل للتطبيق، لا تستطيع الانتقادات النظرية الموجهة إلى مفهوم التضمين أن تنزع عنه شرعيته (انظر لادميرال، 1975e، ص 529 وما يليها). فحتى في حال ميل النظرية اللسانية إلى نقد جذري يعيد النظر بصفة قطعية في المفهوم ـ ويُقصَد بالنظريّة اللسانيّة، في الحقيقة، نظرية لسانية معيّنة، أي النظرية المسيطرة في لحظة معيّنة ـ، يمكن لعملية الترجمة أن تعمد إلى استعمال براغماتي أو «تجريبي» للتضمينات (انظر ص 184 وما يليها).

لكن، بالإضافة إلى نقد النقد الإبستيمولوجي الأصولي هذا، تستدعي نقود مفهوم التضمين التي رأيناها، أيضاً، عناصرَ نقدِ نقدٍ منهجي أو لساني. يبدأ نقد ليونز، **أولاً**، بتجنب المشكل. فبعد إشارته إلى نقاط الضعف الثابتة لمفهوم التضمين الـمُعَرَّف بأنّه «معنىً عاطفي» لمفردة معينة، سعى إلى تبيان أن الاختيار الذي يقوم به متكلم بين كلمتين مترادفتين على المستوى «المعرفي» للتعيين يخضع في الواقع لِأسباب تختلف عن تضميناتهما المفترضة: قد يرغب المتكلم (أو الكاتب ـ المصدر كما في هذه الحال) المعني بالأمر في إزالة تكرار، وقد يكون أيضاً، كما يقول فاليري بطرافة، «من بين كلمتين أختار الصغرى»، وقد يخضع الاختيار أحياناً لقيود عروضية. . . إلخ. (ليونز، 1970، ص 344). ومن الواضح أن هذه الاعتبارات يتعذر دحضها، إلا أنها أقل إقناعاً بالنظر إلى كونها لا تمت بصلة إلى مشكلنا الدقيق، والذي نتحاشاه جملة. حينما تؤخذ بعين الاعتبار كل هذه الاحتمالات التي استحضرها ليونز، تظل حاضرةً حالات يكون فيها «التلوين التضميني» للرسالة موضوع الخلاف.

يَرُد ليونز، في مقام آخر، ودون أن يستدل على موقفه،

الترجمة عموماً (وبخاصة ترجمة التضمينات التي تهمنا هنا)، إلى وساطةِ ثنائيي اللغة التي تعتبر معطىً خاماً، يكفلها لهم الإجماع التجريبي (المصدر نفسه، ص 333). إننا نروج هنا لدى المترجمين لذرائعية (pragmatisme)، وبالأخص لتطبيقانية (practicisme) على الآثار «البوجاديّة» (poujadistes)[27]. وقد اعتمد ليونز أيضاً وهو يقيس الترادف ليستغني به عن مصطلح التضمين المزعج جهازاً بدائياً من الإجراءات الصورية (ص 344). ونحن نتساءل عما يمكن أن نفيد منها، إلاّ تمحيصاً بعدياً للشكوك التي تلاحق، في الواقع، المترجمَ من حين إلى آخر في مسار عمله. ويتعلّق الأمر ببعض النقاط التفصيلية المحدودة نسبياً، والتي يلاحظ مسبقاً أنه لم يسيطر عليها بشكل كامل[28].

يتناول ليونز أيضاً بعض الأمثلة التبسيطية للترادف ويؤكد لنا أن المتكلمين الفطريين (متكلمي اللغة الإنجليزية) يستعملون عبارات من قبيل (brebis) = (شاة) أو (mouton femelle) (كبش أنثى)[29] دون التمييز بينها وقد اعترف، بكل هدوء، في الفقرة الموالية، بأن ذلك قد يؤدي إلى «إفقار» للغة على المستوى الأسلوبي (ص 345)! إنه

(27) راجع ملاحظاتنا حول تطبيقانية أساتذة اللغات (لادميرال، 1975d، ص 7 وما يليها)، والتي يمكن أن تتمدد إلى مهنيي الترجمة، حتى ولو تحولوا إلى منظّرين كما تشهد على ذلك بعض الإصدارات الحديثة... ويطابق هنا نقد النقد المنهجي نقد النقد الإبستيمولوجي الذي تمت الإشارة إليه.

(28) وهو ما يشكل مظهراً من التجربة التي يعرفها المترجمون حق المعرفة وهي محبطة جداً، تجربة «**فقدان وسائل التعبير**» (انظر ص 80 من هذا الكتاب).

(29) لا نعيد هنا حرفياً تناول المثال ذاته ل ج. ليونز، لأنه يبدو أقل إقناعاً في الفرنسية- الهدف (انظر ليونز، 1970، ص 345) منه في الإنجليزية ـ المصدر. نلامس هنا مشكلاً خاصاً، إنه مشكل ترجمة الأمثلة في الأدبيات اللسانية، ثمة إمكان للعودة إلى هذا المشكل بتوسيع التحليلات التي يخصصها كوين (Quine) (1977، ص 295 وما يليها وص 209 وفي أماكن متعددة) لمشكل الاستشهاد في الترجمة.

لمن السهل ملاحظة أن برهنة من هذا القبيل تدحض نفسها بنفسها. ففي البداية، يتعين علينا أن نأخذ بعين الاعتبار «تنوع» هذه اللوينات، أو التغيرات أو البدائل الأسلوبية (stylistic variety) التي يفترض في مصطلح التضمين خدمتها. فعندما نكتفي بتسجيل إفقار أسلوبي، لا نحل المشكل: بل نرفض طرحه فقط. وبالإضافة إلى ذلك، تتخذ البرهنة، بوصفها منهجاً اختبارياً، طرقاً خاطئة باستحضار الإجماع التجريبي للمتكلمين لكي يُلاحظ أن ترادفات من قبيل ما تم ذكره «هي بالفعل (!indeed) قابلة للتبادل في الاستعمال العادي للغة» (ص 345) إلا أن البرهان التجريبي المضاد لم يتم فعلياً والإجماع الحاصل بين المتكلمين يظل استيهامياً صرفاً.

وأخيراً، تتم إحالة تحكيم الترادفات، ومن ثمة لُويناتها أو فويرقاتها التضمينية، على مستوى معالجةٍ استيهامية للمرجع المعيّن. وهكذا، ففي الجملة (je vais prendre du pain chez le boulanger)، تدل (aller prendre) (تضمنياً) على أن الأمر يتعلق بعملية شراء، إذا أخذنا بعين الاعتبار المقام المرجعي (انظر ص 346)، ويمكن أن يحدث في بعض المواقف أن تدل المفردة في الواقع على خَلس إذا كان المتكلم مهووساً بالسرقة، سواء توفر التبرير الأيديولوجي «للإعادة الفردية» أم لم يتوفر... إن توفر مرجع مشترك معروف جداً هو، بالطبع، ما مكّن ليونز من تأكيد أن (brebis) و(mouton femelle) لا يشكّلان سوى بديلين، مترادفين دلالياً.

وتظل هذه النقطة الأخيرة ذات أهمية بالنظر إلى ما نسميه استحواذ المرجع. ويمكن أن نجازف بأن نضع له «تشخيصاً» ليس فحسب لدى ليونز، بل أيضاً لدى معظم الذين عالجوا ظاهرة التضمين. كان ذلك حال اللسانيين الذين أشار إليهم مونان (1963، ص 147) والذين يُعرِّفون التضمين بمقابلته للتعيين الذي يطابق

المرجع، كما مر بنا (انظر ص 134). كما يتوافر في (la voiture) و(la bagnole) «تعيين متكافئ»، بالنسبة إلى غاري بريّور (1971، ص 97)، لأن اللفظين، ببساطة، يحيلان على الشيء ذاته، على الواقع غير اللغوي ذاته. ينزع التعيين اللغوي إذًا إلى التطابق مع التعيين بالمعنى المنطقي (انظر ص 129 وما يليها) وقد يصبح المدلول اللغوي المصدر نفسه، وقد ينضاف إليه «أيضاً» تلوين تضميني قد تُقر اللسانيات بعدم قدرتها على رصده.

إلا أن هذا يعني مزج الكلمات بالأشياء. فمنذ زمن بعيد، يعرف الفلاسفة أن مفهوم الكلب لا يعضّ، كما هو الشأن بالنسبة إلى المدلول اللغوي لكلمة معينة! ويذكّر سوسّور اللسانيين أيضاً بأن «العلامة اللغوية لا تجمع شيئاً واسماً، بل تصوّراً وصورة صوتية» (1972، ص 98). وقد تسبب نقد تصور التضمين واستحواذ المرجع عليه في سلب اللسانيات موضوعَها، لأنه قد يتبقّى فقط ما هو غير لغوي وما هو خارج عن الدرس اللساني. . .

3.4. التضمين ونظرية المعلومة

ذلك هو المنطق المأزقي الذي نجد أنفسنا منقادين إليه عندما نستقرئ نقوداً، كنقود ليونز، يمكن أن توجه إلى مفهوم التضمين الذي يُصوَّر ـ باعتباره هالةً أسلوبية ـ عاطفية للمعنى. نقترب هنا مما تسميه غاري بريّور «المكان المقلق» لغير اللغوي (1971، ص 98). من الواضح أننا لا يمكن أن نتشبث بهذا الحل السلبي، الذي تعرض مع ذلك «لنقد النقد»، إلا إذا تصورنا «وجهة النظر السيميولوجية» (أو السيميوطيقية) ليس بوصفها تعميقاً للسانيات بل بوصفها قطيعةً تامةً معها، وهو ما يبدو مستبعداً بما أن وجهة النظر هاته لا تعمل سوى على توسيع اللسانيات بتبعيتها لها بشكل كبير (انظر ص 129 وما

يليها). وللتخلص من هذا الإشكال، تقترح غاري بريّور اللجوء إلى إسهامين حديثين للسانيات بعد البنيوية: نظرية التلفظ ومفهوم القدرة (المصدر نفسه). إلا أنها اكتفت بإشارة تلميحية إلى هذين الاتجاهين الجديدين ويبقى تحديد ما يمكن أن تفيده نظرية الترجمة هو ما ينبغي العمل عليه حالياً.

وكيفما كان مستوى التضمين محط الحديث، فهو يشكل جزءاً من الرسالة إذ يبقى أيضاً، في المكان المخصّص له، حاملاً لمعلومة. وهذا يتم سواء تعلق الأمر «بقيم إضافية» لكلمة أو لصيغة جملة أو تعلق بتلوين فوق مقطعي للنغمة (ton)العامة لتلفظ أو لخطاب ما، هذه النغمة تشكل ما يشبه المقابل المكتوب لـ «نبرة» (accent) (لهجية أو لهجية اجتماعية. . . إلخ). إنه بالضبط ما استشفته غاري بريّور وهي تستحضر نظرية التلفظ وتشير إلى الأهمية التي يحظى بها، داخل هذه النظرية، «مفهوم المعلومة في التواصل» (1971، ص 98). وهكذا فإنه من غير اللائق من جهتها أن تكتب، في ما يخص الجملتين الشهيرتين (la voiture est abîmée) و(la bagnole est esquintée)، أنه «من حيث المعلومة، فإن الرسالتين. .'.متساويتان'» (ص 97)، ولو كان الأمر يهدف، في ما بعد، إلى انتقاد هذه الرؤية الأولى للأشياء.

في البدء، ينبغي أن نرى في هذا تجسيداً لاستحواذ المرجع المنقوض أعلاه، كما نرى فيه عارِضاً لمنهج معين: تشكل الجملتان المعنيتان بالأمر «أمثلة لغوية»، بالمعنى الذي نتحدث به أيضاً أحياناً عن «جمل نحوية» (ونتساءل عن مصير جمل قد لا تكون كذلك. . .)، إنها أمثلةُ لسانيّ ـ أو إذا شئنا القول «أمثلة لغوية أو أمثلة لغويين (exemples (de) linguisticiens)» ـ معزولة عن كل سياق حقيقي. إلا أن إقصاء من هذا القبيل للسياقات يجعل اللغة تشتغل في

ظروف (لا) تواصل مصطنعة تماماً، ومن ثم، فهو يبطل هذه الأمثلة والخلاصات التي يمكن أن نهتدي إليها منها. وبدلاً من ذلك، فإن التحكيم الذي يقدمه المتكلم لصالح التضمينات المتعلقة تباعاً بالجملتين السالفتين **الأولى** و**الثانية**، لا يضيع في اعتباطية «البدائل الحرة»، التي تظل نوعاً ما صدفوية. وكان بإمكانه أن يحيل على اختيار دقيق في إطار استراتيجية شاملة لتواصل محدد.

ينضوي اختيار التضمينات اللهجية لـ (la bagnole est esquintée) أيضاً تحت سياق محدد، يحيلنا عليه ذلك الاختيار. وتمثل هذه التضمينات وسماً سوسيولغوياً يمكنه أن يدل على معلومات مختلفة جداً وفقاً للسياقات: تواطؤ سوسيوثقافي لـ «الألفة»، تخطيط عدواني لـ «تفاوت الطبقات»، خطأ لاإرادي، أو مفتعل، وقاحة، تعبير منزعج عن حيرة قصوى... إلخ. ومن الواضح أن التأويل الدلالي لهذه الجملة ـ المصدر ذاتها لن يكون التأويل نفسه في كل من هذه السياقات الواردة على سبيل الاحتمال وتستدعي ترجمات ـ هدف مختلفة تبعاً للتأويل الذي يمكن أن يكون قد اضطر المترجم إلى القيام به، حسب الرهان الهرمنوطيقي الذي يستدعيه[30].

ومن جهة أخرى، يمكن أن نعطي لجملة من قبيل (la voiture est abîmée) مرادفات أخرى غير (la bagnole est esquintée). يشكل التفسير «التقني ـ الإداري» (le véhicule est hors d'usage) أحد المرادفات الممكنة. وقد يدفع إلى التفكير في أنه يتضمن إقصاء

(30) لهذا الغرض لا نقترح ترجمتها هنا، بالألمانية، وقد يكون من المناسب، لذلك، التفكير في مجموعة من المقابلات ـ الهدف بتخيل سياقات حقيقية. وعموماً، كل ترجمة مقترحة لمثال خارج السياق تظل «محتملة» فقط، كما يشير إلى ذلك بحق كاتفورد (1967)، ص 27. (أمّا الملاحظة الساخرة المتعلّقة بـ «الجمل النحوية»، فإننا نقتبسها عن فالنتين، انظر لادميرال، 1975e، ص 327).

للتضمينات، إذا لم نكن قد أوضحنا سابقاً بأن ثمّة دائماً تضميناً أدنى (انظر ص 152 وما يليها). وفي الواقع، هنا أيضاً تبدو مختلفةً التضميناتُ الحقيقية لهذه الجملة المحايدة ظاهرياً، وذلك تبعاً لتعلّق الأمر بسياق إعلان حادثة سير، أو بمعارضة معيّنة، أو بإزعاج قبيح نوعاً ما، وذلك تبعاً لكون السيارة المعنيّة بالأمر قد أصبحت حقيقةً «غير صالحة للاستعمال» أو غير ذلك... إلخ. لا يشكّل، في الحقيقة، أي من الملفوظَين (la voiture est abîmée) و(le véhicule est hors d'usage) ملفوظاً محايداً تضمينياً، ففي كلتا الحالتين ثمّة تضمينات محددة وقابلة للتأويل وفقاً للسياق الحقيقي للجملة.

ومهما تشبثنا بالتضمينات اللهجية، والتي تخص المثال الثاني الذي ساقته غاري ـ بريّور، فإنه يتعذر أن يشكل (la bagnole est esquintée) التفسير الترادفي الممكن والوحيد لملفوظ يُفترض أنه «محايد». ودون الخوض في الحديث عن المثال البذئ جداً والنجس، ولربما أيضاً الباريسي جداً (la chiotte est merdée (sic!))، لنذكر بأن ثمّة: (la bagnole ou la tire ou la guinde... est esquintée ou bousillée ou déglinguée...) وإلى ذلك ينبغي أن نضيف مجموعة من الجمل المسكوكة نوعاً ما والتي قد لا تكون قد تبنت الترسيمة التركيبية ذاتها. كما يمكن أن نقول (la voiture ou l'auto est abîmée ou cassée...). ويمكن أن نُعَدد الأمثلة من هذا القبيل إلى ما لا نهاية.

تستدعي كل هذه الأمثلة ملاحظة أساسية: إلى أي مدى يرتبط التعيين بالتضمين ومن ثم يشكلان وحدة. وبهذا، تدل (déglinguée) تضمينياً على اللغة الشفهية وتعيينياً على أن السيارة المعنية بالأمر قِدَمُها ليس بالحديث العهد وأنه تمت صيانتها بشكل سيء، وأن بعض أجزائها تتفكك...، إذا قيل عنها إنها (abîmée)، فهذا يعني

مبدئياً عطباً ظاهراً، وإن قلنا عنها إنها (cassée) فلكي نعني فقط أنها «لا تسير»، وتدل (bousillée) على نوع من الوقاحة في اللغة، حقيقيةً كانت أم متصنعةً، لكنها تعني في الوقت نفسه أن الخسائر هامة، ويتعلق الأمر دون شك بحادثة سير، ويظهر أن المسماة سيارة «لم تعد تصلح إلا لمستودع السلع المستعملة» (Totalschaden)، إلا أن هذا المعنى يجعلنا نفكر في مفردات تقع ضمن حقل (bousillée) من قبيل (foutue) و(ratatinée) و(fusillée)... وهكذا دواليك.

وفي كل مرة، نكون بصدد (package deal): إننا لا نفصِّل القول، ومن الصعب، أن نميّز بين التعيينات والتضمينات أو بالأحرى من المستحيل فعل ذلك. بهذا المعنى ينبغي «إعادة النظر في التقابل تعيين/ تضمينات»، كما كتبت ذلك غاري بريّور (1971، ص 98)، ويمكن القول إنه بمعنى ما تطبيقي و«ميكرولغوي»، طالما أن الأمثلة التي تم إعطاؤها تحيلنا على هذه الفويرقات التعيينية/ التضمينية الدنيا، لا على المعنى الشمولي لنقد نظري وإبستيمولوجي كالذي تقدمه غاري ـ بريّور، والذي يظهر أنه يدخل في صميم الاتجاه الوضعي المنتقد سالفاً. من جهة أخرى، لا يتعلق الأمر كذلك بالنسبة إلينا بالرغبة في الإسهام في «تصوّر غير معلوماتي للعمل» (غاري ـ بريّور، 1971، ص 107) بل على العكس من ذلك، يتعلق الأمر بالسعي في أن نموضع مشاكل الترجمة في سياق نظرية التواصل (انظر ص 141 وما يليها)، حتى يتخذ مفهوم المعلومة معناه، هذا المفهوم الذي تم ملؤه في إطار لسانيات التلفظ.

تظهر هذه الضرورة بجلاء طالما لم نعد نتشبث بما أسميناه «أمثلة لغوية» منعزلة أو خارج السياق، ولم يتم استغلال كل المحور التفسيري للترادف. وتدريجياً نصبح مضطرين إلى أن نأخذ بعين الاعتبار متواليةً استبدالية كاملة من المقابلات الترادفية، كما أشرنا إلى

ذلك أعلاه، ونحن نحيل على الحالة التي كنا فيها بصدد بدائل حرة من قبيل: il pleut sans arrêt/ la pluie ne cesse pas (انظر ص 122 وما يليها). يتعلق الأمر الآن بمظهر آخر تكميلي للمشكل ذاته. ففكرة الترادف عينها هي التي أصبحت مثار جدل.

ثمّة، في هذا المجال، مقابلات «ترادفية» صرف. ويمكن القول إن التحكيم الذي سيكون عليه الفصل بينهما غير قابل نظرياً للبت فيه، بمعنى أنه غير قابل للبت فيه خارج ممارسة الترجمة المحكوم عليها بـ «ترقيع» التكييفات السياقية التي تسفر عن إعطاء نص ـ هدف نسميه ترجمة. إنها حال الزوج الجمَلي الذي ذكرنا به، وقد يكون من قبيل المغامرة التأكيد أنه يوجد اختلاف أسلوبي للتضمينات بين البديلين المقترحين، كما أكدنا ذلك عند بداية الدراسة السابقة.

وكما هو الشأن بالنسبة إلى مثال السيارة الذي ساقته غاري بريّور والذي أوسعناه إضافةً ولا يزال يشغل بالنا، فالمقابِلات المقدمة لا تمثل ترادفات قائمة الذات بل هي تحيل على حقل دلاليّ بكامله وقع تنظيمه بتميّز وبمهارة. ففيه ترتبط كل مفردة بعلاقة استبدال بما يقابلها من مفردات أخرى دلالياً وما يميّزها منها تمييزاً دقيقاً، كلّ ذلك من دون الفصل الممكن بين التضمينات والتعيينات. ويجد المترجم نفسه، هنا أيضاً، مضطراً، تدريجياً، إلى سبر متوالية كاملة من (أشباه) المقابلات الترادفية، من أجل ضبط قياس الفروق أو اللوينات التي تميز بينها. وفي هذه الحال، يُملي الاختيار في الترجمات معنى النص ـ المصدر نفسه لا القيود الاحتمالية للتكييف السياقي والملازمة لكتابة نص ـ هدف معيّن فقط. في هذه الحال، «لا تمثّل اللوينة ترفاً، بل مظهراً للدقة» (انظر ص 58).

وينبغي أن تتوافر لدى المترجم، على مستوى المراس، في كلتا اللغتين، وبخاصة في لغته ـ الهدف[31]، قدرة «قوية» متنوعة جداً تجعله قادراً على استخدام سياق استبدالي كامل للتفسيرات «الترادفية». وإليه يعود الأمر في الاختيار بين هذه التفسيرات، ويتمّ له ذلك بعد أن يكون قد ثَمَّن قيمتها الاختلافية، بموضعها وفق سلّمية يتم فيها توزيع هذه المترادفات بشكل تدرّجي بين قطبين. وتنطلق هذه المترادفات من مجرد بدائل حرة لتصل إلى تقابلات دلالية حقيقية. وبعبارة أدق، ينبغي ألا نقول إن (la voiture est abîmée) و(la bagnole est esquintée). . . إلخ. يشكّلان بديلين ترادفيين يختلفان من حيث دلالاتهما التضمينية، بل إن بين هاتين الجملتين تقابلاً دلالياً أدنى، حيث تتداخل التضمينات والتعيينات.

وينبغي الافتراض مبدئياً، من دون شك، أننا لا نقول أبداً «الشيء نفسه» بطرق مختلفة[32]. وبشكل أدق: إن طريقة الكلام هاته يشوبها غموض وينبغي ضبطها، فحينما ننطق بالعبارة «قل الشيء نفسه»، قد تتوافر في رأسنا فكرتان اثنتان، وينبغي الارتكان إلى ترجمة في اللاتينية ـ الهدف، من أجل تمييز الواحدة من الأخرى. فإما: أن نترجم بـ (eamdem rem)، وهنا قد يحيل «الشيء» المعيَّن (dénoté) على الواقع غير اللغوي عينه الذي قد نتحدث عنه بإضافة

---

(31) ليس ثمة تدريب على «تقنيات التعبير» يفضل التدريب بواسطة الترجمة (انظر ص 106 وفي أماكن متعددة من هذا الكتاب).

(32) تجعلنا ملاحظة القائمة الكلاسيكية للأسئلة التي يطرحها هـ. لاسوال ليحلل ترسيمة التواصل: «من يقول ماذا؟ لمن؟ وبأي أثر؟»، نلاحظ أن الكيف (le comment (Wie)) التضميني لم تتم صياغته، كما لم يتم تمييزه من الماذا ((quoi (Was)) المعيَّن. وينصب السؤال الثاني على ماذا- و- كيف (quoi-et-comment) الرسالة واللذين يعالجهما التحليل مجتمعين (انظر أ. مولز، 1971، ص 163 وما يليها).

تضمينات نابعة من ذاتيتنا ومن عاطفتنا. وإما: أن نترجم بشكل تأليفي بـ (idem)[33].

وفي الحالة **الأولى**، نعرِّض نفسنا لنقود ليونز ولنقد النقد الذي قمنا به (انظر ص 157 وما يليها)، وذلك ما سميناه استحواذ المرجع. لنعد تناول مثال قُدم سابقاً (انظر ص 120). من الواضح الآن أننا لا نتحدث عن «الشيء نفسه» أو بالأحرى عن الحيوان «نفسه» عندما نقول (cheval) أو (canasson) أو (coursier)، وهو ما ينبغي أن نضيف إليه، وفق التحليلات التي قِيم بها هنا، مترادفاتٍ أخرى من قبيل (monture) و(bourrin) و(destrier)... إلخ[34]. يتعلق الأمر في كل مرة بأحصنة مختلفة، معيَّنة بتلك الإحداثيات اللغوية المعقدة التي تشكلها التعيينات والتضمينات. فهاته وتلك يتم استخدامهما بشكل متزامن: يجمع (destrier)، على سبيل المثال، بين التعيين والتضمين بلا تمييز، فهو في الوقت ذاته يدل على نوع من النبل وعلى سياق حربي وعلى الفترة القروسطية (التطورية اللسانية والإحالة التاريخية)... إلخ. في هذه الحالة **الأولى**، تظل الفكرة غير واضحة والترجمة اللاتينية تبرز معنىً متناقضاً. إننا حقاً لا نقول بالفعل «الـ ـ شيء ـ نفسه» (المصدر نفسه).

في الحالة **الثانية**: نأخذ بعين الاعتبار أمراً مفاده أن الملفوظ هو ناتج تواصل حيث تجمع المعلومة في الآن نفسه بين التعييني

(33) في الألمانية ـ الهدف، بالتوالي: لا تقال أبداً (dasselbe Ding) (dieselbe Sache) و(dasselbe). لن نتطرق هنا إلى المشكل المنطقي: تماثل فردي أو تماثل طبقة، تبعاً لما إذا كنا اخترنا أن نترجم، مثلاً، بـ (dieselbe Sache) أو بـ ...(die gleiche Sache).

(34) تتميز قائمة المفردات المتعلقة بالفرس في ثقافتنا، كما نعلم، بالوفرة الكبيرة وتقتضي هذه المفردات وحدها عملاً قاموسياً يمكن أن يشكل مادة قاموس متكامل، فقد نشر علاّمة عند الهيلينيين ثبت الفرس الهوميري (عند كلينسيك).

والتضميني. إننا نتجه إذاً نحو «دلالة للتضمينات». إننا لا نقول «الشيء نفسه» (eamdem rem)، على مستوى التعيين، وبأشكال مختلفة على مستوى التضمينات، إلا أننا يمكن أن نقول «الشيء نفسه» (idem)، أي المدلول اللغوي ذاته (تعييني وتضميني)، بطرائق مختلفة، أي باللجوء إلى دوال هي في حقيقة أمرها بدائل حرة.

ليس من الممكن البتة فصل أسلوب تضميني عن معنى تعييني، إذا أريدت ترجمتهما بشكل ترجمة منفصلة كما يقترح ذلك تابر (انظر ص 121 وما يليها)، لأن الأسلوبَ عنصرٌ فوق مقطعي. وهو يشكل جزءاً من الرسالة المراد تبليغها (انظر هيل، 1958). ومن ثم، يكون من الغريب ومن غير المقبول تماماً أن نجد في موسوعة مخصصة للتواصل (La Communication) ملاحظة يُفترَض، فيها تعريف مفهوم التضمين، من قبيل: «تنويعات على موضوع يمكن أن يؤدي إلى إبدالات دون أن تتغير الرسالة التعيينية التي تطابق معنى محدداً. وعلى سبيل المثال، في ترجمة معينة، يمكن تعويض تضمينات النص بمقابلاتٍ دون أن يُحرف المعنى» (مولز، 1971، ص 395)!

5. الدلالة والسيميوطيقا

1.5. نحو دلالة للتضمينات

لا يمكن أن نقبل بنظرية للتضمين تقترح نموذجاً «شيئياً» للتواصل الشفهي ونسقط عليها الفلق فاعل ـ مفعول على شاكلة ثنائية هي ثنائية الميتافزيقا الكلاسيكية. لا أتواصل بخصوص أشياء خارجية (معيَّنة) ثم أضيف إليها «حبة ملح» لاحقاً مطبوعة بذاتية عارضة (تضمينية). لا يمكن للتضمين أن يعرف باعتباره مجرد «إضافة روح» أسلوبية، تأتي لتتوج ولتمجد معنىً تعيينياً. إنه عنصر معلومة كغيره، وعلى الـ (ميتا) تواصل الترجمي أن يساويه بمستوى التعيين، إنه

عنصر أو لحظة دلالية من الملفوظ ـ المصدر، يجدر ترجمتها في الإطار الشامل والمشترك لفعل تواصلي، ضمن منهج توليفي لكتابة يتمخض عنها نص ـ هدف، تم الانتهاء منه على الفور (انظر ص 232 وما يليها).

يجب علينا بالفعل إذاً «أن نعيد النظر في التقابل تعيين/ تضمين» وأن نطرح مشكل «دمج التضمينات ضمن نظرية دلالية»، كما أشارت إلى ذلك غاري بريّور (1971، ص 98)، إلا أن هذه الباحثة التي امتنعت عن تقديم هذا الإسهام للسانيّات النظرية، هي المملوكة بالرغبة في أن تخلص، قبل كل شيء، إلى نظرية للنص الأدبي. ونحن، من جهتنا، لا ننوي تجاوز بعض الإشارات البرمجية، حينما يتم إبراز الحجج التي تدعم قيام دلالة للتضمينات، لأن منظورنا هنا هو منظور «لسانيّات مُطَبَّقة» على نظرية الترجمة فقط.

لا تدخل التضمينات في نطاق الأسلوبية، في حين أن الدلالة قد تتقوقع في دراسة التعيينات المماثلة للمداليل. وبخلاف ما ذهب إليه غيرو، لا تشكل التضمينات «ارتباطات غير مفهوميّة» (1964، ص 31 وما يليها و124). وذلك عندما يعني أنها «ارتباطات غير دلالية» (ص 32). وبما أنه يتعذر فصل هذه «القيم الأسلوبية» عن التعيينات، فإنها تشكل جزءاً لا يتجزأ من معنى الوحدات اللغوية المعنية بالأمر. إنها، بالمعنى السوسيري للكلمة لا بالمعنى الذي اقترحه غيرو (المصدر نفسه)، قيم ليس إلا، إنها قيم دلالية محددة تحدّدها الشبكة الاستبدالية «للعلاقات الارتباطيّة» التي تخص التقابل بين مفردات متجاورة تقريباً، وإليها تنضاف العلاقات التراكبية (syntagmatiques) لمحيط سياقي معين. وهو ما توضحه بجلاء مختلف الأمثلة التي تم تحليلها. وأن يقتصر غيرو في كتابه

(*Sémantique*) على هامش ليقدم مفهوم التضمين (1964، ص 32)، وألا يبالي كتابه (*Stylistique*) (1963) بمعالجة المسألة، فالأمر لا يخلو من معنى في هذا الاتجاه.

وقد وجدنا أنفسنا، من أجل الانحياز لدلالة معينة مقابل أسلوبية بعينها يظل وضعها يطرح إشكالاً (انظر ص 121 وما يليها)، منقادين إلى موضعة التضمينات التي يتعين ترجمتها. ويدخل هذا الموقف، في الواقع، في إطار نقاش أساسي يقابل بين منظري الترجمة ويُقسمهم إلى فريقين اثنين. فثمّة، من جهة، اللسانيون «الدلاليون» أو المنظّرون الدلالانيون (sémanticistes)للترجمة، والذين يمكن تشبيههم باللسانيين ـ فلاسفة الترجمة: إنه وضع مونان ونيدا وتابر وغيرهم، وإلى هذه الفئة ننضمُّ نحن. ثمة، من جهة **ثانية**، «الأسلوبيون» والذين هم أدبيون ـ منظّرون للترجمة، وفي الوقت نفسه منظرون للترجمة الأدبية، والذين يعملون على إعداد شعرية للترجمة كما هو الشأن بالنسبة إلى ميشونيك وروبل[35] (L. Robel).

وبالنسبة إلى «الدلالانية» (sémanticisme) والتي جاء اختيارنا لها، فقد رأينا كيف كان شارل تابر مضطراً، في الأخير، إلى أن يحلل التضمينات في المرحلة **الثالثة** من «تحليل المعنى» الذي وضعه (انظر ص 126)، بعد أن أشار إلى إدارة نظريةٍ متقطعة (discontinuiste) تؤول إلى برنامج من مرحلتين تكمنان **أولاً** في «ترجمة المعنى» فـ «ترجمة الأسلوب» (انظر ص 121 وما يليها)، وقد بدا من خلال هذا البرنامج أنه يهدف إلى تقليص هامش عمل المترجم إلى اختيار بين بدائل حرة، في حين أن التفسيرات

---

(35) نرجئ التمحيص النقدي لاختيار الترجمة هذا الذي ليس من اقتراحنا، إلى دراسة لاحقة.

«الترادفية» التي يشتغل بها تتوزع بشكل تراتبي على مساحة تمتد من مجرد بدائل إلى لوينات لتقابل دلاليّ.

وبالنسبة إلى مونان، فبعد أن لاحظ «التضمينات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعيينات» (1963، ص 158)، توصل إلى دمج التضمينات في «معنى المونيمات» (ص 161)، لكن ذلك كان بعد «رحلة خطابية طويلة» جداً (ص 160 وص 165)، خصّصها لعرض أطروحات تتصل بـالأدبيات اللسانية. وبصفة عامة، يمكن أن نؤاخذه على معالجته «مسائل نظرية في الترجمة» من منظور ما يُسمّى بالأحرى «دروساً في اللسانيات العامة» التعليميّة، من دون أن يُحيل على أي ممارسة ترجمية (انظر ص 76 وما يليها... إلخ). ولذلك فالفصل الذي يفرده للتضمين «باهت» جداً، كما أن الخلاصات التي استنتجها ليست على ما يكفي من الوضوح.

إذا صحّ أساساً أنه يختار دلالةً للتضمينات، بالاستناد إلى سلطة مارتينيه باعتباره حجّة (مونان، 1963، ص 161 وما يليها)، فهو يظل أسير الإرث البلومفيلدي. ويبدو أنه قد يفاجأ أيضاً من هذا التقارب عندما يكتشف أن مارتينيه «مع ذلك أقل تشبثاً ببلومفيلد منه» (ص 161). ويرفض جورج مونان، مقتفياً في ذلك أثر مارتينيه، الثنائيات التماثلية التي تقابل التضمينات بالتعيينات، و«اللغة العاطفية» بـ «اللغة الثقافية»، تينك تشكل التضمينات والتعيينات صدىً لهما (ص 161 وما يليها)، وموازاةً لـذلك أيضاً، يتردد في اتّباع الذين يرغبون في إدراج التضمينات ضمن أسلوبية أو تداولية مختلفة عن الدلالة اللسانية، ولكن دائماً بالإحالة صراحة على بلومفيلد (مونان، 1963، ص 158 وما يليها)، لكنه لم يتوصل حقيقةً إلى تجاوز الغموض الملازم لتحاليل اللساني الأميركي الكبير، تلك التي اقتصر فيها بالحقيقة على إشارات موغلة في الإيجاز بخصوص التضمين. لهذا

السبب يجد نفسه قد خاض مناقشات عديدة لا يتّضح فيها الرهان والمخرج بما يكفي من جلاء.

غدا واضحاً تقريباً أنه لم يعد بالإمكان تعريف التضمينات بكونها «قيماً إضافية» كما يفعل ذلك بلومفيلد (1970، ص 144)، ولا بكونها «معلومةً إضافية» (موريس، ذكره مونان، 1963، ص 147 وفي أماكن متعددة)، طالما تم القبول بأنها «لا يمكن أن تتميز بجلاء من معناها التعييني» (بلومفيلد، 1970، ص 147). وهذا أمر بداهي من حيث وجهة نظر النظرية اللسانية، بالرغم من أن مفهوم التضمين الذي يُتصور بوصفه «دلالات ثانية» (غاري ـ بريّور، 1971، ص 98) يحتفظ بقيمة إجرائية بالنسبة إلى المترجم على المستوى المراسي (انظر ص 184 وما يليها). وبما أن مونان يعد أكثر تأثراً ببلومفيلد ـ وبالنظر إلى كونه ظل متقوقعاً على المستوى النظري للسانيات العامة ـ فإنه كان مضطراً إلى أن يُفرد نقاشاً كاملاً لهذا المشكل الذي لا يمثل في حد ذاته مشكلاً (1963، ص 159 وما يليها وانظر ص 155 وما يليها).

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه كان يعثر بلا انقطاع على مشكل بديلٍ أسلوبي (أو «تداولي») للدلالة، مما جعله يطور نظرية كاملة للتعلم اللغوي (ص 163 وما يليها وانظر 157 وما يليها). وبذلك فهو يعيد إنتاج غموض المنطق البلومفيلدي الذي يفضي إلى سوسيولغوية للتضمينات في حين أنه يصدر عن مسلمة في ما يخص التعلم اللغوي الفردي انطلاقاً من السياقات المقامية (انظر ص 138). إلا أنه في ما يتعلق بإسناد وضع دقيق إلى التضمينات، فإن السؤال يظل قائماً حول معرفة كيف ينبغي أن يتم الترابط بين المنظور السوسيولغوي والبعد النفسي اللغوي للتعلم.

يمكن بالفعل، على كل حال، دمج القائمة «السوسيولغوية»

للمستويات التضمينية التي اقترحها بلومفيلد في إطار دلالة للتضمينات. وبالرغم من أن تحديد زوايا الخطاب الذي يتأسس على قرابة لغوية (dialinguistique) والذي ينبغي أخذه بعين الاعتبار يعني أن اهتمامنا ليس منصباً حصراً على معطيات لغوية، تمثّل التضمينات معطيات جماعية دالةً تندرج في إطار استراتيجية شاملة للتواصل (انظر ص 141 وما يليها). وعلى هذا الأساس، تهم هذه التضمينات مجموع الجماعة اللغوية التي تم ضمنها التمييز القائم على قرابة لغوية لزوايا الخطاب هاته. لهذا السبب رفضنا التحليل المؤسس نفسياً (psychologisante) الذي وضعه مونان، والذي يقابل بين ثلاثة أنواع من العلاقات التداولية للتضمينات.

وباستثناء الحالة الشاذة للغات السرية ـ اللهجات الفئوية بالمعنى الحصري، وهي سِجلّات لغوية موغلة في المحلية أو في «التقنية» ـ فإن كل متكلم من الجماعة تتوافر لديه قدرة على فك رموز الدلالات المؤسسة على قرابة لغوية. وهو يكتفي، سواء أكان متكلماً مقتدراً ضمن زاوية الخطاب أم عنصراً خارجاً عن الوسط، بإدراك الدلالات التضمينية المربوطة ببعض الاستعمالات السوسيولغوية (انظر ص 144) إدراكاً موضوعياً. ويمكن أن نكتفي هنا بأن نأخذ بعين الاعتبار التمييز التقليدي الموضوع تجريبياً بين معجم «فَعّال» أو مُفَعَّل ومعجم «غير فعّال» أو غير مُفعَّل، استعملته بيداغوجياً اللغات الأجنبية استعمالاً ضافياً. ويمكن أن نقول إجمالاً بأن الاشتغال الدلالي للغة لا يضع حدوداً حقيقية بين الطبقات!

بيد أننا نلاحظ بالفعل حدوداً لغوية (Sprachbarrieren) ضمن جماعة لغوية أحادية اللغة، إلا أنه ينبغي أن نرى في ذلك حالات افتقار لغويّ. وتوافق هذه الحالات ما أسميناه «الأوجه الناقصة» للتواصل والتي تحيل على المعيار المثالي لقدرة شاملة (انظر ص

142 وما يليها)، فيها ما يكفي من «القوة» لتشمل دلالة كل زوايا الخطاب التي تمكنت من التطور داخل اللغة (انظر ص 149). وتظل هذه القدرة الشاملة مثالية بمعنى أنه، كما يقول سوسّور (1972، ص 30)، «لا تتوافر اللغة مكتملة عند أي (فرد)، فهي لا توجد على الوجه الأكمل إلا عند العموم». إلا أنها تشكل، على كل حال، المعيار النموذجي الذي يقيس به كل متكلم قدرته وينزع إلى الاقتراب منه. ثم، أليس من المفترض أن هذه القدرة، بالمناسبة، هي قدرة الملاحظ الذي يسجل حدوداً ونواقص!..

على كل حال، يجد المترجم نفسه مضطراً للاعتماد على هذه القدرة الجامعة التي تنزع إلى الشمولية: إذ يقتضي منه كل نص ـ مصدر مجهودات للتوثيق الضروري لكي يتمكن، في اللغة ـ الهدف وفي اللغة ـ المصدر على حدّ سواء، من كل المستويات ذات الصلة بقرابة لغوية والتي يبرزها النص. وإذا كان صحيحاً أن هذا المترجم لا تتوافر لديه هذه القدرة الشاملة بوصفها رأسمالاً ثابتاً، فإنه على الأقل ينزع تدريجياً، من نص إلى آخر، إلى الاقتراب منها بطريقة دينامية غير عرضية. ولا تشذّ «اللغات السرية» عن القاعدة، فهي تشكل جزءاً مما أسميناه «المعطى السوسيولغوي» الذي يتخذه الميتاتواصل الترجمي موضوعاً له.

ومن الصحيح، من جهة أخرى، أن دلالةً ما للترجمة (وللتضمينات) تؤدي إلى شيء آخر مخالف لها: وينبغي أن تتوسع لتشمل أبعادَ الحقل الثقافي ولتخلق كذلك حيزاً للإبداع الفردي. لهذا السبب سنكون مضطرين للعودة إلى ما أسميناه بمعيّة بارت «وجهة النظر السيميولوجية» (انظر ص 185 وما يليها)، والتي أشرنا إلى أنها على تواصل مع المنظور السوسيولغوي (انظر ص 145). وهذا الشيء الآخر للدلالة والذي تلجأ إليه بوصفه مكمّلاً لها ليس

بـ «خارج عن الدلالة»، بخلاف ما يدفعنا غيرو (1964، ص 32) إلى الاعتقاد به. وينبغي العمل على توسيع للدلالة، يجدر أن ننعته بـ «عَبْرَدلالي» (trans-sémantique) أي «المَجاوز للدلالي» بالمعنى الذي يرى بارت في السيميولوجيا نوعاً من «لسانيات عَبرية» (trans-linguistique) أي «ما يجاوز اللغة» (1965، ص 81). وبالإضافة إلى هذا، خلص غيرو أيضاً إلى تدقيق يفيد أن القيم الأسلوبية «السوسيوسياقية» تنتهي دائماً بأن تتدلل (se sémantiser) أي أن تتحول إلى دلالة (1964، ص 40). وفي الاتجاه ذاته «للمنظور السوسيولغوي» الذي يصِل الدلالة بامتدادها «السميولوجي» أو السيميوطيقي، تسير نظرية الترجمة نحو «تمطيط المفهوم السوسّوري للغة» (انظر ص 18 و150... إلخ).

وهكذا فقد رأينا، من جهة، أن ثمّة إمكاناً لأن ندمج في هذا المنظور التضمينات الخاصة بكل زاوية من زوايا الخطاب. فقد أضحت اللغة بمعنى ما مُخَفَّفَة بفضل السجلات ذات الصلة بقرابة لغوية تعمل على تنويعها، وبذلك تُسهم في رفع مخزون الدلالات التضمينية وغيرها مما يمكن أن يتوافر لدى المتكلّمين. بما أن المترجم محكوم بمنظور التلقي طالما أنه لا يتحكم في تشفير الملفوظات ـ المصدر، فإن عليه بالضرورة أن يكون قد أدمج هذه التضمينات في دلالة ما أسميناه «قدرته الجامعة».

من جهة أخرى، ينبغي لمفهوم اللغة أيضاً أن يتمطط أو يتوسع لكي ينفتح على الآفاق السوسيوثقافية التي جاءت لضمان الملء الحقيقي لدلالته. وتدريجياً، يجد المترجم نفسه مضطراً إلى السيطرة على كل اقتضاءات «الحقل الثقافي». لذلك استقينا من هنري ميشونيك مفهوم «اللغة ـ الثقافة» الذي عملت ترجمته على

إبراز وروده الدلالي. ويُسفر «الميتاتواصل» الترجمي عما أسميناه توضيع التضمينات (انظر ص 144) عند ربط الاتصال بين لغتين، ويوضح هذا «الميتاتواصل» أن التضمينات الثقافية تهم سياقات كل لغة، وبناءً عليه يجب ترجمتها، بمعنى أنها يجب أن تظهر في النص ـ الهدف بما أنها تشكل جزءاً من المعلومات التي يتضمنها النص ـ المصدر.

نحن نفضل في ما يخصنا أن نموضع هذا الإشكال باستعمال مصطلح اللغة الموسعة (périlangue) (انظر ص 61 وفي أماكن متعددة) طالما أن الأمر لا ينحصر في الترجمة من «لغة ـ ثقافة» إلى أخرى: فاللغة «الممططة» أو الممددة بهذا الشكل لا تتضمن فقط سياق الحضارة التي هي على اتصال وثيق به. ينبغي أيضاً إفراد حيز لبعض السمات السلوكية التي ترافق ملفوظات المتكلمين ـ المصدر وللأساس المرجعي (substrat référentiel) الذي يحيلون عليه. لذلك، يجدر بنا أحياناً، أن نترجم، في بعض السياقات، المفردة الإنجليزية ـ المصدر (the river) بالفرنسية ـ الهدف (la Tamise)... إلخ. في الحقيقة، يمكننا أيضاً أن نعتبر أن عناصر المرجع هذه تشكل جزءاً من الافتراضات الثقافية للغة ـ المصدر، إلا أن استعمال مصطلح اللغة الموسعة يجعل الأمور أكثر جلاءً. هذه التضمينات/الدلالات المواكبة (con-notations)، هذه المداليل اللغوية الموسّعة ينبغي إعادة استثمارها، وربما تفكيكها ثم إعادة تشكيلها، في الرسالة ـ الهدف من لدن المترجم[36].

(36) نحن إذاً بصدد ما نسميه «الترجمة بالزيادة» (incrémentialisations) (ص 311 ـ 312 من هذا الكتاب)، أي بصدد شروح «للمسكوت عنه»، أي للضمني في اللغة ـ المصدر. ومن أجل «تمثيل» لإعادة الاستثمار الدلالي البيلغوي هاته، انظر وبالتحديد في ص 331 وما يليها من هذا الكتاب للاطلاع على مثال يتصل بما يستعصي على الترجمة في هذا الباب.

2.5. علم النفس والنظرية اللسانية

إن هذا «التمطيط» السوسيولغوي للغة، والذي قادتنا إليه دلالة التضمينات، يبدو أنه يستدعي بشكل مواكب وتكميلي توسيعاً «لغوياً موازياً» **ثانياً** (para-linguistique)، إن لم يكن، في حقيقة أمره، «غير لغوي»، من وجهة نظر علم النفس اللغوي. وقد رأينا أنه تمت الإشارة إلى المظهرين عند بلومفيلد. ووفقاً لهذا اللبس الذي يخترق ضمنياً التحليلات البلومفيلدية، نتساءل : ألم يكن السبيل ذاته الذي سلكه مونان بموضعته التعلم اللغوي؟

قد نستجيب، بسلوكنا هذا المسلك، إلى الهاجس الذي يَشغَل غاري ـ بريّور التي تقترح أن تُدمج في لسانيات التضمين لا نظريّةَ التلفظ فحسب بل مفهوم القدرة أيضاً، كما رأينا سالفاً (انظر ص 165). ألم نأخذ أيضاً بعين الاعتبار المنظور «السوسيولغوي» أو المنظور المتصل بقرابة لغوية في إطار «القدرة ـ الجامعة» للمترجم؟ إننا بإعادة تناولنا لمصطلح القدرة التشومسكي، قد نضمن «ربط... اللغوي بالنفسي» ضمن «لسانيات تدمج المتكلم»، كما تطالب بذلك غاري بريّور (1971، ص 98). وتبدو الإحالة على التحليلات «النفسية ـ اللغوية» لجورج مونان جليةً في أعمالها (ص 98 وما يليها).

وبما أن الإشكال يكمن في معرفة ما إذا ـ كانت التضمينات (لاتزال!) تشكّل بالفعل جزءاً من الدلالة اللغوية، فإن الحل الذي عثر عليه مؤلف (*Problèmes théoriques de la traduction*) يشفّ عن فطنة ولباقة. وبما أن «تعلم الدلالات يتم بواسطة طرائق مختلفة»، فسيوجَد (على الأقل) قُطبان للمعنى اللغوي، يوافقان مظهرين للتعلم الخاص: قد يوافق التعيين ما تم استيعابه بالطريقة التعليميّة «بواسطة التعريفاتِ ذات النمط المنطقي» (تعليم، معاجم... إلخ.) ويوافق

التضمين ما تم اكتسابه «بالرسائل التي تأتي بالصدفة» عن طريق التجربة بسياقاتها ومقاماتها (مونان، 1963، ص 163).

هذا الحل الذي تمت تسويته جيداً، هو بالفعل حل ساحر للعقل، وقد يبدو جزئياً منيراً، ورغم ذلك علينا أن لا نقبل ـ به لأنه يناقض مقتضيات العقل والتجربة (non possumus). إننا حين نعهد بالتضمينات إلى علم نفس التعلم اللغوي الفردي، نتمكن من أن نجعل منها النظرية الدلالية التي تتطلبها الترجمة. و«يصح أن نقول إن الدلالة (اللغوية) لمفردة معينة هي، بالنسبة إلى كل متكلم، مجموع المواقف والسياقات التي سمع فيها ذلك المتكلم تلك المفردة واستعملها» (مونان، 1963، ص 163)، تلك هي المسلمة «النفسية ـ البيداغوجية» التي تتموضع بدقة عالية في إطار الافتراضات السلوكية للإرث البلومفيلدي الذي تستند إليه هذه التحليلات.

يظل مونان، باختياره أخيراً سوابقَ نظريّة التعلّم ذات الطابع النفسيّ بدل الخلاصات السوسيولغوية التي استقاها بلومفيلد، متبنياً فكرة تفرد التضمينات التي درجنا على انتقادها باسم تحليل للتواصل تم تصوره على أنه استراتيجية شاملة لظاهرة اجتماعية عامة (انظر ص 141 وما يليها). وفي هذا الاتجاه، يغادر مونان إذاً فريق «الدلاليين» ليلحق في آخر المطاف بفريق «الأسلوبيين» في إطار منطق أسلوبية التضمينات الأدبية والشعرية التي اقترحها (انظر ص 137 وما يليها).

توجه مونان نحو شعرية الترجمة، وهو يصدر في ذلك عما أسميناه أسلوبية «قطبية» تقابل بين النثر والشعر، **الأول** باعتباره قطباً غير موسوم يمثل الدرجة الصفر للكتابة الأدبية، و**الثاني** باعتباره قطباً موسوماً يشكل حيز التضمينات. وإذا صح أن بالإمكان الاكتفاء سطحياً بهذا التصور للأدبية، بما أنها تقدم أولَ مبدأ لتصنيف الخطابات التي ينبغي ترجمتها وتوافق نوعاً من الأيديولوجية السائدة

ما قبل التأملية (انظر ص 127)، فإنها بالرغم من ذلك غير مقبولة لأسباب عديدة.

تمت، في البداية، البرهنة على أن لكل خطاب «تضميناً أدنى» (انظر ص 152 وما يليها) ولن نَبلغ أبداً تلك الدرجة الصفر التي قد تكون أبطلت كل تضمين. وبعبارة أخرى، ليس ثمّة من تضمينات إلا شعرية، إذا كان لا مفر من التضمينات (انظر غاليسون وكوست، 1976، ص 118). إن إقامة تقابل بين التضمينات الشعرية والتعيينات النثرية، الموضوعية بل والعلمية، يعني العودة من جديد إلى ما أسميناه استحواذ المرجع (انظر ص 164 وما يليها) ونسيان أن قوام اللغة معلومات بما في ذلك تضمينات الشعر (انظر ص 166 وما يليها). فالأمر يتعلق، بشكل أعم، بإعادة إنتاج ميتافيزيقا ثنائية ضمن مفهمة (conceptualisation) العلم اللساني، في حين أن الموقف الدلالاني الذي تبنيناه يدعو إلى تنسيب الثنائية التي تقابل بين التضمينات والتعيينات ضمن المدلول اللغوي.

هذا إضافة إلى أن سحر ما يستعصي على الوصف (l'inéfable) وأن سحر «اللغز الشعري» يتجاهلان البعد الحقيقي للتواصل الذي يعد أساسياً لكل ظاهرة لسانية (انظر ص 138 و141 وما يليها). فإذا كان «التواصل الشعري» يحيل على اشتغال أشبه ما يكون بالتحليل النفسي للشعر، كما يقترح ذلك مونان (1971، ص 183)، فلن يبقى للمترجم إلا أن يستسلم. إذ ـ سيتعذر عليه بالفعل أن يستدعي الكاتب ـ المصدر وأن يحمله على الاعتراف «على الأريكة»، وبخاصة إذا كانت الترجمة قد أنجزت بعد وفاة المؤلف! سنجد أنفسنا في مواجهة ما أسميناه الاعتراض الاستباقي للمستعصي على الترجمة وللأنانة اللغوية. وفي الأخير، بإمكاننا إجمالاً رد صعوبات الترجمة الشعرية أو الأدبية إلى أنماط ثلاثة من الإشكالات.

إما أن تتعلق الصعوبة بشكل المدلول للنص ـ المصدر، وهنا نبلغ حدود الترجمة والمتعذر ترجمته، إلا أن هذه الترجمة المتعذرة تظل صدفويّة، بل تشكل بالأحرى «ثغرة» في قابلية الترجمة (traduisibilité) الأساسية للعمل، ومن ثم، فهي تمثل، في آخر الأمر، استدلالاً مضاداً في وجه الاعتراض الاستباقي. وإما أننا نكون بصدد تضمينات دلالية أو حتى صور شعرية تسوّق فحوى دلاليةً أيضاً، فتكون الترجمة «متيسّرة». . . وإما أن تحيل الصعوبة على اشتغال النص، وهنا ينبغي الإقرار، بصفة عامة، بأن الدلالة تفضي إلى شيء آخر غير ذاتها، بل إلى «سيميولوجيا» أو سيميوطيقا سبق أن أعلنا عنها (ص 185 وما يليها) وليس إلى تفرد نفساني للتضمينات[37].

وفي ما يتعلق بالجدولة التي تخص القراءة المتعددة التي يجابهنا بها العمل الأدبي، فهي في حد ذاتها لا تمثل ضرباً رابعاً لصعوبات الترجمة، مولّدةً من الترجمة ذاتها (sui generis). إنها تتطابق فقط والتوسيع الهرمنوطيقي الذي تستدعيه السيميوطيقا التي سنشير إليها، والتي تمثل توسيعاً لدلالة التضمينات كما أسلفنا. سنعود إلى هذا المشكل الأخير في إطار دراسة مقبلة.

وحينما يستحيل مونان بلومفيلدي التوجه وحينما يعيد بأمانة سلوكية نفسية قطعت كل صلة ببلومفيلد، فهو يتجاهل كُلياً خصوصية اللساني. تظل هذه المسحة النفسية اللسانية، عند سوسّور الذي يجعل

(37) بالرغم من أن جورج مونان يعتبر كتاب غيرو (1963) المنشور بسلسلة (Que sais-je?) كتاباً متجاوزاً (انظر مونان، 1971، ص 186)، فإنه توصل، في الأخير، إلى أسلوبية من هذا القبيل، من دون طرح حل يصل «**الأسلوبية 1**» التي تتعلق بالموارد التعبيرية للغة بـ «**الأسلوبية 2**» التي تهم التفعيل الأدبي لهذه الموارد (انظر ص 203 وما يليها من هذا الكتاب)، مع سعي **الثانية** إلى ابتلاع **الأولى**.

من الدليل اللغوي، كما نعلم، «ذاتاً نفسية بوجهين» (دو سوسور، 1972، ص . .99. إلخ.)، مقبولةً طالما أنه ينبغي ألاّ نرى فيها إلا قيمةً تقريبية بيداغوجية، متموقعة تاريخياً، مقارنة بمستوى التطور الذي بلغته العلوم الإنسانية في زمانه. إلا أن مونان يجانب بكل تأكيد الصواب حينما يقبل باقتراحه، ويقوِّله تقريباً بأن المدلول يمكن أن يشكل مرجعاً نفسياً أو تصورياً (مونان، 1963، ص 149 وما يليها). وتهم، على وجه الخصوص، «نفسانية» (psychologisme) سوسّور (سوسّور الذي نجد لديه أيضاً كثيراً من العناصر التي تذهب في اتجاه نزعة اجتماعية (sociologisme)) القوانينَ العامة الكبرى المفترض أنها من صميم الاشتغال الذهني للعقل البشري، وهو ما يشكل شيئاً آخر غير دقّ دلالة التضمينات في شكل غبار محتمل ومشكوك فيه من السِّير الشخصية، غبار غير محسوس ورماد بارد لبعض الشهب الاصطناعية الشعرية التي لا مُستقبل لها ولا متفرجين حقيقيين عليها.

إلا أننا ونحن نرفض ترك علم النفس يكتسح النظرية اللسانية، نود ألا نتبنى نظرة المتعالي والحائر حَيرة «كلب حراسة» وضعي مسكون بـ «القطائع الإبستيمولوجية» ومهووس بأن يحمي «اللفافات المسطحة» للدرس اللساني. إنه من الضروري فعلاً أن نضمن لهذا الدرس التوسيعات المتكاملة معرفياً لعلم نفس يحلل العمليات الذهنية الثاوية خلف اشتغالنا اللغوي. إنه التوجه الذي أخذته الأبحاث التي بُوشرت هنا وهناك، وبخاصة حول الآليات النفسية التي تجعل عمل المترجم الفوري ممكناً[38]، وهو الأمر الذي سيعلمنا أيضاً شيئاً

(38) انظر أعمال لوني أو الأبحاث التي باشرتها الفرقة المتعددة التخصصات (مجموعة البحث في اللغات) (G.E.L.) في كريتاي (Créteil) عن سيليسكوفيتش وبرنييه وغيرهما.

بخصوص الطريقة التي يشتغل بها المترجم (انظر ص 42 وما يليها). إن ما ينبغي تأكيده في الأخير هو أن الحد بين علم النفس والنظرية اللسانية ينبغي أن يرسم بوضوح.

لا يمكن للسانيات النفسية الخاصة بالمتكلمين، أو بالكاتب ـ المصدر، أن تُعوِّض دلالة التضمينات وتساعدنا على ترجمتها. إلا أنه لا يختلف اثنان على أن نظرية الترجمة أو الترجمية يمكن أن تفيد من «اللسانيات النفسية» للقدرة ـ الجامعة للمترجم نفسه، كان ذلك مؤدى الجولة المتواضعة والتلميحية جداً التي قمنا بها في هذا الاتجاه. وبما أن الأمر يتعلق بعلم نفس تجريبي للمترجم (une psychologie empirique du traducteur) ولا بتحليل نفسي غير مؤسس يمكن أن يخضع له المؤلف ـ المصدر ولا بلسانيات المتكلمين النفسية التي لا تزال في بداياتها (انظر لادميرال، 1975e، ص 527 وما يليها)، يلزمنا الفصل بين النظرية والتطبيق عندما يتعلق الأمر بالترجمة (انظر ص 141 وما يليها).

وهكذا، فمن الوجهة الإبستيمولوجية للنظرية اللسانية، توصلنا إلى إعادة إدماج التضمينات داخل المداليل وإلى الكف عن وضع فرق بينها وبين التعيينات، فإذا بمصطلح التضمين ينتهي بأن يفقد كل مضمون خاص به. إلا أن الاستثناء يكون حينما يكون للمصطلح ميل شمولي يغطي، كما هو الشأن بالنسبة إلى الدلالة البلومفيلدية، «المضمون العام للمقام» (انظر مونان، 1963، ص 157). وعلى كل حال، فالتحليلات اللسانية الحديثة تميل بالفعل نحو تذويب مفهوم التضمين. وهو مفهوم «لا يستقيم» (ne tient pas)، تبعاً للنظرية اللسانية، لأن التفكير فيه بعمق يؤدي حتماً إلى صهره داخل المدلول نفسه. ولأسباب متعددة، أصبحنا مضطرين إلى تبني الخلاصات التي وضعها ليونز (انظر ص 157 وما يليها). فمفهوم التضمين الذي عجز

عن الاستجابة إلى القيود النظرية ذات الدقة التصورية التي تحدد اللسانيات، لا ينتمي إلى الخطاب العلمي ولا إلى الخطاب التعليميّ أو البيداغوجي (انظر ص 73). وبهذا المعنى يمكن اعتباره «غير لساني».

أما إذا كان صحيحاً أن التضمين يعتبر عصياً على الرصد التام وعلى بلوغ وضع نظري كافٍ إبستيمولوجياً[39] أيضاً، فهو يظل مفهوماً لا يُعوَّض على المستوى البيداغوجي لعمليّة الترجمة. فمن الوارد صون هذا المفهوم الثمين وعدم الاكتراث بما تثيره اللسانيّات النظريّة من اعتراضات عليه، لأن صياغته قد تمت انطلاقاً من المراس الذي يتغذى منه، وفي هذا الاتجاه، يُسهم كثيراً في توضيحه. وينبغي أن نكتفي فحسب بمنحه وضعاً تجريبياً أو تداولياً، على مستوى «ترقيع» نفسي لغوي انطباعي ذي استعمال داخلي.

ومن وجهة نظر الترجمة هاته، يمكن أن يسترد علم نفس المترجم حقوقه [بما في ذلك التحليلُ النفسيُّ للمترجم]. لكن الأمر لا يتعلق، مرةً أخرى، إلا بعلم نفس تجريبي، استبطاني بالأساس ولا يعني سوى المترجم، كممارس للترجمة في انتظار الأفضل، مع ما تقدمه اللسانياتُ النفسية التي تتكامل معرفياً والتي تتميز بطابعها العلمي. وهكذا، يمكن أن نستعيد الملاحظة الصائبة لبيار غيرو الذي يتحدث عن «الطبيعة النفسية ـ الترابطية» (1964، ص 44 وفي أماكن متعددة) للعلامة اللغوية، متناولاً بالمعنى الحرفي التقريبات السوسّورية مع التحليل النفسي الترابطي الذي تتغذى منه، مع إضافة

(39) نتشبث، على مستوى النظرية اللسانية، بهذا الحكم القاسي الذي سبق لنا أن صغناه أثناء تحليلنا (انظر ص 119 ـ 120 من هذا الكتاب). إلا أنه ينبغي أن يعاد الاعتبار للتضمين ليس فقط، حين يتعلق الأمر بمراس المترجم (انظر ص 286 ـ 287 من هذا الكتاب) بل أيضاً، كما أوضحنا ذلك قبل قليل، حين يغطي التضمين معنى محدداً ومجدداً في إطار النظرية السيميوطيقية.

الملء (le remplissement) الأكثر حداثة والأقل تلفيقية للترسيمة السلوكية منبه ـ جواب (م ـ ج) للقوس ـ الانعكاسي البافلوفي (pavlovien)، لأنه، في النهاية، كما يقول أيضاً بكل بساطة، «يحصل كل شيء في الذهن» (ص 12).

يمكن، بهذا المعنى العام والمحدد، بل والملائم بما فيه الكفاية، أن تستمر عمليّة الترجمة في استعمال المقولات «النفسية» الضرورية لها، ويمكن أن تتحدث دلالة التضمينات التي يستعين بها المترجم تجريبياً عن «القيم الإضافية» أو المترابطة (انظر ص 199). لكن يبقى الآن أن نقدم سيميوطيقا للتضمينات تأتي لتكمل دلالة التضمينات، وهي سيميوطيقا أسهمت بغيابها من دون شك في خلق تجاوزات ذات طبيعة نفسية تعرضنا لها بالنقد وكأنها جاءت لتلبي المنتظر منها.

3.5. نحو سيميوطيقا التضمينات

إننا، إذ نجعل برنامج دلالة التضمينات يفضي إلى شيء آخر غير ذاته أي غير تلك الدلالة، نلحظ أن الترجمة الشعرية أو الأدبية لا تمثل استثناءً بالنسبة إليه. واقتلاع كل جملة من سياقها الحقيقي أو فصلها عن السياق (dé-contextualisé)، أي وضعها خارج نص حقيقي تستمد منه معناها، يجعلها غير قابلة للترجمة عند الاقتضاء. لذلك ترددنا في اقتراح أي ترجمة ـ هدف للأمثلة ـ المصدر بالرغم من أنها أمثلة بسيطة من قبيل (la voiture est abîmée) لما تقتضيه من تأويلات، لهجية كانت أو غير لهجية (انظر ص 167). إلا أن هذا لا يعني العودة إلى منطق التفرد الذي قد يجعل في آخر الأمر من كل ملفوظ ما أسميناه «نُدرة دلالية» (انظر ص 141)، لا تقاس بغيرها، في المنظور الهيراقليطي للمثل القديم القائل «لا نستحم أبداً في النهر نفسه مرتين»...

وبدل ميل لسانيات تلفظ الترجمة إلى تفتيت التضمينات المروم ترجمتها إلى لحظات انطباعية (Abschattungen) متروكة للغموض الأسلوبي «للقدرة» المطبوعة نفسياً لكل متكلم، فإن على هذه اللسانيات أن ترتبط بإعادة إدماج الفحوى الدلالية للتضمينات بوصفها معلومات في أفق بناء سياقي. وللإجابة عن المشكل المطروح بهذه الصيغة على ترجمة المعنى العام لنص معيّن، تتخذ دلالة مداليل اللغة شكل نظرية للخطاب بوصفها فعلاً لغوياً (speech act). وتفضي هذه الدلالة بالضرورة إلى تحليل يؤوّل اشتغال النص ذاته، ذاك الذي يشكل موضوع المقاربة السيميوطيقية التي سبقت الإشارة إليها مرات عديدة (انظر ص 148 وما يليها وفي أماكن متعددة).

يجيب المترجم دوماً، كما هو الشأن في قصة يهودية، عن السؤال الذي يوجّه إليه: «كيف تُترجِم هذه الكلمة؟» بسؤال آخر: «ما هو السياق؟». وبعبارة أخرى، يجيب تبعاً لصيغة شهيرة يمكن أن ننسبها إلى مايّيه (Meillet) أو إلى فيتغنشتاين (Wittgenstein): لا معنى للكلمات، إنها لا تحوي إلاّ استعمالات. وفي مقابل ذلك، ثمّة مصطلح «التضام» أي التقابل بين معنى أساسيّ و«آثار المعنى» التي تعتبر تحققاً له أو أيضاً التعبير المبتذل الذي، تبعاً له، «تأخذ الكلمة معناها» من السياق... إلخ. (انظر ص 206). لا يتمكن المترجم من كسر القشرة التي تحوي معنى النصوص التي يجابهها «بفضل القاموس». إن هذا العمل هو ثمرة مراسٍ يومي. وإذا كان عمل القاموسي يكمن في ربط المعاني في شكل حبات منتظمة يصففها على مسبحة ألفبائية، فلا يمكن للمترجم أن ينسج نصه إلا إذا فتح بدءاً عناصر المعنى هاته على فضاء السياق، بالمعنيَين للكلمة: بالمعنى الضيّق لمحيط نصيّ وبالمعنى الفرنجليزي، الموسع جداً، للسياق المقامي الذي يجعل، تدريجياً، من مجموع العناصر المشكّلة للكون والزمان «سياقاً» لأي ملفوظ.

يبدو مظهرا المشكل، في الحقيقة، ومقارنة بالمشكل الذي يشغلنا، مرتبطَين بقوة إلى الحدّ الذي ننتقل فيه من أحدهما إلى الآخر من دون انقطاع (انظر ص 196). لذا فضّلنا ألا نعمد هنا إلى الموضعة الاصطلاحية لهذا الاختلاف الدلالي (انظر ص 196). وبما أن سياق (context) تدل في اللغة الإنجليزية على المحيط غير اللغوي أو المقامي للملفوظ، وبما أن ذلك الاستعمال عند توسيعه «يؤثر» على فرنسية اللسانيين، يمكن أن «ندقق أكثر» المعنى الضيّق للمفردة بالاستعانة بعملية توليدٍ من قبيل (co-text) في الإنجليزية، تبعاً لاقتراح ج. ك. كاتفورد (1967)، ص 31، إلا أن إعادة الاستنساخ في الفرنسية (co-texte) لا تفرض نفسها بالفعل، لأنه يظل المعنى الأول لكلمة (context) (سياق) في لغتنا. ولا يمثل الأمر هنا إلا بديلاً يمكن استعماله حين تدعو الضرورة إلى إقصاء لبس مزعج جداً. لم نكن في حاجة إلى العودة إليه، طالما أن إشكالية المرجع غير اللغوي في الترجمة لم يتم تطويرها إلا في إطار ما تسمح بمعالجته المقاربة السيميوطيقية. ومع ذلك، يبقى المشكل قائماً على الأقل في ما يتعلق بالمشاكل الخاصة التي تطرحها الظاهرة الاصطلاحية (انظر ص 222 وما يليها)، وينبغي أن يشكل موضوعاً لتفكير أعمق.

ويؤدّي بنا هذا التوسيع الضروري للدلالة إلى تجاوز اللسانيات بالمعنى الضيق، كما نعرفها. ويتعلق الأمر هنا بمجال شاسع جداً لم يتم فيه إقرار أي شيء بيقين، بما في ذلك المصطلح، حيث لا تزال العديد من السمات ممكنة. وإذا فكرنا بالخصوص في دراسةٍ للعلاقات التي يربطها مستعملو العلامات اللغوية بهذه العلامات، يمكن أن نتحدث عن تداوليّة (pragmatique)، كما يذهب إلى ذلك مونان (1963، ص 158 وفي أماكن متعددة). ويمكن أيضاً إعادة

تناول السمة أسلوبية، ولكن بالمعنى الذي أعطاه إياها جان فوركيه (Jean Fourquet)، أي تحليل العلاقات القائمة بين مستوى المدلول والواقع غير اللغوي. وبما أن الأمر يتعلق بدءاً بدراسة للاشتغال الدلالي للوحدات اللغوية داخل سياقها، يمكن الحديث عن علم النصّ (textologie) أو عن «لسانيات النص» كما نقول بالألمانية (Text linguistik)، إلا أن هذه السمة تظل ربما أكثر حصرية. وقد انصب اختيارنا، في الأخير، على تبني اللفظين «سيميولوجيا» أو سيميوطيقا، لأنهما من جهة يبدوان وكأنهما ينبغي أن يفرضا فرضاً، ومن **جهة ثانية**، يعرفان من دون شك انتشاراً كبيراً جداً[40].

وفي ما يتعلق بالتضمين، تنبغي الإحالة الآن على نظرية لويس هيلمسليف تحديداً، من أجل استخلاص معنىً **ثالث** للمفهوم، لا هو بالمنطقي (انظر ص 129 وما يليها) ولا هو باللغوي الصرف (انظر ص 132 وما يليها... إلخ.)، إنه المعنى السيميوطيقي. وبموازاة لتحليلات اللساني الدانماركي، نجد في (*Eléments de sémiologie*) لرولان بارت (1965، ص 163 وما يليها) تقديماً قيّماً للإشكال.

يدل التضمين، لدى هيلمسليف، على شكل خاص من أشكال اشتغال العلامات اللغوية. ويجعل هذا الشكل مجموع العلامات اللغوية المكوَّنة من مستوى التعبير (**دال ـ 1**) ومستوى المضمون (مدلول ـ 1)، تنهض بوظيفة تعبيرٍ في الدرجة **الثانية (دال ـ 2)**. لِنُعّد تناول مثالنا السابق، تمثل الجملة (La bagnole est esquintée) تعبيراً

(40) كل هذه السمات ليست في الحقيقة مترادفة، كما نرى، إلا أنها مُقابِلات بالنظر إلى المنظور الذي نحدده هنا. في إطار «الليبرالية الاصطلاحية» التي اخترنا العمل بها (انظر ص 212 ـ 213 من هذا الكتاب)، سنكتفي بتصفيفها من دون أن نعمد إلى تبريرات إضافية لاختيارنا. انظر أرّيفيه (1976)، إذ يحلل الكاتب «غموضاً معجمياً» (ص 98) ذا طبيعة أدبية يشاكل الذي نعمل به. بخصوص المصطلحين «سيميولوجيا» أو «سيميوطيقا»، انظر ص 284 ـ 285.

(**دال ـ 1**) يدل تعيينياً على مضمون معين (**مدلول ـ 1**) اعتبرناه، على مستوى المرجع، مرادفاً لـ (la voiture est abîmée)، وبالنسبة إلى هيلمسليف، فالمجموع تعبير (**دال ـ 1**) ومضمون (**مدلول ـ 1**) هو ما يشكل تعبيرَ مُضمِّنٍ (connotateur) (**دال ـ 2**) مضمونُهُ (**مدلول ـ 2**) «يتضمَّنُ» التلوينَ اللهجي لإهمالٍ في اللغة ووسماً سوسيولغوياً في الآن ذاته.

نلاحظ غياب تماثل بين الوحدات التعيينية للدرجة **الأولى**، والتي تشمل هنا أربع كلمات، ووحدات الدرجة **الثانية** التي تحدد لغة التضمين، وتمثل هنا مضمّناً واحداً للسوقية. يمكن القول إن اختيار (bagnole) في مقابل (voiture) واختيار (esquintée) في مقابل (abîmée) يشكّلان عُنصرَي «دالٍ متقطع» واحد (**دال ـ 2**) ذي مدلول وحيد (**مدلول ـ 2**). وبالإضافة إلى ذلك، يمكن القول إن المضمِّن المعني بالأمر هو بحجم يُجاوز في الحقيقة حدود الجملة محط اهتمامنا. من هنا، ترددنا، مرةً أخرى، في أن نوفر لهذه الجملة الترجمة «الدقيقة» في الألمانية ـ الهدف على سبيل المثال، فهناك نرى أن المنظور السيميوطيقي ينزع إلى دمج السياق (بالمعنى الضيق) لسجل يتصل بقرابة لغوية (dialinguistique) في سياقٍ (بالمعنى الواسع) لتجربة معيشةٍ... إن حجم المُضمِّن (**دال ـ 2**) يمكن أيضا أن يكون أدنى من حجم الوحدات اللغوية التعيينية (**دوال ـ 1**)، كما هو الشأن في حالة رمز كتابي يدل تضمينياً على المهجور، في (l'escholier) (التلميذ) على سبيل المثال[41].

---

(41) راجع بالخصوص أرّيفيه (Arrivé) (1973) ص 60 وفي أماكن أخرى. يقترح هذا المقال «نظرية للنصوص المتعددة المواضيع» التي يمكن أن يفيد منها علم الترجمة، ضمن الإطار السيميوطيق ـ الدلالي الذي نتبناه، مع توسيع هذه التحليلات في اتجاه الترجمة الأدبية والشعرية على وجه الخصوص.

ويظل مصطلح المضمن السيميوطيقي غير المماثل للوحدات اللغوية التعيينية ذا أهمية قصوى في المنظور الذي نتبناه، لأنه يمكِّن بالأساس من إعطاء أسس نظرية دقيقة للمفهوم التجريبي أو للتعويض(compensation) الذي يجد المترجم نفسه مضطراً باستمرار إلى استعماله في ممارسته الترجمة. لم يعد منذ ذلك الوقت «ميزان المترجم» المشهور مجرد طريقة أخرى لتبسيط «الدعامات» التي عليه دوماً تقديمها في عمله من أجل صياغة نص ـ هدف صياغةً دقيقة، نص ـ هدف يكون أبعد ما يكون عن الترجمة الحرفية ومشابهاً نوعاً ما للأصل.

إلا أننا لا نذعن مع ذلك إلى الوساطة الهرمنوطيقية الخاصة بذاتية المترجم المتضخمة، تلك التي يناط بها دوماً تأويل النص ـ المصدر. حقيقةً، تظل نظرية الترجمة أو الترجمية ممارسيّة (Handlungs-wissenschaft) تقاس أقل ما تقاس به، قبلياً، بالمقاييس الإبستيمولوجية «للعلمية» في مقابل قياسها بالنتيجة النهائية، وبهذه المنتوجات التي نسميها، بعدياً، ترجمات، أي نصوصاً ـ هدفاً. إلا أننا نجني من سيميائيات المدرسة الدانماركية الربح الأساس لأداةٍ نظرية تُمكِّن من مفهمة ممارسة الترجمة ومن تقييم الموازنات أو «التعويضات» التي لا تفتأ تقوم بها بشكل أدق.

بجلاء: حينما يتم «تضمُّن» المحتوى في النص ـ المصدر (**مدلول ـ 2**) الذي يقدره المترجم حق قدره وقيمته (... «الإضافية»)، يمكن لهذا المترجم اختيار أي مُضَمِّن ـ هدف، من دون أن يعبأ كثيراً بالصيغة التي يكون المضمِّن ـ المصدر أخذها. ويتوقف على المضمِّن الأكفى أن «ينقل» المُضمَّن ـ المصدر إلى اللغة ـ الهدف. ويمثل ـ هذا الاقتراح ما يمكن أن يخلّص المترجم من قلقه ومن نومه المغناطيسي أو انبهاره في مواجهة الدوالّ ـ

المصدر، جزئياً. في ضوء هذه المَفهَمَة (conceptualisation) النظرية، تغدو عبثية بعض المؤاخذات الموجهة إلى المترجمين صارخة، كما هو الشأن، على سبيل المثال، حينما نبدي عدم رضانا عن خرق رتبة المكوّنات، أو عن كون الوحدة التي تتضمن خطأ اصطلاحياً لمفردة ـ مصدر لم يتم حفظها في النص ـ الهدف، أو عن كون تأثيل كلمة ـ مصدر لم يتم «إدراجها»... إلى غير ذلك من الكلام الفارغ الذي يدعيه في الغالب الأعم الجهلة الحمقى!

نستحضر هنا المصطلح الوصفي المغايرة (dissimilation) الذي اقترحنا أن نقترضه من الصوتيات التوليفية (التي تصف أصوات لغة معينة) من أجل تسخيره لمَفهَمَة ممارسة المترجم البيْلغوية، من ناحية، ومَفهَمَة العلاقة التي يربطها بالدلالات المكتوبة بلغتي اشتغاله، من ناحية أخرى (انظر ص 39 و57 وفي أماكن متعددة). يتعلق الأمر بالترخيص للمترجم بل وأيضاً بتشجيعه على أن «يغاير» (أو، بصيغة أخرى، بتشجيعه على أن «يبعد الثقل جهد المستطاع»)، أي أن يبتعد عن المضمِّن ـ المصدر، من أجل اختيار مضمِّنٍ ـ هدف «لا يشابهه» على مستوى الدال إلا أنه يتضمن المدلول ذاته.

بهذه الإشارة فقط، قد يمكن أن نقيس مدى ما يمكن أن تكون عليه أهمية الإسهام الهيلمسليفي بالنسبة إلى نظرية الترجمة، ولا نفهم السرعة التي «تخلص» بها منه مونان، في هامش من ثلاثة أسطر (1963، ص 154)! إذا كان، بالنسبة إليه، «الاستعمال الشخصي» لـ هيلمسليف لمفردة التضمين يظل «دون علاقة مباشرة» بالمسائل النظرية للترجمة، فلأنه في الواقع يظل سجين التباين التقليدي بين الأسلوبية والدلالة، والذي رأينا أنه ينبغي تجاوزه في أفق نظرية للترجمة. بخلاف ذلك، يمكننا مصطلح المضمِّن الهيلمسليفي، كما نرى، من استخلاص «وحدة نظرية للترجمة» يتجاوز تطبيقها بكثير

إشكال التضمينات كما نتصورها عادةً! وتأتي العناصر الأساسية للإجابة التي يقدمها لتوسِّع دلالة التضمينات التي وضعنا خطوطها العريضة، بتقديم إطار نظري حيث يمكن أن تتموقع مختلف التحليلات التي قادتنا إلى تلك الدلالة.

يضيف هيلمسليف بعد أن عَرَّف مفهوم المُضَمِّن، كما ذكرنا بذلك بإيجاز: «إذا لسان (langage) التضمين ليس بلغة»، إنه «لسان حيث يمثل أحدُ المستويين، هو مستوى التعبير، لغةً» (1968، ص 161). ويُحلَّل التضمين بوصفه وظيفة سيميوطيقية (ص 160 وفي أماكن متعددة) يمكن القول إنها «تشغِّل» لغة طبيعية في الدرجة الثانية. أيعني هذا أننا نغادر حقل اللسانيات لننزلق في الغموض «المزعج» لما هو غير لساني، وهو الذي يستدعي نقوداً إبستيمولوجية من لدن مذهب النقائية «اللسانية» (purisme «linguistien»)؟ ليس ذلك ما يفكر فيه هيلمسليف الذي يعتقد أن «المُضمِّنات تشكل موضوعاً ينتمي إلى حقل اللسانيات» (ص 160).

تتطلب التحليلات الهيلمسليفية إعادة مَوضَعَةٍ داخل إطار أشمل للنظرية السيميوطيقية، ينبغي بالخصوص ربطها بمقاربات من المستوى ذاته على تباعدها، مقاربات من قبيل «سيميولوجيا التحريفات» (paragrammes) التي اقترحتها جوليا كريستيفا (J. Kristéva) (1978، ص 113 وما يليها) أو شعرية الترجمة لهنري ميشونيك (1973، ص 303 وما يليها). وننزلق، تدريجياً، بلا شعور خارج مجال اللسانيات، في اتجاه اللقاء المستحيل لأفق يجمِّع العلوم الإنسانية، وحول هذه النقطة، نشاطر النقود التي وجهها كل من دولا (D. Delas) وفيليوليه (J. Filliolet) (1973، ص 58 وما يليها) للمصطلح الشمولي للتضمين الذي موضعته كريستيفا. ويظل الإشكال الإبستيمولوجي للعلاقات بين السيميوطيقا واللسانيات (بالمعنى

الضيق) مطروحاً، بالرغم من تبنينا لموقف هيلمسليف الذي يدمج المنظور السيميوطيقي في اللسانيات الموسعة... وتُجاوز كل هذه الإشكالات النظرية حدود هذه الدراسة التي هي أصلاً متدفقة بإفراط، ويظل غرضها تطبيقياً بالأساس في إطار الممارسة الترجمية.

على العكس من ذلك، يهم مشكل الوحدات السيميوطيقية، من حيث حجمها، ومن حيث طبيعتها، نظرية الترجمة بطريقة مباشرة جداً. وهو المشكل الذي يطرحه ميشال أرّيفيه بخصوص الشعرية وبخصوص «السيميوطيقا النصية» (1976، ص 109 وما يليها). لقد اكتفينا بأن نقتبس عن هيلمسليف مصطلح المضمِّن، إلا أن غياب التماثل بين المضمِّنات والوحدات اللغوية يبيّن بحق أن هذه الوحدات السيميوطيقية تحتاج إلى تحديدٍ (بكل ما في الكلمة من معانٍ). المُضمّنات هي في الواقع وحدات سيميوطيقية لاشتغال نص معين لم يعد يمكن لتقطيعه أن يرتكز على تقطيع وحدات اللغة («لغة التعيين»)، لأنها تبدو وكأنها «مفصولة» عنها لتجعل الدلالة تتصرف «في **الدرجة الثانية**»، أي على مستوى مختلف، يكون في أغلب الأحيان ذا بعدٍ أعلى أو «فوق لغوي» (تضمين لهجي، على سبيل المثال)، وقد يكون أيضاً ذا بعدٍ أدنى أو «تحت لغوي» (غرافيم (graphème) المهجور (archaïsant)، على سبيل المثال).

ويظل هذا الإشكال، على مستوى النظرية السيميوطيقية، من دون حل. إنه على الأقل ما يستخلص من الجرد الذي وضعه ميشال أرّيفيه، والذي لا يسفر إلا عن إعادة نظر نقدية في الأجوبة الارتيابية الثلاثة. وعند نهاية تحليله الذي يبرز نقط ضعف الأبحاث البنيوية ذات الصلة بهذا الإشكال، يخلص الكاتب إلى أنه «في الوضع الراهن للأعمال بفرنسا، يبدو أنه ليس ثمّة إجراء، إلا في حال الاستثناء، من شأنه أن يمكِّن من كشف وحدات المستوى التضمينيّ

في شكل نسق أو بالأحرى من بنائها» (1976، ص 110 وما يليها). هذا دون أن يعتقد أن ثمّة المزيد مما يمكن انتظاره من حل «التفاضلات الدالة» (différentielles signifiantes) الذي تتحدث عنه جوليا كريستيفا والذي يمكن نعته «بالميكروسيميوطيقي»، أو من «الإجراء الاصطلاحي الاعتباطي» الذي ينهجه هنري ميشونيك، وهو يكتفي بوضع مركبات مُوَلَّدة، كما هو الشأن بالنسبة إلى «المصطلح المثير والإشكالي في الوقت ذاته، مصطلح شكل ـ معنى» (أرّيفيه، 1976، ص 111).

إلا أن للمراس مقتضياته ومتطلباته. ويكمن الحل الذي نفكر فيه في أن نَصل مشكل تقطيع الوحدات السيميوطيقية هذا بالمشكل الكلاسيكي لوحدات الترجمة (و.ت). وتوجد في الواقع بين هذين المشكلين العلاقة الجدلية ذاتها التي تربط التوتر القائم بين النظرية والتطبيق في الترجمية. وتُمَكِّن النظرية السيميوطيقية من طرح المشكل المراسي لوحدات الترجمة بمفردات مُستحدثة، وفي المقابل، تحمل ممارسة الترجمة بعض الحلول للخروج من المأزق الذي يتقوقع فيه المشكل النظري للوحدات السيميوطيقية. فعلى المستوى المراسي للتطبيقات، يمكن أن نستخلص، إذاً، الوحدة النظرية السيميوطيقية التي في ضوئها يمكن حصر وحدات الترجمة التي تم تعيينها بوصفها مُضمِّنات.

ينبغي إعادة تناول هذا السؤال (انظر ص 203 وما يليها) الذي عند صوغه سيميوطيقياً، سيتم العثور على جواب في الوقت نفسه الذي سيُقدم فيه جواب عن إشكال الترادف (انظر ص 159 و163 وما يليها). إلا أن هذا لا يمثل الكسب الوحيد الذي قد نجنيه من الإطار النظري الهيلمسليفي الذي يمكّن من دمج معظم المشاكل التي اعترضتنا سابقاً على شكل متلازمات.

لم يعد لتعريف التضمينات باعتبارها قيماً غير مميِّزة، في المنظور السيميوطيقي، معنى الرجوع إلى تفرد التضمينات (انظر ص 139 وما يليها). ويظل هذا التعريف صالحاً على مستوى اللغة بوصفه «لغة تعيين»، إلا أنه من المؤكد أيضاً أن هذه القيم تستعيد ورودها أو تصبح «حنجرية» (glottiques) على مستوى التضمين. وهو أمر صحيح بوجه خاص بالنسبة إلى المترجم الذي يجد نفسه في وضع انحراف عن المركز البيلغويّ، وهو شبيه بالوضع الذي يعرفه من يتعلم لغة أجنبية. وبالنسبة إلى هذا المتعلم، لا يكفي ضبط النسق الصواتي للغة **الثانية**، بل يجب عليه بخاصة اكتساب الجوهر الصوتي الأجنبي الذي يتولى ضمان الملء المعيش الذي يقوم بالنسبة إليه مقام موضوعية خفية للمتكلم الفطري. ويمكن تعميم هذا النموذج البسيط على الترجمية وعلى مختلف مستويات اللغة (صرف ـ تركيب ومعجم وأسلوب مميز وبلاغة. . . إلخ.) التي يعمل «الميتاتواصل» الترجمي على موضعتها وأخذها بعين الاعتبار بوصفها معطى «سوسيولغوياً» (انظر ص 144).

ولهذا الغرض، يُوسِّع التضمين السيميوطيقي أيضاً دلالة التضمينات وهو يدمج فيها «المنظور السوسيولغوي»، بصرف النظر عن السلبيات التي تشكل حدود هذا المنظور (انظر ص 150 وما يليها)، ودون تبنّي التقهقر النفسي اللغوي الفرداني. لقد تم أخذُ التمايز الوارد والمتصل بقرابة لغوية (dialinguistique) في النصوص بعين الاعتبار من لدن هيلمسليف الذي وضع له تصنيفاً يذكر بـ «القائمة السوسيولغوية» الخاصة بالسجلات التضمينية التي اقترحها بلومفيلد (هيلمسليف، 1968، ص 156 وما يليها). إلا أن المنظور السيميوطيقي الذي يتبناه اللساني الدانماركي يمكن من الاستغناء عن نمطية سكونية للمستويات السوسيولغوية، وهي نمطيّةٌ تعمل على

إعداد بنية عليا تعدد طبقاتها إلى ما لا نهاية اللهجات الجماعية الاستيهامية التي نحسبها موازية وقابلة لأن تتم الترجمة في ما بينها بطريقة مثالية، إلا أنها في الحقيقة تعاني جميعُها من نواقص مهمة. وذلك أنها تقطع كل صلة بالتحول العصري واللساني للوهم الميتافيزيقي العتيق للعوالم الغابرة. ويبقى لنظرية التضمين اليلمسليفية الفضل في طرح المشكل في ديناميته بوصفه سيرورة يمكن لكل وحدات اللغة فيها أن تستعمل في التلفّظ بخطاب يهدف إلى توضيح آثار تضمينية خاصة بنص الملفوظ المعني بالأمر، وليس بالذرات «السوسيولغوية» لـ «لغة فرعية» يصعب العثور عليها.

وهكذا، فالمعادلات السوسيولغوية للترجمة التي اقترحناها (cum grano salis) بين مختلف «أوضاع اللغة» التاريخية والاجتماعية والمحلية للغتين وصلت الترجمة بينهما (انظر ص 155 وما يليها) تظل موضوع نقاش في حد ذاتها. ومردّ ذلك إلى أن هذه المعادلات تدفع إلى الاعتقاد بوجود شبكة توافق سوسيولغوي من لغة إلى أخرى، إلا أنها يمكن أن تبرّر أيضاً في كل حالة حالة وتبعاً للمواقف، وذلك بالنظر إلى التقييم الذي يضطر المترجم إلى وضعه بخصوص السجلات المرتبطة بقرابة لغوية على أنها تضمينات سيميوطيقية داخل «اللغات ـ الثقافات» التي قد تجتمع في نص من النصوص. ويمكن أن يُفسر أيضاً ما أسميناه «التضمين الأدنى» (connotation minimale) (ص 153) بوصفه وظيفة سيميوطيقية للغة ولـ «لغاتها الفرعية» بوصفها لغات تضمين، وهذا التضمين الأدنى ملازم لكل نمط خطاب، بما فيه العلمي، مع مجمل الآثار التي يمكن استخلاصها منه.

ويمكِّن ـ الإطار النظري الذي اقترحه هيلمسليف، بخاصة، من إعطاء طابع تصوري للإحالة الدائمة على «السياق» القدوس الذي

يظل متطلباً قائماً وازناً إجبارياً بالنسبة إلى المترجم، لا يُجادل، إلا أنه، من دون سند نظري، يقوم، نوعاً ما، مقام مَخرج إرهابي يعقّده ممارس يجوز القول إنه عاجز عن التنظير لأنه يمارس «بناءً على التخمين».

إذا كانت الكلمات، كما قلنا (بعد آخرين وهم كُثر)، لا معاني لها، أي لا تسوّق معاني، بل تتوافر فيها استعمالات فحسب، فهذا يعني أن دلالةً ما لتضمينات اللغة تفضي دائماً إلى سيميوطيقا للمحتويات المُضمَّنة في الكلام بمضمِّنات يعمل حجمها الذي لا يوازي دالات اللغة، على تعديل مداليل اللغة بوضعها في سياقات. تؤدي السيميوطيقا إذاً دور الحكم في الجدل الفلسفي القديم لمعرفة ما إذا كانت الجملة تتكون من كلمات أم إن الكلمات هي مستخلصات الجملة: الكلمة أم الجملة؟ الدجاجة أم البيضة؟ الكلمة الحقيقية هي جملة منظمة والكلمة وحدها بلا زيادة هي كلمة مثالية أو افتراضية، كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغة التي تُرَدُّ إليها. فحتى الكلمة الواردة في القاموس تتخذ الوظيفة السيميوطيقية لمدخلٍ معجمي، وهو ما يدل تضمينياً على سياق كامل. إننا من دون شك نفكر في أغلب الأحيان في الكلمة المستقاة من القاموس، وننسى القاموس الذي تتحيز فيه، في حين يفكر المترجم في الكلمة داخل «سياقاتها»، موثقةً بهذه السياقات ضمن جذاذة عمل. وإجمالاً، ثمّة تفاعل وطيد بين السيميوطيقا والدلالة.

لكن قبل توضيح الترابط القائم بينهما، وقبل العودة إلى مشكل وحدات الترجمة (و.ت.)، لنشر إلى أن المنظور السيميوطيقي يمكِّن من إحالة أحد معنيَيْ كلمة «سياق» (contexte) على الآخر، أي ذينك المعنيين اللذين انطلقنا منهما. ويمثل التضمين الهيلمسليفي أساساً نظرياً للمصطلحين الضروريين بالنسبة إلى الترجمية: وهما

مصطلح اللغة الموسعة ومصطلح اللغة ـ الثقافة (انظر ص 178 وما يليها وفي أماكن متعددة). ثمّة اقتحام للمجال الثقافي لِلُغة التي تُوسع الرسالة إلى أفق ثقافة كاملة وقصة كاملة، كما يشير إلى ذلك بارت (1965، ص 167). إلا أن هذا السياق المرجعي (بالمعنى الموسَّع أو «الفرنجليزي») يمر عبر السياق الخطابي أو النصي (بالمعنى «الفرنسي»، الضيق جداً)، لأنه ليس ثمّة من واقع إلا ذلك المتجلي في المظهر والمتمثَّل داخل ثقافة معينة، إلا أن عالم المداليل الثقافية «ما هو إلا عالم اللغة» (المصدر نفسه، ص 80). وهكذا، فنظرية الترجمة تمثل سيميو ـ لوجيا أو لسانيات عَبْرية (translinguistique)، تقابلية تطبّق على «لغتين ـ ثقافتين»، يوجهها الغرض المراسي لإعداد منتوج هو النص ـ الهدف. إن التضمين السيميوطيقي هو الذي يربط السوسيولسانيات (بالمعنى الواسع) بالدلالة، مانحاً بذلك للتعبير عن «القيم السوسيو ـ سياقية» كل معناه، هذه القيم التي يستند إليها غيرو (1964، ص 40 و124 وفي أماكن متعددة) للتعبير عن التضمينات الدلالية.

4.5. نوعان من التضمينات للترجمة

نصادف إذاً، كما نرى، في ما يخص مشكل «الترجمة والتضمين»، التقابل الأساس، القائم بين الدلالة والسيميوطيقا، والذي يشير ميشال أرّيفيه (1976، ص 108) إلى أنه يندرج ضمن المنطق البنيوي، معيداً بذلك تناول الثنائية التي وضعها سوسّور بين الدال والمدلول ـ أو تلك التي وضعها هيلمسليف بين التعبير والمحتوى ـ لكي يجعلها تشتغل على مستويين.

ومن منظوره دائماً، منظور شعريةٍ في طور الإنجاز، يذكّرنا الكاتب أيضاً بأن ثمّة ـ ولا شك ـ إمكاناً لمَوضَعَة التقابل

الهيلمسليفي بين الشكل والجوهر (أرّيفيه، 1976، ص 110). في الواقع، تظل هذه النقطة أساسية بالنسبة إلى نظرية الترجمة، كما ذهب إلى ذلك مونان (1963، ص 35 وما يليها). وهنا نلتقي بالبعد الهرمنوطيقي الذي يلازم كل ترجمة، والذي تمكن النظرية السيميوطيقية من منحه طابعاً تصورياً يفوق من حيث الدقة ما قام به «فقهاء اللغة» والأدبيون. تستحق هذه القضية التي سيتم تناولها لاحقاً (ص 231 وما يليها)، دراسة أعمق.

ولما طرحت قضية التضمينات، كان المشكل الحقيقي هو تعريفها. وبذلك فالتضمينات تمكِّن من مَفهَمَة ممارسة الترجمة، وفي ذلك يكمن الربح الوحيد الذي يمكن انتظاره من نظرية الترجمة. تتوقف الوحدة النظرية الأساسية من أجل (pour) الترجمة، والتي تؤدي إليها هذه الدراسة، على الاقتراح الاصطلاحي الذي يميز بين تصورَين للتضمين: «تضمين دلالي» و«تضمين سيميوطيقي»[42]، وهما تصوّران يتعيّن ربط أحدهما بالآخر، ومن كليهما يتشكّل زوج يقوم على علاقة تقابل تبادلي.

وبما أنه قد أضحى من الثابت أن التضمينات لا تؤدي إلى لسانيات نفسية خاصة بالفرد (انظر ص 179 وما يليها)، فالظاهر أنها

(42) إلى حد الآن، استعملنا تقريباً بلا تمييز السمتين «سيميولوجيا» و«سيميوطيقا». لا نعني بهذا أننا نود الخوض هنا «في النقاش الشائك الذي يقابل المنتصرين» لهذه السمة بالمنتصرين لتلك، متأسين في ذلك بالمثال الحكيم لميشال أرّيفيه (1976)، ص 100، وآخذين بعين الاعتبار ارتيابنا من الضمانات الخاطئة للمصطلحات، انظر ص 212 ـ 213 من هذا الكتاب. وإذا اعتمدنا الذوق والثقافة، كنا آثرنا مصطلح سيميولوجيا الذي نجده حاضراً عند سوسّور، على مصطلح سيميوطيقا الذي هو أكثر عصرانية وذو طابع «أنجلوساكسوني». فإذا كان اختيارنا في الأخير قد سار في الاتجاه الآخر، فذلك لأسباب أسلوبية صرف، بغرض حصر التقابل بين التضمينين الدلالي والسيميوطيقي، هذا التقابل الذي يعكسه لعب بلاغي هو الجناس (sémantique/ sémiotique).

تحيل على مستويين اثنين مختلفين. ثمّة من **جهة**: المستوى المزدوج فوق الفرديّ لدلالة ترتبط بقرابة لغوية (أو دلالة «سوسيولغوية») للغة ولـ «دلالة عامة»، بيلغويّة، لما أسميناه لغة موسعة سوسيوثقافية. وثمّة من جهة ثانية: المستوى تحت الفرديّ لسيميوطيقا تحلِّل «الاشتغال المزدوج للعلامة اللغوية داخل النص»[43].

إن خطأ مونان، والذي يتقاسمه معه مجموعة من اللسانيين، يكمن في كونه يُرجع التضمينات إلى الغموض الأسلوبي وإلى اللعب المشكالي (kaléidoscopique) للتغييرات الفردية المعَدَّلة بالسلوك الخاص السيري لكل متكلم. وهذا يعني، على المستوى النظري، الانغلاق داخل إشكالية «الاعتراض الاستباقي» (انظر ص 138) وجعل التواصل الترجمي مستحيلاً (ص 141 وما يليها). وأمّا على مستوى الممارسة فيعني الالتزام بالبقاء في الحدس التقريبي لفينومنولوجيا أسلوبية، كما مارسه كل المترجمين على مر الزمن. إلا أننا نمتنع عن أن نمدها بالدعم النظري المرتبط بالمَفهَمَة.

وأمام استحالة تقديم تعريف واضح للأسلوبية في علاقتها بالدلالة (ص 126 وما يليها) ـ وهذه نقطة يجمع عليها الآن معظم المؤلفين[44] ـ دافعنا عن دلالة التضمينات التي نروم ترجمتها (ص 172 وما يليها)، مع وجوب الاعتراف بأن التضمينات التي تم تعريفها بهذا الشكل تنزع إلى الضياع والانصهار في مداليل اللغة وبأن الدلالة

---

(43) غاري بريّور (1971)، ص 106. في هذا الباب، ليس من المهم في اعتبارنا (انظر ص 246 و263 من هذا الكتاب) معرفة ما إذا تقرر إعطاء إعادة المفهمة هذه (reconceptualisation) لبوس دال اصطلاحي أكثر عصرنة من قبيل مفهوم «القدرة» التشومسكي.

(44) قد نكتفي بذكر غاري بريّور (1971، ص 107) ومونان نفسه (1963، ص 166)، بالنسبة إلى أرّيفيه، «من الأفضل التخلي بكل بساطة» عن مفهوم الأسلوبية نفسه، ولعل الدينامية الإشهارية الخاصة بالمفهوم هي التي جعلت غيرو يقتبس استشهاداته منتقلاً من كتابه *Stylistique* (1963، ص 62) إلى كتابه *Sémantique* (1964، ص 32 و124).

تستدعي توسيع السيميوطيقا. ولكن ألا يؤدّي الحل المقترح إلى ذوبان مزدوج للتضمينات؟ ذوبان في الوحدات التأليفية على مستوى المدلول وذوبان في اشتغال النصوص في الوقت نفسه. قد تصبح الثنائية التصورية المقترحة سلبية وقد تتلاشى في إطار فقدان مزدوج للطابع التصوري للتضمينات.

وفي هذا الاتجاه تسير خلاصة غاري بريّور على سبيل المثال. وسَتُقاضي(*) التضمين السيميوطيقي وما تصطلح عليه (وهو اقتراح تبنيناه) بـ «التضمينات الدلالية» (1971، ص 106) أمام المحكمة الإبستيمولوجية نفسها التي لا تفتقر إلى مقاصد خلفية أيديولوجية، قبل أن يتم التخلي عنها لمزابل تاريخ العلوم اللسانية والسيميولوجية. وينحصر معنى التضمينات في كونها «مرحلة» انتقالية. وتبعاً للمؤلفة، فإن اللجوء إلى «المفهوم لم يعد مبرراً» (ص 107).

أما في ما يتعلق بالتضمينات الدلالية، فقد رأينا أنه (انظر ص 184 وما يليها)، بالنظر إلى نظريّة الترجمة من منظور ممارسيّ، يمكن إعادة الاعتبار إلى هذه التضمينات الدلالية وتبرير اللجوء إليها من وجهة نظر ممارسة الترجمة وليس بمقتضى المقاييس الإبستيمولوجية للعلم اللساني. وقد لا يكون من السهل على المترجم الاستغناء عن هذا الضرب من التضمينات التي هي ليست سوى

(*) في النص الفرنسي ورد الضمير العائد إلى الباحثة غاري بريّور في صيغة الجمع (elles) مما قد يتسبب في لبس إحالي يمكن أن يؤدي إلى تأويل النص تأويلاً خاطئاً، إلا أن الكاتب أكد لنا أن الضمير يعود بالفعل إلى الباحثة وأنه ينبغي أن يرد مفرداً (elle). وإليكم المقتطف ـ المصدر (ص 198): «C'est dans ce sens que va la conclusion de M.-N. Gary-Prieur, par exemple. Aussi bien la connotation sémiotique que ce qu'elle appelle aussi, comme nous en faisons nous-même la proposition terminologique, les «connotations sémantiques» (1971, p. 106) sont traduites par *elles* devant le tribunal épistémologique...».

التضمينات «الأدبية» التي نعرفها غاية المعرفة ونراها مستعملة بشكل عام في اللغة المتداولة. ينبغي فقط تمثلها من دون أن يغيب عن الذهن أنه بالإمكان إعادة إدماجها بكل دقة في المداليل اللسانية.

إنها «لحظات دلالية» لا تتميز من غيرها إلا من منظور ما أسميناه علم النفس الاستعادي للمترجم، وهو علم مخصوص للاستعمال الداخلي، يعتمد التجربة عبر «ترابط الأفكار». ويتعلق الأمر بجعل مظهر من مظاهر المعنى ـ المصدر واعياً بشكل جليّ فقط، إنها «لحظة دلالية» حاضرة في النص الذي نروم ترجمته، تلك اللحظة التي قد يكون المقابل ـ الهدف الذي نفكر فيه قد أهملها. ليست هذه التضمينات إذًا «قيماً إضافية» أو ترابطية، أو قيماً تكميلية، وإذا شئنا القول، فإن «غير مترابطة أو متفرقة» تعني أنها بقايا تحليل للإدراك النفسي ـ الترابطي للمدلول، أي إنها حوادث عارضة متلاشية لممارسة الترجمة ولمنهج الترجمية.

ما التضمينات الدلالية إذاً إلا مظاهر ذاتية للمداليل، من وجهة نظر المترجم. إلا أن هذه الذاتية ليست تملكاً يعمل على تفريد التضمينات، على مستوى قدرة كل متكلم، في الوعي اللغوي التلقائي للمؤلف ـ المصدر وللقراء ـ الهدف (انظر ص 136 وما يليها). إن ما يبرز مع التجربة اليومية للمترجم، في عمله «الترقيعي» على النصوص هو تفرد ميتالغوي للتضمينات وليس تفرداً أسلوبياً. ومن ثم ليس من المفاجئ أن تكون تضمينات المترجم هي نفسها تضمينات الأدبيين الذين ينجزون لغة خطابية «واصفة» لبدائع اللغة هاته التي تمثِّلها الأعمال الأدبية.

قد تكون التضمينات «العاطفية»، هي التي تحيل على موضوع التلفظ المجاوز للفرد (trans-individuel) باعتباره استراتيجية للتواصل (انظر ص 141 وما يليها). وقد تكون التضمينات «الأيديولوجية» هي

التي تربط الوحدة اللغوية المعنية بالأمر بالمحيط السياقي أو الخطابي الضمني الذي تعبر عنه بمصطلحات موجزة (citations ponctuelles)[45]. وقد تكون التضمينات «المقامية» هي التي توضح بوعي أكبر السياق غير اللغوي (أو التداولي) للأشياء وللسلوكات التي يحيل عليها النص[46]... إلخ.

وهنا يبرز دور التضمين السيميوطيقي الذي يمكن أن يوفر إطاراً نظرياً موحداً. يتم ذلك بشرطَين: **أوّلهما** عدم التمسّك بهذا المفهوم التجريبي للتضمينات الدلالية بالنظر إلى الأهمية اللازمة التي يحظى بها على مستوى المراس، و**ثاني** الشرطَين إمكان الإقرار بأنه لا يبرز في الخطاب العلمي للسانيات بل في الخطاب التعليميّ، أي في خطاب «بيداغوجي ـ ذاتي» يرتبط بممارسة المترجم. ويتعلق الأمر في الواقع بمفهمة هذه الممارسة أو الاكتفاء بالتعبير عنها شفاهياً، ولو من أجل مساعدة المترجم على الخروج من أوضاع الحصر النفسي التي نعرفها جيداً... فصعوبات الترجمة التي نصادفها هي في الواقع مشاكل تهم ممارسة هذه الترجمة، بمعنى أن كل المشاكل (كما نقول) تطرح في الوقت نفسه وبمعنى أنه يتعين الاستجابة إلى متطلّبات متضاربة بشكل نزوعي.

لم يعد التضمين السيميوطيقي، عند إغنائه بهذه «المعاني

---

(45) هكذا يشتغل (le Fremdwort) في الألمانية في الغالب، انظر بلومفيلد (1970)، ص 146 وما يليها، انظر أيضاً الاقتراضات الدَخْلُغَوِّية (intra-linguistiques) للغة العلمية داخل اللغة المتداولة... إلخ. (انظر ص 229 وما يليها من هذا الكتاب).

(46) يمكن أن نتحدث في هذا الصدد عن دلالات مواكبة (con-notations) (انظر ص 262)، بمعنى لا يختلف كثيراً عن المعنى الذي يسوقه اللفظ ضمن التقليد القروسطي والمعنى الذي يمنحه إياه بوهلر. ويعتبر المثال (Je vais chercher du pain chez le boulanger) الذي استحضرناه ونحن نناقش تحليلات ليونز (انظر ص 245 من هذا الكتاب) توضيحاً لذلك.

الإضافية» (غاري بريّور، 1974، ص 102) التي تمثلها التضمينات الدلالية، يطرح مشكلاً على المستوى التطبيقي ولا على المستوى النظري من المنظور الترجمي (traductologique) الذي هو منظورنا هنا. لذا نقتصر هنا أيضاً على العودة إلى نظرية هيلمسليف. فهي في الحقيقة لا تتموضع في مستوى التضمينات الدلالية نفسه: ولذلك يمكن أن نتحدث عن «ميتاتضمين»، فنشير في الوقت ذاته إلى أن هذه النظرية تُحَلِّل سيرورة الاشتغال السيميوطيقي الشاملة لنص بعينه وأنها تمثل توسيعاً لدلالة التضمينات، وهي قادرة على أن تضمن لهذه التضمينات وضعاً نظرياً شاملاً.

وإجمالاً، «فتضميننا السيميوطيقي» إذاً هو بالأساس التضمين اليلمسليفي (انظر ص 185 وما يليها)، في حين أن «تضميناتنا الدلالية» ليست تضمينات اللسانيات البلومفيلدية (انظر ص 132 وما يليها). وهي لا تحيل بطبيعة الحال على التضمين المنطقي الذي يمكن إبعاده عن حديثنا، مع أن هذا الضرب من التضمين ينزع إلى أن يمتزج بالمدلول اللغوي (انظر ص 130) الذي لا تمثل تضميناته الدلالية سوى «لحظات». . .

ربما يلاحظ أننا تحدثنا عن التضمين السيميوطيقي بصيغة المفرد وعن التضمينات الدلالية بصيغة الجمع. ونحن نقتبس من غاري بريّور (1971c ص 106 وفي أماكن متعددة) هذه الحيلة البارعة التي تشكل صورة على مستوى الكتابة (Schriftbild) وتُسَهِّل أيضاً تسهيلاً جيداً الاستعمال الشفوي لهذين المصطلحين المقترنيْن المتجانسين لفظياً تقريباً، في إطار التعبير الشفهي المنهجي الذي يمنح طابعاً تصورياً لصعوبات الترجمة. إلا أن هذا الإجراء يظل حيلة فقط. وكلنا يتذكر بأن حتمية السياق تتصرّف بحيث إن تضميناً دلالياً افتراضياً واحداً للكلمة نفسها (في صيغة المفرد) يوافق تضميناتٍ سيميوطيقية متعددة

(في صيغة الجمع). وذلك تبعاً للنص الحقيقي الذي تمّ دمج التضمين فيه (انظر ص . .167.إلخ).

يغذي الغموضُ النفسي الذي نضطر إلى التشبث به في ما يخص التضمينات الدلالية الاعتقادَ بأنه، على مستوى الواقع، يظل من الصعب أن نعيّن، بدقة، الحد الفاصل بين الضربين من التضمينات. ومن هنا، وكما استشففنا ذلك بالنسبة إلى الاستحضارات السياقية لبعض التضمينات الدلالية، يشكل هذا النوع من التضمينات والتضمينات السيميوطيقية مجموعة متصلة لم تتح لنا إمكانية تحديد قطبَيها الأقصيَين تصورياً إلا على مستوى التحليل النظري.

إن الحركة المزدوجة، المشار إليها آنفاً، والتي تعود للتشغيل والخرق وتمتد من اللغة إلى الكلام، تَستخدم بين الضربين من التضمينات جدليةً كاملة للزمنية في اللسان حيث لا يغوص تاريخ اللغات (histoire) فقط بل تاريخ الناس والعالم (Histoire). ومهما كانت الرغبة المتشنّجة قليلة الفاعليّة في توقيف الحركة ووضع حدود لها يمكن أن تمليها علينا مزاعمنا الإبستيمولوجية، ومهما تكن الجاذبية أو السحر الذي يمارسه حُسن الثابت الذي يتغذى على الذوق الجمالي لما تجعَلنا ثقافتنا الأدبية نعتقد أنه اللغة الجيدة، ومهما تكن إغراءات الراحة التي إليها تقودنا غريزة الموت، فثمّة جوهرياً ما يكفي في اللغة من لعب لكي يُفْرَد مكان في فجواتها منه يمكن أن يتسلل الجديد.

وهكذا، يعترف مونان للشعراء، في ميدان الأدب، بالموهبة الأسلوبية «لتنمية اللغة». وذلك قبل أن يسفر انفجار انحرافهم الإبداعي عن إسقاطات تتّخذ استعادتُها شكل كليشيهات ووصفات «تعيد نسخ الانزياح وتخلص إلى دمجه في المعيار الذي يُجدِّده الشعراء» (انظر مونان، 1671، ص 184)، وهو ما يمكن أن يذهب

إلى حد أخذ الطابع «الأكاديمي» الذي عرَّفه غرانجر (G. G. Granger) (1968، ص 192) على أنه انزلاق من شفرة (أسلوبية) إلى شفرة (لغوية). وبموازاة ذلك، يدل التضمين السيميوطيقي والتضمينات الدلالية في اللغة على قطبي عملية «تدليل» أي «تحول إلى دلالة» (sémantisation).

وبإيجاز: يستبق التضمين السيميوطيقي في النصوص التحولات الدلالية الاستهلالية القادمة، والتي، مع ذلك، قد لا تتحقق لأنها ليست بالضرورة مصادقاً عليها بالاستعمال، وتمثل التضمينات الدلالية «ترسباتها[47]» المحتملة في اللغة، والتي ينبغي ترجمتها بوصفها لحظات تشكل جزءاً لا يتجزأ من المداليل اللغوية. ويعكس التضمين السيميوطيقي (in statu nascendi) والتضمينات الدلالية ad speciem على محور التطورية الهارب. وسنُلخِّص ما سبق بتبيان الأمور مستعينين بترسيمة (انظر ص 248).

5.5. نحو سيميوطيقا لوحدات الترجمة

نعتقد أن مصطلح المضمِّن (connotateur) يستحق أن يظهر على رأس ما نسميه بـ «الوحدات النظرية من أجل الترجمة»، ونعني بذلك جملة المكتسبات النظرية التي يمكن استخلاصها من حقول معرفية كاللسانيات لمَفهَمَة ممارسة الترجمة. وقد بدا أنّ لتعريف المضمِّن تبعاً للسيميوطيقا الهيلمسليفية وتكييفه وفق ميدان الترجمة مجال تطبيق يتجاوز بشكل كبير مشكل التضمينات كما نتصورها عادةً. فهو، على سبيل المثال لا الحصر، يمكن أن يضمن توفير

(47) انظر ص 230 ـ 231 و234 من هذا الكتاب. وبخصوص أبعاد التغيّرات الدلاليّة، أي البعد التضميني والاستعاري والبلاغي عموماً، انظر بالخصوص بلومفيلد (1970)، ص 417 وما يليها وغيرو (1964)، ص 39 وما يليها وفي أماكن متعددة.

معنى أكثر دقّة يراهن على التطبيق حسب الفكرة القديمة الغامضة العصيّة على التعيين إلى الآن، والتي تقول بإمكان تحديد «وحدات الترجمة». وطموح مؤلفي الكتب المدرسية أو مناهج الترجمة يكمن في الواقع في الوصول إلى تعريف هذه الوحدات الدنيا التي تمكّن بعض التمكين من تجاوز التجريبية الحدسية السائدة في ميدان ممارسة الترجمة.

وهذا ما قام به مؤلفا أحد أجود ما يمكن أن ينجز في هذا الباب: جان بول فيناي وجان داربلنيه في كتابهما (*Stylistique comparée du français et de l'anglais*). وقد تمّ، في هذا المؤلَّف، تحديد وحدة الترجمة (و. ت.) بوصفها «أصغر جزء من الملفوظ ويفرض اتساق علاماته وجوب عدم ترجمة هذه العلامات منفصلة» (فيناي وداربلنيه، 1968، ص 16 وفي أماكن متعددة)، وهو تحديد أشبه ما يكون بالذي صاغه مالبلان (1966، ص 13 وما يليها). وبعيداً عن التحليلات الخاصة بهذين المؤلِّفين، يُطرح مشكل عام وبه يتعلق الأمر هنا.

بطبيعة الحال، يُقصي فيناي وداربلنيه على الفور فكرة أن الكلمة يمكنها أن تشكل الوحدة الأساس المبحوث عنها (1968، ص 36 وما يليها). إنه في الواقع من باب الاستثناء أن تقلص الترجمة إلى مجرد ترجمة حرفية أي «كلمة ـ بكلمة» (انظر ص 48)، والكلمة تتجاوز ضرورة السياق التتابعي حيث تتموقع، بعيداً عن البياضين اللذين يحدانها و«يحددانها». ومن ثم، يطرح المشكل الخاصّ بمعرفة الحجم الذي ترد عليه وحدات الترجمة. فإذا لم نترجم كلمات، أنترجم جملاً؟ أم نقتصر على أجزاء من الجملة، أم نترجم مجموعات من الكلمات أم نترجم مركبات؟ أم أنه ينبغي التفكير في وحدات دنيا أصغر من الكلمات ذاتها؟ أم، على العكس من ذلك،

علينا أن نجعل من خطاب أُخِذ في مجمله (كتاب، مسرحية... إلخ). وحدةً كبرى للترجمة؟

من المؤكد أن أسلوب «الكلمة بالكلمة» ضرب من السذاجة وعمل أخرق يزاوله مبتدئ يفتقد المهارة، عمل يجدر التخلص منه على وجه السرعة. ونحن نميل في الواقع، أثناء الممارسة العادية، إلى مباشرة «الجملة بالجملة»، وذلك، إذا شئنا القول، بهدف تحقيق غرض نهائي يكمن في بلوغ ما يمكن تسميته «العمل بالعمل»، مع إمكان الوقوف هنا وهناك من أجل وضع جرد دلالي عميق لكلمة أو لتعبير مستعص على الترجمة[48].

لكن إذا كانت وحدات الترجمة هاته قادرة على التموضع تنافسياً في مستويات عديدة، أفلا يعني هذا القول وجوب التخلي عن هذا المصطلح الموغل في الإبهام؟ المشكل الذي طرح بهذه الصيغة يبدو في الواقع مفتقراً إلى كل حل، مادام الغموض لا يزال يكتنفه.

بالعودة إلى الكلمة، تبقى العقبة الأساسية التي تعترض فيناي وداربلنيه لوضع وحدة الترجمة في مستواها، «أخذ الدال مكاناً مبالغاً فيه بالنظر إلى المدلول» (ص 37). ويتمّ هذا، في آخر الأمر على مستوى الكلمة، إلا أن المؤلفَين يلحان على هذا الأمر: «المترجم... ينطلق من المعنى» (المصدر نفسه)، يترجم أفكاراً وليس كلمات (انظر ص 220). ستصبح إذاً وحدات الترجمة (و.ت.) «وحدات دلالية» ويقترح المُؤلِّفان المعادلة الترادفية: «وحدة فكرية» = «وحدة معجمية» = «وحدة ترجمة». إلا أنه بالرغم من إنكارهما

(48) وبعيداً عن هذا «العمل بالعمل» (œuvre-à-œuvre)، نتجاوز حدود الترجمة لنبلغ ما لا يمكن تحقيقه، أي الانتقال من «لغة ـ ثقافة إلى لغة ـ ثقافة أخرى» (!)، انظر ص 331 وما يليها من هذا الكتاب.

ومن رغبتهما الصريحة في إعادة تعديل الأمور لصالح المدلول، يقترحان تقطيعاً لـ و. ت. موقعه بدءاً على مستوى «الدال»، طالما أن هذه الوحدات تمثل ناتج تقطيع تم على المحور الخطي للسلسلة الكلامية (أو المكتوبة). ومن شأن هذا المرور عبر «تتابعية» أو ـ توزيع مقطعيّ للدالّ (séquentialisation) أن يجعل التعريف المقترح ل و. ت. (التعريف هنا بالمعنى التأثيلي للكلمة) حبيس هذه التتابعية على الدوام؟

ويحظى في هذا الباب ما يصطلح عليه بالعَجْمات أو «التعابير المسكوكة» (lexies) مكانة مميزة بل ومركزية، وهذه العجمات هي مركبات جموع على مستوى الدال إلا أنها تطابق، في الواقع، مدلولاً واحداً كما تؤكد ذلك إمكانية ترجمتها غالباً بكلمة ـ هدف واحدة[49]. يقترح فيناي وداربلنيه تصنيفات مختلفة تذهب كلها في الاتجاه نفسه. من «مجموعات مُوَحدة» أو «تعابير شاذة» (idiotismes) إلى «زُمَر متآلفة» وغيرها من التعابير (locutions)، يكمن الاختلاف الوحيد في «درجة اتساق العناصر الموجودة» (ص 39). في أماكن أخرى، يتعلق الأمر بكليشيهات وباستشهادات (ص 252 وما يليها)... إلخ.: إنه دائماً المنظور نفسه، المنظور الذي ينزع إلى تبني طرح تحجر أو مَعْجَمة (lexicalisation) مشاكل الترجمة. أضف إلى ذلك أنه عندما يتم إبعاد الحالة المحدودة المبسطة الخاصة جداً لـ «الوحدات الوظيفية»، تظهر الأمثلة المعطاة لـ «الوحدات الدلالية»، و«الوحدات الجدلية» و«الوحدات التطريزية» (ص 37 وما يليها) وكأننا بصدد «كلمات جموع»، أي مركبات تشتغل مداخل معجمية بصيغة المفرد.

---

(49) يشكل، في نظرنا، التكافؤُ الذي يمكِّن من تفسير مركب بمفردة معجمية مفردة المقياسَ التطبيقي الذي سيقدم أحسن تعريف لعجمة معينة، سواء تم إثبات هذا التكافؤ بإمكانية تفسير ترادفي دخلغوي أو بيْلغوي، أي بإمكانية ترجمة معينة.

وفي ما يخص «الوحدات البسيطة»، أو «المخففة» أو «التجزيئية» (ص 38 وما يليها)، فهي توافق بالتوالي الكلمة نفسها، أو التعبير المسكوك أو قسماً من كلمة (سابقة أو لاحقة أو وحدة نحوية)، إنّ توزّع الدوالّ مقطعيّاً في السلسلة الكلامية إذاً هو الذي يحكم صوغ المدلول في شكل «وحدات للترجمة» كما يحددها فيناي وداربلنيه.

لقد أصاب هذان المؤلفان في دفاعهما عن «دلالة للترجمة» ـ وهو أيضاً الموقف الذي تبنيناه نحن أيضاً (انظر ص 172 وما يليها) ـ إلا أن خطأهما يكمن في كونهما يماثلان «الدلالي» بالمعجمي. فإذا وافقناهما الرأي، فإن دور منهجية الترجمة سينحصر ببساطة في تهذيب مفهوم «القاموس الثنائي اللغة» وتخفيفه، لأنه سيصبح كافياً أن تدمج فيه مجموع ما أسميناه «كلمات جموع». وهكذا فـ «وحدات الترجمة» بتعبير فيناي وداربلنيه هي بالفعل «وحدات معجمية»، لكنها لا تشكل «وحدات فكرية» إلا بمعنى أن الفكرة تستطيع بشكل من الأشكال استعمال هذه الوحدات (إضافة ذاتية، إذا شئنا)، وليس بمعنى أن هذه الوحدات قد تصبح إجمالاً من نصيب الفكرة، تشكّلها عند تقطيعها (إضافة موضوعية).

ويبدو، بشكل أعمق، أنه يدخل في حكم المُتَجاهل أو على الأقل المنسي ما تمثله في أعيننا الوحدات النظرية الأساسية للترجمية، تلك التي نسميها «الكوديتيه الترجمية»(*) (la quodité

(*) كوديتيه (quoditas): استقاها لادميرال من الفلسفة القروسطية، لم نتوفق في أن ننحت لها مقابلاً في العربية فآثرنا نسخها كما فعل هو في اللغة الفرنسية. وتشمل **أ)** «الكوديتيه الاصطلاحية» (quodité terminologique): أقول إن (quod = que)، أقرر بصفتي مترجماً أن مفردة معيّنة تدخل في عداد المصطلحات أو أنها غير ذلك، وفي هذه الحالة يكون المترجم مضطراً لقبول الزيادات أو بعض درجات التبدد أي أن يلعب لعبة المغايرة (dissimilation)، **ب)** «الكوديتيه الترجمية» (quodité traductive): أقرر ترجمة عبارة معيّنة أو =

(traductive) (انظر ص 224)، أي التمييز بين أفعال الكلام ومعطيات اللغة، وهو تمييز يتم، مرة أخرى، بالرغم من بعض الصياغات الشافية نظرياً (فيناي وداربلنيه، 1968، ص 42 وفي أماكن متعددة). لنذكر: لا نترجم علامات بواسطة علامات ولا وحدات من اللغة بواسطة وحدات من اللغة، بل نترجم بالأحرى وحدات من الكلام أو وحدات من خطاب (انظر غاك، في راي ـ دوبُوف، 1970، ص 105 وما يليها) بواسطة وحدات من الكلام أو من الخطاب، أي نترجم رسائل بواسطة رسائل، كما يقول مثلاً بكل بساطة جاكوبسون (1963، ص 80).

صحيح أن الـ و. ت. هي بالفعل «وحدات دلالية» (sémantèmes)، ولكن ليس بالمعنى القديم الذي يجعل منها مجرد مرادفات لـ «المفردات المعجمية» (lexèmes) بالمعنى الذي يعطيه إياها مارتينيه. ومن المناسب ألا يظل الأمر محصوراً على المستوى «المعجمي ـ الدلالي»، فالترجمة تُجابَه وتُمحصُ دوماً باستخدام مداليل اللغة داخل تحديدات سياقية دلالية ـ سيميوطيقية ينجزها نص كلام وتنجزه بدورها. يذكرنا هذا بالتمايز الذي يضعه بخاصة كوزريو (E. Coseriu) بين المعنى (Sinn) والدلالة (Bedeutung) أو، كما نقول عادة، بين المعنى و«أثر المعنى»، بين معنى كلمة واستعمالاتها.

= تركها من دون ترجمة وذلك تبعاً لعاملين. يهم **العامل الأول** الثنائية السوسيرية «اللغة والكلام»، فإذا تعلق الأمر بـ «الكلام» ينبغي «نقل المعلومة» كما يقول لادميرال، وإذا تعلق بمعطيات اللغة نكتفي بتشغيل المصادر التي توفرها اللغة ـ الهدف للاستجابة إلى متطلبات الكتابة التي يقتضيها تحرير نص ـ هدف جيد. ويهم **العامل الثاني** «تراتبية الوسائط». على سبيل المثال يحظى وسيط «المضمون النظري» بالأولوية في الترجمة مقارنة بوسيط «اللعب بالألفاظ» الذي يبدو ثانوياً ومن ثم يمكن الاستغناء عن ترجمته (انظر الهامش 18 من هذا الفصل: (emprunt, emprunté, empreinté, empreinte)).

هنا أيضاً، لم يضف فيناي وداربلنيه شيئاً عندما عرَّفا كلمتي المدلول والدلالة (ص. 14)، لكنهما حينما وضعا هذا التمايز الأساسي في ثبت المصطلحات الذي تصدَّر كتابهما، أخفقا في استخلاص ما ينبغي استخلاصه من نتائج على مستوى تحديد وحدات الترجمة.

وللمنظور المعجماني (lexicaliste) الذي يتبناه المؤلفان علاقة بتقاطبهما حول التقطيع التراكبي للدال. ينبغي «إسقاط التتابعية» عن تقطيع وحدات الترجمة، أي تحريره من الدال، لكن لا يكفي فقط تعويض العلاقة التراكبية لدالات الكلام بعلاقة استبدالية لمداليل اللغة. ويمكن، نظرياً، أن يتم ذلك باتخاذ مقابل خاصية كلية ولازمنية تُسنِدُ الدلالة إلى مقولات استعلائية قبلياً. وإجمالاً، فإن «الوهم الاصطلاحي» الذي يماثل الترجمة بعملية مناطة صرف، يصدر عن فرضية يتعذر الدفاع عنها (انظر ص 222 وما يليها وفي أماكن متعددة). وعلى مستوى التطبيق، يؤدّي تسطيح (Verflachung) الاشتغال الدلاليّ هذا إلى تقدير مفرط لتركيب الجمل أو للأسلوب المُمَيِّز (phraséologie) عند تلقين الترجمة على سبيل المثال[50].

إذا وجِدت و. ت. «تجزيئية» (J. P. Vinay et J. Darbelnet, 1968, pp. 38 sq.)، فإنه يكون من باب الاستثناء العثور عليها بتقطيع الكلمة (سابقة، لاحقة... إلخ). ويكون، عكس ذلك، من المفيد في بعض الحالات الصعبة القيامُ بتحليل الوحدات إلى سمات دلالية.

(50) ثمة نزوع مؤسس تداولياً يظهر كلما تعلق الأمر بتكوين هؤلاء الذين سيمثلون «مرتزقة» (موسكوفيتز) الترجمة، بمعنى أننا نسرع إجراءات النقل البيلغوي لدى هؤلاء المترجمين المتخصصين بأن نقوي لديهم تلقينات من قبيل «رد الفعل» (réflexe). ولذلك نعمل، بمعية بعض الزملاء من المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين (E.S.I.T) وجامعة باريس ـ III (السوربون الجديدة)، على تحديد ما يمكن أن يشكل خوارزم الترجمة على مستوى البيداغوجي.

إنه التوجه الحقيقي («غير التتابعي») وغير «التسلسلي» الذي يمكن أن يتناوله بحث عن وحدات الترجمة في مستوى أدنى من الكلمة. لكن وبخلاف ما ذهب إليه عدد من المؤلفين، ينبغي ألاّ نؤمّل بأكثر مما يمكن أن يقدمه التحليل المُكَوِّني، فهو قد يزوّدنا أساساً بتوضيح مركز عن القدرة اللغوية التي يمتلكها المترجم بخصوص أمر ثانوي أضحى إشكالياً بسبب حركية الترجمة (انظر ص 199 وما يليها).

أما ما يخص وحدات الترجمة «المخففة»، فهي تمتد «على عدة كلمات» (ص 38)، ولكن ذلك لا يتمّ حين يتعلق الأمر بـ «وحدة معجمية» دالُّها قد يكون جمعاً (تعبير locution)، أو متقطعاً بالأحرى فقط. وإنما هي عملية استبدالية لمداليل الكلام يتعين على المترجم تدبيرها ونقلها من لغة إلى أخرى.

ومرةً أخرى، تؤدّي دلالة مداليل اللغة إلى ما يختلف عنها، أي إلى سيميوطيقا للمضمِّنات (connotateurs) بوصفها وحدات لاشتغال «دلالي» للنصوص، تستخدم مداليل اللغة، في الدرجة **الثانية**. ونعتقد أن وحدات الترجمة ما هي بالضبط إلا مُضمِّنات. وبهذا تستحق الترجمة لقب «ممارسة سيميوطيقية»، بدل لقب «عملية لسانية»، بتعبير مونان (1963، ص 11 وفي أماكن متعددة)، وما يقترحه مونان يعد بالأحرى «أداة اصطلاحية» بدل تصور ترجمي حقيقي للترجمية. هذه الإحالة (التي نقترحها) على السيميوطيقا الهيلمسليفية وعلى لا تماثل الـمُضمِّنات تؤدي في الواقع إلى رفع المَعجَمَة (dé-lexicaliser) والتتابعية (dé-séquentialiser) عن وحدات الترجمة.

لكن في ما يبدو أننا لم نعمل إلا على تحويل وجهة المشكل. فبمماثلتنا وحدات الترجمة بمضمناتٍ، سنعجز عن تحديد الوحدات السيميوطيقية التي ما هي في حقيقة أمرها إلا هذه المُضمِّنات (انظر ص 192 وما يليها). ذلك هو الاعتراض الذي وجهه إلينا كوزريو،

مستحضراً المآزق التي عرفتها المدرسة الدانماركية. وقد وجدت المدرسة السيميوطيقية الفرنسية نفسها، بعد ذلك بقليل، في مواجهة صعوبات مماثلة كما وضح ذلك ميشال أرّيفيه (1976، ص 109 وما يليها). هنا يكمن بالفعل مشكل لم تتمكن النظرية السيميوطيقية من إيجاد حل مرضٍ له.

لكننا نبحث في اتجاه ممارسة الترجمة، وأمام هذه الاستحالة النظرية لتحديد معايير ختم تكون في الوقت نفسِه مضمونة بما فيه الكفاية ومسعفة بتعريف العناصر السيميوطيقية، عن حل، أو بصيغة أكثر تواضعاً، عن «مخرج» من هذا المأزق الذي يمكن أن تزج بنا فيه النظرية. وإن إفراطاً في «النظريانية» (théoricisme) قد يؤدّي بالفعل إلى جعلنا في مواجهة صيغة جديدة، هي هذه المرة سيميوطيقية، للاعتراض الاستباقي. فلا تعني، من جديد (انظر ص 124)، نظرية الترجمة في ما تعنيه متناً من التصورات أو الوحدات النظرية الموضوعة في خدمة الترجمة فحسب، بل تأخذ أيضاً معنى عنصر تنظيري معوض ومتمّم استُخلص بفضل الترجمة.

وفي غياب بناء نظري يستجيب إلى المتطلبات المسلماتية «للاتساق» ولـ «للتمامية»، ينبغي التشبث بمتطلب تطبيقي وحيد، متطلب الـ «مقررية» وفقاً للضرورة التي تُكرَّر عدة مرات والقاضية بفصل النظرية عن التطبيق في ميدان الترجمة. ومن اللائق، بالنسبة إلينا، إحالة عملية تحديد الوحدات السيميوطيقية أو المُضمنات إلى الوساطة الهرمنوطيقية التي تُفعّلها ذاتية المترجم الذي عليه بالضرورة تحمل مخاطر «تأويل أدنى» (انظر ص 231) يخص اشتغال النص الذي عليه ترجمته، لكن المترجم في هذا الأمر لا يكون مساوياً للسيميوطيقي «القح» الذي يؤوّل نصاً أدبياً فحسب، وهو بذلك يواجه المآزق ذاتها التي يواجهها السيميوطيقي، بل إنه سيميوطيقي «مثابر»

أو «مطبِّق»، ولـهذا السيميوطيقي من جانبه ودون علم منه «معيار تفاضلي» يمده به تقييم المعادلات بين النص ـ المصدر والنص ـ الهدف.

وهكذا يظل استعمال تصور التكافؤ ـ الذي يُستخدم غالباً حينما يتعلق الأمر بالترجمة ـ حقاً، استعمالاً دقيقاً ويغطي غالباً لبساً مختلطاً يتولد عن قرْنٍ بين قطبَي ثنائية التضاد : «نفس» (Même) و«الآخر» (l'Autre) (انظر ص 16 وما يليها)، لكن إذا كان بالفعل أمر التكافؤ بين نص ـ مصدر ونص ـ هدف متروكاً للتقييم الحدسي لثنائي اللغة الذي هو المترجم[51]، فإن الترجمة تشكل «جهازاً» تفاضلياً يمكن أن يشغِّل معيار القاعدة القديمة (it is the same, or it is not the same). وقد يعطي تهديد «المعنى المتناقض» أو بالأحرى تهديد «المعنى الخاطئ» إمكانيةَ اختبارٍ ـ مضادٍ دائم، يحتفظ بالقدرة الجامعة للمترجم يقظةً، وهي قدرة ثنائية اللغة، إلا أن رد الفعل هذا يغيب عند السيميوطيقي القح، المتقوقع داخل فضاء النص الوحيد الذي اتخذ منه موضوعاً له، والذي لا يحيد عنه إلا من أجل كشوف لا يفصح عنها أحياناً، وتظل في الغالب الأعم غير قابلة للبتّ فيها، وخارجة عن السيطرة والتحكم وإجمالاً غير مشروعة.

وبدل ذلك، يمكن للمترجم أن يقيس صحة تقويماته الذاتية، لهذه التأويلات، بالحاصل النهائي لعمله الذي هو النص ـ الهدف وقد أخضِع لمراقبة إعادة قراءة النص ـ المصدر. ثمّة ما يشبه آلية «ترجيع» هرمنوطيقي تُفعَّل عند نهايتها ذاتيةُ المترجم إلا أنها تُربَط

---

(51) إذا كان ممكناً، دون شك، رفض الاستحضار البسيط لمعنى اللغة (Sparchgefühl)، في إطار نقاش نظري لساني صرف، يكون غرضه بلوغ الصورنة النظرية لأن ذلك يمثل اعترافاً بالعجز (كما سبق وآخذنا ليونز على ذلك، على سبيل المثال، انظر ص 244 من هذا الكتاب)، فإن وجهة نظرنا هنا مختلفة لأن الأمر يتعلق بالإسهام في بلورة ممارسيّة للترجمة.

أيضاً بطريقة نقدية بالثنائية البيلغويّة لقدرته الجامعة وبالتناوب المستمر لمرحلتي القراءة ـ التأويل وإعادة الكتابة. ولا يتعلق الأمر باستعداد نقد ذاتي أو بأمانةٍ ثقافية أو بـ «قدرةٍ» (بالمعنى الجاري غير اللساني) فحسب. فالنصّان يوضّح أحدُهما الآخر في أفق الاختلاف الذي تقلّص لاحقاً بعد أن جوبه بين مظاهره. ويمكّن هذا الإجراء الجدلي بل ويفرض على المترجم التخلص من إغراءات الملازمة وسلك سبيل معادلة مقارِبة تنطلق من النص ـ الهدف إلى النص ـ المصدر، حيث يكمُنُ ما نسميه الـ «كمال التقريبي» الذي يمكن للمترجم أن يزعم بلوغه (انظر ص 75 وما يليها). إنه بلا شك أيضاً ما تذكّره من جديد هنري ميشونيك حينما تحدث عن «القراءة ـ الكتابة»، مباشراً بذلك الإدراج المستحيل لجهاز الترجمة ضمن السيميوطيقا النصية...

لا تمثل وحداتُ الترجمة، أخيراً، كما عرّفها فيناي وداربلنيه، إلا مساعداً بيداغوجياً تقريبياً. فعندما يطرح الإشكال على المستوى النظري، يتم توجيهنا إلى مفهوم المُضمِّنات، إلا أن قضية تمديد هذه المُضمِّنات تظل مطروحةً. ويكمُن الحل الذي أشرنا إليه، بخصوص مسألة النظرية السيميوطيقية، في الارتكان إلى تحكيم الممارسة الترجمية من جانب وإلى التجربة الحقيقية المؤكدة من آخر، مع التنبيه لكون هذا التحكيم وهذه التجربة يتوافران لدى المنظّرين الذين هم أيضاً ممارسون (انظر ص 7 وما يليها وص 216 وما يليها... إلخ).

6. تطبيقات ووحدات نظرية

1.6. نظرية وتطبيق

عند انتهاء مونان من معالجة التضمينات، خلص إلى «أنها تشكل جزءاً من اللغة، وأنه يجب ترجمتها» (1963، ص 166). إنه

أمر بدهي بل تحصيل حاصل، ويظل المشكل هو كيف ينبغي أن نتصرف. إنها مسألة ترتبط بالمراس والتطبيق وليست «مسألة نظرية في الترجمة». ومن خلال «الرحلة الطويلة» التي قادته إلى مناقشة العديد من النظريات اللسانية (انظر ص 174). يظهر أن عمله، كما هو الشأن بالنسبة إلينا، لا يمكن أن يختزل في نقل وصفات جاهزة. وليس من الممكن أن نستنبط من النظرية اللسانية ولا من النظرية السيميوطيقية، «تقنيات للترجمة» يمكنها أن «تُطبق» بكيفية خطية: فالترجمة ممارسة، لها نظامها الخاص، وهي بذلك، تُعرِّف نفسها في مقابل خطاب النظرية واستيهام التقنيات المزعومة.

إن الكسب الوحيد الذي قد نجنيه من نظرية الترجمة أو الترجمية (traductologie)، وقد أخذنا في الاعتبار الفجوة الكامنة بين النظرية والتطبيق، تلك التي أسلفنا الإشارة إليها (انظر ص 162 وفي أماكن متعددة) والتي ينبغي ألاّ تغيب عن أذهاننا، يكمن في توضيح (انظر مونان، 1963، ص 166 وما يليها) «صعوبات الترجمة» وتنميطها، وفي «منحها طابعاً تصورياً بهدف وضع منطق للقرار». يتعلق الأمر أساساً بـ «تنوير» (aufklären) المترجم، ومدّه بـ «مساعدات من أجل أخذ القرار» من شأنها تسهيل «اختياراته في الترجمة» (choix de traduction) وجعلها لديه واعيةً بوساطة وسائل تصوّرية، لكن، ما دام الأمر يتعلق بالترجمة البشرية «لا بالترجمة الآلية»، لا شيء يخوّل له إقصاءها (لادميرال، 1975d، ص 6).

لا يحمل الخطاب النظري للترجمية رؤى وتجليات، ولا يمكن من اكتشاف «قارات جديدة»، بل هو يسعف بالضبط في وضع تصورات مجردة تقوم مقام منافذ تسهم في توضيح ممارسة الترجمة وتنويرها. إن للنظريّة باعتبارها «ثقافة» أو «تكويناً أساساً» تأثيراً في مستوى مراس المترجم الذي يكون «واسع الإطلاع» (بكل معاني

الكلمة). من هنا تأتي ـ مع ذلك! ـ أهمية التوجه الخطابي الذي سلكناه والذي نظن أنه يمكن أن يدعم «ملاحظة مؤسسة»... تصوّرياً. ففي نظرنا، ليست نظرية الترجمة معنيّة بأن تجلب المزيد من المعارف الإضافية، بل يكمن دورها في مدِّنا بتصورات مفاتيح يمكن بفضلها أن «نتحدث» (عن) ممارسة الترجمة وأن نعبر عنها بالكلام وأن نكوّن مفاهيمها في الوقت نفسه. وهكذا «فالترجمية»، التي تغذيها اللسانيات والسيميوطيقا والتي وُسِّعت إلى أفق تكامل معرفي متنوع[52]، تساعد المترجم على التخلص من الأيديولوجيا التلقائية التي تلاحقنا في ما يخص الظواهر اللغوية والتي تجعل المشاكل غامضة. وهي بذلك تمكن من تحليل مختلف المشاكل وربطها مع إقامة تمايز بينها. وهي المشاكل التي «تطرح جميعها في الوقت نفسه» ضمن الممارسة التي تمثلها الترجمة.

ولذلك، لا نخضع لإغراء «علمية» اصطلاحية مزعومة، مرةً أخرى. بعيداً عن الإرهاب «النظرياني» الذي انتقدناه سلفاً (انظر ص 161 وما يليها). ويكمن هدفنا الوحيد في تقديم جملة من التصورات أو «الوحدات النظرية من أجل الترجمة» ـ من أجل الترجمة، أي أن الترجمة تجد كمالها بدءاً في نفسها. وبهذا المعنى، تكون الترجمية الموسعة، قد أقرت بأن تحرم نفسها، كما أكدنا (انظر ص 209)، من المتطلبات المسلماتية التي تشكّل الوحدة الصورية لخطاب نظري وتشكّل قوتَه في حد ذاته. ولا يتعلق الأمر بالنسبة إلينا باقتراح نظريةٍ، نظريتنا، ولا باقتراح النظرية، الحقيقية و«العلمية»، بل باقتراح «وجهة» في النظرية (de la théorie) من أجل الترجمة: وحدات نظرية

(52) نجد هنا مختلف أنماط اللبس المتعلقة باللسانيات التطبيقية، انظر ص 188 وما يليها من هذا الكتاب. وسيسهم، لا محالة، مفهوم «التطبيقات»، التي سيتم تحديدها هنا، في رفع جزء من هذا اللبس.

متعددة، ومتجاورة، ومعزولة وثغرية، ينقصها تناغم الخطاب الجامع المُصَورِن.

وفي غياب التمام النظري هذا الذي يود أن يكون في خدمة التطبيق، لن يكون من المقبول أن تتخلف هذه الوحدات النظرية عن أن تكون مستندة إلى أمثلة من ممارسة الترجمة. ويجدُر بنا إذاً أن نغلق ملف الخطاطات التصوّرية على هذه الخاتمة المفتوحة على حظوظ المترجم في سرائه وضرائه. سنستحضر الآن بعض التطبيقات المجسِّدة لأول وحدة نظرية وضعناها هنا وأهمّها: تقود موضعة مفهوم التضمينات وتقاطبها «السيميوطيقي ـ الدلالي» إلى بعض الأمثلة من الترجمة. إلا أن الأمر لا يتعلق، مرة أخرى، «بتطبيقات تقنية»، يمكن استنتاجها بكيفية خطية أو «مونولوجية» من هذه الوحدة النظرية، بل يتعلق الأمر، بالأحرى، بتفعيل جدلي.

تمكِّن جدلية النظرية والتطبيق هاته، بالأساس وبطريقة غير مباشرة، من استنباط وحدات نظرية أخرى انطلاقاً من هذه التطبيقات المراسية[53]. وينبغي أن نلاحظ أن ثمّة استقلالاً نسبياً للنظرية عن التطبيق، والعكس صحيح. ونقدم في ما يلي قائمة ألفبائية «غير مرتبة» وغير تامة لهذه الوحدات النظرية أو المفاهيم المفاتيح أو المبادئ ذات الصلة بالترجمية، وهي قائمة نقترحها في إطار هذه الدراسة، وقد سبق أن أسلفنا الإشارة إلى بعض عناصرها التي قد تكون شكلت جزءاً، منذ زمن، من الثروة المشتركة للمترجمين (ولعلماء الترجمة). هذه القائمة الألفبائية يمكن أن تُسخَّر بوصفها قاعدة لما يمكن أن يصبح ثبتاً إجمالياً أو لما يمكن أن يشكل موجزاً

---

(53) من هنا القلب المفارق للترتيب المنتظر بين هذين المصطلحين الذين يشكلان نص عنواننا البيني: «تطبيقات ووحدات نظرية».

بالأسماء (abstract nominalisé): اختيار في الترجمة، مصطلحات موجزة، مؤلف مشارك (أو كاتب ثانٍ)، تعويض، مضمِّن، المحافظة اللسانية للمترجم (conservatisme)، معنى متناقض أدنى، مُغايَرة (dissimilation)، تبدد (entrepie)، (ترجمة) تابعة (traduction épigonale)، وهم شفافية الترجمة، ترجمة بالزيادة/ زيادة (incrémentialisation)، تأويل أدنى، استحالة ترجمة/ مقدمة ترجمة (intraduction)، لغة ـ ثقافة (langue-culture)، (ضرورة شرط) المقروئية، وساطة هرمنوطيقية لذاتية المترجم، تحويل إلى تعبير (mise en locution)، عملية تتابعية (syntagmatisation)، لغة موسعة (périlangue)، تفسير موسع (péri-paraphrase)، كمال تقريبي (quasi-perfection)، ظاهرة اصطلاحية، «كوديتيه» ترجمية (quodité traductive)، (إفراط في) وضع المصطلحات (sur- terminologiser)، منامطة (transcodage)... إلخ[54].

لا يغيب عنا أنه قد تأخذنا الرغبة في أن نرى في التطبيقات القليلة التي ستشكل موضوع الصفحات اللاحقة فئراناً صغيرة إذا ما قورنت بالجبل النظري الذي تمخضت عنه. فبالإضافة إلى ذلك، لا تكفي النظرية السيميوطيقية ـ الدلالية للتضمينات، تلك التي شغلتنا إلى حد الآن، للرصد الكافي والشامل لهذه التطبيقات، بل، وعلى العكس من ذلك، يمكننا استقلال الممارسة من أن نستخلص منها وحدات نظرية أخرى. لكن، ولنكرر ذلك، فأهمية التحول الذي باشرناه على الخطاب النظري يجد تبريره، في نظرنا، في الضوء

(54) هذه القائمة ينبغي إتمامها. فأغلب الوحدات النظرية التي تعدها هي بدورها «مصطلحات موجزة» (citations ponctuelles) أو كلمات مولدة تصورية، ولذلك، قد تتطلب الوضع بين مزدوجات، كما تتطلب توضيحات على وجه الخصوص: وسنعمل على شرح الوحدات النظرية التي لم تتم الإشارة إليها بعد في الصفحات اللاحقة.

الذي من المفروض أن يسلطه من خلال «النوافذ» التي يمكن لثقافة ترجمية أن تشقها في حائط معتم من الصعوبات المتداخلة على مستوى الممارسة، والذي يصطدم به المترجم.

ومهما يكن من الأمر، فقد بدا لنا أنه ينبغي، في الأخير، أن نجازف بأن ننفصل عن رغد البرج العاجي الذي يتشبث به العديد من المنظّرين وأولهم مونان. لا تستند نظرية الترجمة إلا إلى الممارسة الترجمية التي تمددها. وبعيداً من هذا الضرب من التسويغ الذاتي الممارسيّ، تمثل هذه التطبيقات أيضاً إسهاماً في ما نسميه «لسانيات استقرائية» للترجمة[55].

يتعلق الأمر بدعم تقاربين اثنين في الآن نفسه: تعاونٌ بين مُمارسي الترجمة ومنظريها، حين لا يكون اللسانيون وحدهم هم المعنيّين بالأمر، من جهة، ويبدو أن رفع الحواجز بين الحقول المعرفيّة هذا، على الأقل في البداية، ينبغي أن يُفَعَّل من طريق وساطة شخصية لبعض الأفراد، مترجمين وعلماء ترجمة على حد سواء، إذا أردنا أن تكون هذه الوحدات النظرية المستخلصة كافية حقاً لممارسة الترجمة (انظر لادميرال، 1971، ص 183 وما يليها). وتأميمٌ للمواد من قبيل الملفات الحِرفية التي يُعِدُّها المترجمون، كل من **جهته**، من أجل عقلنة المنهجية التي ظلت إلى الآن ضمنية تجريبية، ومن أجل جعل الثروات التي يخفيها المترجمون مشتركة، من **جهة ثانية**.

---

(55) بالمعنى المزدوج لإضافة ذاتية وموضوعية. يتعلق الأمر، من جهة، بوحدات نظرية لسانية مستنبطة من ممارسة الترجمة: ويمكن أن توجد بالخصوص معطيات قد تستعملها القاموسيَّات أو علم صناعة المعجم (انظر ص 349 من هذا الكتاب). ومن شأن هذه «اللسانيات التطبيقية» التي هي الترجمية، من **جهة ثانية**، أن تنقل آثار ممارسة تصورية إلى المعيش المهني للمترجم. إن هذا المعنى المزدوج نفسه هو الذي ضمناه التعبير «نظرية الترجمة» (Théorie de la traduction)، انظر ص 197 ـ 198 و299 من هذا الكتاب.

يمر تحقيق مشروع كهذا، في المرحلة **الأولى**، عبر تجميع دراسات جزئية أو تقارير عن تجارب تأخذ في ما بعد طابعاً نسقياً. وبما أن الأمر يتعلق بلسانيات «ميدانية» فإن ما سنزوّدها به من إسهامات يظل، بالضرورة، محدوداً جداً، كما هو الشأن بالنسبة إلى التطبيقات التي سنشير إليها، وينبغي عدم التراجع أمام انتقائية نظرية معيّنة، تكون ضد كل إرهاب إبستيمولوجي تنهجه مدرسة من المدارس. وبالفعل يسوق الخطاب النظري الذي يعطي الممارسة طابعاً تصورياً وشفهياً فرضيات أيديولوجية، لكنه يهدف إلى أن يطلعنا على شيء معين حول الواقع. ونلاحظ أن ثمّة سوابق لهذا المشروع: تمثل أعمال ماريو فاندروسكا (Mario Wandruszka) (انظر 1969)، على سبيل المثال، إسهامات تدخل في إطار اللسانيات الاستقرائية للترجمة، من أجل الترجمة[56].

2.6. مثالان للترجمة

0.2.6. لقد بدا لي من الضروري أن أتحدث، **أولاً**، عن ممارستي الخاصة باعتباري مترجماً، لأنه كان يوجد ما يشبه جدولةً لتمحيصٍ لم يكن من اللائق تجنّبها. وللتبسيط، سأبدأ بفحص حالة كلمتينٍ ـ مصدر يشكلان صعوبة. وقد درجت على إرجاع مشاكل الترجمة، في الواقع، تلقائياً إلى مسألة الكلمات «الصعبة»، بل و«المتعذّر ترجمتها»، إن الأمر يعني أيضاً تموضعنا في إطار دلالة

(56) ينبغي أن نحيّي هنا إنشاء كوليج أوروبي للمترجمين (Europäisches Übersetzer-Kollegium) من لدن مدينة شترالن والدور الحاسم الذي يعود في هذه المبادرة إلى زميلنا إلمار توفوفن، المترجم الألماني اللامع لكلود سيمون وصاموئيل بيكيت وناتالي ساروت، ويمكن أن يمثل «مشروع شترالن» هذا فضاءً مفضلاً لتسريع وتيرة اشتغال هذا البرنامج للسانيات الاستقرائية للترجمة أو للترجمية التطبيقية، بما يفترضه ذلك من أسس مادية وتوسيعات مؤسساتية.

التضمينات التي دافعنا عنها، فقد قُلِّصت إلى محورها المعجمي الذي يشكل أساسها، ناهيك أننا حصرناها لزمن على غير صواب في هذا المحور (انظر ص 206)، طالما أن «الدلالة» كانت بالنسبة إلى بعض اللسانيين مجرد مُرادف للمعجميات (lexicologie).

لقد صادفنا هاتيْن الكلمتين ـ الإشكال في إطار ترجمةٍ من الألمانية. وقد ـ كان الأمر يتعلق بأول كتاب ترجم إلى الفرنسية للفيلسوف وعالم الاجتماع يورغن هابرماس من مدرسة فرانكفورت **والذي عنوانه** (*La technique et la science comme «idéologie»*) وقد صدر منذ خمس سنوات عن دار غاليمار، تنويه: يحيل ترقيم الصفحات التي نشير إليها على الطبعة الفرنسية (ي. هابرماس، 1973). لقد اعترضتنا، بصفة عامة، وبعيداً عن المثالين موضوع نقاشنا هنا، بالطبع صعوبات عدة في الترجمة بذلنا قصارانا لمعالجتها بكيفية مفصلة قدر الإمكان في تصديرنا[57] الذي نحيل عليه القارئ باعتباره إسهاماً في «اللسانيات الاستقرائية للترجمة» التي شكلت قبل قليل مدار اهتمامنا.

ولهذا التصدير وظيفة مزدوجة، وفي ذلك تكمن أهميته. فهو في الوقت نفسه تقديم فلسفي لـ هابرماس للجمهور الفرنسي و«تصدير للمترجم»، وهذا المظهر **الثاني**، وحده، يدخل على الخط ويعتبر ذا أهمية هنا. وقد جمعنا فيه جوهر (هوامش المترجم المألوفة والتي بتجميعها قد تتقلص إلى لا شيء تقريباً. ويبدو لنا حلُّ التصدير هذا الذي تبنيناه، أكثر جودة من أجل مقروئية النص ـ الهدف الذي لن تُقَطَّع قراءته، بهذه الكيفية، بإحالات مكررة عند أسفل الصفحة.

---

(57) «يورغن هابرماس ـ أو التحدي العلمي أو التقني»، في ي. هابرماس (1973)، ص VII-XLIX.

أما في ما يخص مبدأ هوامش المترجم، مُجَمَّعة كانت في تصدير أو لم تكن (أو مدمجة بالأحرى في النص نفسه، وسنقترحه لذلك حلاً أيضاً)، ينبغي القول إنها لا مناص منها، إلا إذا أردنا أن نتجاهل عمداً عدم التطابق اللغوي واللغوي الموسّع القائم بين النص ـ المصدر المُنتَج داخل ثقافة مُختلفة والنص ـ الهدف الذي يكون المترجِمُ قادراً على إنجازه لجمهوره الجديد، وهذا بالرغم من واقعيته. ولا يمكن لهذه الفوارق بين لغتين ـ ثقافتين أن تُملأ بطريقة سحرية، وعكس ما ذهبت إليه (بكثير من التواضع) دومينيك أوري (Dominique Aury) في تصديرها لكتاب *Problèmes théoriques de la traduction*)، لا يمكن أن نرى في هذه الهوامش «خزي المترجم» (مونان، 1963، ص XI). لكن، ثمّة حدود، بطبيعة الحال، ينبغي مراعاتها، وفي تصديرنا لـ هابرماس (1973)، لم نتمكن من معالجة مفصّلة لمجموع صعوبات الترجمة التي صادفناها.

وهنا يوافق اختيارُ المثالين المحتفظُ بهما الرغبةَ في توضيح وحدتنا النظرية التي تقابل التضمينات الدلالية والتضمين السميوطيقي، والتي تُظهر أن هذه التضمينات، على تباينها، تتداخل في ما بينها، لأن المفهمتين النظريتين المقترحتين تطبقان، على مستوى المراس، على مجموعة متصلة (continuum). لكن، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، تؤدي هذه التطبيقات للوحدة النظرية الرئيسة إلى استخلاص وحدات نظرية أخرى، طالما أن الممارسة هي في الواقع الفضاء الذي تطرح فيه، في الوقت نفسه، كل المشاكل التي لا يمكن الفصل بينها إلا على مستوى الخطاب النظري.

1.2.6. يهم مثالنا **الأول** ترجمة المفردة الألمانية ـ المصدر (naturwüchsig). كان المقابل التعييني في الفرنسية ـ الهدف سيكون بكل بساطة (naturel) (طبيعيّ) لو ـ لم تكن التضمينات الإيجابية (أو

المحايدة) للمفردة في لغتنا تنطوي على تناقض. ويحمل اللفظ الألماني في هذا السياق التضمينات الدلالية التي يكون راكمها فيه الاشتغال السيميوطيقي للخطاب الذي يقابل بين قطبين للطبيعي: القطب السلبي، المماثل في التاريخ للآليات العمياء لاقتصاد السوق، والقطب الإيجابي للعقلي (الاقتصاد المخطط له). وبما أن أموراً من هذا القبيل تحدث مراراً عند الترجمة كان من الواجب «ترك شيء حتى لا نخسر كل شيء»، وإن ما كان علينا اختياره هو التضمين الأيديولوجي للمفردة الألمانية ـ المصدر في مقابل التعيين المرجعي المشترك للغتين وكنا سنكون تعمدنا «معنىً متناقضاً (أو بالأحرى معنىً خاطئاً) أدنى» (انظر ص 244) ونحن نباشر هنا «مغايرة» مُميزة: وكان بإمكان (naturwüchsig) أن تكون قد ترجمت بـ «رأسمالي». . .

على كل حال، يجدر بنا أن نباشر ما سمَّيناه مغايَرة (انظر ص 190). وقد لجأنا إلى جملة من المقابلات ـ الهدف، مقابلات تراكبية، مغايِرة، من قبيل: «طبيعي وغير مُرَاقب» (هابرماس، 1973، ص 93)، «طبيعي ومُتقبَّل» (ص 43 و 62)، «طبيعي وفوضوي» (ص 51)، «يظل (أيضاً) طبيعياً» (ص 93 و118)، أو أيضاً «طبيعي وتلقائي» (ص 66 و 118، وانظر ص 101)، «بكيفية طبيعية ومباشرة» (ص 94 و118). لم نكتفِ بـ «طبيعي»، بلا زيادة، سوى مرتين اثنتين فقط (ص. 80 و152).

لقد استعملنا أيضاً في بعض الأحيان حلاً هجيناً كـ «من قبيل طبيعي» (ص 80). . . إلخ، وهذا الحل الهجين لا يمنح إلا طابعاً محايداً جزئياً لتضمينات الكلمة الفرنسية. هنا يكمن ما نسميه تحويلاً إلى تعبير أو عملية تتابعية. وفي الواقع، يسهم دمج الكلمة في عجمة (une lexie) في جعلها جزئياً غير مبررة (démotiver)، وإن لم تكن تسهم في منح الطابع المحايد للتضمينات، فهي على الأقل تسهم في

إبطاء فعل القراءة «لمنح القارئ وقتاً للتفكير»، مع احتمال تفعيل الوظيفة السيميوطيقية للسياق، وبخاصة السوابق التأثيلية... إلخ. وكما هو الشأن بالنسبة إلى ترجمة المفردة الألمانية ـ المصدر (praktisch) ـ التي تتخذ عند هابرماس معنى مختلفاً جداً عن الفرنسية (pratique) (تطبيق)، كما عرضنا لذلك في تصديرنا (هابرماس، 1973، ص XXIX ـ XXXVI وفي أماكن متعددة) ـ فقد تبنّينا أيضاً صيغاً أو عمليات «تحويل إلى تعبير» مختلفة شاملة لترجمتنا من قبيل «على مستوى التطبيق» (ص 152)، «على المستوى التطبيقي» (ص 150)، «ذو طابع تطبيقي» (ص 152)... إلخ. ولا يغيب عنا بأن هذه الحلول هي تقريباً حلول ميؤوس منها... وقد نلاحظ أنه، في الأمثلة المشار إليها سلفاً في ما يخص (naturwüchsig)، حدث لنا أن ربطنا إجراء عملية التتابع أو «التحويل إلى تعبير» بمغايرة العناصر المعجمية المستعملة في المقابلات ـ الهدف (انظر بشكل خاص هابرماس، 1973، ص 43).

ما دامت الكلمة ـ المصدر قد فسرت أو أُعيدت صياغتها بشكل موسع، بل بصياغات متعددة كما هو الحال هنا، فيمكننا أن نتحدث عن تفسيرات موسعة للدلالة على نوع المقابلات ـ الهدف التي سبق أن لجأنا إليها. ويمكّن هذا الحل من تجنب تعدد هوامش المترجم، ويكمن في الواقع في دمج هذه الهوامش في النص ذاته. ويتعلق الأمر هنا بحالة خاصة أو بنتيجة طبيعية، ناجمة عن وحدة نظرية أعم يمكن صياغتها كما يلي: في بعض المواقف، يجد المترجم نفسه مضطراً إلى اللجوء مباشرة إلى ما أسميناه الترجمة بالزيادة أو الزيادات، أي إلى إضافات ـ هدف على مستوى الدال و/ أو على مستوى المدلول.

وقد عرف النص في الأمثلة المستحضرة بعض تمديدات، أي زيادات على مستوى الدال، وعموماً، يجدر القبول بإمكانية أن تكون

الترجمة أحياناً أطول من النص الأصلي إلا في حال توافر مانع صريح، كما هو الشأن بالنسبة إلى الدبلجات (وبالخصوص الحواشي المترجمة للأفلام (sous-titres)، وذلك لأسباب أخرى تختلف تبعاً للسياق) في السينما. وقد وُجِدت زيادات على مستوى المدلول، وهو الأمر الأهم، وكان يمكن أن يكون مصدر نقاش بالنظر إلى المقابلات ـ الهدف التي اقترحناها للمفردة الألمانية ـ المصدر (naturwüchsig). إنها ضرورة الترجمة، بما أننا كنا مرغمين على جلب معلومات دلالية إضافية، إلى اللغة الفرنسية ـ الهدف، متوافرة في الألمانية ـ المصدر حيث تم «تدليلها» أي تم إضفاء دلالة عليها بوصفها تضمينات. وذلك أن مركزيتها ثبتت بالنظر إلى الخطاب المروم ترجمته، أي ضرورتها لفهم ما يؤسس حديث المؤلف ـ المصدر. وهكذا ينـزع المترجم غالباً إلى أن يرى لزاماً عليه تحويلَ عناصر من اللغة ـ المصدر كلاماً (paroliser)، وذلك كما هو الشأن هنا، بل تحويل عناصر من اللغة الموسعة ـ المصدر، بمعنى أن يدمجها بوصفها زيادات، في نص الكلام ـ الهدف الذي ينتجه.

وبخلاف ذلك، فثمة حالات تكون فيها التضمينات الدلالية التي تسوقها الكلمة ـ المصدر أقلَّ أهمية، بل إنها غير أساسية: وعليه يمكن للمترجم، بل يجب عليه في بعض الحالات، أن يستغني عن ترجمتها. وإذا بنا بإزاء «تبدد» (entrepie) لا بإزاء زيادة، أي إننا بالأساس، بإزاء هدر، على مستوى المدلول، للمعلومات. لكن على مستوى الدال أيضاً، يجوز أحياناً التفكير في تخفيف للنص، الذي يعد مثقلاً بالحشو، إذا كان بالإمكان مماثلة هذا الحشو بمظاهر للغة الموسعة ـ المصدر التي يكون من اللائق إخفاؤها.

يجد المترجم نفسه، في كل لحظة، أمام هذا الخيار: زيادة أم تبدد. قد نسجل بأنه ينبغي القيام هنا باختيار في الترجمة. كان علينا

أن ننتقي ونحسم أمر المسألة المتعلقة بمعرفة ما إذا كان التضمين الدلالي المشار إليه يمكن أن يشكل موضوع زيادة أو أن يكون مصيره التبدد. إننا لا نعالج هنا هذه الإشكالية التي تحيل على نظريةٍ للمعلومات ترصد الترجمة بوصفها حالة بارزة للتواصل أو بوصفها «ميتاتواصل»[58] كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك أعلاه.

قد يُرد علينا بالقول إن مختلف الزيادات التفسيرية التي سبق أن لجأنا إليها في اللغة ـ الهدف تفجِّر الوحدة الخاصة للكلمة ـ المصدر وتحرمها بذلك من الوظيفة الاصطلاحية التي يمكن أن تكون لها في النص الأصل. وما من شك في أن ينطوي هذا الإجراء على بعض السلبيات. لكن هذا الضرب من المشاكل يُحل تبعاً للمواقف والحالات الخاصة وكذا بناءً على النسبية المحسوسة لكل نص.

وعلى المعنى، مهما كلّف الأمر، ولو كان على حساب هذا التحرّف الصوتي (distorsion) الذي يُفقد المفردة وجهها المعروف الوحيد الذي تظهره في الأصل، أن «يُنقل» ويُبلَّغ، قبل كل شيء ـ وفي ذلك أمر صريح لممارسة الترجمة. ويرتبط تعدد المقابِلات التي اقترحناها باستكشاف المجال الدلالي الخاص بالكلمة ـ المصدر. وكما يروق لدانيال موسكوفيتز أن يردد بحق، لا نترجم كلمات، بل أفكاراً (انظر فيناي وداربلنيه، 1968، ص 37). وقد كنّا، بتعديلنا للبدائل ـ الأهداف لترجمتنا، «أمناء» للفكرة التي تحملها الكلمة الألمانية، تبعاً للسياقات التي تنوِّع وتلوِّن معناها (مشكلة بالنسبة إليها ما يشبه التفعيل الدلالي ـ السيميوطيقي)، وقد توصلنا بذلك إلى نص

(58) سنقوم بمعالجتها بكثير من التفصيل في إطار دراسة قادمة، كما هو الشأن بالنسبة إلى التلفّظ المزدوج للترجمة، مكتفين الآن بما تمت الإشارة إليه هنا وسابقاً (انظر ص 221 و227 ـ 228 و258 ـ 259 من هذا الكتاب. . . إلخ.).

«صقيل»، يستجيب إلى الشرط الأساسي للمقروئية أي إلى شرط وضوح النصوص.

بالإضافة إلى ذلك، فقد تعمدت في الغالب تقريباً (هابرماس، 1973، ص 43، 51، 62، 66، 80، 93، 94، 118...) إدراج الكلمة ـ المصدر بالألمانية ووضعها بين قوسين: (naturwüchsig). وقد بلغ بي الأمر حد تكرار العملية ثلاث مرات في الصفحة نفسها (ص 118)، بالنسبة إلى ثلاثة تفسيرات موسّعة مختلفة في الفرنسية ـ الهدف، وهو ما يعتبر فرصةً أمنحها للقارئ كي يستفسر عن الأمر. وعلى الرغم مما يفكر فيه بعضُهم وبخلاف ما يفرضه بعض الناشرين (كـ غاليمار بالنسبة إلى مكتبة لابليّاد على سبيل المثال)، فقد نصَّبت نفسي محامياً للدفاع بحزم عن هذا الإجراء، ما دام الاستعمال لا يتجاوز كماً الحدود المعقولة، التي تنسجم والمقروئية الطباعية (من الطباعة) للنص ـ الهدف.

إنها كيفية لتجنب تعدد هوامش المترجم أيضاً، إضافة إلى أن الكلمة الألمانية الموضوعة بين قوسين يمكن أن يعرفها هؤلاء الذين لا يقرؤون النص إلا في ترجمته الفرنسية لكنهم «مُتَجرمنون» بما يكفي حتى تأخذهم الرغبة في وصل ما هم بصدد قراءته بما يعلمونه سلفاً بخصوص المصطلحات المفاتيح (Schlüsselbegriffe) للثقافة الألمانية، وقد يلبّون طموحهم إلى خوض مغامرة فحص الترجمة...[59]. ويعتبر هذا الإجراء أيضاً طريقة للتخفيف من السلبية التي قد يتضمنها انفجار الكلمة ـ المصدر في الفرنسية ـ الهدف: فالكلمة الألمانيّة، المكتوبة بخط مائل، تمثّل علامة بصرية ويخفف

(59) بخصوص هذه المسألة الشائكة، انظر هنا، ص 159 وما يليها و321 وما يليها وفي أماكن متعددة من هذا الكتاب.

القوسان، اللذان يضمانها، من الأثر الأدنى للكبح الذي يمكن أن يكون لها على المسح العيني للقراءة. وربّما لوحظ، بالإضافة إلى ذلك، أنه لم يفتنا قط أن نُدرج الكلمة (naturel) داخل المقابلات التي نقترحها في الفرنسية ـ الهدف، وقد تم توجيهها وفقاً للسياقات الموسعة التي تقابلها السياقات ـ المصدر المرتبة في خطاب النص الأصل. وربما توصّلنا بذلك إلى جمع أوامر ثلاثة يصعب في الغالب الجمع بينها: فثمة قبل كل شيء «نقل المعنى» في شموليته المغايِرة، مع ضمان مقروئية كافية، وثمّة، في الوقت نفسه، إتاحة قراءة مزدوجة مع توافر إشارات أو قرائن (Wink) بمقدور القارئ الواسع الاطلاع إدراكها.

إنها، على وجه الخصوص، مسألة الظاهرة الاصطلاحية التي تجد نفسها مطروحةً مع تشظّ الكلمة ـ المصدر (naturwüchsig) إلى كثير من الترجمات ـ الهدف المختلفة. فنحن، في الواقع، نميل، في الغالب، إلى المغالاة في تضخيم أهمية المصطلحات والمصاعب التي تطرحها في ميدان الترجمة. فثمّة أيديولوجية «معجمانية» تلقائية تجعل الكثير من الناس يعتقدون بأن اللغة هي مجموعة من المفردات، أي «مدونة مصطلحات» أو «صنافة» («nomenclature»)، كما يقول سوسّور موضحاً إلى أي مدى يظل هذا التقريب مضلِّلاً (1972، ص 97 وما يليها)، وكما نعلم، فقد ذهب بعض اللسانيين إلى حد الاعتقاد بأن بالإمكان حصر الدلالة في دراسة الكلمات والتغييرات التي تلحق معانيها. إن أيديولوجية المدوّنة هاته التي تتجاهل أساس الواقع اللغوي نفسه تؤدي أيضاً إلى الاصطلاحانية (terminologisme) وإلى تقديمها بشكل كاريكاتوري.

يتعلق الأمر، في الوقت نفسه، بتقويم مفرط للمصطلحات في حد ذاتها وكذا للوهم الذي قد يرغب في أن تظل المصطلحات قارة

على الدوام، وكأن الأمر طبيعي (φύσει)، وأن تخضع لتقطيع موضوعي، متشابه في كل اللغات، وأن تكون، نتيجة ذلك، مبدئياً، قابلة بسهولة للمنامطة من لغة إلى أخرى، شرط أن تتوافر لدينا القدرات «التقنية» اللازمة. ومن ثم لا يعدو المشكل الاصطلاحي المطروح للمترجم كونه مشكل معرفة. إلا أنه قد يغدو مشكلاً غاية في الصعوبة قد يتطلب حله معرفة شاملة وموسوعية للغة ـ المصدر.

لا يوافق هذا الوهم الاصطلاحي الواقعَ في شيء. فلا يكفي، **أولاً**، أن نعرف أو نبحث عن «الكلمة الصائبة» في حد ذاتها، لأنه قد يحدث ألا تتوافر في اللغة ـ الهدف. من هنا اعتبرنا أن ما قد يكون ممكناً هي، في الواقع، منامطة بسيطة ينطلق من الدوال ـ المصدر إلى الدوال ـ الهدف، منامطة مراهن على دوام شبه أنطولوجي لذرات مدلولية، أو لميتافيزيقا ماهويّة للغة، مبهمة وأيديولوجية كلياً (انظر ص 67)! صحيح أن ثمّة مجالات اصطلاحية صرفاً للغة تكون فيها للمفاهيم المدلولية طبيعةً كليةً وقد أُفردت لها قواميس متخصصة. إلا أن الأمر لا يتعلق إلا بحالة محدودة، لا تهم إلا العلوم والتقنيات، بل تقتصر على مفرداتها التي سبق اكتسابها ولم تُتجاوز بعد. وفي ما يخص المصطلحات الحية، التي هي في طور النقاش والإعداد[60] والتي تتضمنها النصوص التي تستحق أن تُترجم، فالقواميس غير متوافرة «بعد». إذ ثمّة أيضاً ارتياب تطوّري في ما يخص المصطلحات العلمية. . .

ليس الأمر عموماً على مستوى الممارسة بهذه البساطة، فينبغي للمترجم، في البداية، التعرف على وحدة اصطلاحية كما هي.

(60) نجد هنا التقابل القائم بين الخطاب العلمي والخطاب التعليميّ، وهو التقابل الذي يشكل محط الاهتمام هنا، انظر ص 138 ـ 139 من هذا الكتاب.

والسؤال يُطرح إجمالاً بالنسبة إلى كل كلمة، لأننا لا نعلم على الفور بأي مصطلحات قد يتعلق الأمر. فلا يقتضي هذا المشكل الأول الملازم للظاهرة الاصطلاحية حلاً «تقنياً»، بل ينبغي موضعته داخل إطار أساسي لنظرية الترجمة.

يمكن القول، بصفة عامة، إن الترجمة تمكِّن من التعبير عن «الشيء نفسه» في لغة أخرى، وهنا يكمن كل اللبس الذي يلف مفهوم التكافؤ. ونقترح أن نُعَرِّف، بطريقة أدق، الترجمة بوصفها عملية «ميتاتواصل» تضمن تماثل الكلام من خلال اختلاف اللغات (انظر ص 15 وما يليها). ونلاحظ أن اللغة تُفهم في الآن ذاته بالمعنى السوسيري لمخزون الافتراضات التعبيرية التي تتوافر لدى جماعة لغوية ما وبالمعنى المتداول لإحدى لغات العالم (idiome). والكلام هو الرسالة الخاصة بالمتكلم، أو المؤلف، الذي يشغِّل اللغة. وناتج هذا التفاعل، نصٌّ كل شيء فيه معلومات (انظر ص 166 وما يليها).

بالنسبة إلى كل عنصر أدنى من المعلومة (bit)، أياً كان المستوى اللغوي الذي تقع فيه المعلومة في النص ـ المصدر، يظل المشكل إذاً هو معرفة ما «إذا» ((si) أي (wether) بالإنجليزية، و(ob) بالألمانية) كانت المعلومة المذكورة تتصل فعلاً بكلام المؤلف أم ترتبط باللغة ـ المصدر التي يستعين بها فقط. وفي الحالة **الأولى**، ينبغي «نقل» المعلومة، وفي الحالة **الثانية**، قد نكتفي بتشغيل المصادر التي توفرها اللغة ـ الهدف للاستجابة بشكل أفضل إلى متطلبات الكتابة التي يقتضيها تحرير نص ـ هدف جيد. مرة أخرى، يجب على المترجم، تبعاً للمواقف، طرح هذا السؤال، لمعرفة ما إذا. . .: إنه سؤال «الكوديتيه» الترجمية (quodité traductive).

يتعلق الأمر هنا بالوحدة النظرية الأساسية لنظريتنا في

الترجمة[61]. وعلى سبيل ما ينبغي استخلاصه من نتيجة، في هذا الإطار العام، فقد يتم البتّ في الاختيار المشار إليه أعلاه بين الزيادات والتبدد. وإلى الاختيار ذاته أيضاً تستجيب الفكرة القديمة الملتبسة، بل المناسبة للتكافؤ ولمفهوم «التعويضات» في ترجمة معيّنة وكذا للمفهوم المضبوط جيداً، مفهوم المغايرة، الذي اقترحناه (انظر ص 190 وفي أماكن متعددة)، والذي هو أيضاً قوام منهجنا في الترجمية.

من هنا، لم يبقَ إلا أن نستنبط من هذه الوحدة النظرية أنها مجرد لازمة لـ «كوديتيه» الاصطلاحية (quodité terminologique)، مجرد حالات خاصة. إن المشكل، بالنسبة إلى كل وحدة لغوية تكون هويتها موسومة في اللغة ـ المصدر بتواتر شكل الدال نفسه، وتطرح ترجمتها صعوبةً في غياب مقابل مطابق في اللغة ـ الهدف، هو معرفة ما إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بظاهرة كلام أساسية للرسالة المراد ترجمتها أم يتعلق فقط بقيد ملازم للغة ـ المصدر. السؤال هو: أهي (ظاهرة) اصطلاحية؟ ثمة، في الترجمة، إذاً، اختيار ينبغي القيام به[62].

من المستبعد كلياً بطبيعة الحال، في الواقع، أن نُحول مجموع

---

(61) تظل الوحدات النظرية الأخرى في سوادها الأعظم مجرد «وحدات نظرية مشتقة»، إن لم نقل «لازمات» مباشرة إلى درجة أنه يمكن أن نتحدث عن ميتاوحدة نظرية. فالتقاطب السيميوطيقي ـ الدلالي للتضمينات ما هو إلا الوحدة النظرية الأساس والأولى في هذه الدراسة، مع أخذ زاويتها الهجوميّة بالاعتبار.

(62) سنقتصر هنا على هذا المظهر الوحيد من المسألة، وأول مشكل يطرح هو معرفة الوحدات الاصطلاحية، وهو الذي يحكم باقي المشاكل وكذا الحلول التي يمكن أن نقدمها إليه. وستتم معالجة المشاكل المنهجية المتعلقة بالـ «كوديتيه» الاصطلاحية في أماكن أخرى. وبخصوص مسألة المصطلحات التقنية والعلمية، تتوفر بيبليوغرافيا ضخمة، تتطلب وحدها كتاباً كاملاً أيضاً.

اللغة ـ الهدف إلى مصطلحات (terminologiser) في توافق ثنائي كامل مع اللغة ـ المصدر. قد لا نرغب في أن نتوصّل إلى ذلك. فعلى سبيل المثال، جعلت إعادة التأويل الدلالي من الزوج إدراك/ عقل (entendement/ raison) مُقابِلاً مُترجماً، في الفرنسية ـ الهدف، للثنائي الكَنْتي (Verstand/ Vernunft) (شرط تبني الحياد تجاه المعاني العقلانية لـ (intellectus ولـ ratio)). وتمثل إعادة التأويل الدلالي هذه حالة من اصطلاح الترجمة الذي يبدو جلياً أننا لن نفلح، تدريجياً، في توسيعه ليشمل اللغة بكاملها. وبدهي أن تظل هذه المفردات الدلالية المولدة التي تحاكي المفردات ـ المصدر حالات خاصة. ولا يمكن لهذا العمل الذي تصطلح فيه اللغة على أخرى أن يكون ممكناً إلا إذا كان بمقدور المترجم أن يتكل على الاشتغال التلقائي للتواصل (انظر ص 141 وما يليها) في هذه اللغة الطبيعية التي هي لغته ـ الهدف. وذلك باستثمار بعض المفردات المنعزلة التي تُمنَح معاني متجددة وفقاً للسياقات الملائمة.

وهكذا، فالمترجم يظل بالضرورة محافظاً، في ما يخص الجانب اللغوي، بالأساس، أثناء عمليّة الكتابة المتّصلة بالترجمة (على أن يبدي أحياناً مزيداً من الجرأة عندما يتحول إلى كاتب «دون وسيط»). صحيح أن الترجمة تمثل «بناء علاقة جديدة»، كما يذكّر بذلك ميشونيك (1973، ص 311)، إلا أنه لا يمكن أن نستنتج من ذلك، كما يفعل هو، أنها «لا يمكن أن تكون إلا عصرنة وتوليداً لمفردات» (المصدر نفسه)، بل لا يمكن أن تكون إلا توليد مفردات وإبداعاً. وبخلاف ذلك، ينبغي أن تكون ألفاظ المترجم المستحدثة قادرة على الاستناد إلى قاعدة اصطلاحية عريضة وغير موسومة في اللغة ـ الهدف: ثمة تفاعل بين العناصر الموضوعية للتوليد التي ينبغي أن تشكل الأقلية كمياً، وبين العناصر الإجرائية «لمحافِظية لغوية»،

أي العناصر التي تحافظ على المصطلحات ـ المصدر والتي ينبغي أن تشكل، من حيث الكثافة، الأغلبية في الترجمة لِتُمَكِّن من تحديد مواقع العناصر الأولى. وبهذه الكيفية أيضاً يشتغلُ جدل السيميوطيقا والدلالة الذي سبق عرضه (انظر ص 202 وما يليها).

لنعد إلى مثالنا، ولِنُطَبِّق عليه هذه الوحدة النظرية للـ «كوديتيه» الاصطلاحية التي يوضحها والتي استُنْبِط منها في إطار هذه الدراسة. لا تأخذ المفردة الألمانية ـ المصدر (naturwüchsig) قيمتها «شبه الاصطلاحية» إلا في اللغة ـ المصدر ـ بالنسبة إلى هؤلاء (ناطقين بالألمانيّة كانوا أم شبه ناطقين (متجرمنين)) الذين يجدون فيها علامة على تقليد ثقافي فلديهم القدرة اللغوية والقدرة اللغوية الموسعة لهذا التقليد، كما تمت الإشارة إلى ذلك أعلاه ـ وليس في الكلام. لذلك يظل العائق دون عواقب تذكر عند تفجير المفردة إلى مجموعة من الترجمات ـ الهدف المختلفة. لم يكن الأمر يتعلق بـ (terminus technicus) في الخطاب الهابرماسي. كان ذلك على الأقل التأويل الذي وجَّه اختيارنا في الترجمة[63].

لنختم الآن. في غياب المفردة التي قد تستجيب، في الفرنسية ـ الهدف، للضابط المثالي، أي ضابط الترجمة الحرفية الذي يقيم تطابقاً بين لغة وأخرى، والذي يتعذر في الغالب الأعم تحقيقه في الاستعمال ويكون استيهامياً تماماً، ينبغي أن يشتدّ منا العزم على تبني التكييفات التقريبية التفسيرية ـ الموسعة المعدلة، كتلك التي احتفظنا بها. وامتناعنا عن هذا الإجراء، قد يعني أننا نُسرُّ إلى المترجم برسالة

---

(63) إلا أنه قد يحدث أيضاً أن نكون مضطرين حتى إلى تفجير الكلمة ـ المصدر التي تتوافر فيها قيمة اصطلاحية أكيدة. فعلى سبيل المثال، جعلتنا ترجمة كلمة (Öffentlichkeit) عند هابرماس إلى الفرنسية أمام هذا الالتزام.

يتعذر نقلها، لأننا سنكون قد ماثلنا بين الترجمة والمنامطة، فخضعنا بذلك لاستيهامات الميثولوجيا البابلية والتنويم الاستحواذي، الذي يرتفع أمام تشكيلات دال اللغة ـ المصدر، تلك التشكيلات المتفردة الطارئة والتي لا تنضب. إذا آخذنا المترجمَ على ذلك، كشفنا بذلك عن الجهل بمشاكل الترجمة وبطبيعة اللسان.

لقد سبق وأَحَلنا لمرات عديدة على هذه الفكرة، الخاطئة، بخصوص الترجمة بوصفها منامطةً (انظر ص 15 وما يليها وفي أماكن متعددة). وفي ذلك جهل بكل «الكثافة» اللغوية الصرف للغات التي تصل الترجمة بينها. والتي قد تتحول إلى مجرد شفرات. وقد يقلص المعجم إلى مدونة أو صنافة شبه مصطلحية، دون أن يكون على صلة سيميوطيقية بالثقافة وبالتاريخ اللذين يحيل عليهما (انظر ص 149 وما يليها)، قد يصبح التركيب محصوراً بشكل مفرط في بعض القواعد المحددة حصرياً بتوليفة صورية شفافة، وبالخصوص لن يعود ثمة مكان للمسكوك (l'idiomatique)، وللمظاهر الأسلوبية المميِّزة، وللترسبات المتعددة للبلاغة وللغة الموسعة (الثقافية، المرجعية والسلوكية)... دون أن نتحدث عن التضمينات. وتكمن فكرة المنامطة إجمالاً في أن نفرغ، في المجرد، الحقيقة الملموسة لصعوبات الترجمة المصادفة في التجربة وكل ما يجعل من الترجمة تحديداً ممارسة وليس تقنية.

وأخيراً، قد يعني ذلك دعماً لملف «الاعتراض الاستباقي»، وهي الفكرة التي، قبل أن ينجرف معها مونان أيضاً، كان تمكن مع ذلك من إعطائها جواباً، انطلاقاً من الجملة التي استهل بها كتابه **الأول** حول الترجمة (*Les belles infidèles*). لنذكر بحاصل التحصيل الجميل هذا الذي تتعرض بداهته في الغالب للتشويش بحيث يأخذ أشكالاً مفارقة ويشكل، للتذكير، مادة لوحدة نظرية حقيقية من أجل

الترجمة، أو بالأحرى لمُسَلَّمة (بحصر المعنى)، تظل نتائجها مجهولة مع أن هذه النتائج قد تسلط الضوء على العديد من المشاكل المصطنعة، كما أنها قد تسهم كثيراً في توضيح النقاش الدائر هنا (انظر ص 85 وما يليها). «تجمع كل الحجج المقدمة ضد الترجمة في واحدة: الترجمة ليست هي الأصل» (مونان، 1955، ص 7)!

وفي ذلك تمثيل «ترجمي» (traductionnelle) صرف، أي إنّه تمثيل، لم يعد بيداغوجياً فحسب، لمفهوم «الكمال التقريبي» الذي اقترحناه من أجل أن نحدّد لا موقع نوع الأهداف المرتبة التي ينبغي تسطيرها للترجمة فقط، بل الدينامية المُقارِبة للمنهج الذي يقود المترجم إلى الكمال التقريبي أيضاً. وفي غياب حل كافٍ ـ استعصى علينا إيجاده، نسارع بطبيعة الحال بامتنان إلى قبول الاقتراح النيّر...، فلم يعد ثمّة ـ ما نعترض عليه وكل نقاش يظل دون طائل!

نستميحكم عذراً عن هذه النبرة القاسية وصيغة المرافعة الدفاعيّة (pro domo)، اللتين طبعتا هذه الأسطر الأخيرة، عن أشياء كان من الأولى أن نهتدي إلى أن العقل السليم قد يكفي للدفاع عنها. فينبغي أن يكون قد سبق للشخص أن كان مترجماً، كما هو الشأن بالنسبة إلينا أيضاً، وسبق له أن سمع أو قرأ الحماقات السيّئة النية التي تروّج عن الترجمة لكي يدرك أن القضية لاتزال صيحةً في وادٍ نشهد في بعض الأوساط الثقافية و/ أو الصحفية على تطور موضة تستهدف «إنهاك» الترجمة: إنها طريقة سهلة لاكتساب مظهر خادع بامتلاك قدرة معينة وهو أمر يكون في الغالب جائراً تماماً، إلا أن ما هو أخطر من ذلك، دون شك، هو أن هذه الانتقادات غير المسؤولة توشك بذلك أن تثبط عن خطأ لا همة المترجمين أنفسهم فقط، بل همة الناشرين الذين يعتبرون الترجمات «منتوجات» يكون سعر تكلفتها أعلى من المعدل أيضاً (انظر ص 91 وما يليها).

2.2.6. ولنتناول إذاً بسرعة المثال الآخر المعلن عنه أعلاه. ففي ثنايا النص ذاته، كان علينا ترجمة المفردة (kommunikativ) (انظر هابرماس، 1973، ص XXXV[222] وفي أماكن متعددة). في هذا الباب، ـ كانت الكلمة الفرنسية (communicatif) (تواصلي)، التي اقترض منها اللفظ الألماني، مغرية جداً بوصفها ترجمة ثانية (Rückübersetzung) للألمانية ـ المصدر في الفرنسية ـ الهدف. لكن بدا لنا أنه ينبغي أن نتخلى عن ذلك لكي لا نلجأ إلى التضمينات الدلالية التي رسبتها في تلك الترجمة تعابير فرنسية من قبيل (un rire communicatif) (ضحكة تواصلية)... إلخ. وقد كان الطارئ، المفاجئ و«الزيدي» لهذه التضمينات، شكل انزعاجاً ومِكبحاً للقراءة وحاجزاً أمام الوضوح المباشر. أضف إلى ذلك أن للكلمة الألمانية بالتأكيد عند هابرماس قيمة اصطلاحية أساسية جداً، إنه المصطلح المفتاح الذي يرتكز عليه الكتاب مدار اشتغاله حالياً والذي أكد لنا صدوره مستقبلاً.

كان المشكل المطروح للمترجم، في الحقيقة، هو مشكل تضمين سيميوطيقي. ومن ثم كان على النص نفسه أن يجلي مضمونه الدلالي. وما كان على القارئ سوى أن يطلع على معناه ـ كما قمت بذلك بدوري، بوصفي مترجماً، عند قراءة الكتاب ـ في الأصل أو في الترجمة الفرنسية التي اقترحتها له. فدلالة الكلمة تتوضح من تلقائها: يكفي، كما نقول أحياناً، أن «تترك النص/ النصوص تشتغل». كان التضمين السيميوطيقي شفافاً نوعاً ما في اشتغال النص لكي يضمن، على الفور، ملء دال ـ هدف بمدلول معين، دال ـ هدف يتعين علينا إيجاده، عندما يتم إبعاد التضمينات المشوشة للمفردة الفرنسية (communicatif).

وقد استعملنا ببساطة، في الغالب الأعم، تفسيرات مسمّية

(nominalisant) مشتقة من اللفظ (communication)، ذاك الذي يحمل تضمينات أقل في الفرنسية ـ الهدف[64]. إلا أن القيود الأسلوبية التي تتحكم في التكييف التراكبي للسياقات تجعل أحياناً هذا الحل متعذر التنفيذ، إذا أردنا أن نزيل «الثقل» المنسوب إلى بعض الترجمات المحرَّرة بفرنسية «لها ارتباط بلغتين» (dialinguistique) والتي قد تستحق أن تسمى «المترجم ـ عن ـ الألمانية». أضف إلى ذلك أنه قد يُستحب أيضاً أن نَسِم هذا المصطلح، الموضوعي عند هابرماس، بقرينة اصطلاحية. ولبلوغ ذلك الهدف، كان ينبغي لنا أن نقرر ترجمته بلفظ من الألفاظ المولدة المتضخمة والتي لم يخطئ النقائيون في أن ينتقدوا بقوة تكاثرها المفرط في وقتنا الراهن: فقد لجأنا إلى المفردة «الفرنسية» (communicationnel) (تواصلي)، وبلغ بنا الأمر أحياناً أن استعملنا حتّى مصطلح (communicationalité) (التواصلية)[65].

ويجدر القول أن المشكل لم يكن بهذه البساطة هنا إلا لأن (kommunikativ) لا ماضيَ تضمينياً «ثقيلاً» لها، عند هابرماس ولا عند غيره، ولأن ترجمتنا كانت هي **الأولى** من نوعها لهذا المؤلِّف. وفي كتابه القادم، والذي أعلنا عنه، سيطرح المشكل بصيغ مختلفة بعض الشيء: إن التضمين السيميوطيقي للكلمة في إطار الخطاب الهابرماسي، هو في طريقه إلى أن يتدلّل، أي يتحول إلى تضمين

(64) لنسجل مروراً أن الكلمة الألمانية ـ المصدر (Kommunikation) قد بدت لنا أحياناً وكأنه يجب ترجمتها إلى الفرنسية ـ المصدر بالمقابل «حوار» (انظر هابرماس، 1973، ص XLV وفي أماكن أخرى متعددة).

(65) وهذا ما قد يدفع حقيقة إلى «إفراط في وضع المصطلحات» (surterminologiser) في الفرنسية ـ الهدف. فبالنظر إلى الظاهرة الاصطلاحية، يشكل مثالانا شكلين من اللاتطابق البيلغوي: تمثل ترجمة (naturwüchsig) تفريطاً اصطلاحياً تبددياً في حين أن ترجمة (kommunikativ) تمثل افراطاً اصطلاحياً زيْدياً (incrémentielle).

دلالي، وبالنسبة إلى هذا الكتاب، على المترجم أن يأخذ في الحسبان ترجمتنا لسالفه التي تمت سنة 1973. وهنا تجسيد للتداخل الذي سبق تسجيله بين التضمين السيميوطيقي والتضمينات الدلالية (انظر ص 202 وما يليها).

ويصدق الأمر نفسه، كما رأينا للتو، على المثال (naturwüchsig). ويمكن أن نلاحظ في ذلك كيف أن ما كان في الأصل تضميناً سيميوطيقياً عند ماركس قد تحول تضميناً دلالياً عند آخرين، في الألمانية ـ المصدر، لكي يكتسي من جديد وظيفة تضمين سيميوطيقي في الفرنسية ـ الهدف لترجمتنا. ويمكن أن تتعدد الأمثلة. ولا يغيب عن أذهاننا أنه، في كل هذه التطبيقات، لا تمكِّن الوحدة النظرية للتقابل بين التضمينات السيميوطيقية والدلالية إلا من منح طابع تصوري إلى ما يشكل في النصوص وفي ممارسة الترجمة مجموعة متصلة يتعين على المترجم في كل مرة تحديد موقعها من قطبي التحليل النظري، عند نهاية تأويل معين للنص ـ المصدر، وهو التأويل الذي تصدر عنه لاحقاً اختياراته في الترجمة في اللغة ـ الهدف.

أن نكون مضطرين إلى مباشرة هذا التحكيم التصوري للتضمينات، وأمام ضرورة تفجير لفظ ـ مصدر إلى كثير من الترجمات ـ الهدف المختلفة ينبغي طرح سؤال «الكوديتيه» الاصطلاحية (quodité terminologique) لهذا اللفظ ـ المصدر، أو نكون مضطرين لقبول الزيادات أو بعض درجات التبدد، أو نكون مضطرين إلى توضيح لعبة المغايرة. .. إلخ، فذلك يعني أننا بإزاء موقف من المواقف التي يطرح فيها إشكال «الكوديتيه» الترجمية (quodité traductive). وفي هذه الحال يمر الحل عبر اختياراتٍ في

الترجمة، يكون المترجم مضطراً إلى الاختيار تبعاً لتأويل ما يجد نفسه مكرهاً على القيام به للنص الذي يترجم. فنحن معشر المترجمين، يمكن أن نتبنّى العبارة السارترية: «محكوم علينا أن نكون أحراراً».

وتظل فكرة الترجمة التي يكون أُقصيَ منها كل تأويل، استيهاميةً تماماً لأنها تعني أن اللغات قد تصبح مجرد شِفرات (بالمعنى الحصري)، وتستحيل الترجمة ترقنةً. وذلك ما أسميناه وهم شفافية الترجمة، الملازم للأيديولوجية المخيِّمة على الوعي اللغوي التلقائي والسابق عن التأمّل الذي هو وعي الحس المشترك، وقد سبق أن انتقدناه. فإذا كان صحيحاً أن بعض الباحثين، وإن كانوا من النخبة، يضادّون في أغلب الأحيان ـ ـ وبقوة! ـ دقة ترجمة جيدة بالولع بتأويل بسيط، بل بمجرد «تكييف» (adaptation)، فينبغي ألاّ نرى في الأمر إلا صيغة، بل تعبيراً عن رد فعل متعجل أمام الترجمات السيئة واستنكاراً للتجاوزات التي يندفع إليها بعضهم. وتفقد هذه الصيغة كل معناها حينما تؤخذ حرفياً وتدفع إلى أقصى حدودها (انظر ص 20 و104).

إلا أن هذا التأويل المحسوب على المترجم يظل من نوع خاص: ـ فبخصوصه، نتحدث عن التأويل الأدنى، بمعنى أن ثمة حداً أدنى للتأويل ولا يمكن لأي ترجمة أن تستغني عنه، ولكن أيضاً بمعنى أنه ينبغي ألاّ يوضع توليف شامل مفهوم للعمل. وينبغي ألاّ يتحوّل المترجم إلى معلِّق إلا إذا كان في الوقت نفسه مُصدِّر الكتاب ومتخصصاً: يجب عليه «فحسب» مصاحبة الحركة بكتابة يمنحها الدور الرئيس. فهو العامل بالمقطوعية (tâcheron) لتأويلٍ «متشظٍّ مفكك».

يشتغل ـ المترجم، مرة أخرى، وفقاً لما تمليه المواقف، أي تبعاً لتأويلات دقيقة مرتبطة بعوارض النص ـ المصدر حريصة على توضيح استراتيجيات التواصل (انظر ص 141 وما يليها). وتخفي هاته العوارض استراتيجيّات التواصل من أجل المحافظة على غناها وعلى غموضها المحتمل المتعدد الدلالات داخل النص ـ الهدف. وقد يرغب المترجم في الحرية التي يتمتع بها المعلق المسموح له بأن يسمو من أجل الإحاطة بكل العناصر، شرط ألا يمعن في التركيز على التفاصيل، إلاّ أن عليه، بوصفه مترجماً، التمسك بالنص (faire du «rase-mots»). ولا تنصبّ تأويلاته إلا على اشتغال التضمين السيميوطيقي المرتبط بتفاصيل النص، لكي يُحدد فيه «آثار المعنى» أو التحققات الدلالية للمفردات في سياقاتها، بإعادة تحديد موضعها داخل وحدات الترجمة التي مكن التضمين من تحديدها[66].

وإجمالاً، هناك قدر هرمنوطيقي للقيام بالترجمة، هو الحتمية السيميوطيقية للوحدات الدلالية. وتعتبر الترجمة ميتاتواصل يمر ضرورةً بوساطة ذاتية المترجم، الذي يقوم مقام مؤوّل بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. ولا تسلم من ذلك أيضاً، كما رأينا، «الضمانات الكاذبة» للظاهرة الاصطلاحية.

ويعتبر ما هو صحيح بالنسبة إلى النص ـ المصدر صحيحاً أيضاً بالنسبة إلى الكتابة ـ الهدف. ومن ثم تقوم جدلية تبادلية بين مرحلتي عمليّة الترجمة. وذلك بالرغم من تمايزهما: «القراءة ـ التأويل»

(66) مرة أخرى، المترجم ما هو إلا سيميوطيقي «مثابر» و«مطبق» (انظر ص 299 ـ 300 من هذا الكتاب). باستعادة صورة أوري، التي بالنسبة إليها، «نحن المترجمين نمثل مشاة جيش الكتاب» (مونان، 1963، ص VII)، لنقل «إننا» محكوم علينا بحرب مناوشات بالمواقع الأمامية، بل وأحياناً بالمواقع الخلفية... لكننا نظل مبعدين عن المعارك الكبرى.

و«إعادة الكتابة». وتعد قراءة النص ـ المصدر أو تلقيه (Rezeption) تأويلاً له. ولا يتحقق ذلك بالتمام إلا ضمن تفسير (Auslegung) كتابةٍ معينة وبوساطتها أيضاً. وينتج من ذلك معنى ـ هدف مشروط بقيود تمتد إلى الاشتغال في اللغة ـ الهدف بمكوناتها اللغوية الموسعة. هناك تكمن «الحلقة الهرمنوطيقية». ويبقى على المترجم أن يقيس هذا المعنى المتوصل إليه عند نهاية الكتابة بمتطلبات النص ـ المصدر. بفضل حركة لإعادة قراءات نقدية تضمن الترجيع (feed-back).

يمثل هذا التوضيح الهرمنوطيقي للنص ـ المصدر في الترجمة ـ الهدف زيادة «دنيا» لا غنى عنها. ومن ثم نفهم جيداً أنه بالنسبة إلى بعض النصوص الصعبة، في الفلسفة مثلاً، قد يكون من الأفضل أن نقرأ أيضاً ترجماتها الجيدة في اللغات التي نعرفها، حتى وإن كانت كتبت بلغتنا الأم. ألا يقرأ كثير من أصدقائنا الألمان كَنْت أو هيغل بالفرنسية أيضاً؟ ونحن سعداء جداً لأننا بإمكاننا أن نقرأ لاكان (J. Lacan) باللغة الألمانية أيضاً...

فالترجمات تُكمِّل أو تنهي النصوص ـ المصدر، وتمثل بالنسبة إليها ما يشبه التنفيذ (l'exécution) ـ صحيح أن بعضها ينفذ بنية سيئة وكأن الأمر يتعلق «بقتل أو بتصفية» (l'exécution) نص «مدان»، لكن أغلبها ينفذ بالمعنى السامي من قبيل أن عازف ألحان كبير «يؤدي» (exécute) قطعة موسيقية! ينبغي في الأخير أن نكف عن تجاهل المترجم الذي «يؤدي دور المتفاني الذي لا يريد جزاءً ولا شكوراً»، أو اختزال دوره إلى مجرد ناسخ مرؤوس أو تابع. سيكون ذلك إنصافاً له، بل سيكون أيضاً وعياً بما نقوم به فعلاً حينما (لا) نقرأ (سوى) الترجمات ولا نتوقف هكذا بسذاجة عند «وهم شفافية الترجمة». عند قراءة النصوص الأجنبية، يكون المترجم شخصاً **ثالثاً**

«يمسك بالشمعة»، إذا صح القول. . . ويستحسن أن نقبل بأن نرى فيه «المؤلف المشارك» أو «الكاتب الثاني» الذي يحدث له عموماً أن يكونه، من أجل مصلحة العمل المترجم. «واجب الكاتب ومهمته هما أنفسهما واجب المترجم ومهمته» ذلك ما كتبه مارسيل بروست (Marcel Proust)، الذي نعلم أنه كان أيضاً مترجماً لـ راسكين (Ruskin): إذا كان لهذه الجملة أن تُقْلَب، فإنها لن تفقد معناها، بل على العكس من ذلك!

3.6. نموذج سلبي

لمواجهة الاعتداد بالنفس (triomphalisme) الذي يستسلم له في الغالب منظّرو الترجمة بسهولة لأنهم أنفسهم، بصفة عامة، ليسوا مترجمين. . .، أرغب الآن في ختم هذه الدراسة بمثالين سلبيين لن أتناولهما من ممارستي للترجمة، بخلاف المثلين السابقين. أول هذين المثالين السلبيين أستقيه من عدم ممارستي كمترجم أو بالأحرى من ممارستي غير الترجمية. وأقتبس هذا المثال، مرةً أخرى، من مجال الفلسفة الألمانية.

ولنكن أكثر وضوحاً: إنني أسعى هنا إلى أن أثير الانتباه للمسألة التي طرحتها على نفسي حول ترجمة كتاب لـ تيودور فيزينغروند أدورنو (Theodor Wiesengrund-Adorno)، وهي الترجمة التي فكَّر فيها أحدُ الناشرين الفرنسيين وتم اختياري للقيام بها. يتعلق الأمر بكتاب (*Jargon der Eigentlichkeit*) (أدورنو، 1965) حيث يهاجم الكاتب اللغة الهايدغرية، وأبعد من ذلك، يهاجم تقليداً فكرياً كاملاً للغة الألمانية التي يندرج ضمنها، حسبه، عمل الفيلسوف مارتن هايدغر. لقد تناولنا في مكان آخر الإشكال الفلسفي المطروح في هذا الكتاب، في إطار دراسة تحمل عنوان (Adorno *contra*

(Heidegger[67]. ونستجزئ منها هنا ما استخلصناه من نتائج يمكن توظيفها، من أجل نظرية للترجمة، باعتبارها عنصراً لـ «التطبيق» (انظر لادميرال، 1975a، ص 229 وفي أماكن متعددة).

يُقدَّم الكتاب (*Jargon der Eigentlichkeit*)، وكما يوضّحه العنوان الفرعي (*Zur deutschen Ideologie*) الذي أعطاه إياه مؤلفه، على أنه إسهامٌ في التحليل النقدي لهذه الصيغة الجديدة من الأيديولوجية الألمانية تلك التي من المفروض أن يقدمها هايدغر وأتباعه غير الأكفاء ومشكّلو حاشيته. وليس من الممكن أبداً ألاّ ندرك التضمينات الماركسية التي يلعب عليها هذا العنوان الفرعي، لكن وفي الوقت ذاته، ووفقاً للاتجاه «الفرويدي ـ الماركسي» لمدرسة فرانكفورت، سخَّر أدورنو عناصر خاصة بالنقد التحليلي النفسي. وبذلك حاول أن يبيّن أن الـ (*Jargon*) الذي يتخذه هدفاً لا يمثل شيئاً جديداً وأنه، في الواقع، لا ينسق إلا المواضيع الأيديولوجية القديمة جداً والرَّجعية، معقلناً مؤثرات مهجورة وارتكاسية.

(67) لادميرال (1975a). وقد شكل هذا المقال المتواضع، الذي هو موضوع خلاف، مستفيداً من الشرف المريب بإثارته نقوداً. ويبدو أن لاكوست يجهل كل شيء عن *Jargon der Eigentlichkeit*)، والذي لا يهدف مقالنا إلا أن يكون «ترجمة تابعة» له (بالمعنى الذي نحدده لاحقاً) أي أنها تحكيه وتعلق عليه، والظاهر أنه، في الحقيقة، لم يطلع أيضاً على المقال الذي ينتقده، بما أنه غاب عنه أننا أعلنا فيه عن تتمة، أي (Heidegger *contra* Adorno)، وهي تتمة مكملة وكذلك ذات طبيعة نزاعية، ولم يفهم أيضاً كيف يمكن في الآن ذاته أن نكون أدورنيين وهايدغريين، وهو أمر نفتخر به. وبخصوص المعنى الفلسفي والترجمي الذي يمكن استخلاصه من هذا السجال الذي يظل في حد ذاته هُزئياً نوعا ما بحكم نشأته عن معنى متناقض وعن جهل كُشف بلا تعمد بمناسبة تقرير صحافي وسطحي، راجع التوضيحات القيمة لـ دو لوناي (1976). في ما يخص عنوان كتاب أدورنو (1965) نفسه، فقد يُقترح له ترجمةً إلى الفرنسية (*Le jargon de l'authenticité*)، لكن وبموجب العرف، لا نستعمله إلا بالألمانية (مع إمكانية اللجوء إلى الاختزال (*Jargon...*))، في غياب ترجمة فرنسية منشورة.

أضف إلى ذلك، أنه في علاقة مباشرة مع الإشكال الذي يهمنا هنا، يأخذ «النقد الأيديولوجي» (Ideologiekritik) الذي نذر له أدورنو نفسُه وجهة تحليل لغوي (Sprachkritik)، أي وجهة نقد أسلوبي حرص في نهايته على إبعاد الاشتغال الأيديولوجي للتضمينات المستعملة في الخطابات التي ينتقدها[68]. لهذا الغرض، فهو يغمس ريشته هجاءً في الزاج أي في الأملاح أو الحامض بدلاً من المداد بهدف الإساءة التي بلغت حد الجور. لكن لم يحن الوقت، مرةً أخرى، للتفصيل في الإشكال الجوهري ـ قصدنا هنا هو بالتحديد قصد المترجم ـ قصد المترجم الذي لم أرغب هنا في أن أكُونَه!

في البداية، تطرح الكتابة الأدورنية صعوبات جمة للترجمة. ويمكن أن نأخذ مقياساً لذلك الإطلاع على أعمال مارك جيمينيز[69] (Marc Jimenez) الذي كانت له الشجاعة في الانفراد بسبق الخوض في هذا المضمار، مضمار ترجمة أدورنو وترجمة نظريته الجمالية،

(68) لا تمثل الترجمة الفرنسية (critique idéologique) (نقد أيديولوجي) للألمانية ـ المصدر (Ideologiekritik) سوى ترجمة تقريبية، كافية هنا، إلا أنه في ما يتعلق بالمفردة في حد ذاتها، يكون من الأولى الحديث عن (critique de l'idéologie) (نقد الأيديولوجيا)، بل عن (critique des idéologies) (نقد الأيديولوجيات) - راجع لادميرال (1975a)، ص 231 و212 وما يليها. وبشكل أعم، نجد أيضاً في هذا المقال (Adorno contra Heidegger)، العناصر المشروحة بواسطة جذاذة للمترجم، ينبغي صبّها في ملف اللسانيات الاستقرائية التي شكلت موضوع حديثنا سابقاً (انظر ص 305 وما يليها من هذا الكتاب)، كما هو الشأن بالنسبة إلى هوامش المترجم التي من قبيل ملحقنا I (انظر ص 349 وما يليها من هذا الكتاب)... إلخ.

(69) راجع ترجمته لـ (*Théorie esthétique*) لأدورنو، الصادرة عن كلينكسيك، بل أيضاً دراساته لأدورنو (في السلسلة 10-18، أرقام 759 و933). وبوصفه مترجماً، فقد سبقه في الحقيقة كل من هانز هلدنبراند وأليكس ليندنبرغ اللذين ترجما *Philosophie de la nouvelle musique* و*Essai sur Wagner*، وكلا المؤلفين ظهر عند غاليمار، ويمكننا هنا أن نقدر مدى الصعوبات التي اعترضت المترجمين.

ولعل الإطلاع بالخصوص على التأخير الذي عرفه العديد من الترجمات الفرنسية لـ أدورنو. . . كفيل بأن يثبط عزم المترجم. لكن هذا الأمر لم يكن ليشكل سبب امتناعنا، ونحن لا نتراجع، في ما يخصنا، إلا نادراً أمام هذه الصعوبة. فعندما كنّا نكتب هذه السطور، كنا نشتغل، بموازاة مع ذلك، على ترجمة (*Minima Moralia*) التي هي للمؤلف نفسه، والتي يمكننا الإعلان عن ظهورها القريب جداً باللغة الفرنسية (أدورنو، 1979).

وفي ما يتعلق بـ (*Jargon der Eigentlichkeit*)، يُطرح إشكال خاص جداً، وقد بدا لنا متعذِّر الحل «عملياً». ففي هذا الكتاب، يكمن الاستدلال السجالي لأدورنو في تبيان أن الخطاب الفلسفي الذي ينتقده عند هايدغر وعند آخرين أيضاً يتضمن (connote) بشكل مكثف كل السياق الثقافي والأيديولوجي لألمانيا النازية. ونجد، إضافةً إلى ذلك، عناصر استدلال متلاقٍ عند روبرت مَيندر[70] (Robert Minder)، وبخاصة في الجدال الذي واجه فيه جان بيار فاي (Jean Pierre Faye) في موضوع ترجمة المفردة الألمانية ـ المصدر (Völkisch) عند هايدغر. . .

ومنذ ذلك الوقت، وجدت الترجمة نفسها في مواجهة جدولة لا يُلتزم بها. فحتى قبل أن ينقل رسالة (كلام) أدورنو إلى الفرنسية، كان لزاماً عليه أن يكون أدرج في لغتنا كل هذا العالم من التضمينات المموضعة تاريخياً وجغرافياً ولغوياً. فهي تشكل في الواقع المحور المفترض الضمني، بل والحاضر بالنسبة إلى القارئ الألماني باعتباره

---

(70) انظر ميندر (Minder, 1972) وكذلك لادميرال (1975f). في ما يخص ترجمات هايدغر نفسها، فقد سبق لها أن شكلت موضوع بعض السجالات ويتوافر منذ الآن عن القضية بعض المواد البيبليوغرافية، ولنا عودة مفصلة لذلك في دراسة لاحقة (ستكون مكملة لـ لادميرال، 1975a و1975f).

خلفيّةً للاشتغال اللغوي للأصل، ويستند التعليق النقدي لأدورنو إلى هذه التضمينات.

وبتعبير لساني: يأخذ محور (topic) الرسالة أو موضوعها (thème) أبعاد ثقافة ـ مصدر كاملة، يتحلل فيها إلى أن يضيع كلياً لأنه في ما عدا بعض الاستثناءات القليلة ـ بالنسبة إلى الذين لديهم ـ ما يكفي من الثقافة الألمانية، ـ فإن ذلك قد يكون كفِل لهم قراءة (*Jargon der Eigentlichkeit*) بالألمانية. . . ـ فهذه الثقافة تظل أصلاً مجهولة من لدن القراء ـ الهدف الفرنكوفونيين المفترضين، ومن ثم، يصبح «تعليق» (Comment) أدورنو مبهماً، أو بالأحرى «غير مدرك». يتمدد منطق الاقتراح إلى أبعاد «لغة ـ ثقافة» كاملة، وإلى ملفوظ يظل، منذ ذلك الحين، متعذر النقل، قد يمكن القول إنه يتصرف كضفدعة لافونتين (La Fontaine): فهي تنتفخ كثيراً حتى تنفجر! فوحدة الترجمة التي يتعيّن اعتبارها هنا ليست الكلمة بالطبع، ولا الجملة ولا حتى الكتاب برمته، بل مجموع السياق الثقافي والتاريخي الذي يدخل ضمنه هذا الكتاب. مفاد ذلك أنه بفضل هذا المتضمّن الأعلى، نبلغ حدود الترجمة ونبلغ «المتعذر ترجمته».

وانطلاقاً من نظرية الترجمة، نلاحظ أن لاقابلية الترجمة المستحضرة هنا باعتبارها تعزيزاً لرفضنا ترجمة (Jargon...) لـ أدورنو ليست إذاً مرتبطة بالمعادلة الشخصية للمترجم أياً كان. لكن الأمر لا يشكل البتة استدلالاً آخر ينضاف بالضرورة إلى الإشكال الأكاديمي القديم للاعتراض الاستباقي (انظر ص 85 وما يليها). فإذا كان ما خلص إليه هذا الحوار هو خاتمة ارتيابية مأزقية عن الترجمة، فذلك ليس في المطلق أو يخص مستوى المبادئ، بل نتيجة سبر لـ «وضع الخطاب» (situation de discours)، وهو ـ وضع حقيقي يتحكم في الاشتغال السيميوطيقي والدلالي للنص ـ المصدر.

وقد اقتصر دورنا في ذلك على ـ الخضوع لـ «رد الفعل العادي للمترجم» والذي يكمن، ليس فحسب، «في التوثق بالمستندات» (موسكوفيتز، 1972، ص 114) بل أيضاً، وبشكل أعم، في تحليل مجموع الشروط التي تؤطر التلفظ بالنص الذي ينبغي ترجمته، «[ولا] يباشر المترجم تحرير ترجمته إلا عندما يكون قد حدد بدقة الوضع الموصوف في النص الأصل» (المصدر نفسه). وما لم يوضحه موسكوفيتز هنا، وما هو مضمَّن في منطق قوله، هو أن الأمر يتعلق بتحليل «تفاضلي» (أو «مغاير») لشروط تلفظ النص ـ المصدر في مقابل الشروط التي يجدر أن نحددها للنص ـ الهدف. يتبين، إذاً، مرة أخرى، أن الترجمة هي «ميتاتواصل»، أي تلفظ مزدوج، يُسخِّر استراتيجيتين مخصوصتين للتواصل (انظر ص 144) يتعين عليهما أن يؤديا إلى رسالتين «متكافئتين» (انظر ص 244).

وفي هذه الحالة، يقود هذا التحليل المترجِمَ المستشعر إلى استنتاج أن ترجمة (*Jargon der Eigentlichkeit*) كانت عملياً مستحيلة، عملياً لا نظرياً، أي على المستوى الملموس. وذلك أنه، بالنسبة إلى هذا الكتاب، بالضبط، لكي تتمكن الترجمة من تعويض ما أسميناه «تبدد التضمينات» (لادميرال، 1975a، ص 219)، يُفترَض أن تحصل الموافقة على هذه الزيادات التي وسعت النص ـ الهدف وقد أثقلته هوامش المترجم، بنسَبٍ جاوزت بكثرة حدود ما كان منطقياً التفكير فيه.

وفضلاً عن ذلك، يمثل ما يشبه لاقابلية الترجمة هذه معطىً تاريخياً: فهي مرتبطة، في الفرنسية ـ الهدف، بغياب العناصر اللغوية الموسعة لسياق ثقافي يضطلع بالضروري «المفترض» للتحليلات الأدورنية. وفي هذا الإطار، تظل لاقابلية الترجمة، مبدئياً، مؤقتة، لأن هذه الشروط قد تتغير. ويمكن أن نتصور أنه قد تتوافر يوماً

ترجمات فرنسية، ليس لعمل هايدغر فحسب، بل لمجموع أعمال كارل ياسبرز (Karl Jaspers)، ولكتُب بولنو (O. F. Bollnow)، وغاندولف (F. Gundolf)... إلخ. وقد تظل ترجمة (*Jargon der Eigentlichkeit*)، في الواقع، مسألة دقيقة حتّى ضمن هذا الاحتمال المستقبليّ، لأن كل التابعين من ذوي الدرجة **الثانية** أو **الثالثة**، وكل الكتبة الذين يؤمنون إيماناً راسخاً بالـ (Kulturpessimismus) الطليعية وكل الإنتاج الأيديولوجي للرايخ **الثالث**، كل ذلك لن يُترجم إلى الفرنسية أبداً. لكن، هذا «الأدب الرديء» هو بالخصوص ما يجعل من السخريات السجالية لـ أدورنو، سخريات مقنّعة، وهو ما ساهم أكثر في إفقاد التضمينات التي تعرضت للنقود عند هايدغر قيمتها. ثم إن نسخة فرنسية (*Jargon der Eigentlichkeit*) قد لا تعتمد كثيراً على الألمانية ـ المصدر لهذه النصوص بقدر ما ستعتمد على الفرنسية ـ الهدف لترجمتها[71]!

يتبيّن إذاً أن النتيجة، بالنسبة إلى هذه الترجمة، ليست، على المستوى العملي، على قدر المجهود، (le jeu n'en vaut pas la chandelle) (وهذا من أجل استعادة الاستعارة التي استعملناها سالفاً في حدود الذوق السليم...)، ونرى أيضاً أن شروطاً لاستحالة هذه الترجمة التاريخية تنزع إلى اتخاذ شكل ثابتٍ جيو ـ ثقافي. لكن، في الحقيقة، كانت تثوي أيضاً، من دون شك، خلف رفضنا «تجاوز العقبة» أسباب أخرى، واهية. ولا تهم هذه الأسباب شروط تلفّظ الترجمة، تلك الشروط التي شكلت للتو مركز اهتمامنا، بقدر ما تهم «شروط الإنتاج» المادي للمترجم.

(71) انظر لادميرال (1975a)، ص 229. لن نعمق النقاش أكثر بخصوص هذه المسألة التي تمثل تجسيداً للإشكالية العامة التي تهم الترجمة في التاريخ والتي سنفرد لها دراسة قادمة.

وإذا كنا تحدثنا أعلاه عن صعوبة الكتابة الأدورنية، فذلك لم يكن لأن قدرة المترجم مستهدفة فحسب، بل لأن مشكل المردودية (larentabilité) خاصّةً، يُطرَح. وينبغي أن تُدرك، في الواقع، الـ «مردودية» هنا، في معناها الموسَّع: مع أخذ التعريفات (من تعريفة) المعمول بها بالاعتبار، وحتى في أحسن الظروف، لا يمكن للأمر أن يتعلق إلا بمردودية بالمعنى الضيق لعلاقة مُرضية بين عدد ساعات العمل المُستثْمرة ومجموع المال المتحصّل عليه عند نهاية العقد. فالترجمة الفلسفية، التي تمدُّنا بمادة المثال المناقش هنا، هي، في الواقع، ما نسميه ترجمة «أدبية» وليس ترجمة «تقنية»، وهو ما يبدو، بشكل ما، متناقضاً إلا أنه يتوافق بالأساس والفلق ذا الطابع الاقتصادي: تعتبر الترجمة الفلسفية ترجمةً أدبيةً، لأن الأمر يتعلق بكتابٍ، صادر عن ناشر، مع ذكر اسم المترجم وفق المبدأ، وبخاصة لأنها مُعوَّض عنها تبعاً لنظام حقوق المؤلف، تعويضاً يكون أقل أهمية بكثير (أو أكثر هزالاً) من الترجمة التقنية (انظر ص 14).

وبما أن مردود (le rendement) العملية يظل ضعيفاً تقريباً، نتساءل عمّا يمكن أن يحدث كي ترى الترجمات الأدبية النور، وكي تكون من بينها ترجمات جيدة. وتظل الترجمة الأدبية في الغالب حرفة تكملة ينحصر دورها في تتميم موارد أخرى. يقابل دانيال موسكوفيتز بين ضربين من المترجمين: المرتزقة (mercenaires)، الذين يَعُدُّ نفسه منهم، والهواة أو متذوقي الجمال (esthètes)، الذين ندخل ضمنهم. فـ «التقنيون» هم المرتزقة الذين يعملون وفقاً للمردود الحقيقي، في حين أن «الأدبيين»، هم، في الغالب، الهواة الذين تمثل الترجمة بالنسبة إليهم جزئياً وبكيفية ما هدفاً في حد ذاتها (بمعنى أن اعتبارات المردود ليست في حد ذاتها حاسمة). وهكذا، ففي ما يخص الترجمات المرتبطة بمجال الفلسفة والعلوم الإنسانية،

في الغالب الأعم، يتكفل بها الجامعيون مجتزئين من وقت عملهم المفرَدِ للبحث، والمعوَّضِ عنه قبلاً بطريقة غير مباشرة.

على هذا الأساس، يكون المترجم وسيطاً متخصصاً، بل اختصاصياً في الميدان ومحيطاً بعالم المؤلف الذي يترجم، لهذا السبب، يكون هو أيضاً في الغالب مُصَدِّر الكتاب الذي «يعطيه للجمهور». فهو يحقق مصلحة شخصية من عمله وإليها تنضاف عناصر مردودية ثانوية. وبما أن الترجمة مدرسة فريدة لاكتساب الدقة الفكرية ومهارة الكتابة، فإن من يشتغل بها يمكن أن تفيد تكوينه. وسيجد في ذلك مكافآت نرجسية أيضاً متناقضة وجدانياً: فهو يتماثل جدلياً والكاتب ـ المصدر، «يعرّف بنفسه» قليلاً، يتهرب من كتابته الخاصة... إننا نعنى هنا أيضاً بالتحليل النفسي للمترجم. ثم إن هذا الضرب ذا المستوى العالي من الترجمة، المتخصصة والمشروحة، هو نشاط إعلاني قد تكون له مردودية جامعية معيّنة (publish or perish!) بالرغم من أن الجماعة الجامعية، في جملتها، ليست واعية بمشكل الترجمة ولا بضرورتها ولا بما تمثله، ولا بما تقتضيه من شروط وما تُسخِّره من قدرات... إلخ.

ويعني كل هذا أيضاً أن هؤلاء المترجمين يقومون بهذا العمل، على أنه عمل إضافيّ، موازٍ لـمُكَوِّنَي مهنتهم الحقيقية، أي التعليم والبحث. وهذا ما يتسبّب في تراكم التأخيرات المستمرة في الميدان علاوة، بالطبع، على بعض «المفاجآت»: مفاجأة سارة في البداية كأن ترى ترجمةً تظهر في وقت مبكر ثم، وكما هو الشأن في الغالب الأعم، مفاجأة تبلغ حد الذهول أمام نص ـ هدف غامض يعج بالمعاني المتناقضة! وبالإضافة إلى ذلك، لا يلغي البطء دائماً هذه المفاجآت... وفي ما يتعلق بهذا المشكل، لا يشذ كاتب هذه السطور عن القاعدة. قد يكون كتاب أدورنو (*Minima Moralia*) الذي

أنكبّ على ترجمته (بمعية إليان كوفهولز (Eliane Kaufholz)) والذي أعلنت للتو عن صدوره القريب جداً(*)، مستحقاً أن يُترجم بشكل أسرع، هذا كي لا نتحدّث عن الآخرين... ولا عن «آرليات»(**) الترجمة هؤلاء، واللائي يُغضَب منهن في أوساط النشر(72).

كل هذا الوضع كفيل بأن يخلق لدى المترجم، ولو كان «هاوياً»، نوعاً من التردد قبل أن يقدم على الالتزام. وفي ما يخص المثال الذي يهمنا، كان القرار السلبي الذي اتخذناه بخصوص الـ (*Jargon der Eigentlichkeit*) شروطاً بهذه الواقعة وبالاعتبار التالي: إذا كان ما ينبغي فعله هو مواجهة الصعوبة الجمة التي تمثلها ترجمة أدورنو واستثمار كل الوقت المطلوب لذلك، فالأولى أن نخص بذلك (*Minima Moralia*) دون غيره، والذي يرى فيه

(*) صدرت ترجمة الكتاب عن: Theodor Wiesengrund Adorno, *Minima moralia: Réflexions sur la vie mutilée,* traduit de l'allemand par Éliane Kaufholz et Jean-René Ladmiral; postf. de Miguel Abensour (Paris: Payot, 1991).

(**) «آرليات» الترجمة («Arlésiènnes» de la traduction): نسبة إلى حسناوات آرل (Arles) المنتَظَرات دون أن يعدن واللائي تتحدث عن إحداهن الأوبرا. ويمكن إجمال علاقة الآرليات بالترجمة في التأخير وعدم احترام المواعيد.

(72) دون أن نعتبر أنّ ثمّة ناشرين يأخذون، كما نقول، بـ «اختيارات» و«يجمدون» الترجمات، في انتظار أن تصبح مصلحة جمهورهم ـ الهدف، جلية تقريباً، و«ناضجة» تقريباً، حتى يتيقنوا من رفع مردودية الطبع الذي هو مُكلف أكثر بالنسبة إلى كتاب مترجم منه بالنسبة إلى نص أصل. ودائماً في ما يخص فصل التأخيرات: لم نُبدِ قط رضانا عن الذين تناولوا الترجمات الفرنسية من أعمال مدرسة فرانكفورت، ونشهد حالياً انفراجاً لهذا الوضع، بالنشر المُسَرَّع لعدد من الكتب، ليس فحسب لهربرت ماركوز (أو لإريك فروم) بل أيضاً لهابرماس، ولـ ماكس هورخايمر، ولـ بنيامين... وحتى لـ أدورنو، لكن ينبغي أن نلاحظ جيداً أن عملية الترجمة تعود في حدّ أقصى إلى بضع سنوات (ثم بالإضافة إلى ذلك، هذه الترجمات لا ترى الآن النور إلا جزئياً بفضل الإعانات المالية الممنوحة للناشرين من لدن المراكز الثقافية لألمانيا الغربية (Inter Nationes)).

هابرماس (1974، ص 234) عن حق «العمل الرائع» لذلك الكاتب، بدلاً من أن نخص به كتاباً أقل أهمية، إن لم يكن دون ذلك!...

وفي الحقيقة، إذا تم، على سبيل التوثيق بالخصوص، استحضار هذه الاعتبارات الأخيرة الثانوية لـ «المردوديات» اقتصاديّةً كانت أو فلسفيّة أو بيداغوجيّة أو جامعيّة... فقد منحتنا هذه الاعتبارات الفرصة لنلقي، خلسة، نظرة على محترف المترجم وعلى «خبايا» شروط الإنتاج التي يشتغل ضمنها، لكي نُطلع القارئ على الحقائق التي تضبط هذا المنتوج اللغوي الذي هو ترجمة ما. ويسهم تسليط الضوء هذا على البنى التحتية لإنتاج الترجمة في نقد وهم شفافية الترجمة التي هي البنية العُليا الأيديولوجية المُضللة لهذه البنى التحتية.

إلا أن السبب الحقيقي لترددنا أمام الـ (*Jargon der Eigentlichkeit*) يكمن بالأساس في ما أسميناه شروطَ لاقابلية نصّ ما للترجمة التاريخية وسمة هذا النص أن التضمينات السيميوطيقية لا يمكن أن تشكل فيه موضوع تدليل في اللغة ـ الهدف ولا أن تحيل على مضمِّن أعلى يمكن نقله من لغة إلى أخرى. ولنكتف بالقول بأن الاعتبارات المُلحقة بالمردوديّة لا تمد ترددنا إلا بدعم مادي أي بإضافة حافز نفسي يمكِّن من مقاومة إغراء المستحيل، ويظل هذا الإغراء كبيراً في الواقع. وهو إغراء أن يقيس المرء نفسه بنص «متعذر الترجمة»، على الرغم من وضوح التحليلات الفكرية، وحتى بـ «سببها»، وهي هذه التحليلات التي ترسم هنا حدود الترجمة.

وعند نهاية هذا المسار الذي قادنا إلى ألا نتورط في مأزقٍ، نود أن نختم بهذه الاستدارة البلاغية لتأويل مزدوج لـ موليير ونيتشه، ونود حقيقة أن نعتذر عن طابعها التهريجي: ولهذا السبب بالذات، ترجمة كتاب الـ (*Jargon der Eigentlichkeit*)، صامتة! ولهذا السبب أيضاً لم نترجم هذا الكتاب الجيد جداً! وسنضيف إلى هذا لعباً

بالألفاظ. فعندما أُخِذ قياس لاقابلية الترجمة النسبية هاته، لم يبقَ لنا إلا أن نسلك ما أسميناه (une intraduction)، بالمعنى المزدوج، ليس فحسب، إذاً، بمعنى «لا ـ ترجمة» (non-traduction) (مصحوبة بالسابقة النافية -in)، ولكن أيضاً بمعنى مقدمة (ersatz) الترجمة، أي بمعنى شرح يشوش على النص الذي تخلينا عن ترجمته (راجع تصديرنا لـ هابرماس، 1973، ص XLIX). كان ذلك أيضاً معنى مفهوم «الترجمة التابعة»، التي قدمتها ومثلت لها دراستنا عن (Adorno *contra* Heidegger) (لادميرال، 1975a، انظر ص 230): إعطاء نبذة عما ينطوي عليه كتاب أدورنو، الذي لانزال، دون شك، بعيدين عن أن نرى ترجمة تصدر له بالفرنسية(*).

وفي ما يخص إشكال التضمينات التي شغلتنا بشكل خاص، فقد سجلنا هنا التداخل ذاته الذي أظهره المثالان السالفا الذكر. فقد أصبحت التضمينات السيميوطيقية الأصلية للسياق الثقافي والأيديولوجي لألمانيا النازية في طريقها إلى التدليل أي إلى التحول إلى دلالة في الخطابات التي انتقدها أدورنو. وليست ترجمتها الفرنسية مؤهلة بجلاء للّعب على التضمينات الدلالية نفسِها. وهي لا تستطيع أن تستخدم التضمينات السيميوطيقية التي «قد تُعوِّض» على مستوى الكلام ما هو غائب في اللغة ـ الهدف لأنه، بخلاف ما حدث بالنسبة إلى لفظ (Kommunikativ) في كتاب هابرماس، لا يمكن أن يبرز المعنى انطلاقاً من الاشتغال السيميوطيقي الملازم لنص كتاب أدورنو فقد يتمّ ذلك بناء على متن من النصوص وعلى التناص، نصوص وتناص خارجان عن الكتاب ويتجاوزان حدوده بكثير.

(*) Theodor Wiesengrund Adorno, *Jargon de l'authenticité, de l'idéologie allemande*, traduction de l'allemand et préface d'Éliane Escoubas; postface de Guy Petit Demange (Paris: Payot, 1989).

4.6. الكلمة الطيبة والكلمة الصائبة

وهكذا يعطينا مثال (*Jargon...*) فرصة الاستدلال بالخلف (a contrario) عن شروط إمكان المعرفة بواسطة الترجمة. وبعد هذا الجدل السلبي لـ «استحالة الترجمة» (l'intraduction)، أود في الأخير أن أختم بمثال ثانٍ للترجمة السلبية، فقد أعلنت بالفعل عن مثال آخر سلبي كسالفه، لن يتم استخلاصه من ممارستي الخاصة بصفتي مترجماً، بل سأقترضه هذه المرة من أوجين نيدا وشارل تابر (1969). وغرضي هو إعطاء الكلمة لآخرين، هم بدورهم منظّرون وممارسون للترجمة التوراتية، بشكل أكثر موضوعية وبعيداً عن اللهجة الذاتية التي طبعت ممارستي الشخصية، والتي قد تُحَرِّف الأشياء بمقتضى انسجام مسبقٍ بين النظرية والتطبيق، وذلك في إطار «اللسانيات الاستقرائية» التي دافعت عنها (انظر ص 214 وما يليها). لن يختلف الأمر إذاً عن باقي الأمثلة التي سبق أن لجأنا إليها وناقشناها هنا: إنها كذلك تطبيقات تجسّد الوحدة النظرية الرئيسة للتضمينات السيميوطيقية والدلالية (انظر ص 196 وما يليها) لكنها تمكّن أيضاً، بطريقة غير مباشرة، من استنتاج «وحدات نظرية» أخرى من أجل الترجمة، أي إننا نستخلص في كل مرة قاعدة خاصة لتوصية من أجل ممارسة الترجمة، قابلةً للتعميم استقرائياً.

ووفقاً لـ «ميدان» التطبيق الخاص بـ نيدا وتابر، أقتبس هذا المثال الأخير من (*Nouveau Testament*) (**العهد الجديد**). ففي إنجيل يوحنا (II، 4 وXIX، 26)، تمت ترجمة الأصل الإغريقي γυ'ναι' (منادى γυνη') حرفياً بـ (woman) (امرأة) في الإنجليزية ـ الهدف لـ (King James Version)، كما يقود إلى ذلك المعنى التعييني المباشر للمفردة ـ المصدر. لكننا حين نعلم أنه، بالنسبة إلى المنادى بالخصوص، تحمل الكلمة الإغريقية تضمينات دلالية إيجابية موسومة

بالاحترام والمحبة والعطف[73]، ندرك أن الـ (New English Bible) فضّل أن يترجمها بالمقابل الإنجليزي ـ الهدف (mother) (أُم).

الـوحدة النظرية المجسَّدة في هذا المثال هي أن المترجم ـ في غياب لفظ ـ هدف قد يكون، على المستوى الدلالي (أو باعتماد واسطة سيميوطيقية)، مكافئاً حصرياً للكلمة التي تطرح إشكالاً في النص الأصل ـ يجد نفسه، أحياناً، مضطراً إلى «اختيار التضمين بدلاً من التعيين» والموافقة عن وعي، في إطار استراتيجية لـ «الكمال ـ التقريبي» التي هي استراتيجيته (انظر ص 227)، على ما يمكن أن نسميه المعنى «المتناقض الأدنى». إنه الاحتمال الذي فكرنا في تبنيه لحظةً لنترجم الكلمة الألمانية ـ المصدر (naturwüchsig)، والتي قد تكون أصبحت في الفرنسية ـ الهدف «رأسمالي» عندها نكون عثرنا على الواسطة السيميوطيقية الزيدية للتفسيرات ـ الموسعة المذكَّر بها أعلاه (انظر ص 218). فذلك تقريباً ما خلص نيدا وتابر إلى التفكير فيه مشيرين إلى أنه «في اللغة الإغريقية، تتوافر في (γύναί) قيمة أكثر ملاءمة تضمينياً من (woman) «وأنه، نتيجة ذلك، تظل الترجمة بـ (mother) «مناسبة تضمينياً أكثر من غيرها» (1969، ص 94 وما يليها).

وفضلاً عن ذلك، دُعِّم اختيارهما في الترجمة بدراسة إحصائية قيم بها في إطار مناهج القياس الدلالي (Charles Osgood [et al.], 1957): فبالنسبة إلى عيّنة من ستين متكلم لـ «الأنجلو ـ أميركية»، ثبت أنه، إجمالاً، لكلمة (mother) تضميناتٌ إيجابية بجلاء في حين

(73) كما هو دارج يجب على فينومينولوجيا التضمينات أن تبقى مبهمة لتحافظ على الفروق في المعاني، كما أن المنادى يمكن أيضاً أن يُساء به الظن أحياناً. بعد هذا، ينصبّ تحليل نيدا وتابر في ما هو جوهري.

أن كلمة (woman) تظل «بالأحرى محايدة» بالنظر إلى تضميناتها. ومن دون شك، فقد كان نيدا وتابر مُفَوَّضين لتعميم هذه المعطيات والتسليم بصحتها بالنسبة إلى الألفاظ المطابقة لها بحسب المتكلمين الفرنكوفونيين.

وفي ما يخص الألمانية، نلاحظ أنه يتوافر لدينا مُزَاوِجٌ مُضَمَّن (connoté)، إلى جانب اللفظ «المحايد» تضمينياً (Frau)، لكن ما تسوقه المفردة (Weib) في الألمانية العصرية قد يكون تضمينات تحقيرية. ويمثل هذا اللاتناظر للتضمينات مثالاً جيداً يجسّد التقطيع الذي تجريه دلالة كل لغة على وحداتها المعجمية مما يعرقل، من جديد، تحقيق البرنامج الاستيهامي لتوافق مزدوج ودقيق بين لغتين (انظر ص 226 وما يليها وفي أماكن متعددة). ومن ثم تبرز صعوبات متعددة متصلة بالترجمة وتطرح، أحياناً، ضرورة اختيار «المعنى المتناقض الأدنى».

إلا أننا قد نتساءل، لماذا الإعلان عن مثال سلبي في حين أن هذا التطبيق يبدو كأنه يجسّد جيداً الوحدة النظرية القيّمة التي استنتج منها؟ إن مجرد ملاحظة النص مليّاً يجعلنا نشرع في التشكيك في ورود الأسباب المستند إليها: يتوجه المسيح بالضبط إلى أمه، إلى مريم، في المقتطفين اللذين ذكرهما نيدا وتابر، وعند إعمال الفكر لن نكون قد اخترنا التضمين بدلاً من التعيين، بل نكون فقط، في نهاية الأمر، قد استسلمنا لما أسميناه «استحواذ المرجع» (انظر ص 164 وما يليها)! ويبدو أنه اعتباراً من ذلك ينبغي إعادة النظر في كل شيء بما أن المثال قد يُعارض الوحدة النظرية الذي كان من المفروض أن يوضحها...

ومن ثم فما قُدِّم مثالاً لـ «الترجمية السلبية» ـ والذي، كما هو الشأن بالنسبة إلى ثيولوجيا الاسم ذاته تقريباً، قد يبدو وكأنه يبعث

محرمات ضاربة في القدم موروثة عن اليهودية ـ يظلّ بالفعل شبيهاً بالجدل السلبي الذي فصّلنا فيه في ما يخص (لا) ترجمة أدورنو. إلا أننا لانزال نذكر أيضاً ماضياً قريب العهد يتعلق بطفولتنا المدرسية فيه كان يقال لنا إنه في علم الهندسة «نتعلم أن نبرهن بصواب عن أشكال خاطئة». إذا لم يحسن اختيار المثال، فالوحدة النظرية التي نستنبطها منه لا تحتفظ بكل صحتها، وقد يكون عالما الترجمة التوراتيان قد فشلا فقط على مستوى التنظيم البرهاني لخطابهما النظري، ولم يتخلّفا عن إعطائنا في أماكن أخرى أمثلة تطبيقية أكثر إقناعاً.

وينسحب الأمر على المثال الجميل للترجمة في التايلاندية ـ الهدف الذي اقترحناه أيضاً (نيدا وتابر، 1969، ص 97). إنه يتعلق بآية من إنجيل يوحنا، عرّفناها على الشكل التالي: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بَذَلَ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (III، 16) وعندما تُرجم المثال بطريقة تعيينية مباشرة غير متقنة إلى التايلاندية، اتخذ تقريباً المعنى التالي: «لقد اشتهى الله هذا العالم المادي غاية الشهوة حتى بعث فيه ابنه الوحيد، إلى حدّ أن كل من يؤمن به سيحكم عليه أن يعيش دوماً ولن يحظى أبداً بنصيب الموت» ـ في حال إذا ما صدّقنا المؤلفين ـ وذلك بسبب التضمينات الدلالية التي تربطها البوذية في اللغة التايلاندية باللفظين «عالم» و«حياة أبدية» وبسبب التضمين السيميوطيقي الذي يمنحه السياق لـ «آمن». لم يعد الأمر يقتصر على «المعنى المتناقض الأدنى» لترجمة تضمينية، كما في الوحدة النظرية التي اقترحناها، بل إن هذه الترجمة قد تقود، بالأحرى، إلى معنى متناقض أعلى، هذه الترجمة المحكومة باستحواذ الـ. .. المعيّن (dénoté)! ولنلاحظ الورود الحاسم للمكون اللغوي الموسع للغة ـ

ثقافة معيّنة، فالأمر يتعلق هنا بالتايلاندية ـ البوذية (ـ الهدف). ولنوضح، في الأخير، أننا نحن الذين عملنا على إدراج التمييز بين التضمينات الدلاليّة وتلك السيميوطيقية هنا، فهذا التمييز لا يوجد في نص نيدا وتابر، لكن الوحدة النظرية للتقاطب السيميوطيقي ـ الدلالي للتضمينات تُطبّق عليه بطريقة طبيعية، بل وتجد فيه عنصر دعم. ففي ما يخص المثال ذاته يبدو مقنعاً غاية الإقناع كما هو الشأن بالنسبة إلى التحليلات التي يستند إليها، وعلى كل حال، فليس بالاعتماد على ما يتوافر لدينا من معارف في التايلاندية، نستطيع أن نجازف بمباشرة النقد...

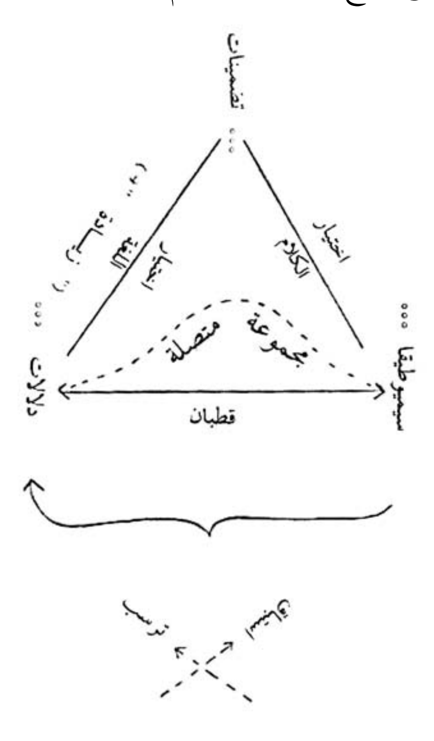
خاتمة

قد توحي هذه الأمثلة التوراتية بإشارة (Wink) محيلة على خواء (vanité) صنيع الإنسان. فالمثال السيئ، الذي قدمناه لتوضيح الوحدة النظرية المتعلقة بـ «المعنى المتناقض الأدنى»، بتقصيره بهذا الشكل، يضادّ درسَ التناهي الذي يمنع، بالنسبة إلى الـ *Jargon der Eigentlichkeit*)، من خرقِ حدود الترجمة خرق إفراطٍ، عند نهاية دراسة حالات (casuistique) ارتيابية مأزقية عرضنا لها بكثير من التفصيل. وقد ينزع بعضهم إلى أن يرى في الأمر كياسة تعمل على التفاخر بـ «تواضع» قد يستحيل زهواً (vanité). هكذا تكلم رجل الكنيسة (l'Ecclésiaste)، وسنترجم ذلك، بالرغم من اقتراحات هنري ميشونيك (1970، ص 132 و135)، بالكلمات ذاتها التي استعان بها القديس جيروم: (vanitas vanitatum, omnia vanitas!).

ويملي لقاء الكلمات هذا على هذا القِسّ[*] (le vicaire) الذي

(*) لقد جعلنا حديثنا مع المؤلف ندرك علاقة القس (le vicaire) بالمترجم. وللتوضيح، يمكن أن نعيد صياغة هذا النص كما يلي: «ويملي لقاء الكلمات هذا على هذا القس الذي ينبغي أن يظلّ المترجم مساوياً له (باعتباره يقل درجةً عن الكاهنَ (le curé) كما يقل المترجمُ عن صاحبَ النص درجة) المبدأ الأساس المزعج لِنهجه في العمل: كن واعرف كيف تختفي».

ينبغي أن يظل المترجمُ مساوياً له المبدأَ الأساس المزعج لِنهجه في العمل: «كن واعرف كيف تختفي». إنه في واقع الأمر درس في الاحتراس الريفي، أكثر منه تواضعاً شخصياً، ذلك ما يمكن أن يستنتجه من هذه الحكمة منظّرون وممارسون، حكمة عريقة عراقة بابل وعراقة الترجمة ذاتها. يجب على المُنَظِّر أن يتملص من وهم التأمل العُلوي والانتصاري للأفكار اللسانية وأن يعود إلى ذلك الكهف الذي هو أيضاً محترف المترجم لكي يكسب، بوصفه ممارساً للمهنة، القوت اليومي من مترجماته بعرق جبينه، أي في اللاتمام المُجَدَّد بلا انقطاع للاكتشافات المنتظمة التي يخزنها بعد أن يكون كَدُّه قد عبَّر عنها انطلاقاً من خزان متمرد، من أرض جرداء قفراء لكنها معطاء على إيقاع الأعمال والأيام. . .



الملاحق

الملحق I: ملاحظة حول الخطاب التحليلي النفسي

تحت هذا العنوان، اكتفينا بإعادة طبع ملاحظة المترجم (م. م. N.d.T.) التي وضعناها ملحقاً للطبعة **الأولى** لترجمتنا لكتاب إريك فروم عن أزمة التحليل النفسي (*La Crise de la psychanalyse*): فروم (1971)، ص 283 ـ 290. ويجمع هذا النص (الذي لم يكن بالإمكان نشره في الطبعة الثانية «بسلسلة الجيب» (en poche)) بعض العناصر المأخوذة من جُذاذة عمل المترجم. ويتعلق الأمر إذا صح القول بوثيقة «تم الاشتغال على ترجمتها في الميدان» (traductugraphique)، أي بأحد الإسهامات الجزئية والمنتظمة التي يمكن للسانيات الاستقرائية للترجمة أو للترجمية التطبيقية (انظر ص 214 وما يليها)، بل للقاموسيات أن تنتظرها من المترجمين، انظر أيضاً: (فروم (1969)، ص 35، لادميرال (1971)، ص 163 وفي أماكن متعددة (في الهوامش)، هابرماس (1973)، ص VII ـ XLIX، لادميرال (1975a)، ص 230 وما يليها... إلخ).

إن ما عالجناه في هذه الملاحظة بالأساس إشكالات تتصل بالترجمة، وذلك بعد إشارة سريعة إلى الانتماء الأصل لـ إريك فروم

إلى مدرسة فرانكفورت، الملتف أعضاؤها حول ماكس هوركهايمر (Max Horkheimer)، وبعد التذكير بأن (*La crise de la psychanalyse*) هو (تبعاً لعادة متداولة في ألمانيا وفي البلدان الأنجلوساكسونية) مجموع مقالات، يضم نصوصاً تعود إلى تواريخ مختلفة جداً، قد تم تحرير معظمها بالإنجليزية مباشرة ويرجع اثنان منها، الأكثر قدماً، إلى الحقبة الألمانية، قبل المنفى الأميركي أمام صعود النازية.

. . . وفي ما يخص الترجمة ذاتها، فقد اعتبرنا أنه، في ما يتعلق بالنص العلمي، ينبغي اختيار الدقة على الأناقة، بل على السلاسة. لم نعمل على فَرْنَسَة تركيب إريك فروم إلا نادراً جداً. وفي ما يتّصل بالمعجم، كلما تعلق الأمر بإشكالات اصطلاحية، احتكمنا إلى قاعدة من وضعنا تقتضي بألا نبدع شيئاً. وكلما تجلّى إمكانُ الفعل، تبنينا التوافقات التي يقترحها كل من لابلانش (La Planche) وبونتاليس (Pontalis) (1968) في (*Vocabulaire de la psychanalyse*) الذي يستحق أن يمثل حجة.

إلا أنه يتعذر اختزال مجموع إشكالات الترجمة التي يطرحها نص من قبيل (*La crise de la psychanalyse*) في استعمال مصطلحات صائبة ومعروفة. فالأمور معقدة بشكل أكبر لأننا بصدد نص يمكن القول إنّه «ملتزم» التزاماً مزدوجاً.

يتحمل إريك فروم مسؤولية سياسية إنسانية ويضطلع بها، بصفته كاتباً وباحثاً وعالم نفس: فالتحليل النفسي ليس «موضوعياً» ولا محايداً، شأنه شأن أي علم آخر. وإلا فكيف يمكننا الحديث عن «الفرويدية ـ الماركسية»؟ وكيف يمكننا تقصي البعد الأيديولوجي للنظرية وللممارسة التحليلية؟

ويمثل هذا الكتاب أيضاً خطاباً ملتزماً على «جبهة علمية»: فهو إسهام، سجالي ككل إسهام علمي، في النقاش الدائر حول التحليل النفسي. ولهذا الغرض كان كلاماً مُوقعاً بخلاف الإغفال التعليميّ (انظر ص 73) حيث يجازف الكاتب (بالمعنى القوي للكلمة) بنفسه، كما هو الشأن في مجال المصطلحات (كما يشهد على ذلك مثلاً ما يتعلق بنظريات الشرجية (l'analité) وهي النظريات التي تتعلق بالمرحلة **الثانية** من الليبيدو في نظرية علم النفس).

تمنع طبيعةُ الخطاب التحليلي النفسي، بشكل أعم، الترجمة من أن تكون، هنا بشكل أقل، ومقارنةً بمجالات أخرى، مجرد منامطة مصطلحات بأخرى، ليوافق كلَّ لفظ ـ هدف لفظ ـ مصدر بشكل مزدوج آلي نوعاً ما. ولا يمثل هذا الإبدال لدال ـ مصدر بدال ـ هدف، والذي يَكْفُلُه ثبات المدلول العلمي، برنامجاً قابلاً للتحقيق، على الأقل في شموله، لأن لغة التحليل النفسي لا تختزل في مصطلحات خالية من كل تضمين. ويبقى تنوع السجلات التي يمتح منها التحليل النفسي مفرداته كبيراً جداً: فثمّة نظرية الطاقة والبيولوجيا ومبحث علم الأعصاب وعلم النفس «الكلاسيكي» والأسطورة وحتى لغة المؤسسات... ويحضر هنا الانشغال السوسيوسياسي للكاتب ليُضيف بُعدَ اللغة الماركسية. وتلزم عن ذلك وفرةٌ في التضمينات يضحى تسييرها عمليةً تتجاوز قدرة المترجم. وفي ذلك يشاطر الخطابُ العلمي للتحليل النفسي الخطابَ الشعري الذي يليق أن ندمج فيه التضمين بالتعيين عندما نباشر ترجمته (انظر ص 115 وما يليها).

لكن، إذا كان التقطيع الدلالي والتعييني لكل لغة يبقى خاصاً بها، فالأمر يغدو أيضاً أكثر جلاءً على مستوى التضمينات. ومن ثمّ يزداد الإشكال تعقيداً، لاسيما وأن لدينا لغات «ثلاثاً» هي «في

اتصال» بعضها ببعض: فإلى الإنجليزية لغةً ـ مصدراً وإلى الفرنسية لغةً ـ هدفاً، ينبغي بالفعل إضافة الألمانية التي تمثل هنا ما يمكن تسميته اللغة ـ الأصل، ليس فقط لأن إريك فروم كتب بدوره بالألمانية بعضاً من المقالات المترجمة هنا عن الإنجليزية، بل وأيضاً لأن فرويد يظل المرجع الأولي، الكاتب الوحيد (auctor) الذي يمثل حجة في ميدان التحليل النفسي. وبالفعل، نتلمس أيضاً لدى إريك فروم مجهود العودة إلى فرويد: ولا يسعى الإجراء الفرويدي ـ الماركسي إلى «تجاوز» فرويد بقدر ما يهدف إلى توضيح أنه في حال وجود أزمة في التحليل النفسي، فالسبب لا يعود إلى أن المنهج الفرويدي قد يكون تزحزح عن مساره، بل يكمن في كون التحليل النفسي قد شرع يتخلفُ عن هذا المنهج، وشرع يكُفُّ عن تطبيقه بالكيفية الصحيحة والدقيقة. ويظل التحليل النفسي، أكثر من الماركسية نفسها، علماً «يتحدث الألمانية» ـ إذا أمكننا القول مقتفين أثر هايدغر الذي، بالنسبة إليه، «تتحدث الفلسفة بالإغريقية» ـ على الرغم من الكم الهائل من الإنتاج الأنجلوساكسوني في هذا الباب.

ذلك ما جعلنا نولي أهمية قصوى، من بين مقالات إريك فروم، لتلك التي كانت نسختها الألمانية الأولى متوافرة، وذلك ما قادنا في هذه الحالة إلى أن نوازي في اهتمامنا بين النص الألماني والنص الإنجليزي، توليفياً، حينما يُبديان تباعداً وإن تعلق الأمر بجزئيةٍ. وبخلاف ذلك، وإن بدرجة أقل، تظل كل من ترجمة فرويد بالإنجليزية وتأويلاته توضيحية، سواء تعلق الأمر بـ Standard) (edition الرائعة أو حينما يكون المؤلف قد وسمها بطابعه الخاص: فقد قادتنا مقتضيات السياق النظري إلى أن نأخذ الأمر بعين الاعتبار في ترجمة الاستشهادات على سبيل المثال. وفضلاً عن ذلك، يفرض بالطبع الانتقال من الألمانية إلى الإنجليزية أو إلى الفرنسية بعض

«التخفيفات» التركيبية أو الأسلوبية. إلا أنه يُؤدي أيضاً على المستوى المعجمي إلى بعض الانثناءات: فمصطلح «البروليتاريا» قد اختفى تقريباً من النص الإنجليزي، على سبيل المثال. كما نلاحظ أيضاً جملة من الترددات ذات الطابع الاصطلاحي، حول الكلمة الألمانية (Trieb) بالخصوص، إلا أن ميزة «ميزان المترجم» الشهير (سواء كانت اللغة المصدر هنا الفرنسية أو الإنجليزية نفسها) تكمن في إبعاد اللبس بفضل ما يمدنا به السياق.

ومع ذلك، تمثل هذه الإشكالات الخاصة بالترجمة، أيضاً، إفرازاً لظروف الخطاب التحليلي النفسي. فما يميز التجربة التحليلية واللغة التي تفرز هو أنها تنشأ باعتماد إحالة حصرية، وإذا صح القول «دائرية»، على عالم الخطاب الذي يؤسسها بمقدار ما تبنيه[*]. ويوجد التحليل النفسي، وبخاصة امتداداته الفرويدية ـ الماركسية، في وضع مخيف لاضطرارهما إلى ـ كشف التدمير المزدوج للأيديولوجيا والعقلنة، مع بقائهما ضمن حدود مجالهما الخاص. ويتعلق الأمر في الواقع بـ «ميتالغة»، أي بتعبير اللسانيين، لا مرجع إلا المدلول ذاته.

وبالإضافة إلى ذلك، وبخلاف باقي الخطابات النظرية التي تُسند إلى نفسها دلالات شفافة بمراسيم اصطلاحية، يظل ـ المرجع المدلول عليه بواسطة التحليل النفسي هو نفسه لغة «اللاوعي»، بمعنى المسكوت عنه، بل اللامعنى. وليس للحقيقة المرجعية المقصودة هنا طابع استيهامي أو وهمي كما أنها ليست بالحقيقة

(*) في النص الفرنسي الأصل ورد الضمير (la) مؤنثاً في حين أن السياق يُظهر أن الضمير إياه ينبغي أن يرد مذكراً (*le*) لأنه يحيل على مرجع مذكر (un univers de discours) وهي ملاحظة زكّاها لادميرال. لنلاحظ المقتطف ـ المصدر (ص 252): Le propre de l'expérience analytique... est de s'instaurer par référence exclusive, et en quelque sorte «circulaire», à un univers de discours qui l'institue autant qu'elle la fonde.

المادية. يتحدث فرويد عن «الحقيقة النفسية»: إلا أن الوضع الإشكالي لهذه الجِدَّة «الأنطولوجية» لا يراهن إلا على خطاب التحليل النفسي ذاته. وذلك ما عمل بشكل ما على إعادة الاعتبار للتقريب اللغوي وعلى رَدِّ الطموح الاصطلاحي. ويُظهر هذا «الانتباه أو التركيز المتردد» المعروف جداً عند المحللين النفسيين، بخاصة، هذه الصعوبة النظرية على مستوى المراس.

لقد تم القيام بالاختيارات في الترجمة بناءً على هذه الإشكالات المختلفة. فقد رفضنا الانجذاب إلى الإغراء الاصطلاحي، والجري خلف «الاصطلاحانية» (انظر ص 222 وما يليها). فحتى اللاحقة الوصفية (al-) تحيل بشكل أقل على المفردات «التقنية» مقارنة بإحالتها على التراكم المعجمي للتضمين الغالب للخطاب: فالصفة الفرنسية (libidinal) تمثل ترجمة للصفة الإنجليزية (libidinous) والألمانية (libidinös)، تُفَضّل الصفة (objectal) في الفرنسية على الأسماء المركبة التي نجدها في الإنجليزية وفي الألمانية والتي هي ثقيلة جداً وليست طيّعة بما يكفي في الفرنسية ـ الهدف. فقد اقترحنا حلولنا المحدودة، في كل محيط سياقي خاص، لإشكالات تظل بطبيعة الحال مطروحة على المستوى النظري. ولا يسمح ضيق المجال بإعطاء أكثر من بعض الأمثلة.

وإذا كانت المفردة الإنجليزية (love)، وفقاً لمرسوم اصطلاحي لإنجليزية المحللين النفسيين، تُمثل ترجمة لما يسميه فرويد (Liebe)، فقد تبدو الترجمة الفرنسية بـ (amour) أحياناً غير ممكنة: هل بالإمكان مثلاً الحديث عن «الحب الذي يشعر به الطفل تجاه برازه»؟ إنه مع ذلك الحل الذي تبنيناه بانتظام. وفي السياق التحليلي النفسي، ينبغي إدراك كلمة «حب» بالمعنى الواسع جداً لطاقة نفسية أساسية، تغطي المعنى البسيط «للشعور نحو» (affection pour) وللوظيفة

الفيزيولوجية وكذا للمعنى ـ المتداول المعروف والمحدد بدقة. (ويظل هذا التوسيع للمعنى مع ذلك أكثر جلاءً أيضاً في ترجمات الفيلسوف أمبيدوقليس (Empédocle) حيث تأخذ المفردة أبعاداً كونية لـ (Physis)، أضف إلى ذلك أن فرويد ليس منقطع الصلة بأمبيدوكل). ويطرح الإشكال ذاته بالنسبة إلى المفردة الإنجليزية (friendly)، التي ـ تُعد مقابلاً للمفردة الألمانية (freundlich) التي تنافس المفردة الإنجليزية (loving). وقد يكون الطابع العام والأساس للمصطلح تَطَلب أن نستعمل في الغالب الأعم الـ «وحدة الفلسفية» (philosophème) الفرنسية إيجابي («موقف إيجابي تجاه الشيء» مثلاً) إلا أن السياق جعل أحياناً إمكان هذه الترجمة ذات مقبولية دنيا.

يجب على المصطلح الفرويدي (Trieb) (مع الصفة (triebhaft)، ـ أو المركبات من . .(Trieb))، في إطار مصطلحات منسجمة ودقيقة، أن يُترجم باللفظ المولّد (pulsion) (غريزة جنسية) (مع الصفة (pulsilonnel) (غريزي))، ـ كما يُدرج على استعمال ذلك حالياً، خاصة منذ الملاحظات القوية لـ لاكان. وبهذا الإجراء فإننا لا نمتثل للجوهر التأثيلي للكلمات، لأن الأمر يتعلق بمغايرة محكمة للفظي الزوج الصرفي ـ الدلالي (Trieb:Instinkt). يتميز **الثاني** من **الأول** بغياب المرونة وبالتثبيت الوراثي ويُفهم بالرجوع إلى نظريات الغريزة الحيوانية (الـ «غريزة» التي تقابل النزوعات المكتسبة من علم النفس «الكلاسيكي» بالخصوص). وطالما أن الـ (Fremdwort) (انظر ص 79 وما يليها) تمد اللغة الألمانية بِمُزاوِجات(*)، فقد حصل توافر

(*) لقد تعامل الألمان مع الكلمات الفرنسية («Fremdwort») متبعين طرائق ثلاثاً: إما أنهم عوضوا الكلمة الفرنسية بأخرى ألمانية (فمثلاً تم تعويض المفردة الفرنسية (couverture) (غطاء) بالمفردة الألمانية (Decke) وإما أنهم فشلوا في مسعاهم فظلت الكلمة الفرنسية قائمة (لم يفلحوا في استبدال المفردة (Philosophie) (فلسفة) بـ (Weltweisheit) مثلاً) وإما أن =

اصطلاحي (disponibilité terminologique) استخدمه فرويد (دون أن يموضعه). وضمن هذه الظروف، كان استعمال الكلمات المُولَّدة في الفرنسية مُبَرَّراً تماماً. إلا أننا لا يمكننا أن نترجم (Sozialer Trieb) إلا بـ (instinct social) (غريزة اجتماعية) (لأن (pulsion sociale) (غريزة جنسية اجتماعية) قد تؤدي إلى معنى متناقض) كما يقتضي ذلك المركب الإنجليزي (social instinct). وعموماً، لم يستعمل المزاوِج (instinct: drive) في الإنجليزية بكيفية نسقية. ولا يحق لنا أن ندخل من جديد في نص إريك فروم الاتساق الصوري لمصطلحات معيّنة. ويتعيّن أن نضيف أن الـ (pulsion) الفرويدية تلتقي هنا بـ (passion) (هوى) المنتمية إلى الأنثروبولوجيا الماركسية. وفي الأخير، فإن مسألة (Trieb) لا تحظى بالأهمية التي تحدثنا عنها لأن السياق، عموماً، يرفع كل لبس، أضف إلى أنها لن تكون الحالة الأولى لتعدد المعاني، وإن تعلق الأمر بمصطلحات علمية. فإذا كانت الصفة الفرنسية (instinctif) (غريزيّ) غير ممكنة فإننا لم نُقْصِ بكيفية نسقية (instinctuel) (حاجي) على حساب (pulsionnel) (انظر ص 91 وما يليها).

لقد مكننا اللفظ الفرنسي (tendance) من ترجمة المقابل الإنجليزي (striving)، أي المقولة الفرويدية (strebung): وقد بدا لنا بالفعل من المفضل تجنب اللفظ الفرنسي (aspiration)، لارتباطه القوي «بعلم النفس»، بالرغم من كونه يظهر أحياناً مُبرراً. وللأسباب ذاتها، اقترحنا هذه الترجمة الوحيدة والفريدة لما يسميه إريك فروم (endeavours aspirations)، أو حتى في بعض الحالات، (drives).

= الكلمتين «تعايشتا» فأصبحنا نتحدث عن مُزاوجات أو مترادفات (اللفظ (Instinkt) صمد في وجه مقابله الألماني (Trieb) وتحول إلى مرادف له فاستحدث الفرنسيون لفظاً آخر موازياً (pulsion)).

وقد كان أيضاً من الصعب ترجمة (trend) و(tendancy) بشكل مختلف. وقد حدث واستعملنا اللفظ الفرنسي (penchant) (ميل) حين كان المُضمن النفسي الواعي، إذا صح القول، جلياً نوعاً ما. وهكذا، فإننا نبقى بعيدين كل البعد، كما نرى، عن المثل الأعلى لتطابق ثنائي يمتدحه البعض في مجال المفردات في الترجمة (انظر ص 166 وما يليها).

ويتعرض ما يسميه فرويد (Angst) لفلق دلالي كلما انتقلنا إلى الإنجليزية أو إلى الفرنسية: فثمّة من جهة، (l'angoisse) أي الحصر النفسي المتردد، باعتباره عرضاً من الأعراض، وثمّة من جهة أخرى، الظاهرة النفسية (la peur) (الخوف)، بوصفها خشيةً مرتبطة بشيء معين. وقد اكتفينا باتباع اختيارات إريك فروم، الذي لم يكن يلجأ دائماً إلى التسوية التي تظل إجراء ماهراً إلا أنه غير موفق وغير عملي بما يكفي للفظ الإنجليزي (anxiety).

لقد تمت ترجمة (pleasurable) بالفرنسية (agréable) (لذيذ) فيما ظل (générateur de plaisir) (مولّد اللذة) مستحيلاً أسلوبياً، إلا أننا فضّلنا في الغالب هذه الترجمة **الثانية** لأنها توافق جيداً المركبات من (Lust...) لفرويد، وهي المركبات التي تشكل الخلفية. ولا يمكن لـ (character trait) أن تترجم بـ (trait de caractère) الذي يؤدي إلى معنى متناقض، في حين أن الفرنسية (trait caractériel) (ملمح مميّز الطبع) يمكن أن يرصد المُضمن المتعلق بالتحليل النفسي. تُرجم اللفظ (life) بالفرنسية (existence) (وجود) أو (vie) (حياة) تبعاً للمواقف، تبعاً لما إذا كان الأمر يتعلق بالمعنى «السِيريّ»، أي الفردي أو التاريخي، أو بالمعنى البيولوجي للكلمة.

وقد استعملنا (psychologie sociale) (علم النفس الاجتماعي) و(psycho-sociologie) (علم الاجتماع النفسي) بلا تمييز، أي إننا لم

نأخذ في الحسبان إلا الاعتبارات «الأسلوبية»: فإذا كان **التعبير الأول** الأكثرَ تداولاً والأكثر «عصرنةً» ويمثل ترجمة مباشرة جداً للإنجليزية (وللألمانية)، فإننا لا يمكن أن نُكَوِّن صفة إلا على أساس **التعبير الثاني**. وبخلاف ذلك، فقد ميّزنا بين (psychologie individuelle) (علم نفس فردي)، يطابق قصداً «إبستيمولوجياً» للشيء (الذي ينبغي معرفته)، وبين (psychologie personnelle) (علم نفس شخصي)، يحيل على العلاقة العِلاجية (والعلائقيّة) مع «الذات»، أي مع المريض.

تأخذ (rationalisierung/ rationalisieren) عند فرويد معنى بعدياً لتفسير ـ تبرير (شبه) عقلي (و«أيديولوجي»). وقد كان هذا المعنى هو ذاته معنى الكلمة الإنجليزية (to rationalize). وقد كان بإمكاننا أن نعبر في الفرنسية عن هذه الخصوصية الدلالية دون تردد بواسطة الحيلة الإملائية (rationalization/ rationalizer). لكن يبدو أنه ينبغي عدم اعتماد هذا الاقتراح.

لم تكن بعض مصاعب الترجمة لترتبط بالخطاب التحليلي النفسي أو حتى الخطاب الماركسي. ولذلك تمت ترجمة العبارة الإنجليزية (middle class) (urban) إلى الفرنسية بـ (classes moyennes) (الطبقات المتوسطة) أو (petite-bourgeoisie) (البورجوازية الصغيرة) وفقاً لمستوى التحليل. وقد اكتسى (planning) معنى واسعاً وخاصاً. وقد يستعصي أن نجد له مقابلاً فرنسياً وحيداً لأن الأمر كان يتعلق بـ (planification) (تخطيط) أو بـ (prospective) (مستقبلي) أو بـ (rationalisation) (عقلنة، بالمعنى الاقتصادي لهذا اللفظ)، بل بـ (organisation) (تنظيم)...

وقد يكون من الصعب ترجمة كلمة من قبيل الكلمة الإنجليزية (scholarly) بالفرنسية (savant) (عالم) بالرغم من وجود (les sociétés

(les éditions savantes) و(المجتمعات العالمة) (savantes) (المطابع العالمة)... وقد فضلنا الكلمة الفرنسية (scientifique) (علمي)، التي تظل (سواء أوضعنا المزدوجتين أم لم نضعهما) أكثر استعمالاً في الفرنسية بالمعنى الواسع للكلمة الألمانية (wissenschaftlich)، كما يوضح ذلك التوسيع الجديد المكتسب عبر تعابير من قبيل (publications scientifiques) (إصدارات علمية) (انظر ص 107 وما يليها). فالمعنى التقليدي للكلمة، الذي حَصره المذهب الوضعي على العلوم الدقيقة، لم يهجر، ويمكننا أن نترجم اللفظ الإنجليزي (scientific) ـ الذي يوافق في الألمانية (naturwissenschaftlich) ـ باللفظ الفرنسي (scientifique)، ولو أننا لا نلاحظ التوسيع ذاته بالنسبة إلى معنى الكلمة الإنجليزية بالرغم من كل ما كان النظام الجامعي الأميركي مديناً به للجامعة الألمانية. والسياق كفيل برفع كل لبس عن هذا المعنى المزدوج الذي نسنده إلى الكلمة الفرنسية.

وبما أن (le radicalisme) (الراديكالية) لا تشكل تقليداً للبرلمانية الأنجلوساكسونية، فإن (radical) لا يمكن أن يكون ترجمة لنظيره الإنجليزي في الفرنسية إلا على حساب «تخفيفٍ» جليّ للمعنى. وقد تمت معالجة الأمر بفضل جملة من التفسيرات المُوَجَّهة لتَسِم جيداً البُعد السياسي والقوة الرافضة للكلمة الإنجليزية. وبطبيعة الحال، فقد فضلنا في الغالب الأعم الكلمة الفرنسية (affectif) (عاطفي) على (émotionnel) (انفعالي) لترجمة الكلمة الإنجليزية (emotional)، طالما أن الكلمة الفرنسية (émotionnable) تظل غير مقبولة. بالنسبة إلى الكلمة الإنجليزية (empirical)، يستحسن تفضيل المفردة الفرنسية (empirique) (تجريبي) على المفردة (expérimental) (اختباري)...

ومع عدم رغبتنا في إعادة كتابة نص إريك فروم، لم نعتقد أنه من الواجب إبعاد بعض الغرابات الأسلوبية (كتناوب (je) (أنا)

و(nous) (نحن)، على سبيل المثال، عندما يتكلم المؤلِّف عن اسمه الخاص). ولا تتعلق بعض هذه الغرابات الأسلوبية إلا بالخطاب التحليلي النفسي: وتفسر عبارة من قبيل (les forces intellectuelles et affectives) (القوات الفكرية والعاطفية) بالـ «حركية» الملازمة للنظرية التحليلية. ويأتي، أيضاً، بعض الثقل أو عدم الانسجام الظاهر من كون المترجم كان أمام عدة طبقات من النص الإنجليزي ذاته: كان ينبغي أخذ تصحيحات المؤلف بالاعتبار، لكن الرغبة في إظهار الطبعة الفرنسية بتزامن مع الطبعة الأميركية لهذا الكتاب فرض مراجعة سريعة. ولذلك لم نتمكن من إزالة بعض التنافرات (الخطيئة المميتة للترجمات الأدبية...). وأخيراً، سواء تعلق الأمر بالفرنسية أو بالإنجليزية فالموضوع الألماني عنَّف اللغة أحياناً.

الملحق II: مرشد القراءة

يشكل هذا النص الأخير الـ «مقدمة» التي وضعناها للعدد الذي كان أُفرد للترجمة من مجلة (*Langages*): لادميرال (1972)، ص 3 ـ 7. وبما أن الأمر يتعلق بتقديم عام لمختلف إسهامات هذا العدد، تظهر في ثناياها نسخة أولى من دراستنا للترجمة في المؤسسة البيداغوجية، (انظر ص 23 وما يليها) مزيدة ببعض عناصر التقديم البيبليوغرافي للمشكل، فقد بدا لنا أنه من المفيد إدراج هذه الصفحات القليلة داخل هذا الكتاب. وقد نقحنا هذا النص قليلاً من أجل خلق تناسق مع باقي المحتويات، وعملنا بالخصوص على إتمامه بهوامش تتعلق ببعض التدقيقات البيبليوغرافية الحديثة.

يأسف مونان (1963، ص 10 وما يليها... إلخ). لكون الأبحاث والكتب المدرسية في اللسانيات لا تتضمن فصولاً مخصصة لمسائل الترجمة أبداً. ومن هذه الزاوية، لم يتغير الوضع كلياً. لكن الترجمة تستحق أن ينصبَّ عليها اهتمام اللساني: فهي تتبوّأ في مجال اللسانيات مكانة بارزة ومتفردة في الآن ذاته. أضف إلى ذلك أنه إذا كان صحيحاً أن الخطاب التعليمي للكتب المدرسية في اللسانيات العامة (مارتينيه، كليزن، ليونز... إلخ). لا يعالج الترجمة بكيفية

موضوعاتية، أو لا يعالجها البتة[1]، فهذا لا يعني أن اللسانيين لم يعودوا يبالون بهذا المجال الشاسع للدراسات، بل على العكس من ذلك لايزال هذا المجال يشكّل مركز اهتمامهم.

وترجع صعوبة إعداد بيبليوغرافيا «مناسبة» عن الموضوع إلى كوننا نتذبذب بين نقيضَين، يشهد أحدهما بالضبط بأننا نلاحظ منذ عدة سنوات هذا التكاثر في الأبحاث المتعلّقة بمسائل الترجمة وبتشكيل هذه الترجمة أساس نشاط إعلاني غزير تتعذر السيطرة عليه[2]. لكن الأمر يتعلق بسحابة كاملة من الإسهامات المنتظمة والمحددة بدقة، وبصفتها حاملة لخطاب علمي، تظل هذه الإسهامات مُجَزَّأة مؤرخة مؤقتة مموضعة إبستيمولوجياً بالنسبة إلى بعض «الجبهات العلمية» التي توافق أيضاً جدولةً تاريخية (علمية أو غير علمية).

ينبغي أن يساعد ترتيب الترجمة في شكل درس فرعي مستقل، إن لم يكن منفصلاً عن اللسانيات، على تكوين فرقٍ من الأساتذة الباحثين المتخصصين. ويكون هؤلاء الباحثون، **أولاً**، قادرين على أن ينظِّموا بشكل نسقي «تلقِّي» هذه المعلومات العلمية ويجعلوا منها خلاصة تعليمية (بالإمكان إعادة إدراجها ضمن «الديداكيكا» la didaxie) اللسانية العامة)، ويكونون **ثانياً** (وربما بشكل متزامن)، مباشرين توليفاً نظرياً أو علمياً حقيقياً من شأنه أن ييسّر تنسيق هذا

(1) لا يعمل *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage* لـ دوكرو وتودوروف (1972) حتى على إدراج الترجمة (la traduction) ضمن فهرسته.

(2) ولا يكون لنا من أجل الاقتناع بذلك إلا الاستناد إلى أعمال بوش وكليغراف وويلس (K.-R. Bausch, K. Kelgraf et W. Wilß, 1970 et 1972) وفان هوف (H. Van Hoof, 1973). والواضح أن مشروعاً بيبليوغرافياً من هذا النوع سيكون مناقضاً لمنطق العقل في إطار ضيق لعدد مجلة أو كتابٍ ككتابنا.

المجال الشاسع والمشتت تنسيقاً نسقيّاً شاملاً، وأن يمكن من وضع الفرضيات والمصطلحات النظرية الخاصة والضرورية تمكينَه من بناء علم للترجمة قد يشكل فرعاً مستقلاً، مُوسعاً ومعمقاً[3]، من اللسانيات.

يفرض واجب الاختيار بين الحدَّين (extrema) البيبليوغرافيَين التخلي عن طموح بلوغ حد أقصى (maximum) من المراجع الدقيقة التي يتعذر السيطرة عليها، لصالح انتقاء، أدنى، لـ «بيبليوغرافيا مختصرة»، تستحق لأول مرة هذا الاسم بالفعل.

يقترح مونان في كتابه الذي يُذكر باستمرار (*Problèmes théoriques de la traduction*)، بالأحرى، خطاباً بيداغوجياً في الترجمة أكثر من اقتراحه نظرية علمية لها: فكتابه يعد بمثابة «درس في اللسانيات العامة»، فهو درس ممتاز لكننا لا نفيد منه إلاّ القليل عن الترجمة ذاتها[4]. أما (*Les belles infidèles*) (مونان، 1955) فقد عُنون بشكل جميل وكُتب بأسلوب أدبي، ومن ثم فهو كتاب موح، وقد يستحق أيضاً، على الأقل كما هو الشأن بالنسبة إلى (*Problèmes...*)، طبعة ثانية تأخّر ظهورها. إلا أنه في كتابيه معاً يظل حبيس ما نسميه الإشكالية الميتافيزيقية للاعتراض الاستباقي: هل الترجمة ممكنة؟ وردّه بالإيجاب يفرض استدلالاً ذا طبيعة دفاعية: ويتعلق الأمر ببناء إمكان الترجمة (traduisibilité) على دليل لغوي

(3) يبدو أن تحقق هذا البرنامج قد عرف تقدماً في رحاب الجامعة الألمانية التي توفر في هذا الباب أسساً مؤسساتية أكثر ملاءمة، وتكرّس العبارة الألمانية (Übersetzungswissenschaft) هذه الاستقلالية، تأخذ المفردة «علم» هنا المعنى التعليمي لـ «تخصص» (discipline) (انظر ص 177 وما يليها من هذا الكتاب. ولادميرال، 1971، ص 161 وما يليها).

(4) قد نفضل على ذلك الكتاب (*Teoria e storia della traduzione*) وهو للكاتب ذاته (مونان، 1965).

واثبات أن الترجمة هي بحق «عملية لسانية» (انظر ص 76 وما يليها وص 87 وما يليها).

ويوافق هذا الموقفُ الدفاعي عهداً معينا من العلم اللساني حيث الدوغمائية المنهجية والتشبث بالمدارس ومعارضة الدلالة قبلياً والوهم الاستعاديّ، بشكل أعم، لإبستيمولوجيا المذهب الوضعي. كل ذلك يجعل مجال الترجمة مُلقى به ضمنياً خارج الحدود الإبستيمولوجية في اتجاه دراسة غير اللغوي أو الـ «ميتالغوي»، ومنذ ذلك الحين، ظلت الترجمة «فناً وليس علماً»[5] بموجب ميتافزيقا «جمالية»، ملازمة للمذهب الوضعي وغير واعية بنفسها وهو ما تتفرد به الظاهرة الأيديولوجية. يتبنى جورج مونان خطاباً دفاعياً وتبريرياً للبدعة التي تكمن في إعادة إدراج الترجمة حتى ضمن هذا الخطاب المسيطر.

وبخلاف ذلك تبنى هنري ميشونيك في مقاله «36 اقتراحاً من أجل شعرية الترجمة» خطاب قطيعة عابثاً. وتمنح شعريته للترجمة ذاتها البعد التنبؤي لقطيعة إبستيمولوجية تدخل ضمن إطار «صراع أيديولوجي». وترتبط حركة تحرير المترجمين، بالضرورة، بأرخنة جديدة (réhistoricisation) للترجمة كإجراء نصّي «للانحراف عن المركز» لا بين اللغات فقط، بل بين الثقافات أيضاً. وليس ثمة إمكان لترجمة في حدّ ذاتها بقدر ما توجد بقايا «تتعذر ترجمتها» بالأساس: فـ «قابلية الترجمة» (la traductibilité) هي ناتج عمل له شروط إنتاجه المحددة. وتظل هذه الاقتراحات تعاريف لتلقّ ذاتي تعليميّ لشعرية الترجمة كما يتصورها[6].

(5) يتوقف كاري (1965) أيضاً عند صيغة مشابهة.

(6) لقد ظهرت في البداية في عددنا من *Langages* الذي خُصص للترجمة ـ في لادميرال (1972)، ص 49-54 قبل أن يتم إعادتها في ميشونيك (1973)، ص 305 وما يليها، وهذه الطبعة الأخيرة هي التي نحيل عليها في هذا الكتاب.

وفضلاً عن الأعمال المشار إليها سالفاً، تجدر الإشارة، في اللغة الفرنسية، إلى كتاب فيناي وداربلنيه (1968)، وإلى المساهمة الممتازة المخصصة لـ «الترجمة البشرية» لـ فيناي (1968) في مارتينيه (1968b)، وأيضاً في الأخير إلى مالبلان (1966).

إلا أن قسطاً مهماً من الأدب «العلمي» الرصين الذي يتعلق بالترجمة مكتوبٌ بالإنجليزية. وانسجاماً مع الزاوية الدنيا المتبناة، سنقتصر على ذكر: نيدا (1964) وكاتفورد (1967) وكذلك نيدا وتابر (1969). ويمكن أن نضيف إلى ذلك مجلدات مشتركة من قبيل مجلدات برُوفر (Brouwer) (1966) وآروسميث (Arrowsmith) وشاتوك (Shattuck) (1966). . . إلخ.

وفي الوقت الذي تبدو فيه نظرية في الترجمة وكأنها تستلزم أن يُعاد النظر في الفرق التقليدي بين التعيين والتضمين (انظر أعلاه، ص 115 وما يليها) وفي «الثنائية دلالة/ أسلوبية»، بل وأن يعتبرا «متجاوزين»، يوافق تابر (1972) على أن يجعل من هذه الثنائية موضوع مساهمته في هذا العدد. وهو يتبنى شأنه شأن أوجين نيدا مُسلَّمات اللسانيات التوليدية التحويلية. إن «ترجمة المعنى» تتطلب تحليلاً يذهب أبعد من البنيات السطحية إلى حدود البنيات الدلالية ومكوناتها المختلفة. وتمثل «ترجمة الأسلوب» الرهان الأساس، بل المشروع الأكثر حساسية طالما أن طبيعة «القيم الأسلوبية» الواجب منامطتها تظل صعبة التحديد علمياً وأنها بدورها مُشَفَّرة في مستويات عديدة.

لقد انطلق كاتفورد في اقتراحه لـ «نظرية لسانية للترجمة» من اعتبارات بيداغوجية. وقد كان في الحقيقة من الضروري أن يتم غلق هذا الباب. فقد مثَّل تحليل «الترجمة في المؤسسة البيداغوجية» (انظر أعلاه ص 23 وما يليها) الفرصة للتخلص من التصورات المدرسية

التي رسختها فينا التجربة الماضية لمدرسي اللغات الحية و«الميتة»، وبما أن دمج الترجمة في هذا المستوى بالضبط هو موضوع جدال، فذلك يشكل سبباً إضافياً لمباشرة هذه «الحفريّات التعليميّة». إن تجاوز المنهج نحو ـ ترجمة في بيداغوجيا اللغات هو ملازم في الحقيقة لـ «نسيانٍ» حديثٍ للانشغال الصريح بالترجمة والذي طبع لزمن طويل الأنحاء التقليدية حيث يتم تكملة المنطق الميتالغوي ببقايا أو استطرادات اصطلاحية، لدرجة أننا قد ننزع إلى تأويل الاهتمام الذي نبديه باللسانيات التقابلية وكأنه نوع من التذكر (réminiscence).

وبعد إبعاد «الترجمة البيداغوجية»، يستحسن إغلاق بابٍ ثانٍ من أجل تعيين مجال الترجمة بالمعنى الحصري: هو باب الترجمة الآلية[7]. باب موصد بشكل مزدوج على ما قُدِّم على سبيل المأزق: يضع غروس (Gross) (1972) جرداً سلبياً وحديثاً لهذا الأمل الخائب الذي يقوم مقام يوتوبيا مُكلفة استيهامية تقنوية ناجية من الميثولوجيا البابلية. لم يعزم زمب (1972)، بهذه السهولة، على التخلي عن فكرة آلة الترجمة التي قد تكون «غير مُلَوِّثة» وقد تعمل حتى على تصفية التقويم الكنسي (ordo) الإخباري للالتباسات الطارئة على العدد (numerus) البَدَلي. ويتعين على المترجم أن يلتجئ إلى الضمانات النسبية للتحقق الجزئي من اختياراته بفضل إجراءات حساب اقتضائي وبفضل منطق خطاب تمت الإشارة إليه. وفي إطار تنافسي، ينتظر من ممارسة الترجمة أن تُعيد توليد النظرية اللسانية التي يسعى المذهب

(7) منذ صدور لادميرال (1972)، تم طبع مجموعة من الأعمال في الترجمة. ينبغي، قبل كل شيء، الإشارة إلى الترجمة الفرنسية التي ظهرت حديثاً للكتاب الجميل لـ شتاينر (1978) الذي يتعلق بالترجمة الأدبية. لنشر أيضاً إلى لـ يودسكانوف (1969) وويلس (1977) وأعداد مختلفة لمجلات من قبيل الـ *Etudes de linguistique appliquée* (رقم 12 ورقم 24) و*Change* (رقم 14 ورقم 19).

الوضعي المشار إليه سلفاً إلى تفريغها من جوهرها وجعلها هيكليةً[8].

وبخلاف ذلك، لا يعفي هذا المنظور العقلاني للصَورَنَة من مَوضَعَة ما درجنا على تسميته باللغة الموسّعة الثقافية والسياقية والمقامية. وذلك ما يقوم به فوركيه (1972) في علاقة بانشغالاته بمستوى المدلول الذي تشكل سلسلاته الكلامية إشفاراً (codage) في وحدات مفصولة للدال. فاستعارةُ قطار الذبذبات (التلفزة) التي تُمثَّل بها مؤقتاً الرسالة المروم ترجمتها، أي الرسالة التي ينبغي إعادة تركيبها على شاشة للقراءة، تجعل الترجمةَ تشاكل هندسة الإسقاطات: وتمثل الدوال الإسقاط الخطي للمدلول، إلا أن مستوى المدلول يحيل أيضاً على فضاء كامل غير لغوي أو سياق بالمعنى الموسّع الذي يعطيه اللسانيون الأنجلوساكسونيون عادة للكلمة[9]. ويحلل برنييه (M. Pergnier) (1972) الظروف والنتائج السوسيولغوية للترجمة باعتبارها إجراءً لغوياً أو لغوياً موسّعاً. وبموازاة ذلك، يؤكد تيبرجيه (R. Thieberger) (1972) ضرورة أقلمة الترجمة مع جمهورها المتلقي لأن كل ترجمة هي فعل تواصلي في حد ذاتها. فالمترجم الحقيقي هو المؤوِّل، الذي يعيد إلى التواصل الكلامي بُعده «الشفهي» الذي يظل أساسياً بالنسبة إليه. وقد أجبرت الترجمة تيبرجيه على تلهيج (dialectiser) مصطلح اللغة ـ الهدف لكي يُدمج فيه المكونات اللغوية الموسعة والقيود الملازمة له، ساعياً بذلك إلى تحديد لهجة اجتماعية صغرى أو «لهجة مكانية (topolecte) ـ هدف»، أي الوسط ـ الهدف.

(8) انظر الكتاب الذي أصدره أ. دولافوناي (1963) ضمن سلسلة «Que sais-je?»، وكذلك ج. مونان (1964)... ،إلخ.

(9) حول «منطقية» اللسانيات الزمبية، راجع الإشارات البيبليوغرافية التي يعطيها الكاتب نفسه في ج. م. زمب (1972)، ص 87، راجع أيضاً نحوه التقابلي أو بالأحرى «المقارن» للفرنسية وللألمانية: ج. م. زمب (1978).

أضف إلى ذلك أن الترجمة دفعت بـ فاندروسكا (M. Wandruska) (1972) إلى تسليط الضوء على التحول اللغوي الذي تُشكِّل ممارسة الترجمة أهم عوامله. إنه مقال عن الفرنسية بوصفها لغة ـ هدفاً وعن توليدها، ذلك الذي يقترحه المُسْتَرْوِم (romaniste) الألماني من منظور «شذوذي» صرف (لكي نعيد استعمال ألفاظ النقاش الإسكندري (alexandrin) والذي يذكر السجال بين زمب وفاندروسكا ببعض مظاهره). أضف إلى ذلك أنه إذا كان الخطاب النظري الذي يقترحه يوافق جيداً ممارسي الترجمة، فإن لسانيات النسق تكون قد حجزت لديه مكاناً لعلاقة «بيْلغوية» تهم الاستعمال.

وفي ما يخص المترجمين أنفسهم، فإنهم لم ينتظروا إلى أن ينكب اللسانيون على مصيرهم. وكما هو الشأن بالنسبة إلى الصوتيات في زمنها، فقد كانت الترجمة مجالاً مستقلاً قبل أن تعترف لها اللسانيات بهذا الوضع ضمنها. إنها أيضاً وقبل كل شيء مهنة، مجال علمي ومهنة ـ وينزع اللفظان هنا إلى الترادف ـ فالترجمة تُمارس وتُلَقّن: يعرض لنا موسكوفيتز (1972) بيداغوجيا الترجمة كما يستعملها أحد المعاهد الدولية للتأويل والترجمة والذي يشغل فيه منصب وكيل المدير: المدرسة العليا للترجمة الفورية والترجمة (E.S.I.T)، جامعة باريس الثالثة (دوفين). ويتشبث دانيال موسكوفيتز بتحديد نظرية للترجمة «الإجرائية» من منظور «نفسي لغوي» يمثل نظيراً للمقدمات السوسيولغوية لـ موريس برنييه. إنه إذًا صوت مُمارسٍ للترجمة ضمن تناغم نظري (أي صوت «مرتزق» وليس صوت أحد «هواة» الترجمة) ذلك الذي يُغلق العدد في الوقت الذي يَفتح فيه قليلاً باباً على محترف المترجم الذي يسعى جاداً ليصبح مصنعاً، بالرغم من التهديدات التي يبدو أن «آلة الترجمة» تضغط بها...

الثبت التعريفي

اعتراض استباقي (objection préjudicielle): الإشكالية التي انبثق منها كتاب ج. مونان (1955) الذي تَصدَره السؤال «هل الترجمة ممكنة؟». ويفسح هذا السؤال مكانه للسؤال «هل يمكن أن نترجم الشعر؟»، ويثوي خلف السؤالين معاً جواب سلبي. ويتساءل لادميرال: كيف يمكن أن نتحدث بِجِدٍّ عن الترجمة ـ ولو لنقول إنها غير ممكنة ـ من دون أن نكون قد مارسناها على الإطلاق؟

تبدد (entropie): ثمّة حالات تكون فيها التضمينات الدلالية التي تسوقها الكلمة ـ المصدر أقلَّ أهمية، بل إنها غير أساسية؛ وعليه يمكن للمترجم، بل يتوجب عليه أن يستغني عن ترجمتها. وإذا بنا بإزاء تبدد لا بإزاء زيادة، أي إنّنا في الأساس، بإزاء هدر للمعلومات على مستوى المدلول. لكن على مستوى الدال أيضاً، يجوز أحياناً التفكير في تخفيف للنص، الذي يعد مثقلاً بالحشو، إذا كان في الإمكان مماثلة هذا الحشو بمظاهر للغة الموسعة ـ المصدر التي يكون من اللائق إخفاؤها.

ترقن (transcodage): إن في اعتبار عملية الترجمة ترقنا جهلاً بكل «الكثافة» اللغوية الصرف للغات التي تصل الترجمة بينها، والتي قد تتحول إلى مجرد شفرات. وقد يقلّص المعجم إلى مدونة أو

صنّافة شبه مصطلحية من دون أن يكون على صلة سيميائية بالثقافة وبالتاريخ اللذين يحيل إليهما؛ وقد يصبح التركيب محصوراً بشكل مفرط في بعض القواعد الصورية؛ وبالخصوص لن يعود ثمة مكان للمسكوك وللمظاهر الأسلوبية وللبلاغة وللتضمينات... وتكمن فكرة التترقن إجمالاً في أن نفرغ، في المجرد، الحقيقة الملموسة لصعوبات الترجمة المصادفة في التجربة وكل ما يجعل من الترجمة تحديداً ممارسة وليس تقنية.

ترجمة (traduction): تُعد الترجمة حالةً خاصة من التماسّ والتقارب اللساني، وهي تفيد، بالمعنى الواسع، كل شكل من أشكال «الوساطة البيْلغوية» (médiation interlinguistique)، التي تمكِّن من نقل المعلومة بين متكلمي لغات مختلفة. وتنقل الترجمة رسالة من لغة ـ مصدر إلى لغة ـ هدف. وتعني «الترجمة» في الوقت ذاته ممارسة الترجمة ونشاط المترجم ونتيجة هذا النشاط، أي النص ـ الهدف ذاته.

ترجمة فورية (interprétation): بالمعنى الحصري لكلمة ترجمة، درج المنظِّرون على التمييز بين interprétariat التي أعيدت تسميتها حديثاً interprétation ـ للدلالة على الترجمة الفورية أو «الترجمة الشفهية» التي يمكن أن تكون تعاقبية أو متزامنة ـ traduction أي الترجمة الحقيقية التي تتناول النصوص المكتوبة.

ترجمية (traductologie): يعرّف لادميرال الترجمية على أنها «براكسيولوجيا» أو علم للممارسة، من أجل الممارسة، ومن ثم عنوان كتابه (*Traduire: Théorèmes pour la traduction*)؛ كما إنها مجال تأملي. ويستمد الخطاب الترجمي مادته من اللسانيات والفلسفة وعلم النفس.

تضمين (connotation): مستوى الأسلوب أو القيمة الأسلوبية أو مستوى اللغة أو، الفحوى العاطفي... أو، ابتذالاً، «الأسلوب».

تعيين (dénotation): المجال الدلالي أو التقطيع الدلالي... أو، ابتذالاً، «المعنى».

تكافؤ (équivalence): تُعرف الترجمة بأنها تسعى في أن تعفينا من قراءة النص الأصلي. ويفترض أن تعوض الترجمة النص ـ المصدر بالنص «نفسه» في اللغة ـ الهدف. إن الأمر يتعلق بشكل أدق بتماثل الكلام عبر اختلاف اللغات. وتبعاً لكاتفورد (1967)، يتوفر الملفوظ ـ المصدر والملفوظ ـ الهدف على المعنى «نفسه» عندما «يشتغلان في المقام ذاته».

حرفانية (littéralisme): يذهب لادميرال إلى أن الحرفانية، أي الارتباط بدالِّ اللغة، تمثل تقهقراً على مستوى بيداغوجيا اللغات والترجمة، وتناقضاً على مستوى جمالية الترجمة الأدبية التي يستند إليها «المصدريّون» كما تمثل أيضاً، وبشكل أساسي، عودة المكبوت الديني وعلامة على اللامفكر فيه اللاهوتي للمعاصرة. وتكمن الأطروحة في أن كل نص ـ مصدر يميل إلى أن يستثمر ـ على الأقل، بشكل غير واعٍ، من لدُن الـ «مصدريين» ـ بوصفه نصّاً مقدساً.

قرابة لغوية (dialinguistique): يضع لادميرال تقابلاً بين «قرابة لغوية» وعلاقة «بيلغوية» (interlinguistique). يتم الضرب الأول بين «بدائل» لغة معينة، أي بين لغات تصل بينها قربى لغوية كتلك التي يمكن أن تحصل بين الفصيح والدارج من اللغة العربية في حين يصل الضرب الثاني من العلاقة بين لغات تختلف في ما بينها كالعلاقة بين اللغة الفرنسية واللغة الألمانية مثلاً. ويؤكد أن غرضه من وضع هذا المصطلح هو توفير مُزاوج أدق أو أكثر «تقنية» للاستعمال الذي يكون أحياناً فضفاضاً للفظ «سوسيولغوي» في بعض المواقف، وليس غرضه تعويضه نسقياً.

كلمة مولدة (néologisme): مفردات دلالية مولدة تحاكي المفردات ـ المصدر. وذلك باستثمار ـ أو وضع ـ بعض المفردات التي تُمنَح معاني متجددة وفقاً للسياقات الملائمة. والترجمة، حسب هـ. ميشونيك (1973)، تمثل «بناء علاقة جديدة»، بمعنى أنها «عصرنة وتوليد لمفردات»، بل إنها «إبداعٌ». وينبغي أن تكون ألفاظ المترجم المستحدثة قادرة على استركاز قاعدة اصطلاحية عريضة وغير موسومة في اللغة ـ الهدف. وقد دأب النقائيون على أن ينتقدوا بقوة تكاثرها المفرط في وقتنا الراهن.

كوديتي (quodité): هذه المفردة استقاها لادميرال من الفلسفة القروسطية (quoditas)، لم نتوفق في أن ننحت لها مقابلاً في العربية فآثرنا نسخها كما فعل هو في اللغة الفرنسية. وتشمل **أ) الكوديتي الاصطلاحية** (quodité terminologique): أقول إن (quod = que)، وأقرر بصفتي مترجماً أن مفردة معينة تدخل في عداد المصطلحات أو أنها غير ذلك، وفي هذه الحالة يكون المترجم مضطراً لقبول الزيادات أو بعض درجات التبدد أي أن يلعب لعبة المغايرة (dissimilation)؛ **ب) الكوديتي الترجمية** (quodité traductive): أقرر ترجمة عبارة معينة أو تركها من دون ترجمة وذلك تبعاً لعاملين. يهم العامل الأول الثنائية السوسورية «اللغة والكلام»، فإذا تعلق الأمر بـ «الكلام» ينبغي «نقل المعلومة»، وإذا تعلق بمعطيات اللغة نكتفي بتشغيل المصادر التي توفرها اللغة ـ الهدف للاستجابة إلى متطلبات الكتابة التي يقتضيها تحرير نص ـ هدف جيد. ويهم العامل الثاني «تراتبية الوسائط». فعلى سبيل المثال يحظى وسيط «المضمون النظري» بالأولوية في الترجمة مقارنة بوسيط «اللعب بالألفاظ» الذي يبدو ثانوياً ومن ثم يمكن الاستغناء عن ترجمته.

لغة ـ ثقافة (langue - culture): بالنسبة إلى نظرية الترجمة،

يقترح هنري ميشونيك (1973، ص 308) توسيع «مصطلح اللغة» لتنفتح اللغة على البعد الثقافي الملازم لها، وهو ما أسماه لادميرال المعطى السوسيولغوي الذي يشتغل عليه المترجم. وهذه التضمينات الثقافية تهم سياقات كل لغة، وبناء عليه يجب ترجمتها، بمعنى أنها يجب أن تظهر في النص ـ الهدف بما أنها تشكل جزءاً من المعلومات التي يتضمنها النص ـ المصدر.

لغة موسعة (périlangue): اللغة الموسعة أو «الممططة» أو الممددة لا تتضمن فقط سياق الحضارة الذي تتعالق معه طالما أن الأمر لا ينحصر في الترجمة من «لغة ـ ثقافة» إلى أخرى. ينبغي أيضاً، تبعاً للادميرال، إفراد حيز لبعض السمات السلوكية التي ترافق ملفوظات المتكلمين ـ المصدر وللأساس المرجعي (substrat référentiel) الذي يحيلون إليه.

مصدريون (sourciers) وهدفيون (ciblistes): نشر لادميرال (1986) دراسة كان قصده فيها توجيه نقد جذري للاتجاه الحرَفاني. ولهذا الغرض، وباللجوء إلى لفظين مُولدين، وضع تقابلاً بين من أسماهم بالمصدريين ومن أسماهم بالهدفيين. ويشكل كل منهما طريقة أساسية لممارسة الترجمة: يتشبث «المصدريون» بدال اللغة، ويفضلون اللغة ـ المصدر؛ في حين لا يركز «الهدفيون» على الدال ولا على المدلول بل على المعنى، ليس معنى اللغة بل معنى الكلام أو الخطاب، الذي هو موضوع الترجمة باستخدام وسائل خاصة باللغة ـ الهدف. من بين الـ «هدفيين»، يصنف المؤلف نفسه إلى جانب جورج مونان وإفيم ايتكيند، ومن بين الـ «مصدريين» فالتر بنيامين وهنري ميشونيك وأنطوان بيرمان.

مُضمِّن (connotateur): بالنسبة إلى هلمسليف، يعتبر المجموع تعبير (دال ـ 1) ومضمون (مدلول ـ 1) هو ما يشكل تعبيرَ مُضمِّنٍ

(دال ـ 2) مضمونُه (مدلول ـ 2) «يتضمَّنُ» التلوينَ اللهجي لإهمالٍ في اللغة ووسماً سوسيولغوياً في المُضمِّن في الآن ذاته.

نقل إلى اللغة الأجنبية (thème)، ونقل إلى اللغة الأم (version): يُخضع «النقل إلى اللغة الأجنبية» و"النقل إلى اللغة الأم»، والمطبّقان في المدرسة، عمليات الترجمة للاستراتيجية العامة لتعليم اللغات، ويتضمنان مجموعة من الإكراهات الخاصة؛ فهما يشكلان تمارين بيداغوجية تمثل حالة محدودة وشاذة نسبياً بالنسبة إلى الترجمة الحقيقية التي تسعى إلى إنتاج نص موجه إلى الجمهور، وليس إلى مصحّح. وهي فعل تواصلي، محدد اقتصادياً بشروط إنتاج المترجم.

وحدات نظرية (théorèmes): يقدم ج. ـ ر. لادميرال قائمة ألفبائية «غير مرتبة» وغير تامة لهذه الوحدات النظرية أو المفاهيم المفاتيح أو المبادئ ذات الصلة بالترجمية؛ هذه القائمة الألفبائية يمكن أن تُسخر بوصفها قاعدة لما يمكن أن يصبح ثبتاً إجمالياً. وأهمها: اختيار في الترجمة، مؤلف مشارك (أو كاتب ثان)، تعويض، مضمِّن، محافِظية المترجم اللسانية، معنى متناقض أدنى، مُغايَرة، تبدُّد، لغة موسعة، «كوديتي»، تترقُّن... إلخ. وهذه «الوحدات النظرية» متعددة وهي لا تتوحد إلا من أجل تيسير فعل الترجمة.

وضعية (positivisme): تبعاً لهذا المذهب، تشيخ الكتب في العلوم الإنسانية بالسرعة التي تشيخ بها في العلوم الدقيقة! وهو أمر يصدر عن هذه الأيديولوجيا التي نسميها منذ ما يزيد عن القرن بالوضعية. وتقوم على فكرة أن المعرفة لا يمكن أن تكون إلا علمية، وإن العلوم الإنسانية لا يمكن أن تكون ذات مصداقية إلا بمقدار مطابقتها للعلوم الدقيقة، أي بمقدار تقليدها لها!

ثبت المصطلحات

épistémique	إبستيمولوجي
épistémologie	إبستيمولوجيا
falsification	إبطال، دحض
consistance	اتساق
cohérence formelle	اتساق الصوري
communication	اتصال، تواصل
automatisme	أتمتة
étymologie	أثالة
effet	أثر
ethnographe	إثنوغرافي
ethnologie	إثنولوجيا
sociologisme	اجتماعانية
univoque	أحادي
monolingue	أحادي اللغة
univocité	أحادية
coordonnées	إحداثيات
archaïsme	إحياء المهجور/ المنبوذ
expérimental	اختباري
abréviation	اختزال
littérature	أدب
gnosie	إدراكات حسية
minimaliste	أدنى

association	ارتباط، ترابط
corrélation	ارتباط، تعالق
réflexe	ارتكاس، رد فعل
historicisation	أرخنة
diglossie	ازدواجية اللغة
anticipation	استباق
introspection	استبطان
évocatif	استحضاري
obsession du référent	استحواذ المرجع
argumentation	استدلال
raisonnement	استدلال
raisonnement par l'absurde	استدلال بالخلف
rétrospection	استذكار
métaphore	استعارة
disponibilité	استعدادية، توفر
transcendant	استعلائي
usage	إستعمال
inductive	استقرائي
polarisation	استقطاب
autonomie	استقلال، استقلالية
stylistique génétique	أسلوبية سلالية
substantif	اسم، جوهر
indice	إشارة، قرينة
fonctionnement	اشتغال
encodage	إشفار
problématique	إشكالية
lectismée	اصطفائية، توليفية
terminologisme	اصطلاحانية
terminologique	اصطلاحي
opacité	إعتام
objection préjudicielle	اعتراض استباقي
anonymat	إغفال

immersion linguistique	إغماس لغوي
présupposition	افتراض
supposition	افتراض
hypothèse	افتراض، فرضية
hypothétique	افتراضي
virtualité	افتراضية
emprunt	اقتراض
familiarité	ألفة
mécanisme	آلية (ميكانيزم)
optimum	الأمثل
traduisibilité	إمكانية الترجمة
solipsisme linguistique	أنانة لغوية
performance	إنجاز
performatif	إنجازي (فعل)
déviance	انحراف
glissement de sens	انزلاق المعنى
écart	انزياح
impressivité	انطباعية
réflexion	انعكاس، تفكير، تأمل
affectif	انفعالي، عاطفي
désuétude	إهمال، بِلْد
ésotérique	باطني
variante	بديلة
praxéologie	براكسيولوجيا، علم الممارسة
instructions officielles	برامج رسمية
belgicisme	بلجاوية
construction	بناء
esquisse conceptuelle	بناء تصوري
structure	بنية
structure de surface	بنية سطحية
superstructure	بنية عليا
structure profonde	بنية عميقة

pédagogie	بيداغوجيا
interlangue	بيلغة
interlinguistique	بيلغوي
environnement	بيئة، محيط
littéralisation	تأديب
composite	تآلفي، مركب
combinaison	تأليف
syncrétisme	تأليفانية
combinatoire	تأليفي
syncrétique	تأليفي، توفيقي
réflexivité conceptuelle	تأمل تصوري
réciproque	تبادلي
ambigüité	التباس، لَبس
entropie	تبدد
permutation	تبديل
syntagmatique	تتابعي، تراكبي
séquentialisation	تتابعية
transcodage	تترقن
empirique	تجريبي
empirisme	تجريبية
collation	تجميع
distorsion	تحرُّف
tautologie	تحصيل حاصل
péjoratif	تحقيري، قدحي
analyse	تحليل
analyse componentielle	تحليل مُكوّني
psychanalyse	تحليل نفسي
analytique	تحليلي
psychanalytique	تحليلي نفسي
mise en locution	تحويل إلى تعبير
terminologisation	تحويل اصطلاحي
sémantisation	'تحويل إلى دلالة، «تدليل

psychologisation	تحويل نفسي
interférence	تداخل
pragmatique	تداول، تداوليات
réminiscence	تذكر
synonymie	ترادف
traductionnisme	ترجمانية
traduction	ترجمة
traduction consécutive	ترجمة (شفهية) تعاقبية/ تتبعية
traduction (orale) simultanée	ترجمة (شفهية) متزامنة
traduction simultanée	ترجمة (شفهية) متزامنة
traduction (orale)	ترجمة (شفهية)، ترجمة فورية
traduction assistée par ordinateur	الترجمة المسعفة بالحاسوب
traduction automatique	ترجمة آلية
incrémentialisation	ترجمة بالزيادة
traduction humaine	ترجمة بشرية
traduction pédagogique	ترجمة بيداغوجية
traduction spontanée	ترجمة تلقائية
traduction traductionnelle	ترجمة حقيقية
traduction minimale	ترجمة دنيا
traduction philosophique	ترجمة فلسفية
interprétariat/ interprétation	ترجمة فورية
traductologie	ترجمية
traductologie productive	'الترجمية « المنتجة
feed-back	ترجيع
schéma	ترسيمة
phraséologie	تركيب جمل، أسلوب مميِّز
synchronique	تزامني
équilinguisme	تساوي اللغوي
chronologie	تسلسل زمني
nominalisation	تسمية
innutrition	تشرب، تشبع
poétisation	تشعير

codage	تشفير
configuration	تشكيلة
chomskyen	تشومسكوي
hypercorrection	تصحيح مفرط
diminutif	تصغير
taxonomie	تصنيف
conception	تصور
collocation	تضام
connotation	تضمين
concordance	تطابق، مطابقة، توافق
practicisme	تطبيقانية
diachronie	تطورية
paradigme	تعاقب، نموذج استبدال
paradigmatique	تعاقبي، استبدالي
locution	تعبير
tournure	تعبير
idiome	تعبير اصطلاحي، لغة قوم، لسان مجموعة
idiotisme	تعبير شاذ، مسكوك
verbalisation	تعبير شفهي
cliché	تعبير مأثور
expressivité	تعبيرية
scotomisation	تعتيم
exclamation	تعجب
interjection	تعجّب
polysémie	تعدد المعاني
modulation	تعديل
définition en extension	تعريف بالماصدق
définition en compréhension	تعريف بالمفهوم
définition	تعريف، تحديد
commentaire	تعليق
didactique (des langues)	تعليم اللغات
compensation	تعويض

compensatoire	تعويضي
dénotation	تعيين
dénotatif	تعييني
différenciation	تفاضل
différentiel	تفاضلي، تمايزي
individuation	تفرُّد
individualisation	تفريد
exégèse	تفسير
paraphrase	تفسير، إعادة صياغة
spéculatif	تفكيري، نظري
opposition	تقابل
contrastif	تقابلي
polarité	تقاطب
approximation	تقريب
segmentation	تقطيع
tradition philosophique	تقليد فلسفي
réduction pédagogique	تقليص بيداغوجي
technique	تقنية
évaluation	تقييم
docimologie	تقييم، تباري
équivalence	تكافؤ
interdisciplinarité	تكامل معرفي
involution	تكور، تكوم
adaptation	تكييف
conditionnement culture	تكييف ثقافي
convergence	تلاق
contraduction	تلخيص ـ ترجمة
énonciation	تلفظ
dialectisation	تلهيج
coloration	تلوين
identité	تماثل
isomorphisme	تماثل

assimilation	تماثل، مماثلة
complétude	تمام
articulation	تمفصل، نطق
intertextualité	تناص
symétrie	تناظر
harmonie	تناغم، تآلف
antinomie	تناقض
alternance	تناوب
théorisation	تنظير
théoricisme	تنظير مفرط
organisation	تنظيم
intonation	تنغيم
variation	تنوع، تبدل
hypnose	تنويم
communication interculturelle	تواصل الثقافات
communicationnel	تواصلي
communicationnalité	تواصلية
correspondance	توافق
explicitation	توضيح، تفسير
objectivation	توضيع، موضعة
synthétique	توليفي
subsidiaire	ثانوي
sous-culture	ثقافة فرعية
biunivoque	ثنائي، مزدوج
dualisme	ثنائية
bilinguisme	ثنائية اللغة
timbre	جرس، رنة
esthète	جمالي
collectif	جمعي
genre	جنس
dispositif	جهاز
aspect	جهة

substance	جوهر
substantialisme étymologisant	جوهرانية تأثيلية
motivation psychologique	حافز نفسي
occultation	حذف
littéralisme	حَرفانية
littéraliste	حرفي
littéralité	حرفية
voyelle	حركة
périphrase	حشو
redondant	حشوي
angoisse	حصر نفسي، أزل
blocages psychologiques	حصرات نفسية
discours	خطاب
arrière-plan	خلفية
harmonisation	خلق التناغم
algorithme	خوارزْم
peur	خوف
intralinguistique	دخْلغوي
dogmatisme	دغمائية
sémantiser	'دلَّل'
signe	دليل، علامة
dynamique des groupes	دينامية المجموعات
dynamisme	دينامية، حركية
subjectif	ذاتي
mentalisme	ذهنانية، ذهنية
radicalisme	راديكالية
message	رسالة
sédimentation lexicale	رسوب معجمي
désambigüisation	رفع اللبس
aberrant	زائغ، شاذ
glottique	زردمي
temporalité	زمنية

incrémentiel	زيْدي
préfixe	سابقة
polémique	سجال
registre	سجل
chaîne parlée	سلسلة كلامية
béhaviourisme	سلوكية
étiquette	سمة
trait distinctif	سمة مميزة
sociolinguistique	سوسيولسانيات، علم اللغة الاجتماعي
contexte culturel	سياق ثقافي
processus mental	سيرورة ذهنية
processuel	سيروري
sémiologie	سيميولوجيا
grille	شبكة
déviation	شذوذ
anomalisme	شذوذية
inchoatif	شروعي
transparence traductive	شفافية ترجمية
code	شفرة
oralité	شفهية
holiste	شمولي
passion	شهوة
obsolescence	الشيْخ
consonne	صامت
morphème	صُرفة
phonologie	صواتة
phonétique	صوتيات
phonétique combinatoire	صوتيات تأليفية
phonème	صوتية، فونيم
forme	صورة
formalisation	صورنة
formalisme	صورنة

formelle	صوري
formulation	صياغة
problématisation	صياغة الإشكاليات
formule	صيغة
mode	صيغة
connotatif	ضمني
contingent	طارئ، عارض
classe	طبقة
phénoménologie	ظاهراتية
affectivité	عاطفية
Univers (du discours)	عالم الخطاب
vulgaire	عامي، سوقي
expression	عبارة
trans-sémantique	عبر دلالي
translinguistique	عَبْرَلساني
barbarisme	عجمة
lexie	عجمة
nombre	عدد
communauté linguistique	جماعة لغوية
raison	عقل
rationaliser	عقلن
rationalisation	عقلنة
antimétabole	عكس مضاد
interpersonnel	علاقي
marquage	علامة
sociologie	علم الاجتماع
psychosociologie individuelle	علم الاجتماع النفسي الفردي
Science de la traduction	علم الترجمة
théologie	علم اللاهوت
terminologie	علم المصطلحات
psychologie	علم النفس
scientificité	علمية

sciences	العلوم
sciences humaines	العلوم الإنسانية
sciences du langage	علوم اللغة
sciences cognitives	العلوم المعرفية
opération traduisante	عملية ترجمة
syntagmatisation	عملية تتابعية
ancien testament	عهد قديم
graphème	غرافيم، وحدة خطية/ كتابية
instinct	غريزة
pulsion	غريزة جنسية
instinctif	غريزي
instinctuel	غريزي
flou	غموض
extralinguistique	غير لغوي
hétéroclite	غير متجانس
sujet	فاعل
vérification	فحص، تثبت
contenu	فحوى، مضمون
idiosyncrasie	فُرادية
individu	فرد
individualiser	فرَّدَ
individualiste	فرداني
individualisme	فردانية
individuel	فردي
individualité	فردية
franglais	فرنجليزي
physiologique	فزيولوجي
acte de langage	فعل لغوي
délexicaliser	فقدان المعجمة
philologie	فقه اللغة
décodage	فك الشفرة
clivage	فلق

فهرس، ثبت	index
فهم، إدراك	compréhension
فوقطعي، فوق مقطعي	suprasegmental
قاعدة	maxime
القاموس الآلي	dictionnaire automatique
قاموسيات	lexicographie
قائمة سوسيولغوية	catalogue Sociolinguistique
قبل تأملي	préréflexif
قدرة	compétence
قدرة (لغوية) موسعة	compétence périlinguistique
قدرة جامعة	archi-compétence
قرابة ثقافية	diaculture
قرابة لغوية	dialinguistique
قضية	proposition
قطيعة إبستيمولوجية	coupure épistémologique
قطيعة أدبية	coupure littéraire
قوس الارتكاز	arc-réflexe
قياس	analogie
قيمة أسلوبية	valeur stylistique
كلام	parole
كلمة تعجبية	hypocoristique
كلمة مولدة	néologisme
كمال تقريبي	perfection (quasi-)
'كوديتيه'	quodité
كوديتيه» الترجمية'	quodité traductive
كوديتيه» المصطلحية'	quodité terminologique
لا تناظر	dissymétrie
لا قابلية الترجمة	intraduisibilité
لا معنى	non sens
لاحقة	suffixe
لازمة	corrélat
لاوعي لغوي	inconscient linguistique

grasseyé ('r'-)	لثغ
solécisme	لحن
linguistien	لساني، لغوي
linguistique	لساني، لغوي
linguistique	لسانيات
psycholinguistique	اللسانيات النفسية
linguistique appliquée	لسانيات تطبيقية
linguistique contrastive	لسانيات تقابلية
linguistique externe	لسانيات خارجية
translinguistique	لسانيات عَبْرية
langue	لغة
langue étrangère	لغة أجنبية
langue origine	لغة أصل
substrat	لغة تحتية، أساس
langue seconde	لغة ثانية
langue vivante	لغة حية
langue parlée	لغة شفوية
sous -langue	لغة فرعية
langue-pivot	'لغة «محور
langue- source	لغة مصدر
périlangue	لغة موسعة
langue morte	لغة ميتة
langue-cible	لغة هدف
langage	لغة، كلام، خطاب
langue-culture	لغة ـ ثقافة
paralinguistique	لغوي موازي
linguiciste	لغياني
terme	لفظ
item lexical	لفظ معجمي
dialecte	لهجة
sociolecte	لهجة اجتماعية
idiolecte	لهجة فردية

argot	لهجة فئوية
jargon	لهجة فئوية
nuance	لُوينة
libidinale	ليبيدي
aporie	مأزق
aporétique	مأزقي
simultané	متزامن
interchangeable	متعاوض، استبدالي
discontinuiste	متقطع
sujet-parlant	المتكلم
locuteur natif	متكلم فطري
convergent	متلاق
récepteur	متلقي
séquence	متوالية
interculturalité	مثاقفة
discipline	مجال
discipline réflexive	مجال تأملي
abstrait	مجرد
groupe	مجموعة
continuum	مجموعة متصلة
argument	محاجة
onomatopée	محاكاة صوتية
déterminatif	محدِّد
tabou	محرم، محظور
psychanalyste	محلل نفسي
topique/ topic (thème)	محور
nomenclature	مدونة، صنافة
positivisme	المذهب الوضعي، الوضعية
référent	مرجع، محيل
rendement	مردود
rentabilité	مردودية
emetteur	مُرسِل

syntagme	مركب
doublet	مزاوج
arrondi	مستدير
prospectif	مستقبلي، توقعي، استشرافي
plan d'expression	مستوى التعبير
plan du contenu	مستوى المضمون
idiomatique	مسكوك
traditeur	مسلِّم
axiome	مسلمة
postulat	مسلمة
propos	مسند
homonyme	مشترك لفظي
problème	مشكل، إشكال، مسألة، قضية
sourciers	مصدريون
concept	مصطلح، تصور
connotateur	مُضمِّن
antagoniste	معاكس، مضاد
lexique	معجم
vocabulaire passif	معجم غير فعال
vocabulaire actif	معجم فعال
vocabulaire	معجم، مفردات اللغة
lexicaliste	معجماني
lexicalisation	معجمة، تحجر
lexicologie	معجميات
réciprocité	معكوسية، تبادلية
Faux sens	معنى خاطئ
contresens minimal	معنى متناقض أدنى
contresens maximal	معنى متناقض أعلى
Contre sens	معنى متناقض، تناقض
signification	معنى، دلالة
norme	معيار
dénoté	مُعين

dissimilation	مغايرة
transcendantale	مفارق، متعال
présupposé	مفترض
individualisé	مفرَّد
lexème	مفردة معجمية
discret	مفصول، متميز
conceptualiser	مفهم، منح طابعاً تصورياً
conceptualisation	مفهمة
chiasme	مقابلة عكسية
intraduction	استحالة ترجمة
décidabilité	مقررية
catégorie	مقولة
refoulé religieux	مكبوت ديني
remplissement	ملء
immanence	مُلازمة
ambigu	مُلتبِس
énoncé	ملفوظ
possessif	ملكي
praxies	ممارسات ذهنية
distinctif	مميز
vocatif	منادى
logique	منطق
perspective	منظور
méthodologie	منهجية
méthode audiovisuelle	منهجية/ لطريقة السمعية البصرية
la méthode directe	منهجية/ الطريقة المباشرة
la méthode active	منهجية/ لطريقة النشطة
méthode	منهجية، منهج، طريقة
archaïque	مهجور، منبوذ
parallélisme	موازاة، تواز، تماثل
thématiser	موضع
objectiver	مَوْضع

موضعة	thématisation
موضوع، مفعول	objet
موضوعاتي	thématique
مولّد اللذة	plaisir générateur
مونولوجي	monologique
مونيم	monème
مؤوِّل	interprète
ميتالغة، لغة واصفة	métalangue
ميتالغوي/ لغوي واصف	métalinguistique
ميكرو لغة، لغة صغرى	micro -langue
ميل	penchant
ميل، نزوع	tendance
نبرة (لهجية)	accent (dialectal)
نحو إنتاج	grammaire de production
نحو تلقي	grammaire de réception
ندرة دلالية	hapax sémantique
نزوعي	tendanciel
نسخ	calque
نسق	du système
نسق مزدوج	diasystème
نسقي	systématique
نطق	prononciation
نظرياني	théoriciste
نظرية	théorie
نظرية التلفظ	théorie de l'énonciation
'نظرية «فتاتية/ متشظية	théorie ºen miettes'
نعت، صفة	adjectif
نغمة	ton
نفسانية	psychologisme
نفسي	psychique
نفسي	psychologique
نقائي، صفائي	puriste

purisme	نقائية، صفائية
Critique psychanalytique	نقد التحليلي النفسي
réfutation	نقض
transfert	نقل
transposition	نقل
thème littéraire	نقل أدبي
version	نقل إلى اللغة الأم
thème	نقل إلى لغة أجنبية
version à l'envers	نقل بالمقلوب
thème traditionnel	نقل تقليدي
thème d'imitation	نقل محاكاة
thème grammatical	نقل نحوي
spécifique	نوعي
intention	نية، قصد
hybride	هجين
ciblistes	هدفيون
herméneutique	هرمنوطيقا
pertinent	وارد
embrayeur	واصل
réalité langagière	واقع لغوي
fait	واقع، واقعة
modalité	وجه
modalité adverbiale	وجه ظرفي
unités de traduction	وحدات الترجمة
sémantème	وحدة دلالية
philosophème	وحدة فلسفية
taxème	وحدة نحوية
théorème	وحدة نظرية
occurrence	ورود
intermédiaire	وسطي، متوسّط
paramètre	وسيط
position	وضع

statut	وضع
contextualisation	وضع في سياق
situation	وضع، موقف، مقام
positiviste	وضعي
fonction poétique	وظيفة شعرية
fonction phatique	وظيفة لغْوية
connoter	يدل تضميناً، يتضمن
utopie	يوتوبيا

المراجع

يقدم هذا المجلد توليفاً لمختلف الدراسات الصادرة سلفاً، والتي تعرضت هنا لتنقيحات حتى يتسنى طبعها في كتاب. وفي الأخير، كان حاصل العملية أربعة أجزاء. أضفنا إليها ملحقين اثنين وبيبليوغرافيا مُصَنَّفة مقتصرة على الكتب المذكورة دون غيرها. ويعمل كل جزء من هذه الأجزاء على التوفيق بين مختلف الطبعات السابقة والجزئية في نص واحد. وقبل أن نباشر هنا إعطاء المراجع الكاملة لهذه الإصدارات المتنوعة، نتقدم بالشكر إلى هيئة تحرير المجلات *Langages*، و*Cahiers internationaux de symbolisme*، و*Traduire*، و*Dilbilim* ودور نشر لاروس (Larousse)، وفينك (Fink)، وديديه (Didier)، وديسترفيغ (Diesterweg)، التي رخصت لنا إعادة الطبع.

في **الجزء الأول**، الذي يحمل عنوان «ما الترجمة؟» (انظر ص 63 وما يليها من هذا الكتاب)، أوردت نص مقالتي (traduction) (ترجمة) التي كتبتها **لموسوعة لاروس الكبرى** (*Grande encyclopédie*) (G.E.)، مجلد 57، ص 12065 ـ 12067 (باريس، 1976)، وقد سبق نشرها من قبل في شكلٍ مختلف وتحت عنوان «في الترجمة» «De la traduction» في مجلة *Traduire* (لسان حال الجمعية الفرنسية للمترجمين، باريس)، مجلد I-II رقم 82 ـ 83، 1975، ص 2 ـ 8.

ويرتكز **الجزء الثاني** (انظر الفصل الثاني) بالأساس على نص مقالتي المعنونة «الترجمة في المؤسسة البيداغوجية»، الصادر ضمن العدد المخصص لـ (*La traduction*) (الترجمة) من مجلة *Langages* (مطابع ديدييه ولاروس، باريس)، والذي أنيطت بي مسؤوليّةُ تنسيق مواده: لادميرال (1972)، ص 8 ـ 39. وقد ظهرت نسخة مختلفة منه، مُخففة جداً، في مجلة (*Die Neueren Sprachen*) (فيرلاك موريتس ديسترفيغ، فرانكفورت)، ضمن عدد تشرين الثاني/نوفمبر 1977 المخصص للترجمة تحت إشراف فرانز رودولف فيلير (Franz-Rudolf Weller) (ص 489 ـ 416). وقد ظهرت أيضاً من مقالتي «وحدات نظرية من أجل الترجمة» «Théorèmes pour la traduction» نسخةٌ مزيدةٌ في المجلد المهدى لـ فريتز بايبكه (Fritz Paepcke) بمناسبة عيد ميلاده الستين: *Imago Linguae*. Beiträge zu Sprache, Deutung und Übersetzen, hrsg. v. K.-H. Bender, Kl. Berger und M. Wandruszka (Munich: Wilhelm Fink Verlag, 1977), pp. 289-328.

وقد ظهر النصف الأول مما سيشكل لاحقاً **الجزء الثالث** من الكتاب (انظر الفصل الثالث) في شكل مقال «يتبع...» المعنون: «إشكالية الاعتراض الاستباقي ـ قصة قديمة»، «La problématique de l'objection préjudicielle - une vieille histoire,» *Cahiers internationaux du symbolisme*, no. 31 - 32 (1976), pp. 47 - 64.

وأخيراً ظهرت نسخة مختلفة اختلافاً طفيفاً **للجزء الرابع** والأخير (انظر الفصل الرابع) المعنون «ترجمة وتضمين»، متبوعة بملخص بالتركية، في (*Dilbilim*)، رقم III (1978)، ص 161 ـ 248، يتعلق الأمر بمجلة ثنائية اللغة تصدرها شعبة اللغة الفرنسية للمدرسة العليا للغات الأجنبية لجامعة إسطنبول، تحت إشراف الأستاذ فاردار (Istanbul Üniversitesi Yabanci Diller Yüksek Okulu, Besim Ömer Pasa Cad. II, Beyazit-Istanbul, Turquie).

وقد شكل جزء من هذه الدراسة موضوع أحد تدخلاتي وبذلك فهو منشور ضمن أعمال المؤتمر الحادي عشر لجمعية متجرمي التعليم العالي (A.G.E.S.) المنعقد بنانسي من 28 إلى 30 نيسان/ أبريل 1978 : *La traduction: Un art, une technique*، نانسي، 1979، ص 17 ـ 49. إضافةً إلى أننا أدمجنا قسماً من مساهمتنا عن «سيميوطيقا وحدات الترجمة» في: *Akten des Internationalen Kolloquiums über Fragen der kontrastiven Linguistik und der Übersetzungswissen-schaft*.

(تريف/ شاربروك 25 ـ 30 أيلول/ سبتمبر 1978) الصادرة عن دار فينك بميونيخ.

وفي ما يخص الملحقين، نحيل على التمهيد الذي يقدم كل ملحق على حدة (انظر الملحق I، وII).

سنجد أسفله المراجعَ البيبليوغرافية لمختلف الإصدارات المذكورة في ثنايا هذا الكتاب مفصلةً، حيث اقتصرنا على الإشارة إلى الاسم العائلي (والحرف الأول من الاسم الشخصي) للمؤلف يليه تاريخ الطبع (الذي قد يكون مقروناً بحرف) للدراسة المعنية بالأمر. لنلفت الانتباه إلى أن تاريخ المرجع المشار إليه يهم الطبعة التي اعتمدناها للاستشهادات وليس الطبعة الأولى.

Adorno, Theodor W., 1965: *Jargon der Eigentlichkeit*. Zur deutschen Ideologie, Francfort s/M., [1]1964-[2]1965 (Edition Suhrkamp, no. 91).

———, 1979: *Minima Moralia*. Trad. E. Kaufholz et J.-R. Ladmiral. Paris: Payot, [1]1979.

Arrivé, Michel, 1973: «Pour une théorie des textes poly-isotopiques.» *Langages*: no. 31, septembre 1973. pp. 53-63.

———, 1976: «Poétique et rhétorique.» dans: *Studia Neophilologica*: vol. XLVIII, no. 1. Uppsala: Almqvist et Wiksell, 1976. pp. 97-120.

Arrowsmith, William et Roger Shattuck, 1966: *The Craft and Context of Translation*. Austin; New York: Doubleday, 1966. (Anchor Books; A 358)

Barthes, Roland, 1965: *Le degré zéro de l'écriture suivi des éléments de sémiologie*. Paris: Gonthier, 1965. (Coll. Médiations; no. 40)

Bausch, Karl-Richard, 1977: «Zur Übertragbarkeit der «Übersetzung als Fertigkeit «auf die» Übersetzung als Übungsform».» dans: *Die Neueren Sprachen*, Novembre 1977. pp. 517-535.

———, Josef Klegraf and Wolfram Wilss, 1970 et 1972: *The Science of Translation: An Analytical Bibliography*. Tubingue, 1970 et 1972 (in: *Tübinger Beiträge zur Linguistik*). 2 vols.

Bloomfield, Léonard, 1970: *Le Langage*, Av.-Pr. F. François et trad. J. Cazio. Paris: Payot, [1]1970. (Bibliothèque scientifique). L'édition originale est de 1933, c'est une «version remise à jour» de l'*Introduction*... d'abord parue en 1914.

Brower, Reuben A., 1966: *On Translation*. New York: Oxford University Press, 1966. (Galaxy Books; no. 175)

Cary, Edmond, 1956: *La traduction dans le monde moderne*. Genève Georg, 1956.

Cassen, Bernard, 1974: «L'anglais, langue de l'impérialisme.» *Le Monde de l'éducation*: no. 1, décembre 1974, p. 20.

Catford, John C. 1967: *A Linguistic Theory of Translation*. Londres: Oxford University Press, [1]1965-[2]1967. (Language and Language Learning; no. 8)

Cellard, Jacques, 1975: «L'enseignement des langues et le monopole de l'anglais.» (I) et (II). *Le Monde*, 4 avril 1975. pp. 1, 8 et 5 avril. p. 7.

Culioli, Antoine, 1968: «La formalisation en linguistique.» *Cahiers pour l'analyse*: no. 9, été 1968. pp. 106-117.

David, Jean, 1968: «L'exploitation de textes continus en laboratoire de langue.» *Les Langues modernes*: no. 6, 1968. pp. 23-32.

De Grève, Marcel et Frans van Passel, 1973: *Linguistique et enseignement des langues étrangères*. Bruxelles; Paris: Labor; Nathan, 1968-[2]1973. (Coll. Langues et culture; no. 1)

De Launay, Marc B., 1976: «Présence d'Adorno.» *Allemagnes d'aujourd'hui*: no. 53, mai-juin 1976. pp. 72-78.

Delas, Daniel et Jacques Filliolet, 1973: *Linguistique et poétique*. Paris: Larousse, [1]1973. (Coll. Langue et langage)

Delavenay, Emile, 1963: *La machine à traduire*. Paris: P.U.F., [1]1959- [2]1963-[3]1972. (Coll. Que sais-je?; no. 834)

Dubois, Jean, 1970: «Dictionnaire et discours didactique.» dans: J. Rey-Debove (1970). pp. 35-47.

———, 1972: «Grammaire scientifique et grammaire pédagogique.» *Langue française*: no. 14, mai 1972. pp. 6-31.

——— et Claude, 1971: *Introduction à la lexicographie: Le dictionnaire*. Paris: Larousse, [1]1971. (Coll. Langue et langage)

——— et Joseph Sumpf, 1970: (sous la dir. de) numéro spécial sur *Linguistique et pédagogie* de la revue *Langue française*: no. 5, février 1970.

———, Mathée Giacomo, Louis Guespin, Christiane Marcellesi, Jean-Baptiste Marcellesi, Jean-Pierre Mevel. 1973: *Dictionnaire de linguistique*. Paris: Larousse, [1]1973.

Ducrot, Oswald et Tzvetan Todorov, 1972: *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*. Paris: Ed. du Seuil, [1]1972.

Fishman, Joshua A. (éd.). 1970: *Readings in the Sociology of Language*. La Haye; Paris: Mouton, [1]1968-[2]1970.

Fourquet, Jean, 1972: «La traduction vue d'une théorie du langage.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 64-69.

Frege, Gottlob, 1971: *Ecrits logiques et philosophiques*. Trad. et introd. Cl. Imbert. Paris: Ed. du Seuil, [1]1971. (Coll. L'ordre philosophique)

Fromm, Erich, 1969: «Tâche et méthode d'une psychologie sociale analytique.» Trad. et notes J.-R. Ladmiral, *L'homme et la société*: no. 11, janvier-février-mars 1969. pp. 19-35. Repris dans: E. Fromm (1971). pp. 193 sqq.

———, 1971: *La crise de la psychanalyse*. Essais sur Freud, Marx et la psychologie sociale. Trad. et notes J.-R. Ladmiral. Paris: Anthropos, [1]1971. (Coll. Sociologie et connaissance). Réédition en livre de poche, sans la note du traducteur. Paris: Denoël-Gonthier. 1973. (Coll. Médiations; no. 109)

Galisson, Robert et Daniel Coste (dirs.), 1976: *Dictionnaire de didactique des langues*. Paris: Hachette, [1]1976.

Gary-Prieur, Marie-Noëlle, 1971: «La notion de connotation(s).» dans: *Littérature*: no. 4, décembre 1971. pp. 96-107.

Geckeler, Horst (éd.)., 1978: *Strukturelle Bedeutungslehre*. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1978. (Coll. Wege der Forschung; no. 426)

Gobard, Henri, 1976: *L'aliénation linguistique*. Analyse tétraglossique. Préf. G. Deleuze. Paris: Flammarion, [1]1976.

Goldblum, Marie-Claire, 1972: «Etude expérimentale de l'acquisition de la syntaxe chez les enfants de 5 à 10 ans.» *Langue française*: no. 13, février 1972. pp. 115-122.

Granger, Gilles-Gaston, 1968: *Essai d'une philosophie du style*. Paris: A. Colin, [1]1968.

Gross, Maurice, 1972: «Note sur l'histoire de la traduction automatique.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 40-48.

Guiraud, Pierre, 1963: *La stylistique*. Paris: P.U.F., [1]1954-[4]1963. (Coll. Que sais-je?; no. 646)

———, 1964: *La sémantique*. Paris: P.U.F., [1]1955-[4]1964. (Coll. Que sais-je?; no. 655)

Habermas, Jürgen, 1973: *La technique et la science comme «idéologie»*. Trad. et préf. J.-R. Ladmiral. Paris: Gallimard, [1]1973-[2]1975. (Coll. les Essais; no. CLXXXIII). Réédition en livre de poche avec la même pagination. Paris: Denoël-Gonthier, 1978. (Coll. Médiations, no. 167)

———, 1974: *Profils philosophiques et politiques*. Trad. Fr. Dastur, J.-R. Ladmiral et M. B. de Launay. Préf. J.-R. Ladmiral. Paris: Gallimard, [1]1974. (Coll. les Essais; no. CXCI)

Hill, Archibald A., 1958: *Introduction to Linguistic Structures. From Sound to Sentence in English*. New York: Harcourt, Brace and World, 1958.

Hjelmslev, Louis, 1968: *Prolégomènes à une théorie du langage*. Trad. A.-M. Léonard [et al.]. Paris: Ed. de Minuit, [1]1968. (Coll. Arguments; no. 35). Nouvelle traduction en 1971 par U. Canger et A. Wewer.

Holyband, Claudius, 1953: *The French Littleton*. Cambridge:

Cambridge University Press, 1953 (rééd. avec introd.). Première édition, 1576.

«IPN»: *Langues vivantes. Horaires, programmes, instructions*. Paris: S.E.V.P.E.N. (I.P.N.), 1970. (Brochure no. 74 Pg)

Jakobson, Roman, 1963: *Essais de linguistique générale*. Trad. et préf. N. Ruwet. Paris: Ed. de Minuit, [1]1963. (Coll. Arguments; no. 14). Réédition en livre de poche. Paris: Ed. du Seuil, 1970. (Coll. Points; no. 17)

Kristeva, Julia. 1978: Σημειωτιχη. Recherches pour une sémanalyse (Extraits). Paris: Ed. du Seuil, 1978. (Coll. Points; no. 96). C'est la reprise en livre de poche de la première édition, en 1969, de ce recueil d'articles.

Ladmiral, Jean-René, 1971: «Le discours scientifique.» *Revue d'ethnopsychologie*: t. XXVI, nos. 2-3, septembre 1971. pp. 153-191.

———, 1972: (sous la dir. de) numéro spécial sur *La traduction* de la revue *Langages*: no. 28, décembre 1972.

———, 1973: (sous la dir. de) numéro spécial sur *Bilinguisme et francophonie* de la *Revue d'ethnopsychologie*: t. XXVIII, nos. 2-3, juin-septembre 1973.

———, 1975a: «Adorno *contra* Heidegger.» dans: *Présences d'Adorno*. Paris: U.G.E., 1975. (Coll. 10-18, no. 933: Revue d'ésthétique, nos. 1- 2, 1975). pp. 207-233.

———, 1975b: «Allemand-zéro - Sur une expérience pédagogique d'initiation à l'allemand scientifique.» *Revue d'Allemagne*: t. VII, no. 2, avril-juin 1975. pp. 141-154.

———, 1975c: «Une langue de spécialité: L'Allemand philosophique.» *Les Langues modernes*: nos. 2-3, 1975. pp. 139-148.

———, 1975d: «Linguistique et pédagogie des langues étrangères.» *Langages*: no. 39, septembre 1975. pp. 5-18.

———, 1975e: «Linguistique appliquée et enseignement de la langue.» (I) et (II). *Revue d'Allemagne*: t. VII, no. 3 et no. 4, juillet-septembre et octobre-décembre 1975. pp. 321-334 et 517-532.

———, 1975f: «Lecture de Heidegger.» *Allemagnes d'aujourd'hui*: no. 49, septembre-octobre 1975. pp. 98-111.

———, 1978: «Pour une dynamique des groupes bi-nationaux.» *Langage et société*: no. 3, février 1978. pp. 3-47.

Lalande, André, 1962: *Vocabulaire technique et critique de la philosophie*. Paris: P.U.F., [9]1962. Première édition chez Félix Alcan en 1926.

Laplanche, Jean et Jean-Bertrand Pontalis, 1968: *Vocabulaire de la psychanalyse*. Préf. D. Lagache. Paris: P.U.F., [1]1967-[2]1968. (Bibliothèque de la psychanalyse)

Larbaud, Valéry, 1957: *Sous l'invocation de Saint Jérôme*. Paris: Gallimard, [1]1946-[12]1957.

Lewandowski, Theodor, 1973: *Linguistisches Wörterbuch* (3 vols.). Heidelberg: Quelle & Meyer, 1973/1975. (Uni-Taschenbücher, no. 200, no. 201, no. 300)

Ljudskanov, Alexandre, 1969: *Traduction humaine et traduction mécanique*. fascicules 1 et 2. Paris: Dunod, 1969. (Documents de linguistique quantitative; no. 2 et no. 4)

Lortholary, Bernard, 1975: «Introduction» à M. Démet et B. Lortholary. *Guide de la version allemande*. Paris: A. Colin, [1]1975. (Coll. U2). pp. 5-28.

Lyons, John, 1970: *Linguistique générale. Introduction à la linguistique théorique*. Trad. Fr. Dubois-Charlier et D. Robinson. Paris: Larousse, [1]1970. (Coll. Langue et langage). Ed. originale: *Introduction to Theoretical Linguistics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1968. Trad. allemande: *Einführung in die moderne Linguistik*. Trad. W. et G. Abraham; introd. W. Abraham. Munich: C. H. Beck, [1]1971.

Malblanc, Alfred, 1966: *Stylistique comparée du français et de l'allemand*. Essai de représentation linguistique comparée et Essai de traduction. Paris: Didier, [1]1961-[2]1963-[3]1966-[4]1968. (Bibliothèque de stylistique comparée; no. II)

Marouzeau, Jules, 1951: *Lexique de la terminologie linguistique* (français-allemand-anglais-italien). Paris: Geuthner, [3]1951.

Martinet, André, 1967: «Connotations, poésie et culture.» dans: *To Honor Roman Jakobson*. Essays on the Occasion of his 70th Birthday. La Haye; Paris: Mouton, 1967. t. II, pp. 1288-1294.

———, 1968a: «Réflexions sur le problème de l'opposition verbo-

nominale.» dans: *La linguistique synchronique*. Paris: P.U.F., [1]1965-[2]1968. (Coll. S.U.P.: «Le linguiste»; no. 1). pp. 195-205. Cet article était paru dans le *Journal de psychologie normale et pathologique* de janvier-mars 1950.

———, 1968b: (sous la dir. de). *Le langage*. Paris: Gallimard, [1]1968. (Encyclopédie de la Pléiade)

———, 1969: *Eléments de linguistique générale*. Paris: A. Colin, [1]1960-[3]1963...-1969. (Coll. U2)

———, 1972: *La linguistique*. Guide alphabétique, sous la dir. de A. Martinet, avec la collab. de J. Martinet et H. Walter. Paris: Denoël-Gonthier, [1]1969-[2]1972. (Coll. guides alphabétiques médiations)

Meschonnic, Henri. 1970: *Les cinq rouleaux*. Paris: Gallimard, [1]1970.

———, 1973: *Epistémologie de l'écriture* et *Poétique de la traduction*. dans: *Pour la Poétique II*. Paris: Gallimard, 1973. (Coll. le chemin)

Minder, Robert, 1972: «Heidegger und Hebel oder die Sprache von Messkirch.» dans: *Dichter in der Gesellschaft*. Francfort s/M.: Suhrkamp, [1]1972. (Suhrkamp taschenbuch; no. 33). pp. 234-294.

Moles, Abraham, 1971: (sous la dir. de). *La communication*. Paris: C.E.P.L., [1]1971. (Les dictionnaires du savoir moderne)

Moskowitz, Daniel, 1972: «Enseignement de la traduction à l'E.S.I.T.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 110-117.

Mounin, Georges, 1955: *Les belles infidèles*. Paris: Cahiers du Sud, 1955.

———, 1963: *Les problèmes théoriques de la traduction*. Préf. D. Aury. Paris: Gallimard, [1]1963. (Bibliothèque des idées). Réédition en livre de poche: coll. Tel, no. 5.

———, 1964: *La machine à traduire. Histoire des problèmes linguistiques*. La Haye: Mouton, 1964.

———, 1965: *Teoria et storia della traduzione*. Turin: Einaudi, 1965.

———, 1969: *La communication poétique*. Paris: Gallimard, 1969.

———, 1971: *Clés pour la linguistique*. Paris: Seghers, [1]1968-[2]1971. (édition revue et corrigée)

———, 1972: article «Traduction.» dans: A. Martinet (1972). pp. 375-379 et 431 sq. Repris dans: G. Mounin (1976). pp. 71-76.

———, 1976: *Linguistique et traduction*. Bruxelles: Dessart et Mardaga, [1]1976. (Coll. psychologie et sciences humaines; no. 60)

Nida, Eugène A., 1964: *Toward a Science of Translating* with special to Principles and Procedures Involved in Bible Translating. Leyde: Brill, [1]1964.

——— et Charles R. Taber, 1969: *The Theory and Practice of Translation*. Leyde: Brill, [1]1969. (Helps for Translators; vol. VIII)

Osgood, Charles E. et George J. Suci, Percy H. Tannenbaum, 1957: *The Measurement of Meaning*. Urbana: University of Illinois Press, 1957.

Pergnier, Maurice, 1972: «Traduction et sociolinguistique.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 70-74.

———, 1978: *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*. Lille; Paris: Atelier de Reproduction des Thèses (Université de Lille III); Librairie Honoré Champion, [1]1978.

Pottier, Bernard, 1974: *Linguistique générale*. Théorie et description. Paris: Klincksieck, [1]1974. (Coll. initiation à la linguistique, série B: Problèmes et Méthodes; no. 3)

Quine, Willard Van Orman, 1977: *Le mot et la chose*. Trad. J. Dopp et P. Gochet, Av.-Pr. P. Gochet. Paris: Flammarion, [1]1977 (Nouvelle bibliothèque scientifique)

Reffet, Michel, 1971: «La traduction: Propositions de mise en place pédagogique.» *Les Langues modernes*: nos. 5-6, 1971. pp. 37-44.

Reiss, Katharina, 1971: *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik*. Kategorien und Kriterien für eine sachgerechte Beurteilung von Übersetzungen. Munich: Hueber, [1]1971. (hueber hochschulreihe, no. 12)

Rey, Alain, 1970: *La Lexicologie*. Paris: Klincksieck. [1]1970. (Initiation à la linguistique, série A: Lectures, no. 2)

Rey-Debove, Josette, 1970: (sous la dir. de) numéro spécial sur *La lexicographie* de la revue *Langages*: no. 19, septembre 1970.

Rozan, Jean-François, 1970: *La prise de notes en interprétation consécutive*. Préf. R. Confino. Genève: Georg, [1]1956-[4]1970. (Publication de l'école d'interprètes de l'université de Genève)

De Saussure, Ferdinand, 1972: *Cours de linguistique générale*. Ed. T. de Mauro. Paris: Payot. 1972. (Coll. Payothèque). Il s'agit là d'une édition critique et abondamment annotée, conservant la même pagination que les éditions précédentes. La première édition du Cours remonte à 1916.

Seleskovitch, Danica, 1968: *L'interprète dans les conférences internationales*. Paris: Minard, [1]1968. (Cahiers Champollion; no. 1)

Steiner, George, 1978: *Après Babel*. Une poétique du dire et de la traduction. Trad. L. Lotringer. Paris: Albin Michel, [1]1978. Ed. originale: *After Babel*. Aspects of Language and Translation, Londres; Oxford; New York: Oxford University Press, [1]1975-[2]1976. (Oxford Paperbacks; no. 364)

Taber, Charles R., 1972: «Traduire le sens, traduire le style.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 55-63.

Tabouret-Keller, Andrée, 1972: article «Plurilinguisme et interférences.» dans: A. Martinet (1972). pp. 305-310 et 426.

Thieberger, Richard, 1972: «Le langage de la traduction.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 75-84.

Todorov, Tzvetan, 1966: «Recherches sémantiques.» *Langages*: no. 1, mars 1976. pp. 5-43.

Tomatis, Alfred, 1963: *L'oreille et le langage*. Paris: Ed. du Seuil, 1963. (Coll. le rayon de la science; no. 17)

Van Hoof, Henry, 1973: *Internationale Bibliographie der Übersetzung. International Bibliography of Translation*. Pullach bei München: Verlag Dokumentation, 1973. (Handbuch der internationalen Dokumentation und Information; no. 11)

Vidal-Naquet, Pierre, 1974: «Bévues de traduction - Tuer le général Staff.» *Le Monde*: 18 janvier 1974, p. 16.

Vinay, Jean-Paul, 1968a: «Enseignement et apprentissage d'une langue seconde.» dans: A. Martinet (1968). pp. 685-728.

———, 1968b: «La traduction humaine.» dans: A. Martinet (1968b). pp. 729-757.

——— et Jean Darbelnet, 1968: *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. Méthode de traduction. Paris: Didier, [1]1958-[4]1968. (Bibliothèque de stylistique comparée; no. 1)

Wandruszka, Mario, 1969: *Sprachen- vergleichbar und unvergleichlich*. Munich: Piper, [1]1969.

———, 1972: «Le bilinguisme du traducteur.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 102-109.

Weinreich, Uriel, 1970: «Is a Structural Dialectology Possible?.» dans: J. A. Fishman (1970). pp. 305-319. Première parution in *Word*: no. 14 (1954). pp. 388-400.

Wilss, Wolfram, 1977: *Übersetzungswissenschaft*. Probleme und Methoden. Stuttgart: Klett, 1977[1].

Zemb, Jean-Marie, 1972: «Le même et l'autre: Les deux sources de la traduction.» dans: J.-R. Ladmiral (1972). pp. 85-101.

——— 1978: *Vergleichende Grammatik*: *Französisch-Deutsch*. Comparaison de deux systèmes, 1[re] partie, Mannheim-Vienne-Zurich, Bibliographisches Institut (Duden-Verlag), [1]1978. (Duden-Sonder reihe vergleichende Grammatiken; no. 1)